Journal of Letters and Social Sciences (JLSS)
مجلة علمية محكمة نصف سنوية

المجلد 21- العدد 01 السنة 2024

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

منشورات جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2 الجزائر
Edition: Mohamed Lamine Debaghine, Setif2 University

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

المجلد 21- العدد 01-(ماي - جوان) لسنة 2024

تعتبر مجلة " الآداب والعلوم الاجتماعية " مجلة علمية محكمة، تصدر كل ستة أشهر. تنشر البحوث والدراسات التي تتوافر فيها الأصلية والمنهجية العلمية والتي يكون إعدادها حسب معايير المخطوطات العلمية الصالحة للنشر.

وتهدف مجلة " الآداب والعلوم الاجتماعية " إلى توسيع المعرفة العلمية وتعزيز الاتجاهات الدراسية الحديثة والمبتكرة حول سيكولوجية الإنسان ومجتمعه وآدابه وفنونه وفلسفته وتاريخه وآثاره ومستقبله.

ISSN 1112-4776

الإيداع القانوني
2004-650
ISSN: 1112-4776
e-ISSN: 2588-1906

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

ماذا عن مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية جامعة سطيف2؟

URL: https://www.asjp.cerist.dz/downloads/revues?fileKey=15280
URL: https://www.asjp.cerist.dz/downloads/revues?fileKey=15802

- معلومات أولية
- قواعد النشر
- مدونة أخلاقيات النشر
- منصات التصنيف
- التعهد
- هيكلة المخطوط / المقال
- كيفية ارسال مقال الى مجلة

للاطلاع على هذه الملفات يمكن تنزيلها من الرابطين أعلاه

المراسلات

العنوان: مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية جامعة سطيف2، الجزائر
حي الهضاب سطيف 19000 الجزائر
الهاتف /فاكس: 036.66.11.81
الموقع الالكتروني
-https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4
-http://revues.univ-setif2.dz/
البريد الالكتروني: revue.setif2@gmail.com - revue@univ-setif2.dz
الايداع القانوني: 650-2004
ردمد(ISSN): 1112-4777
الرقم الالكتروني(eISSN): 2588-1906

©جميع الحقوق محفوظة لجامعة محمد لمين دباغين سطيف2، سطيف، الجزائر

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر

مدير المجلة

أ.د. الخير قشي مدير الجامعة

رئيس التحرير

أ.د. خير الدين دعيش

هيئة التحرير

أ.د. محمود بوسنة
أ.د. عبد الملك بومنجل
أ.د. الطاهر سعود
أ.د. أنور مقراني
أ.د. سمش الدين زواغي
أ.د. عبد العزيز العيادي
أ.د. علاوة عمارة
أ.د. مصطفى سعداوي
د. حسين بلحرش
د. نوال خرة
د. اخلاص غرزولي
د. الشريف زروخي
د. أمينة فطيمة زهرة طالبي
د. بوبكر قارس
د.نجوى فيران
د.فوزية رواق
د. سمرة شوبان
د. فايزة جنيدي

أ.د. فريدة قماز
أ.د. منصور بن زاهي
أ.د.بلقاسم يخلف
أ.د. فطيمة شباب
أ.د. جمال كويحل
أ.د. ساعد خميسي
أ.د. حسين أمزيان
أ.د. رحموني بومنقاش
أ.د. خواني أحمد عماد الدين
د. نور الدين هميسي
د. وهيب بوسعدية
د. فارس شاشة
د. لبنى أشهب
د. حسينة أحميد
د. فاروق طباع
د. بشير الشريف شمس الدين
د. أرزقي بوحشيش

أمانة المجلة

لامية بوضياف مفيدة شريفي مبروك صبايحي

اللجنة العلمية

أ.د. بن جدو بوطالبي	جامعة سطيف2
أ.د. نصر الدين غراف	جامعة سطيف2
أ.د. محمد بوادي	جامعة سطيف2
أ.د. سفيان زدادقة	جامعة سطيف2
أ.د. محمد بن أعراب	جامعة سطيف2
أ.د. صلاح الدين زرال	جامعة سطيف2
أ.د. يوسف عيبش	ATRSSH قسنطينة
أ.د. السعيد كسكاس	جامعة سطيف2
أ.د. بلقاسم نويصر	جامعة سطيف2
أ.د. نور الدين بوعلي	جامعة سطيف2
أ.د. فوضيل دليو	جامعة قسنطينة3
أ.د. أحمد صاري	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
أ.د. عواد كاظم لفتة الغزي	جامعة ذي قار العراق
أ.د. محمد الحسن عبد الرحمن	جامعة بخت الرضا –السودان
أ.د. دانيال إستريا	CNRS فرنسا
أ.د. محمد سحنوني	CENIEH اسبانيا
أ.د. آل ديكو بريما	جامعة باري 7 فرنسا
د. عمار كوسة	جامعة سطيف2
د. نور الدين مبني	جامعة سطيف2
د. محمد بوجاجة	جامعة سطيف2
د. حميد أومليلي	جامعة سطيف2

الفهرس

د. نور الدين هميسي	الصورة التنافسية للدولة: كيف ولماذا تتحول الدول إلى علامات تجارية	07
د. وردة بوقبال	السياسة الجديدة للتنمية الفلاحية والريفية في الجزائر - حالة بلديات من الإقليم ...	17
أ.د. محمود بوسنه	ما هي الخصائص المحددة لكيفية كتابة عناوين مخطوطات علمية، خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية؟	33
د. نصيرة براهمي	الحِراك السياسي والثقافي الجزائري مع مطلع القرن العشرين	41
د. شفيقة عاشور أ.د. خير الدين دعيش	مقاربة المتخيل في بناء الشخصية التاريخية» حميدو بن علي«في رواية «الرايس» لهاجر قويدري	53
د. نصيرة بوطغان	التصوف تجربة كونية قراءة في اعمال اريك فروم	65
حياة أحمد الصّيد	المصطلح الطّبي في معجم مفاتيح العلوم للخوارزمي: الخصائص والوظائف	72
حاج إسماعيل بن لولو أ.د.قاسم حاج امحمد	قراءة كرونولوجية في كتاب «شرح كتاب النيل»	91
د. يوسف لطرش أ.د. مختار ملاس	تأصيل النظريات النقدية الحداثية في النقد العربي القديم عند عبد الملك مرتاض	104
د. رابح محمد حساين أ.د. بن سنوسي سعاد	شعرية الانزياح في الشّعر الجزائري المعاصر، ديوان رجل من غبار لعاشور فنّي أنموذجا	113
د. نجمة قرواز	طبيعة الاستهلال في رواية «حضرة الجنرال» لكمال قرور	125
د. مسعودة صابة	فنيّة الكناية في الشعر العباسي	137
مسعود بدة د. بكاي إسماعيل د. مراد عايدي	دراسة تحليلية للبحوث العلمية التي تناولت أثر العصف الذهني على تعلم بعض المهارات الحركية ...	149
د. بديعة حنون د. لبنى أحمان	اندماج مستويات الإبداع في إشهار الواقع دراسة لأسلوب بناء العلاقة مع الزبائن	161

أ.د. سمش الدين زواغي د. نعيمة بوزغران	التكفل الطبي في العلاج والوقاية الأولية للسمنة عن طريق النشاط البدني الرياضي	174
د. ايمان خلفة د. لامية صابر	الإستراتيجيات الإتصالية الداعمة لتحسين صورة المؤسسات الجامعية	188
د. مريم ضبع أ.د. أم الخير بن شنه	اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة	207
د. محند أكلي آيت سوكي	مجتمع قسنطينة وما جاورها من خلال الرحلة الورثيلانية	224
أ.د. مولود آيت عيسى د. عتوتة صالح كريمة عنانى	التحليل الكلى لتوزيع الافعال المساعدة للغة الانجليزية فى الكتاب المدرسى للغة الانجليزية كلغة اجنبية فى الجزائر للسنة الثانية ثانوى "Getting Through" **{En}**	236
كوثر رمضان د. نصيرة بوبعاية	آخر رجل في البرج بقلم أرافيند أديجا: دراسة تفسيرية لعتبات النص **{En}**	247

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

الصورة التنافسية للدولة: كيف ولماذا تتحول الدول إلى علامات تجارية

Nation Competitive Image: How And Why Nations Become Commercial Brands

د. نور الدين هميسي
Dr. Noreddine Hamici
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر
n.hamici@univ-setif2.dz

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2023-09-06
تاريخ القبول 2024-02-26

الكلمات المفتاحية
الصورة التنافسية
صورة الدولة
الاقتصاد
الدبلوماسية
السياحة

ملخص

تحاول هذه الورقة البحثية التعمق في مفهوم الصورة التنافسية للدولة باعتباره مفهوما مفتاحيا يسمح بإدراك حجم تأثير الاتصال على تشكيل حزمة تمثلات ترتبط بالدولة وبعمقها الثقافي والسياسي والاقتصادي. يتم التعامل مع هذه التمثلات بوصفها تراكما آليا وأحيانا قصديا لجملة من الصور التي يمكن الإفادة منها كمدخلات لنظام حوكمة الدولة وسياستها الخارجية واقتصادها انطلاقا من كون العلاقات التي فرضت العولمة عبورها للحدود تتغذى بالدرجة الأولى من عمليات الاتصال، التي تستحيل تدريجيا إلى إحدى أهم أدوات التسيير الناجع للدولة. سنصل في خاتمة البحث إلى فهم كيفية الاستفادة من هذا المفهوم من أجل بناء إستراتيجيات وسياسات على الصعيد الدولي تسمح بدعم قطاعات اقتصادية وسياسية، كما سنصوغ جملة من التوصيات المهمة لتوظيف هذا المفهوم على الصعيد العربي.

مقدمة

هناك اتفاق على أن العولمة ليست في الأصل سوى سعيا متناهيا إلى السيطرة والانتصار، ليس بالسياسة والاقتصاد فقط، وإنما كذلك بالرموز والأفكار التي تجسدها ثورة التواصل التي لا تعترف بالحدود. سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية استخلاص بعض القراءات حول مفهوم الصورة التنافسية للدولة بوصفه تعبيرا عن حالة صراع مشتدّ في قطاعات اقتصادية وسياسية معينة ومثالا عن المنافسة الفكرية المستعرة عبر وضمن وسائل الإعلام وتقنيات الاتصال الحديثة، وهي منافسة تبتغي غايات سياسية واقتصادية في النهاية لأن قوة الدول وفرص بقائها في السباق العالمي لن تكون إلا من خلال التمكن والنفوذ.

ويمكن في هذا الصدد الاستئناس بمثال حي عن هذا الأمر، حيث تشكّل عودة كل من إسبانيا وكرواتيا إلى الواجهة العالمية كبلدين يعيشان رخاء اقتصاديا واستقطابا لافتا للسياح رغم الظروف السياسية والاقتصادية التي مرتا بهما خلال العقود القليلة الماضية، نموذجا ممتازا لاختبار مفهوم صورة الدولة وتجلياته الإجرائية على المستوى السياسي.

إن استنطاق ممكّنات هذا المفهوم في واقعنا العربي، سواء من الناحية الأكاديمية أو من ناحية الممارسة التطبيقية، يمكن أن يقود إلى إعادة التفكير في حلول مبتكرة للكثير من الإشكاليات المهمة التي تعاني منها الدول العربية، وبالخصوص على المستوى الاقتصادي، حيث يمكن الاعتماد على مفهوم الصورة التنافسية من أجل إعادة ابتكار طرق صناعة الثروة وإدارة المشاريع

1–مفهوم الصورة التنافسية: من المنتج إلى الدولة

يقوم مفهوم الصورة التنافسية على مفهوم الصورة الذهنية الذي يحظى بمكانة مميزة في قاموس التواصل والعلاقات العامة. يستخدم الباحثون مفهوم الصورة الذهنية على نطاقات واسعة، ولكن من دون الاتفاق على مفهوم موحد له، وبهذا فهو يبقى بحاجة -كغيره من الكثير من المفاهيم في العلوم الإنسانية والاجتماعية- إلى توضيح وتدقيق على الرغم من عمره المديد من مهد الفلسفة إلى رحاب العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة التي لا تزال تحاول صقل هذا المفهوم. يمتلك مفهوم الصورة الذهنية جذورا موغلة في أعماق الفلسفة القديمة، حيث يعرف من قبل الفلاسفة بأنه

محاكاة ذهنية ضعيفة عموما لإحساس أو لإدراك سابق من قبل. وهي أيضا تمثيل عيني من إنشاء فعالية الفكر يستفاد منه في تصوير فكرة مجردة (لالاند، 2001). ويقترب هذا المفهوم كثيرا من بعض المفاهيم التي يتبناها علماء النفس، خصوصا أخصائيي علم النفس الإدراكي، ويمكن الإحالة هنا إلى تعريف وليام سكوت للصورة الذهنية بأنها مجموعة الصفات التي يميزها الشخص أو يتصورها حينما يتذكر الشيء الذي تعبر عنه الصورة (الموسى، 1984).

ويعتبر الباحث الأمريكي كينيث بولدينغ من بين أهم من أسهموا في إعطاء مفهوم الصورة الذهنية قيمة علمية عالية، حيث نال على يده شهرة واسعة في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك بعد استخدامه المميز في كتابه الشهير «الصورة: المعرفة في الحياة والمجتمع» الصادر عام 1956. وقد أكد بولدينغ على فعالية هذا المفهوم من أجل تفسير ما وصل إليه العقل البشري من إنجازات علمية مادية وفكرية، وكذا على جدواه في تعليل الكثير من السلوكات التي يقوم بها البشر في مختلف جوانب حياتهم اليومية، ويرى بأن محتوى هذا المفهوم يرتبط بالمعرفة، ويقدم تبعا لذلك تعريفه للصورة الذهنية بأنها «المحتوى المعرفي للذهن البشري» ويرى كذلك بأن المحتوى المعرفي للصورة الذهنية هو أيضا بنية عضوية لأن البشر أثناء عملية التواصل يتبادلون الكثير من الرسائل المشفرة والمفككة بفضل أعضاء بيولوجية معينة(Boulding, 1956) .

ورغم أن ما قدمه بولدينغ حول مفهوم الصورة خلق حركية كبيرة في البحوث العلمية في فروع عديدة من المعرفة والعلوم على غرار علم الاجتماع المعرفي وعلم النفس الإدراكي مثلما أكده الكثير من معاصريه إلا أن هذا لم يمنع من توجيه بعض الانتقادات لمفهومه المقترح من قبل بعض الباحثين مثل ريتشارد إيلي الذي اعتبر بأن هذا المفهوم يحمل لبسا كبيرا، وبأن موضع النقد الرئيسي هو التساؤل عما إذا كان ما يحمله الناس في أذهانهم صحيحا، وبالتالي ما إذا كانت معرفتهم بالواقع ماضيا، حاضرا ومستقبلا صحيحة، ويستدل هنا بما قاله ويل روجرز، أحد كلاسيكيي العلوم الإنسانية في الغرب، حين اعتبر بأن المشكلة ليست في ما إذا كان الناس يعرفون أو لا يعرفون الواقع، ولكن فيما إذا كانت معرفتهم للواقع صحيحة. ويرى البعض بأن الصورة الذهنية هي خلاصة الانطباعات الذاتية التي تتكون في الذهن نحو شيء ما من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة، وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم وعقائدهم بغض النظر عن صحة المعلومات التي تتضمنها خلاصة هذه التجارب لأنها في النهاية تمثل دافعا صادقا بالنسبة لأصحابها ينظرون من خلاله إلى ما حولهم ويفهمونه على أساسها ((Boulding, 1966.

ولم يبق مفهوم الصورة الذهنية على هذا المستوى من التحليل فقط، حيث بدأ بالتطور تدريجيا قبل أن يتم توظيفه في العديد من الأدبيات العلمية حتى وصل إلى حقول الاتصال والعلاقات العامة، التسويق وعلم الاجتماع التنظيمي بدءا من أواخر الخمسينيات، وكان إسهام الباحث الأمريكي دافيد أوجيلفي واضحا جدا في هذا السياق بصفته أول من نبه إلى أهمية إدراك القيمة العلمية لمفهوم صورة أو علامة المنتج من خلال فرضه الشهير القائل بأن الناس لا يشترون منتوجات وإنما علامات وصور رمزية للمنتوج، وبأن هذا الأخير إنما هو في الأخير شخصية محددة يدركها الجمهور جيدا(Dowling, 1993).

ويذهب تيار آخر من الباحثين إلى التركيز على الجذور الاجتماعية لهذا المفهوم، ويؤكدون بالتالي بأن الصورة الذهنية للمنتوج، الخدمة أو المؤسسة إنما تأخذ قيمتها من دخولها حيز التفاعل الاجتماعي، وهو ما يطلق عليه دوغلاس هولت «التشكل الثقافي للعلامات والصور»، حيث يرى في هذا الشأن بأن ابتكار العلامات التجارية وصور المنتجات وتحسينها أصبح سمة غالبة على المجتمعات الحديثة بفعل الرأسمالية، مضيفا بأن المنتج لم يعد الشيء الوحيد الذي يمثل محورا لتحسين الصورة، وإنما المؤسسة أيضا أصبحت محلا لمثل هذا الفعل. وتكتسب هذه الصور والعلامات وجودها من التداول الاجتماعي والثقافي لأنها توفر للمستهلك فوائد معلوماتية وتفاعلية ورمزية تصبح قابلة للتوظيف من قبل مخططي الاتصال داخل المؤسسات من أجل تحقيق مكاسب اقتصادية(Holt, 2006).

ومن مفهوم صورة المؤسسة، انطلقت المزيد من الأبحاث الساعية لاختبار فعالية الصورة الذهنية كأداة مفاهيمية تحليلية على مستويات أكثر اتساعا، وفي هذا المنحى، برزت أولى الملامح حول مفهوم صورة الدولة ضمن محتوى الكثير من الدراسات التي انطلقت من نهاية الثمانينيات وإلى غاية

يومنا هذا، حيث نذكر هنا على الأقل مساهمة فيليب كوتلر، أحد أبرز منظري التسويق، والذي يذكر في هذا السياق العديد من الدراسات التي حاولت الكشف عن مفهوم صورة الدولة أو العلامة التجارية للدولة (nation brand)، وقدم لمحة عن نتائجها حول تأثير هذه الصورة في سياق المنافسة بين المنتجات المحلية والأجنبية على مستوى الأسواق الأمريكية. ويرى فيليب كوتلر ودافيد غيرتنر بأن صورة الدولة عادت ما تنشأ بالتفاعل بين العديد من المحددات مثل الجغرافيا، الإعلام، التاريخ، الثقافة، وأيضا من خلال شخصياتها المعروفة خارجيا، ويؤكدان بأن هذه الصورة تتسم في الغالب بأنها صورة نمطية واختصار مبتذل للحقيقة قد ينشأ في انعدام أي تجربة شخصية حيال الدولة المعنية، وذلك بفعل الأثر الذي تتركه وسائل الإعلام وصناعات الترفيه من خلال تقديمها للمعلومات أو من خلال تلقي انطباعات من أشخاص آخرين (Kotler & Gertner, 2002).

ورغم هذه الدراسات، إلا أن الفضل في صقل مفهوم صورة الدولة من الزاوية التنافسية وإعادة تدقيقه في سياق كلي سياسي واقتصادي واجتماعي متكامل يعود إلى الباحث الإنجليزي سيمون أنهولت Simon Anholt*، وخصوصا في كتابيه «الهوية التنافسية: الإدارة الجديدة لصورة الدول، المدن والمناطق» (Competitive identity: The new brand management for nations, cities and regions) الصادر عام 2007، ثم كتاب «هوية الأماكن وصورتها وسمعتها» (Places identity, image and reputation) الصادر عام 2010، حيث قدم في هذين الكتابين العديد من الرؤى حول مفهوم صورة الدولة وتشعباته النظرية والمنهجية، مستخدما التراث العلمي الكبير لمجالات العلاقات العامة والتسويق في دراسة صورة المؤسسة والعلامة التجارية، وهو ما يفسر اعتماده كثيرا على استخدام مفهومي الصورة والعلامة بنفس المعنى تقريبا.

ويقدم أنهولت مفهومه الخاص لصورة الدولة بالقول بأن وضع تعريف شامل لهذا المفهوم يتطلب التفرقة بين اتجاهين اثنين: اتجاه يعتبر بأن صورة الدولة يجب أن تستقرأ بناء على المظاهر المادية المرئية المتلقاة عن الدولة، فيما يذهب الاتجاه الثاني إلى محاولة التعمق في قراءة جوهر صورة الدولة بالتركيز كذلك على العناصر المعنوية غير المرئية (Dinnie, 2008).

وبالاستعانة بإجراء مقارنة بين صورة المنتج أو صورة المؤسسة من جهة وبين مفهوم صورة الدولة من جهة أخرى، يوضح أنهولت بأنه إذا كانت صورة العلامة أو صورة المؤسسة تبني عبر آليتي التسويق والإشهار، فإن صورة الدولة أو المكان تتكون بواسطة ميكانيزمات أكثر تعقيدا، غير أنه يصر على أن هذه المقارنة تكشف عن تقارب المفهوم كثيرا بين الحالتين، حيث يستفيد صاحب الصورة في كل الأحوال من تكون صورة إيجابية عنه وقد يخسر أكثر إذا تشكلت صورة سلبية، ثم يستطرد بالقول بأن صورة الدولة أو المكان عادة ما تكون مزيجا بين الإيجابية والسلبية بالنظر لكثرة العوامل التي تتدخل في تشكيلها (Anholt, 2007).

ويوضح الباحث الإنجليزي في موضع آخر مفهومه للصورة الذهنية بالقول بأن الحكم المعياري على إيجابية أو سلبية صورة الدولة لا يتوقف على شهرتها أو قوة معرفة الناس بها، ويوضح بالمثال هذا الأمر ويشير إلى أن دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية أو أفغانستان قد تمتلكان نفس القدر من الشهرة أو معرفة الناس بهما، غير أن هناك فارقا شاسعا بينهما من ناحية تقييم إيجابية أو سلبية صورتهما (Anholt, 2007). وفي موقع آخر من الكتاب ذاته، يفصّل تصوره للعوامل التي تتحكم في تشكل الصورة الذهنية للدولة لدى شعوب دول أخرى، ويرى بأن تصورات الناس حيال دولة ما تنشأ بتأثير عاملين (Anholt, 2007):

- العامل النفعي الجيد (good reason): ويتدخل هذا العامل في مجالات معينة على غرار اختيار الاستثمار في دولة ما بالنظر لمناخها الاقتصادي المناسب أو كوجهة سياحية بالنظر لممتلكاتها السياحية الجيدة، بحيث يلعب الجانب المادي دورا مهما في تشكل الصورة ويكون تأثيره على مستوى الجانب العقلي.

- العامل الحقيقي العميق (real reason): ويتحدد هذا العامل على المستوى الوجداني العميق، حيث تتشكل الصورة بناء على معتقدات عميقة واتجاهات نفسية حيال الدولة محل التقييم، ويقول أنهولت بأن التعرف على تأثير هذا العامل يبدو أكثر صعوبة لأنه يمكن التعرف على المدركات العقلية للناس، غير أنه من العسير تحديد مدركاتهم العاطفية.

ويستخدم أنهولت في هذا الشأن العديد من المفاهيم التي تتداخل من لحظة إلى أخرى للتعبير عن تصوره لشيء معين يتكوّن حيال دولة ما في أذهان شعوب وأنظمة الدول الأخرى،

حيث يستخدم مصطلحات على غرار الصورة، الثقة، الهوية، السمعة أو العلامة، غير أنه معذور في ذلك لأن النقاش الدائر بين أخصائيي الإعلام والعلاقات العامة والتسويق في هذا الصدد ليس بالجديد، حيث دعا كل من فرانك جيفكنز وجيمس غرونيغ، أحد أبرز منظري الصورة الذهنية في العلاقات العامة، إلى تجاوز هذا الخلاف في التسميات والتركيز على المسمى بالنظر للتقارب الكبير في هذه المفاهيم، ويقترح غرونيغ تحديدا جمع كل هذه المسميات تحت مسمى واحد أطلق عليه «إدارة الانطباعات» أو «استهلاك الرموز من طرف الجماهير» (Grunig, 2003).

وينتهي أنهولت إلى أن رعاية وتخطيط صورة الدولة على المدى البعيد أصبح يمثل أهمية قصوى في العالم المعاصر الذي يتميز بمدّ عولمي متنامي، ويصوغ في هذا الصدد مفهومه الخاص لما يسميه «إستراتيجية الهوية التنافسية للدولة»، وهو برأيه مفهوم يستدعي رعاية خاصة بالنظر لضرورته في عالم اليوم الذي يعتبر «سوقا معولمة»، حيث أضحى لزاما على كل دولة أن تدرك بأنها مخيرة بين إيجاد مكانة لها في منظومة هذه السوق أو البقاء خارج التاريخ، ويعرف بناء على ذلك الهوية التنافسية للدولة بأنها «مجمل المجهودات المخططة والموجّهة لدفع تنافسية الدولة في سياق دولي»(Anholt, 2007)، وتتضح مستويات المنافسة أكثر في الدبلوماسية، التجارة والسياحة.

2–صورة الدولة ومجالات التنافس في سياق العولمة

يتيح مفهوم صورة الدولة مجالا خصبا لفهم الكثير من الظواهر التفاعلية بين الدول ويقدم قراءات ذات قيمة فعالة لشرح ما يعيشه العالم المعاصر من مد عولمي جارف. وفي هذا الشأن، يؤكد أنهولت على أن صورة الدولة هو مفهوم جوهري قابل للقياس، وله تأثير هام على التقدم الاقتصادي، الاجتماعي، السياسي والثقافي للدول، وذلك بالنظر لتدخله كمتغير بالغ الأهمية في علاقة الدولة بغيرها من الدول، وكذا في اتخاذ الكثير من القرارات ذات الطابع العابر للحدود على غرار الهجرة، العمل في بلد آخر، اقتناء المنتجات، السياحة... والكثير من الأفعال التي يتم التخطيط لها بناء على ما يتلقاه الأفراد من مدركات حيال الدول الأخرى (Anholt, 2007).

وعلى العموم، قد تتحدد الكثير من الأهداف من التخطيط لصورة الدولة، ولعل أهمها على الإطلاق يتضح في الجانب الاقتصادي، وخصوصا استقطاب السياح الأجانب والاستثمارات الأجنبية، دفع الصادرات، تنمية المصداقية الدولية، تقوية الشراكات مع الدول الأخرى وزيادة التأثير السياسي للدولة في المواضيع الدولية (Dinnie, 2008).

ومن أجل توضيح مختلف هذه الأهداف يمكن الاستقرار على الأمثلة التطبيقية التالية:

2–1–المنافسة الاقتصادية والتجارة الدولية

على مستوى التحليل الجزئي، تشير بعض دراسات التسويق إلى أن المستهلك عادة ما يقوم بعملية مراجعة معرفية قبل اتخاذه لسوك شراء أي منتج، حيث يتصرف المستهلك عادة وفقا لآلية مراجعة معرفية يتم عن طريقها التعرف على المنتج وفقا للمعلومات التي تلقتها بنيته المعرفية سابقا، وهذا التحليل ينسحب على الطريقة التي يتصرف بها المستهلك لما يتعلق الأمر بمنتج قادم من دولة أخرى. ويذكر كولتر مثالا مميزا عن هذا الأمر من خلال الدراسة التي أجراها فرانس لوكليرك، بيرند شميت ولورين دوبي حول تلقي علامات المنتجات في خارج الدول، والتي تم من خلالها التوصل إلى أن الاتجاه نحو المنتج الفرنسي يبني إيجابيا حتى من خلال التلفظ بعلامته باللكنة الفرنسية (Kotler & Gertner, 2002).

يفاجئنا أنهولت في كتابه «هوية الأماكن، صورتها وسمعتها» بأنه تلمس الملامح الأولى للبحث في تأثير صورة الدولة على تجارتها الخارجية من المفكر العربي أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي في كتابه المعنون «الإشارة إلى محاسن التجارة بالحديث عن المال» (سنة 570 هجرية الموافق لـ1175 ميلادية)، وهو الكتاب الذي تحدث فيه أبو الفضل عن منظوره للعمل في التجارة بالبلدان البعيدة من خلال قوله «أحيانا اسم التاجر يزن في السوق أكثر من ثروته، والناس يشترون من التجار الذين يثقون فيهم»(Anholt, 2010).

ويسقط أنهولت هذه المفاهيم على واقع التجارة العالمية حاليا، حيث يشير إلى أن علاقة التاجر والزبون التقليدية كما رآها أبو جعفر الدمشقي تطورت كثيرا وأصبحت عملاقة بفعل العولمة التي يعطي لها أنهولت بعدا سياسيا اقتصاديا، غير أن صلابة العلاقة الارتباطية بين سمعة وصورة التاجر وثقة الزبون بقيت على حالها، وإنما تحول طرفاها من شخصين إلى دولتين أو مجموعة دول، حيث أصبحت علاقات التجارة الدولية قائمة كذلك على صورة الدولة البائعة والثقة

التي تمتلكها لدى الدول الأخرى، ويذهب إلى أن تراجع النظام العالمي في شكله الحالي دليل آخر على أن الثقة أصبحت مهزوزة بين الدول.

وفي كتابه «تلميع صورة العدالة الجديدة»، يوضح أنهولت بدقة كيف أن صراعات التجارة الخارجية بين الدول يمكن أن تلقى تفسيرات عميقة لها في مفهوم «تلميع صورة الصادرات»، ويرى بأن الصورة يمكن أن تكون مصدرا لثروة الأمة، حيث يعتبر بأن تسويق منتجات العديد من الدول تحت علامات تجارية تخضع لعناية خاصة في تلميع صورتها يمكن أن يكون سياسة تجارية ذكية للغاية قد تعود بمداخيل وفيرة على الدولة، لأن الناس عادة ما يشترون المنتج الذي يملك صورة إيجابية محسنة وفقا لبرامج خاصة ويفضلونه على المنتجات المجهولة، بل وهم مستعدون لدفع أموال أكثر مقابل الحصول عليه، وهذا الأمر ينطبق على المؤسسة التي تملك صورة جيدة لدى زبائنها، حيث تملك فرصا أكبر في البقاء في السوق مقارنة بمؤسسات تجهل صورتها لدى الناس، وإذا ما اتجهنا صعودا فإن الدول لا تفلت من صرامة هذا القانون، فالنظام العالمي لا يعترف بالدول المجهولة، والمنافسة الاقتصادية والسياسة على المستوى الدولي تتأثر كثيرا بتصورات الناس نحو دولة معينة وثقتهم فيها (Anholt, 2003).

ولا تتوقف المنافسة بين المنتجات عند حدود الدولة الواحدة، حيث قد يمتد هذا الصراع إلى خارج الدولة بفعل نجاح العلامة في كسر حواجز الاتصال بواسطة وسائل الإعلام واقتحام أسواق الدول الأخرى، ويقدم أنهولت مثالا على ذلك بنجاح السيارات الألمانية في الظفر بمكانة خاصة في الأسواق الأمريكية، ويفسر ذلك بالثقة الكبيرة للمستهلك الأمريكي في الصانع الألماني، ويفترض أنه حتى لو غيرت شركات صناعة السيارات الألمانية علاماتها من مرسيديس وأودي إلى أسماء أخرى مثل «أ» و»ب» فإنها ستلقى نفس الرواج لأن هناك علاقة ثقة بين الزبون الأمريكي والشركة الألمانية بفعل صورة المنتج التي خضعت للتحسين من جهة وصورة المؤسسات الألمانية من جهة ثانية، ثم صورة الدولة الألمانية ذاتها من جهة ثالثة وأخيرة (Anholt, 2003).

2-2-الدبلوماسية العامة والدبلوماسية الثقافية

وإلى جانب التوظيف المثمر لمفهوم صورة الدولة في تفسير طبيعة علاقات التجارة الدولية في العالم، فقد لقي استخدام هذا المفهوم نجاحا واسعا في فهم وبناء العلاقات السياسية بين الدول، وبالتحديد في الجانب الدبلوماسي، وفي هذا الصدد، هناك عدة مفاهيم تستخدم بكثافة في الأدبيات الغربية على غرار الدبلوماسية الافتراضية، الدبلوماسية العامة والدبلوماسية الثقافية، وهي في الأصل مزيج من الدبلوماسية ونشاط العلاقات العامة يستند كثيرا على مفهوم صورة الدولة.

وتشير هذه الأدبيات إلى أن الكندي إيفان بوتر هو أول الباحثين الذين صقلوا مفهوم الدبلوماسية الافتراضية، وذلك من خلال كتابه المعنون ب»الدبلوماسية الافتراضية»، الصادر عام 2002، ويستعين فيه بما كتبه مواطنه الشهير مارشال ماكلوهان حول الحتمية التكنولوجية، ويقدم فيه قراءة تاريخية لواقع الدبلوماسية المعاصرة إلى أن يصل في الأخير إلى أن التطور الحاصل في تكنولوجيات الاتصال وصولا إلى الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي مكّن بعض الدول من تحقيق مكاسب دبلوماسية عديدة لأنه نقلها من مخاطبة الأنظمة السياسية الرسمية إلى مخاطبة الشعوب في حد ذاتها، معتبرا بأن انفجار تدفق المعلومات بفضل الرقمنة كان في صالح الدبلوماسيين مثلما كان في مصلحة الشركات والبنوك، وبأن «الشفافية التامة» في عصر الشبكات ستعيد التأسيس لنمط جديد من العلاقات ليس بين الدول فقط، وإنما بينها وبين الشعوب والمنظمات غير الحكومية أيضا (Potter, 2002).

ويقترب مفهوم الدبلوماسية الافتراضية كثيرا من بناء نظري أكثر اتساعا لقي استخداما مكثفا في حقل العلاقات الدولية، والأمر يتعلق بالدبلوماسية العامة، وهي مبحث يعنى بدراسة والتخطيط للتصورات الناشئة عن دولة ما لدى شعب دولة أخرى، وذلك بالاستعانة بفعالية وسائل الإعلام في هذا الصدد، وإذا كان كل من أنهولت وبوتر قد كتبا حول هذا الموضوع في الوقت ذاته، فإن الأول كان أكثر تركيزا على استخدام مفهوم صورة الدولة واعتبره مفتاحا لتفسير كيفية بناء علاقات بطريقة وسائطية بعيدا عن النمط التقليدي المتعارف عليه في الدبلوماسية.

وترجع الأصول الأولى لمصطلح لدبلوماسية العامة إلى سنوات الستينيات غير أنها كانت ذات طابع تطبيقي أكثر منه أكاديمي، ففي عام 1963، اعتبر إدوارد مورو، أب الدبلوماسية العامة

ورئيس الوكالة الأمريكية للمعلومات في ذلك الوقت، بأن الدبلوماسية العامة تختلف عن التقليدية منها، لأنها تمتد باهتماماتها لتستهدف الجماهير العامة والمنظمات غير الحكومية، كما أنها لا تنقل وجهات نظر الحكومات الرسمية للدول، وإنما تتضمن وجهات نظر عامة مواطنيها كذلك، فيما سار كريستوفر روس، أحد أبرز وجوه الدبلوماسية الأمريكية في هذا التيار، واعتبر بأن الدبلوماسية العامة تمثل الوجه الجماهيري للدبلوماسية التقليدية، واصفا العلاقة بينهما بالتكاملية والموازية، وذلك بعد دخول ثورة الاتصال كمتغير وسيط في العلاقات بين الدول، وبالتحديد بعد نهاية الحرب الباردة، وليست وسائل الإعلام المتغير الوحيد هنا لأن هناك تأثيرا آخر للعديد من العوامل الناشئة الأخرى مثل التغير في شكل المجتمع المدني بالنمو الكبير في المنظمات غير الحكومية وسعيها الدائم للدخول إلى دائرة اهتمامات الرأي العام (Leonard & al, 2002) .

ولم تحظ الدبلوماسية العامة بالاهتمام النظري إلا في السنوات الأولى للألفية الثالثة، حيث يعتبر أنهولت من بين الباحثين البارزين في هذا المضمار، وتتميز تحليلاته حول الموضوع بمرجعيته الدائمة إلى مفهوم صورة الدولة والتخطيط لهويتها التنافسية، ومن هذا المنطلق، فهو يطوّر التصورات السابقة حول جماهيرية الدبلوماسية العامة ويشدد على أنها تبقى في كل الأحوال تعبيرا عن وجهات النظر التي تمثل المؤسسات الحكومية الرسمية وكذا غير الرسمية والأشخاص داخل الدولة، والهادفة إلى نقل رسالة مجتمع بأكمله إلى مجتمع دولة أخرى، وبالتالي فهي في رأيه مكون فرعي داخل مخطط الهوية التنافسية الذي يضم إلى ذلك العديد من الاتجاهات الأخرى في صناعة انطباعات معينة حول الدولة (Anholt, 2010).

يشار إلى أن تصورات أنهولت حول الدبلوماسية العامة تركز أكثر على فكرة المنافسة بالنظر لارتكازه النظري على مفهوم الهوية التنافسية، غير أن هذا لا يجب أن يخلط علينا الأمور إذا ما أشرنا إلى أن الباحثين في الموضوع يفرقون بين نمطين من الدبلوماسية العامة: التنافسية والتعاونية(Leonard & al, 2002)، فالأولى تفرض نفسها في بعض المواضيع التي تسعى الدولة لتكون رائدة فيها على حساب غيرها من الدول بالنظر للمراهنة على مصالح وأهداف غير قابلة للتنازل والتقاسم مثل اقتحام الأسواق والهيمنة التجارية والترويج السياحي، في حين تميل الثانية إلى الطابع التشاركي والمصلحة المتقاسمة مع بقية الدول في التوجه إلى جماهير الدولة المستهدفة، ومثال هذا النمط من الدبلوماسية السعي إلى نشر قيم سياسية مثل العدالة والديمقراطية ومساعدة الدول على تجاوز الحروب والأزمات.

ويحذر أنهولت من عدم إيلاء أهمية كبيرة لبرامج صورة الدولة من قبل الحكومات القائمة، ويشير في هذا الشأن إلى أن الدبلوماسية العامة تشكل على العموم خطرا محدقا بهذه الحكومات إذا ما قورنت بالدبلوماسية التقليدية، فإذا كانت هذه الأخيرة تخاطب جمهورا محصورا يتشكل من حكومة ودبلوماسيي الدولة المستهدفة فإن الدبلوماسية العامة أمر أكثر تعقيدا بكثير، ويوضح هنا بالقول:

« إن التعقيد في معرفة وإدارة الجماهير الواسعة مقارنة بالجماهير الصغيرة المحترفة مفتاح رئيسي لفهم الفروق بين الدبلوماسية العامة والدبلوماسية التقليدية، فتقييم جمهور من وزراء ودبلوماسي دولة ما لسياسات دولة أخرى لن يكون له أثر واسع على صورتها، وهذا التقييم يوصف في الأعراف الدبلوماسية بأنه سطحي وقابل للتغير في أي لحظة، غير أن الأمر يختلف بالنسبة للجماهير الواسعة، والتي تشكل تصوراتها حيال دولة ما من خلال ما تتلقاه من معلومات، وهذه التصورات تتسم في الغالب بأنها مستقرة وسهلة التحديد والقياس، غير أنه من الصعب تغييرها « (Anholt, 2010).

ويقدم أنهولت بعد ذلك موجزا تاريخيا لتطور الدبلوماسية العامة في الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال، حيث يحدد ثلاث مراحل أساسية، أولها الفترة التي سبقت تولي إدوارد مورو لرئاسة الوكالة الأمريكية للمعلومات، وكانت الدبلوماسية العامة حينها مجرد نشاط إعلامي يتولى نقل ما تقرره الخارجية الأمريكية عبر وسائل الإعلام، أي أن دورها في صناعة السياسة الخارجية كان المرافقة وفقط، فيما تحولت وظيفة ممتهني الدبلوماسية العامة بقدوم مورو إلى المشاركة في تعديل السياسات الخارجية بالشكل الذي يخدم صورة الولايات المتحدة، قبل أن تتحول الدبلوماسية العامة إلى أداة مستقلة ضمن منظومة السياسة الخارجية الأمريكية كمحور رئيسي لصنع السياسات وليس كوسيلة للتواصل

فقط، وبالتالي فقد أصبح هذا النشاط مستقلا ومؤثرا للغاية (Anholt, 2010).

وإلى جانب الدبلوماسية العامة، يشير أنهولت إلى إمكانية الاستعانة بتصوره حول الهوية التنافسية للدولة لفهم نمط آخر من الدبلوماسية هو الدبلوماسية الثقافية، ويقدم كمثال على ذلك إسهام الثقافة الجماهيرية الأمريكية في اختراق المجتمع السوفياتي والمشاركة في تدمير الشيوعية. والدبلوماسية الثقافية هي تسمية مرجعية لما يمكن أن نطلق عليه سياسة خارجية ذات طابع ثقافي، وهي تعبير واقعي عن طبيعة العلاقات بين الدول التي لا تبنى بالدبلوماسية التقليدية والعلاقات السياسية فقط، وإنما كذلك بالتلاقح والتعارف بين الثقافات، لأن الصلات بين الدول لا تتوقف عند حدود الأنظمة السياسية، بل هي في الأساس علاقات بين الشعوب والثقافات (Jora, 2013).

لقد أصبح التواصل الدولي الآن أفضل أداة لنشر الأفكار بين الشعوب، كما أن الإقناع أصبح أفضل حل لتوزيع ما يسميه أنهولت بـ»المنتجات الثقافية للدول» وتغيير الكثير من سلوكات الشعوب الأخرى، بعد أن لم يعد هناك مكان للإجبار والقسر اللذين سادا سابقا العلاقات الدولية. ويمكن هنا تقديم المزيد من الأمثلة التوضيحية، فصورة أوروبا مثلا لدى بقية شعوب العالم هي في الغالب امتداد ثقافي معين أكثر من كونه امتدادا سياسيا، كما أن الكثير من الصور والرموز تختلط عند الحديث عن أوروبا، حيث تتداخل صورة لذة الأطعمة الفرنسية والإيطالية مع فخامة التكنولوجيات الألمانية والسويسرية، إلى جانب قوة ونظارة البناءات الإنجليزية...(Anholt, 2010)، وهو ما يعتبره أنهولت تأكيدا إضافيا على أن صورة الدولة هي أداة فعالة جدا في تحديد طبيعة اتجاهات الشعوب والدول نحو بعضها البعض.

ويمتد تأثير الدبلوماسية الثقافية وتشكيلها لصورة إيجابية حيال الدولة إلى أهداف أخرى، وبالتحديد على المستويين السياسي والاقتصادي، وهو ما يدفع للتأكيد على أن تأثير الدبلوماسية الثقافية يظهر على المدى البعيد، وقد أدركت العديد من الدول في الآونة الأخيرة هذا الأمر، ففي فرنسا على سبيل المثال، دق مستشارو وزارة الخارجية الفرنسية في الثمانينيات أجراس الإنذار بعد إحساسهم باهتزاز صورة بلدهم في العالم، وخصوصا لدى الشعب الأمريكي، حيث استغربوا كيف أن بلدا مثل فرنسا بمكتسباته الثقافية العريقة غير معروف بالنسبة للمواطن الأمريكي، لدرجة أن هذا الأخير لا يعرف ما تختزنه باريس ولا تتملكه أي رغبة في زيارتها، وإذا حدث وأن فعل ذلك فإنه يقول بأنه ذهب إلى أوروبا، وليس إلى فرنسا(Guehenno, 1986) . ومن هذا المنطلق فقد تفطن الفرنسيون حينها إلى أن ثمة عطبا في سياسات تسويق ثقافة بلدهم يجب أن يصحح من أجل إعادة تلميع صورة فرنسا في العالم.

2–3–تسويق الوجهات السياحية

ويمكن الاستفادة من مفهوم الصورة التنافسية للدولة في استكشاف أغوار مبحث آخر لا يقل أهمية في دراسة العلاقات بين الدول والشعوب، حيث أضحت السياحة فضاء ثقافيا وسياسيا يتخطى جميع الحدود ويسهم بشكل كبير في النمو الاقتصادي الداخلي مثلما يساعد في تنمية العلاقات السياسية. ويتحدث أنهولت في هذا الصدد عن إسقاطه لتصوراته حول صورة الدولة ولكن في إطار نظري أكثر اتساعا، وهو مفهومه لصورة المكان، والأمر واضح من خلال كتابه الذي يحمل العنوان ذاته، ويعتبر في هذا الشأن بأن صورة المكان هو البناء النظري الأنسب لإجمال النظرة إلى التصور القائم حيال بلد ما في منظور شعوب البلدان الأخرى، ويعتبر السياحة هنا أحد أهم المجالات التي تتضح فيها حدة المنافسة بين الدول بالنظر إلى أن طبيعة الخدمة المسوقة هنا مميزة جدا. وبالإضافة إلى ذلك، فإن العرض المقترح في الغالب في التواصل السياحي ليس منتوجا ماديا قد يكون عطلة أو رحلة منوعة بقدر ما هو في الأصل إطار معرفي ووجداني متكامل حول البلد أو المدينة محل العرض منمّق بمعلومات ثرية حول ما سيجده السواح في البلد من عادات وتقاليد، طبائع الناس، المناخ، نوعية المأكل، الثقافة والتاريخ... وغير ذلك من المكونات التي تصنع في ذهن السائح صورة واضحة وإيجابية... (Anholt, 2010).

ويستخدم باحثو وممارسو الترويج السياحي في هذا الصدد مفهوما خاصا هو «تلميع الوجهة السياحية» (destination branding)، وهو مفهوم شرع في استخدامه في هذا المجال ابتداء من سنوات الثمانينيات من أجل التعبير عن المجهودات الهادفة لتسويق منتجات وخدمات معينة تتعلق بثقافة وطبيعة وأساليب عيش مجتمع معين، وهذا الأمر

يشير ضمنيا إلى أن برامج تلميع الوجهة السياحية نشأت في حضن مهنة الترويج السياحي قبل أن تجد لها مكانا ضمن الفضاء الأكاديمي للبحث في البعد الاتصالي لهذا المجال وذلك بدءا من السنوات الأولى للألفية الثالثة(Pereira & al, 2012) .

يمكن أن يكون مفهوم الصورة التنافسية للدولة أكثر فائدة في فهم التنافس في مجال السياحة، فتلميع الوجهة السياحية حافز مهم جدا من حيث دفعه إلى تحقيق الهدفين سابقي الذكر، أي الجانب الاقتصادي والجانب الدبلوماسي والسياسي، إذ أن التعرف على البلد من خلال زيارته وتكوين صورة عنه من خلال التجربة الحسية يشكل دافعا إضافيا لاختيار الاستثمار بهذا البلد أو عقد شراكة سياسية معه وتعميق العلاقات الدبلوماسية معه من أجل تحقيق أهداف معينة، فيما يكون من الصعب اتخاذ مثل هذه القرارات في ظل غياب المعلومات المكتسبة بالتجربة الحسية، ويسرد أنهولت في هذا المجال تجارب العديد من الدول التي أصبحت تتبنى شعارا مهما يؤكد ذلك وهو: «إذا كان الناس سيأتون إلى بلدنا من أجل رؤيته، فإنهم يجب أن يغيروا نظرتهم إلينا»، ويحدد لهذا التصور مفهوما خاصا هو «الرضا الإستراتيجي للسيّاح» (Anholt, 2010).

ولهذا السبب، فقد ارتقى نشاط تلميع الوجهات السياحية إلى أعلى المراتب في اهتمامات الكثير من الدول الرائدة في السياحة العالمية وأصبح يحظى باهتمام سياسي منقطع النظير، وهذا الأمر أكدته الدراسة التي أجراها كل من نايجل مورغان، أنيت بريتشارد وراشيل بيغوتي عام 2003، تحت عنوان «تلميع الوجهة السياحية ودور الجماهير المختلفة: حالة نيوزيلاندا»، والتي بيّنت بأن تلميع الوجهة السياحية يشكل محورا هاما في سياسة الحكومة النيوزلندية، وبأن هناك سعيا حثيثا لبناء التحالفات الدولية والشراكات السياسية بناء على ما أفرزه النشاط السياحي في هذا البلد من حيوية، وبأنه على العكس من ذلك فإن الأزمات السياسية عادة ما تكون سببا في تراجع هذا النشاط(Ryan & Silvanto, 2010).

خاتمة: آفاق عربية لمفهوم الصورة التنافسية للدولة

اهتمت هذه الورقة ببحث تصورات سيمون أنهولت حول الصورة التنافسية للدولة والمجالات التي تتضح فيها جدوى هذا المفاهيم، ومن الضروري أخذ مثل هذه التحاليل بعين الاعتبار في الدول العربية، وخصوصا منها تلك التي تتعلق بالاستثمار في تخطيط وتحيين السياسات الإستراتيجية لتنمية النفوذ السياسي والاقتصادي العربي على المستوى الدولي.

إن مثل هذه المخططات النظرية تحتاج إلى رعاية خاصة من قبل الدوائر العلمية الأكاديمية والسياسية الرسمية على حد سواء، وذلك بالنظر لعاملين اثنين:

- أن العالم العربي يزخر في غالبه بالمقومات الأساسية لكي يصبح قوة فعالة من الناحية السياسية والاقتصادية على الرغم من التفاوت في مستويات جاهزية كل دولة لمثل هذه الخطط.

- أن الحضور الإعلامي للدول العربية في الإعلام الدولي لا يزال محتشما، وهذا من بين الأسباب الرئيسية التي أدت إلى رسم صورة سلبية حول كل ما هو عربي، الأمر الذي يستدعي ردا عمليا وإجرائيا، وليس تحليلا للأسباب والظواهر فقط.

وفي منظورنا، فإن هناك مجموعة من المنطلقات الرئيسية التي يجب أخذها بعين الاعتبار من أجل إعطاء النقاش حول مفهوم صورة الدولة وآليات توظيفه ضمن السياسات العامة في الفضاء العربي الصفة العلمية والأداتية الجادة، ونذكر منها:

- أن الرهان على الإعلام هو رهان استراتيجي ومخرجاته تظهر في العادة على المدى البعيد، والعالم العربي هو منطقة حيوية في العالم ويملك موروثه الحضاري الذي يؤهله للحصول على مكانة مرموقة ضمن الفضاء الرمزي العالمي.

- أن العالم العربي يزخر بمقومات أساسية في المجال الاقتصادي، وذلك مع أن أكبر القوى العربية تبقى تجني مداخيلها من تصدير النفط، هذا الأمر بدأ في التغير في السنوات الماضية باتجاه دول الخليج على وجه التحديد نحو تنويع ممارساتها الاقتصادية باستقطاب الاستثمارات الأجنبية ومباشرة استثمارات عملاقة في الخارج.

- أن هناك شبه إجماع على أن الصورة القائمة حول العالم العربي في الخارج لا زالت تحتاج إلى مجهود كبير من أجل تلميعها، وذلك ليس بالاستعانة بالوجه الاقتصادي المشرق لبعض الدول مثل دول مجلس التعاون الخليجي فقط، وإنما أيضا من خلال الاستثمار في الثقافة العربية والتركيز أكثر على عولمتها.

- العالم العربي له مقومات سياحية هامة، ودول مثل مصر،

تونس والمغرب من أكبر الأقطاب السياحية في العالم، لذلك فإن الترويج للسياحة يمكن أن يكون أيضا واجهة لتلميع صورة الدولة الواحدة أو الدول العربية مجتمعة، وذلك من خلال استغلال الوفادة السياحية القادمة إلى هذه الدول من أجل تدارك الثغرات التي تولدت نتيجة الغياب العربي في الفضاء الإعلامي الدولي.

- تبقى الإرادة السياسية من أكثر عوائق إدماج هذا المفهوم في الفضاء العربي، فقول أنهولت بأن السياسة والسياحة يتأثران ببعضهما البعض له موضع صدق كبير في عالمنا العربي، إذ تغيب في الكثير من الأقطار العربية سياسات واضحة على مستوى الاستثمار الاقتصادي والسياحة رغم الإمكانيات التي تزخر بها، والأمر يرجع بالأساس إلى تدهور الأوضاع الأمنية وغياب الأفق الاستراتيجي في الكثير من السياسات المنتهجة.

- إضافة إلى ذلك، يقدم هذا المفهوم وآليات توظيفه قيمة علمية كبيرة للمشتغلين في حقول الاتصال والعلاقات العامة، حيث يستدعي ذلك إطلاق لبحوث بخصوصه وتعميقها من أجل اختبار إمكانية استيعابه في السياسات العربية وتقديم المقترحات اللازمة لوضعه على سكة الأداء.

المراجع

1. الموسى، ع (1984). الصورة العربية في الصحافة الأمريكية، مؤسسة حمادة للنشر والتوزيع، إربد.
2. لالاند، أ (2001). موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشوارت عويدات، بيروت.
3. Anholt, S. (2003). Brand new justice: The upside of global branding, Butterworth-Heinemann, Oxford.
4. Anholt, S. (2007). Competitive identity: The new brand management for nations, cities and regions, Palgrave Macmillan, New York.
5. Anholt, S. (2010). Places identity, image and reputation, Palgrave Macmillan, New York.
6. Boulding, K. (1966). “The economics of knowledge and the knowledge of economics”, The Americain Economics Review, 56 (1/2), pp. 1-13, American Economic Association, Nashville.
7. Boulding, K. (1956). The image: Knowledge in life and society, University Of Michigan, Michigan.
8. Dinnie, K. (2008). Nation branding concepts, issues and practice, Elsevier Butterworth-Heinemann, Oxford.
9. Dowling, G. (1993). “Developing your company image into a corporate asset”, Long Range Planning, 26 (2), pp. 101-109. Emerald Publications, London.
10. Grunig, J. (2003). Image and substance: From symbolic to behavioral relationships. In: Balmer, J. & al., revealing the corporate: Perspectives on identity, image and reputation, Routledge, London.
11. Guehenno, J. M. (1986). «Diplomatie culturelle: culture de France, culture d’Europe», Politique Etrangère, 51 (1), pp. 165171-. Institut Français des Relations Internationales, Paris.
12. Holt, D. (2006). «Toward a sociology of branding». Journal of consumer culture, 6 (3), pp. 299302-. Sage Publication, London.
13. Jora, L. (2013). “New practices and trends in cultural diplomacy”, Romanian Review of Political Sciences and International Relations, 10 (1), pp. 43-52, Cultural Diplomacy Research, Washington.
14. Kotler, P. & Gertner, D. (2002). Country as brand, product and beyond: a place marketing and brand management perspective. In: Morgan, N. & al., Destination branding creating the unique destination proposition, Elsevier Butterworth-Heinemann, Burlington.
15. Leonard, M. & al, (2002). Public diplomacy, The Foreign Policy Center, London.
16. - Pereira, R. & al, (2012). “Destination Branding: A critical overview”, Journal of Quality Assurance in Hospitality & Tourism, 13 (2), pp. 81-102, Taylor & Francis, Oxford.
17. - Potter, E. (2002). Cyber-diplomacy: Managing Foreign Policy in the Twenty-first Century, McGill-Queen’s Press, and Ottawa.
18. - Ryan, J. & Silvanto, S. (2010). “World heritage sites: The purposes and politics of destination branding”, Journal of Travel & Tourism Marketing, 27 (5), pp. 533-545. Taylor & Francis, Oxford.

Nation Competitive Image: How And Why Nations Become Commercial Brands

Abstract

This paper aims to delve into the concept of the nation competitive image, a key concept that allows to explore how communication affect our representations about nation and its cultural, political and economic depth. These representations are dealt with as an automatic and sometimes intentional accumulation of a number of images that can contribute as inputs to the nation's governance system, its foreign policy and its economy, based on the fact that the relations that globalization imposed crossing borders are fed primarily by communication processes, which gradually transform into one of the most important tools for the effective management of the nation. At the conclusion of the study, we will reach an understanding of how to benefit from this concept in order to build strategies ~~and policies at the international level that allow support for~~ economic and political sectors, and we will formulate a number of important recommendations to discern how to avail this concept at the arab countries.

Keywords
Competitive image
nation image
economy
diplomacy
tourism

L'image Compétitive de La Nation: Comment et Pourquoi Les Nations Deviennent Des Marques Commerciales

Résumé

Cet article vise à approfondir le concept d'image compétitive de la nation, un concept clé qui permet d'explorer comment la communication affecte nos représentations sur la nation et sa profondeur culturelle, politique et économique. Ces représentations sont traitées comme une accumulation automatique et parfois intentionnelle d'un certain nombre d'images qui peuvent contribuer comme intrants au système de gouvernance de la nation, à sa politique étrangère et à son économie, en partant du fait que les relations que la mondialisation a imposées au-delà des frontières sont principalement alimentées par des processus de communication, qui se transforment progressivement en l'un des outils les plus importants pour la gestion efficace de la nation. Au terme de l'étude, nous parviendrons à comprendre comment tirer parti de ce concept afin de construire des stratégies et des politiques au niveau international qui permettent de soutenir les secteurs économiques et politiques, et nous formulerons un certain nombre de recommandations importantes pour discerner comment profiter de ce concept dans les pays arabes.

Mots clés
image compétitive
image de nation
économie
diplomatie
tourisme

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف واذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

السياسة الجديدة للتنمية الفلاحية والريفية في الجزائر -حالة بلديات من الإقليم الغربي والجنوب الغربي لولاية سطيف-

The new policy for agricultural and rural development in Algeria - the case of municipalities from the western and south-western regions of Setif Province

د. وردة بوقبال
Dr. Warda Boukebbal
المدرسة العليا للأساتذة – مسعود زغار العلمة – سطيف، الجزائر
fk2828729@gmail.com

ملخص

سعت سياسة التجديد الفلاحي إلى تغيير أوضاع القطاع الفلاحي والتوجه نحو ليبراليته بغية الاندماج في الاقتصاد العالمي، وذلك من خلال خلق علاقات جديدة بين الإنسان والأرض قصد تحسين أداء الفلاحة الوطنية، والدولة مرغمة على اتباع معايير المنافسة العالمية القائمة على الكفاءة والفعالية والنوعية، وقد وضعت السياسة المذكورة نظام دعم خاص يتم من خلاله إشراك الفلاحين وخاصة منهم سكان الريف في التنمية الوطنية. ينبغي الأخذ بعين الاعتبار آراء وطموحات الفلاح وبيئته وإشراكه بصفة عامة في اتخاذ أي خطة تنموية تتعلق بالقطاع الفلاحي.

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2018-05-09
تاريخ القبول 2024-02-25

الكلمات المفتاحية
التجديد الفلاحي
الفلاحين
الريف

مقدمة

في الوقت الذي تسعى كل دولة لأن تكون عصرية وأن تكفل للناس الحياة الأحسن، ليس هناك أفضل من التخطيط الجيد مرشدا على ذلك الطريق الصعب، فهو يكفل الدور الايجابي في مواجهة التحديات المختلفة مثلما يكفل تحسين نوعية استغلال الموارد، ولئن أخذنا في الاعتبار الحاجة الملحة للتخطيط ومزاياه فإن الجزائر شرعت خلال السنوات الأخيرة في عملية إعادة هيكلة الدولة وتكييف اقتصادها مع قواعد السوق والتطورات الاقتصادية والاجتماعية المستمرة سواء على الصعيد الوطني أو الدولي.

وأخذت هذه التحولات بعدا خاصا كلما تعلق الأمر بالتخوفات التي تنجر عن عواقب اتفاق الشراكة مع الاتحاد الأوروبي وانخراط الجزائر في المنظمة العامية للتجارة والتحضير لتحمل المسؤولية بتدبير حسن.

وهذا التطور شمل قطاع حساس واستراتيجي بالنسبة للاقتصاد الوطني وهو قطاع الفلاحة، وليس من الصدفة أن تنبثق مسألة التخطيط التنموي الفلاحي في السياق الوطني الراهن لبلادنا، فهي نتاج تحول اقتصادي واجتماعي ونابعة من ضرورة التكيف مع متطلبات هذا التحول وبعث صورة أخرى للعالم الريفي بالنظر للإمكانيات الطبيعية والبشرية التي يتوفر عليها.

واستثمارا للمعرفة المستخلصة من التجارب الفلاحية السابقة وتداركا للعراقيل التي تعاني منها خاصة بعد فشل السياسات السابقة وفي إطار النهوض بالقطاع الفلاحي جاء المخطط الوطني للتنمية الفلاحية سنة 2000 ليعبر عن إرادة قوية لترسيخ مبدأ الحداثة في القطاع الفلاحي وهذا من خلال عمليات الدعم الفلاحي التي تقدمها الدولة في هذا الإطار، ثم كانت سياسة التجديد الفلاحي والريفي سنة 2009 لترسخ ذهنية جديدة من حيث أنها ترفع المزارع إلى مصاف العون الاقتصادي الحر والمسؤول عن اختياراته في إطار تقديم أفكار تفيد الاقتصاد واقتراحات ترفع من قيمة الإنتاج كما ونوعا، وذلك عبر استعمال أدوات المساعدة والحث على الاستثمار.

لكن التساؤل الذي يطرح حول هذا الموضوع، هل هناك توافق بين الأهداف النظرية وما تحقق على أرض الواقع حول تطبيق سياسة التجديد الفلاحي والريفي؟ وللإجابة على هذه الإشكالية تم اختيار بلديات من الإقليم الغربي والجنوب الغربي لولاية سطيف على اعتبار أن الولاية تعد من أهم

الولايات التي يغلب عليها الطابع الفلاحي وسارعت هي الأخرى لتبني خطوات وبرامج هذه السياسة، كما أن الجهة المختارة تتميز بتنوع تضاريسي ومناخي يسمح لنا بإعطاء صورة عن دراسة مدى تطبيق سياسة التجديد الفلاحي في الميدان وبالتالي استنتاج الصعوبات والمشاكل التي عانى منها الفلاحون في إطار استفادتهم من الدعم الفلاحي.

وعليه تم تقسيم أجزاء البحث إلى ثلاث محاور كبرى كانت كالتالي:

-أولا: الإطار العام لسياسة التجديد الفلاحي.

-ثانيا: تطبيق سياسة التجديد الفلاحي والريفي والإنجازات المحققة على مستوى إقليم الدراسة.

-ثالثا: العراقيل التي أعاقت السير الحسن لبرامج سياسة التجديد الفلاحي والريفي والآفاق المستقبلية.

ولمعالجة الإشكالية وما ارتبط بها اتبعنا المنهج التحليلي الاستنتاجي بهدف التوصل إلى تقييم مدى تنفيذ برامج ومشاريع سياسة التجديد الفلاحي والريفي على أرض الواقع على اعتبار أنها سياسة حديثة ولازالت في طور التطبيق ويمكن لمثل هذه الدراسات والبحوث أن تكون عونا للمسؤولين ومتخذي القرار في الشأن الفلاحي مستقبلا نظرا لما يكتسيه هذا القطاع الحساس من أهمية حول ضرورة توفير الغذاء وتحقيق الأمن الغذائي الذي طالما سعت دول العالم لتحقيقه.

1–الإطار العام لسياسة التجديد الفلاحي

لقد استحوذت قضية الغذاء والتنمية الزراعية بشكل عام على اهتمام الكثير من المفكرين على جميع الأصعدة الدولية والإقليمية والمحلية، فعلى الصعيد العالمي كان الاهتمام بتأمين الغذاء من منظور عام، وعلى الصعيد الاقليمي كان الاهتمام بتحقيق الأمن الغذائي في الإطار الموضوعي للظروف المحيطة بكل قطر وإمكانات التكامل المشترك بين الدول، وعلى الصعيد المحلي كانت مسألة الأمن الغذائي تتجلى في إطار السياسات والبرامج الفلاحية التنموية.

وتعاني الجزائر كباقي الدول العربية في وقتنا الحالي حالة العجز الغذائي المتزايد، فالإنتاج من الغذاء لا يكفي لتغطية ما يقابله من استهلاك، مما يستدعيها إلى التوجه نحو الاستيراد من الخارج بمبالغ مالية ضخمة، وهذا يعمل على إضعاف رصيد البلاد من العملات الأجنبية ويزيد من مديونيتها ومن ثم تبعيتها الاقتصادية والسياسية وحتى الثقافية أحيانا.

1–1–معالم سياسة التجديد الفلاحي والريفي

ترتكز هذه السياسة على قانون الزراعة التوجيهي الذي صدر في شهر أوت 2008، حيث يحدد هذا القانون معالمها وإطارها العام بهدف تمكين الزراعة الوطنية من المساهمة في تحسين الأمن الغذائي للبلاد وتحقيق التنمية المستدامة (وزارة الفلاحة والتنمية الريفية، 2009) .

وكان أساس هذه السياسة يقوم على تحقيق توافق وطني حول مسألة الأمن الغذائي لضمان السيادة الوطنية والتماسك الاجتماعي، وتستند على تحرير المبادرات والطاقات، عصرنة جهاز الإنتاج وترجمة القدرات الكبيرة التي يحتوي عليها الاقتصاد الوطني(عمراني سفيان، 2014) .

1–2–سياسة التجديد الفلاحي والريفي للمخطط الخماسي(2010-2014)

سياسة التجديد الفلاحي والريفي هي عبارة عن محاولة الوصول إلى استدامة الأمن الغذائي الوطني ، والمتمثلة في استراتيجيات تعتبر محور هذه السياسة، حيث في المدى المتوسط تبحث في التغيرات والآثار المهمة في البنية التحتية التي تؤسس دعامة الأمن الغذائي وتؤسس شراكة بين القطاع العام والخاص، تأثير جميع الفاعلين في عملية التنمية وبروز حكامة جديدة للفلاحة والأقاليم الريفية(الوزير المنتدب المكلف بالتنمية الريفية، 2007).

1–3–محاور سياسة التجديد الفلاحي والريفي: تتمحور هذه السياسة حول ركيزتين أساسيتين وهما

1–3–1–التجديد الفلاحي

يركز على البعد الاقتصادي ومردود القطاع لضمان وبصفة دائمة الأمن الغذائي للبلاد، حيث يهدف إلى تعزيز قدرات الإنتاج ، زيادة إنتاج المحاصيل والمنتجات الاستراتيجية، تأمين واستقرار عرض المنتجات وضمان حماية مداخيل الفلاحين والأسعار عند الاستهلاك من خلال نظام ضبط المنتجات الفلاحية ذات الاستهلاك الواسع، عصرنة وتكييف التمويل والتأمينات الفلاحية (عمراني سفيان، 2014).

وتقوم سياسة التجديد الفلاحي على ثلاث محاور أساسية، وهي :

أ- إطلاق برامج تهدف إلى التكثيف والتحديث من أجل زيادة الإنتاج والإنتاجية وتطوير المنتجات ذات الاستهلاك الواسع كالحبوب والحليب الاصطناعي ، والبقول والبطاطا، وزراعة

الزيوت والطماطم الصناعية ، التشجير ، النخيل ، واللحوم الحمراء والدواجن، وهذه البرامج تدخل ضمن أنظمة اقتصاد المياه.

ب- تطبيق نظام الضبط والذي يهدف إلى تأمين وتثبيت عرض المنتجات الغذائية ذات الاستهلاك الواسع وحماية مداخيل الفلاحين والمستهلكين من جهة أخرى، ولتحقيق هذين الهدفين يجب أن تكون الأنشطة المبرمجة تستهدف تعزيز الأدوات الضرورية للضبط، كأماكن لتخزين المنتجات الفلاحية وتوفر المذابح .

ج- إنشاء بيئة آمنة من خلال إطلاق قروض بدون فوائد كقرض الرفيق لشراء المعدات والآلات الفلاحية، ووضع تأمينات فعالة من أجل الحد من انخفاض المردودية والكوارث الفلاحية، وتعزيز دعم التعاضدية الريفية الجوارية، والمنظمات المهنية(هاشمي الطيب، 2013-2014) . وبهذا فهو يشجع تكثيف وعصرنة الإنتاج في المستثمرات لتصويب أعمال دعم الاستثمارات العديدة المنجزة في القطاع حول إقامة القيمة المضافة طول سلسلة من الإنتاج إلى الاستهلاك.

ويمكن تلخيص برامج سياسة التجديد الفلاحي في الجدول التالي :

جدول(01): ملخص برامج سياسة التجديد الفلاحي

البرنامج	البرامج الفرعية	مستويات تجزئة البرامج
إنتاجية رأس المال	البذور، الشتلات، الآبار اقتصاد وحجز المياه المكننة الفلاحية التسميد البيوت البلاستيكية التحويل والتثمين	البلدية المستثمرة المزرعة النموذجية التعاونية
البنية التحتية الفلاحية والريفية	البنية التحتية الفلاحية البنية التحتية للري	البلدية المحيط المستثمرة المزرعة النموذجية التعاونية
برامج التنظيم	تنظيم المنتجات الزراعية إعادة التأهيل إنشاء البنية التحتية	البلدية المستثمرة الوحدة

المصدر: وزارة الفلاحة والتنمية الريفية، الاستثمارات والشراكة في الميدان الفلاحي بالجزائر، التجديد الفلاحي والريفي2010 .

1-3-2-**التجديد الريفي**

أدرجت برامج التنمية الريفية خلال فترة السبعينات ضمن مخططات التنمية الوطنية من خلال ميثاق الثورة الزراعية، إلا أن الإنجازات لم ترق إلى مستوى الطموحات الرسمية رغم إنجاز العديد من المشاريع (مشروع ألف قرية اشتراكية للثورة الزراعية)، ولم تولي التنمية الريفية الأهمية اللازمة إلا بعد سنة 2002 وبخطوات محتشمة، أي بعد إطلاق المخطط الوطني للتنمية الفلاحية والريفية للفترة 2002- 2003، إذ تم توسيعه إلى الأبعاد الريفية سنة 2002 ، وسعى وراء ذلك إلى بعث الحياة في الفضاءات الريفية، خاصة المعزولة والمهمشة منها، ثم تم اعتماد سياسة التجديد الريفي ابتداء من سنة 2009 .

تستلهم سياسة التجديد الريفي أفكارها وبنيتها من ضرورة تحقيق تنمية متوازنة ومنسجمة من خلال التوازن بين مختلف الأقاليم الريفية النشيطة والأقاليم ذات القدرات الفلاحية التنافسية، ويمكن حصر أهداف سياسة التجديد الريفي فيما يلي:

- المساهمة في إحياء المناطق الريفية بتحسين ظروف الشغل وضمان مستوى معيشي عادل لسكان الريف.

- تثبيت السكان والحفاظ على عالم ريفي حي وفاعل وذلك بتحسين ظروف الحياة وتيسير الحصول على الموارد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهذا يتأتى من خلال تطبيق نموذج تنموي للأقاليم الريفية قصد تدعيم تنافسيتها.
- تدعيم قابلية المؤسسات الريفية للحياة وتعزيز دور الفلاحة التي ما تزال مكونا رئيسيا في الاقتصاد الريفي.
- المساهمة في حماية الامكانيات المتوفرة ورد الاعتبار للتراث الثقافي وقطاع السياحة(الوزارة المنتدبة المكلفة بالتنمية الريفية، 2006).

نتيجة: يتبين لنا من خلال هذه الأهداف أن سياسة التجديد الريفي تطمح إلى تعزيز التماسك الاجتماعي والتنمية المتوازنة للأقاليم مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصياتها وإمكانياتها وتحدياتها.

-تقديم منطقة الدراسة: تنتمي بلديات منطقة الدراسة إداريا إلى ولاية سطيف، التي تقع في الشمال الشرقي للجزائر ولها حدود مشتركة مع 06ولايات من الشرق، ويبلغ مجموع البلديات محل الدراسة 10 بلديات بمساحة155205هكتار (أي ما نسبته 23,69% من مساحة الولاية)تقع في النطاق الغربي والجنوب الغربي لولاية سطيف مثلما توضحه الخريطة(01)

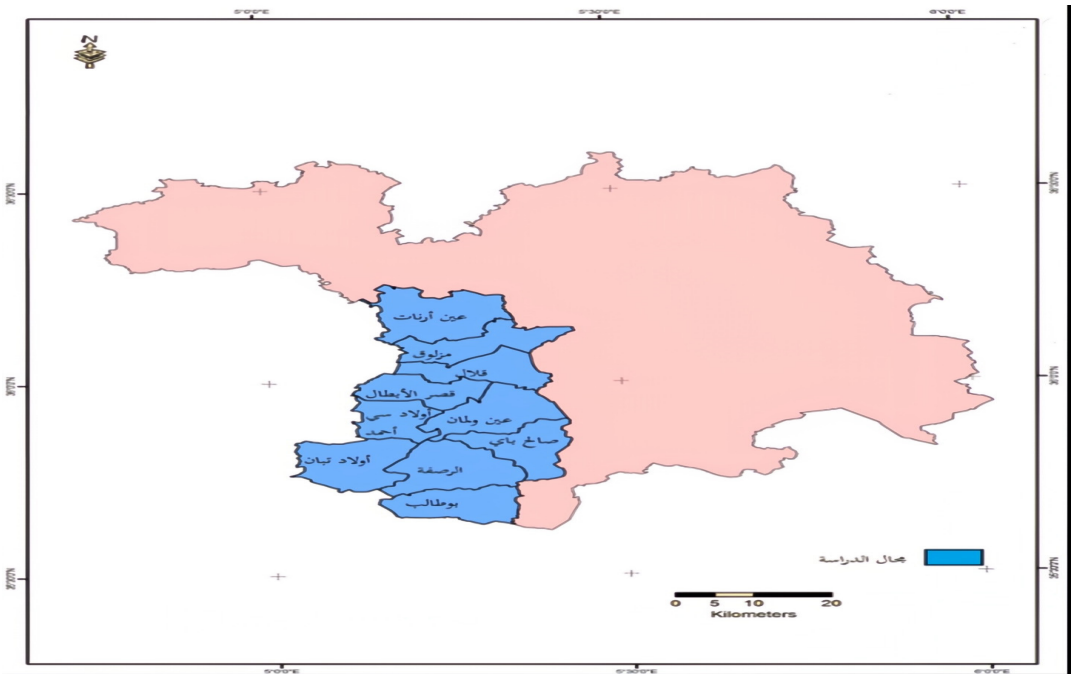

خريطة (01): مجال بلديات الدراسة بالنسبة لاقليم الولاية

وهذا لدراسة إنجازات ومشاكل تطبيق سياسة التجديد الفلاحي والريفي على اعتبار أن الولاية تعد من أهم الولايات التي يغلب عليها الطابع الفلاحي، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار اتساع مجالها الجغرافي من الشمال إلى الجنوب والتنوع التضاريسي والمناخي اللذان تشهدهما مما أدى إلى تنوع الغطاء النباتي والمحاصيل الزراعية، وهذه البلديات المختارة تتوزع على مظهرين تضاريسيين فهي محصورة طبيعيا بين السلسلة التلية ممثلة في جبال بابور 2004م وجبل مقرس 1737م من الناحية الشمالية وتمتد حتى جبال الحضنة في الجنوب ممثلة في جبل بوطالب بارتفاع 1886م، تتميز المنطقة بمعالم المناخ القاري الشبه الجاف الناتج عن الموقع الجغرافي الوسطي بين السلسلة التلية والسلسلة الصحراوية، ويمتاز بصيف حار وجاف وشتاء بارد. وعموما يمكن القول أن منطقة الدراسة تنتمي إلى نطاقين مناخيين متميزين، فالقسم الشمالي منها مثل بلدية عين أرنات ينتمي إلى النطاق المناخي الشبه الجاف الذي يتميز بشتاء شبه بارد، أما القسم الجنوبي فينتمي إلى النطاق الجاف مثل عين ولمان.

-التساقط ميزته التذبذب: لا تعتمد حياة النبات على العوامل الداخلية للنبات فقط ولكن على الشروط البيئية والمناخية وخاصة التساقط لكونه يؤثر في النبات أكثر مما يؤثر النبات على نفسه، فنمو النبات مرهون بالتساقط، وتتراوح الكمية المتساقطة بإقليم الدراسة بين 400ملم في الشمال و200ملم في الجنوب، وعموما تتميز بالتذبذب من سنة إلى أخرى مما ينتج عنه تذبذب في المنتوج والمردود الزراعي.

2–تطبيق سياسة التجديد الفلاحي والريفي والإنجازات المحققة على مستوى إقليم الدراسة

2–1–سياسة التجديد الفلاحي

يتم تقديم إنجازات سياسة التجديد الفلاحي في بلديات إقليم الدراسة لكل فرع فلاحي، وهذا خلال الرحلة الخماسية (2010 – 2014)، وفي هذا الإطار ندرس الإنجازات الفيزيائية وهذا المصطلح يستخدم من طرف الجهات المعنية – مديرية المصالح الفلاحية والفروع التابعة لها – ويقصد بها عدد المستفيدين والمساحة المحققة أو المنجزة في إطار برامج سياسة التجديد الفلاحي.

- عدد المستفيدين حسب الفروع: قدر عدد المستفيدين في مختلف الفروع الفلاحية ب 380 مستفيد على مستوى بلديات الدراسة أي ما نسبته 49,15% من إجمالي عدد المنخرطين (773) رغم تفاوت هذه النسبة بين الأنشطة المدعمة (الشكل رقم 01) وبلديات الدراسة (الخريطة 02).

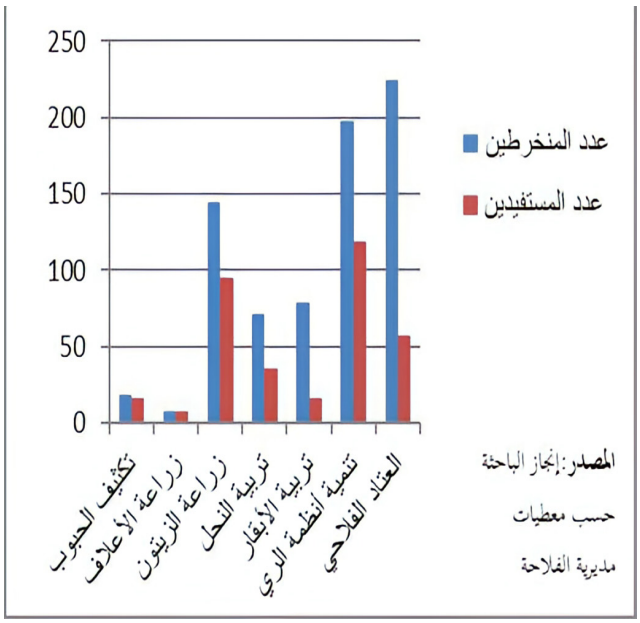

شكل(01): عدد المنخرطين حسب الانشطة عبر بلديات الدراسة

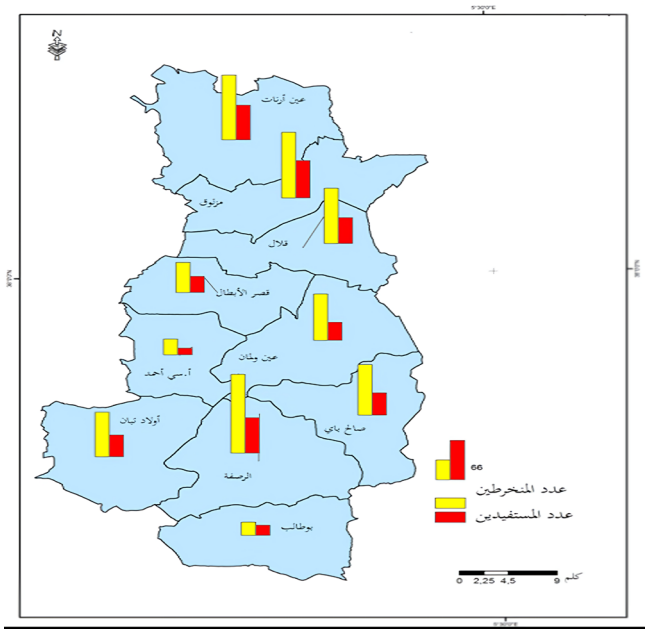

خريطة (02): توزيع عدد المستفيدين من بين المنخرطين بكل الفروع الفلاحية على بلديات الدراسة

أ- عدد المستفيدين بفرع تكثيف الحبوب: بلغ عدد المستفيدين في برنامج تكثيف الحبوب 16 مستفيد من إجمالي عدد المنخرطين البالغ 18 منخرطا موزعين على ثلاث بلديات ذات الطابع السهلي (عين أرنات، مزلوق، قلال) من بين عشرة الخاصة بإقليم الدراسة. نستنتج أن عدد المشاركين والمستفيدين بفرع تكثيف الحبوب كان ضعيفا ولا يعبر على مكانة الولاية في هذا النشاط الفلاحي خاصة النطاق السهلي الذي يشتهر بإنتاج الحبوب.

ب- زراعة الأعلاف: استفاد كل المنخرطين بهذا الفرع الفلاحي (08 مستفيدين) موزعين على نفس البلديات السهلية التي شاركت بفرع تكثيف الحبوب (مزلوق04 مستفيدين، 02 مستفيدين لكل من بلديتي عين أرنات وقلال).

ج- زراعة الزيتون: احتلت زراعة الزيتون الرتبة الثانية بعد فرع تنمية أنظمة الري من حيث عدد المستفيدين (95 مستفيدا من بين 145 مشاركا)، رغم تباين عدد المستفيدين بين البلديات، حيث احتلت بلدية الرصفة الصدارة ب 24 مستفيد تليها بلدية أولاد تبان ب 22 مستفيد، ثم بلديات صالح باي 16 مستفيد، بوطالب 14 مستفيد، عين ولمان 08 مستفيدين، قصر الأبطال 06 مستفيدين وبأعداد جد قليلة للبلديات الأربع المتبقية (أقل من 04 مستفيدين).

نلاحظ أن أكبر نسبة استفادة بفرع زراعة الزيتون سجلت ببلديات أقصى الجنوب (الرصفة، أولاد تبان، صالح باي، بوطالب) التي أعطت جانبا كبيرا من الاهتمام لهذا الفرع الفلاحي، وبالنظر إلى فوائده الجمة وقيمته الاقتصادية ينبغي تشجيع أكثر هذا النوع من الزراعة التي تعتبر جديدة بالنسبة للإقليم الجنوبي بالولاية.

نتيجة: من خلال دراسة توزيع المستفيدين بمختلف فروع الإنتاج النباتي على مستوى البلديات العشر نلاحظ ضعف المشاركة والاستفادة بمعظم فروع الدعم (تكثيف الحبوب، زراعة الأعلاف) ماعدا فرع زراعة الزيتون، ويمكن إرجاع هذا الضعف إلى نقص التحفيزات والإمكانيات التي تشجع على المشاركة بهذه الفروع الفلاحية ووضع قيود من طرف الجهات المسؤولة ترتبط بموقع المستثمرة ومساحتها إضافة إلى نقص الإعلام بهذا الجانب.

د- المستفيدون بفرع تربية النحل: بلغ عدد المستفيدين بهذا الفرع الفلاحي 36 مستفيدا من بين 71 مشاركا، وهناك تباين في عدد المستفيدين بين البلديات، وأكبر عدد سجل ببلدية الرصفة (11 مستفيدا)، رغم أن نسبة الاستفادة كانت ضعيفة والمقدرة ب36,66 % من إجمالي عدد المنخرطين بها بهذا الفرع، متبوعة ببلدية صالح باي ب07 مستفيدين، تليها بلديتي أولاد تبان ومزلوق ب 05 مستفيدين لكل منهما وبأعداد ضعيفة تتراوح ما بين مستفيدين اثنين إلى مستفيد واحد للبلديات الست المتبقية.

هـ- المستفيدون بفرع تربية الأبقار: بلغ عدد المستفيدين بهذا الفرع الفلاحي على مستوى بلديات الدراسة 16 مستفيدا أي ما نسبته 27,11 % من إجمالي عدد المنخرطين، وحققت البلديات المستفيدة بهذا الفرع أعدادا متقاربة، حيث قدر عددهم ببلدية عين ولمان ب 04 مستفيدين متبوعة ببلديات مزلوق، قلال، صالح باي ب 03 مستفيدين لكل منها، وأخيرا بلديتي عين أرنات بمستفيدين اثنين والرصفة بمستفيد واحد.

بالنظر إلى القيمة والأهمية الاقتصادية لهذا الفرع الفلاحي يلاحظ ضعف الاستفادة به على مستوى بلديات إقليم الدراسة (27,11 %) وحسب ما صرح به بعض الفلاحين هذا راجع إلى تماطل الجهات المسؤولة في تسهيل الاستفادة بهذا الفرع الفلاحي.

و- المستفيدون بفرع تنمية أنظمة الري: حقق هذا الفرع الفلاحي أكبر نسبة استفادة من بين فروع الدعم (60,40%) ب 119 مستفيد من إجمالي عدد المنخرطين بهذا الفرع المقدر ب 197 مشاركا، وسجلت بلدية مزلوق أكبر عدد للمستفيدين والبالغ 26 مستفيدا، متبوعة ببلدية قلال ب 22 مستفيدا، يليها بلديتي عين أرنات وقصر الأبطال ب 15 مستفيدا لكل منهما، ليأتي بعدهما بلدية الرصفة ب 13 مستفيدا وعين ولمان ب08 مستفيدا وبأعداد أقل لباقي البلديات.

شملت عملية تنمية أنظمة الري تقديم مساعدات مالية تخص السقي عن طريق المرش والسقي بالتقطير إضافة إلى حفر أنقاب ببلديات: مزلوق، قلال، عين ولمان وطرق السقي

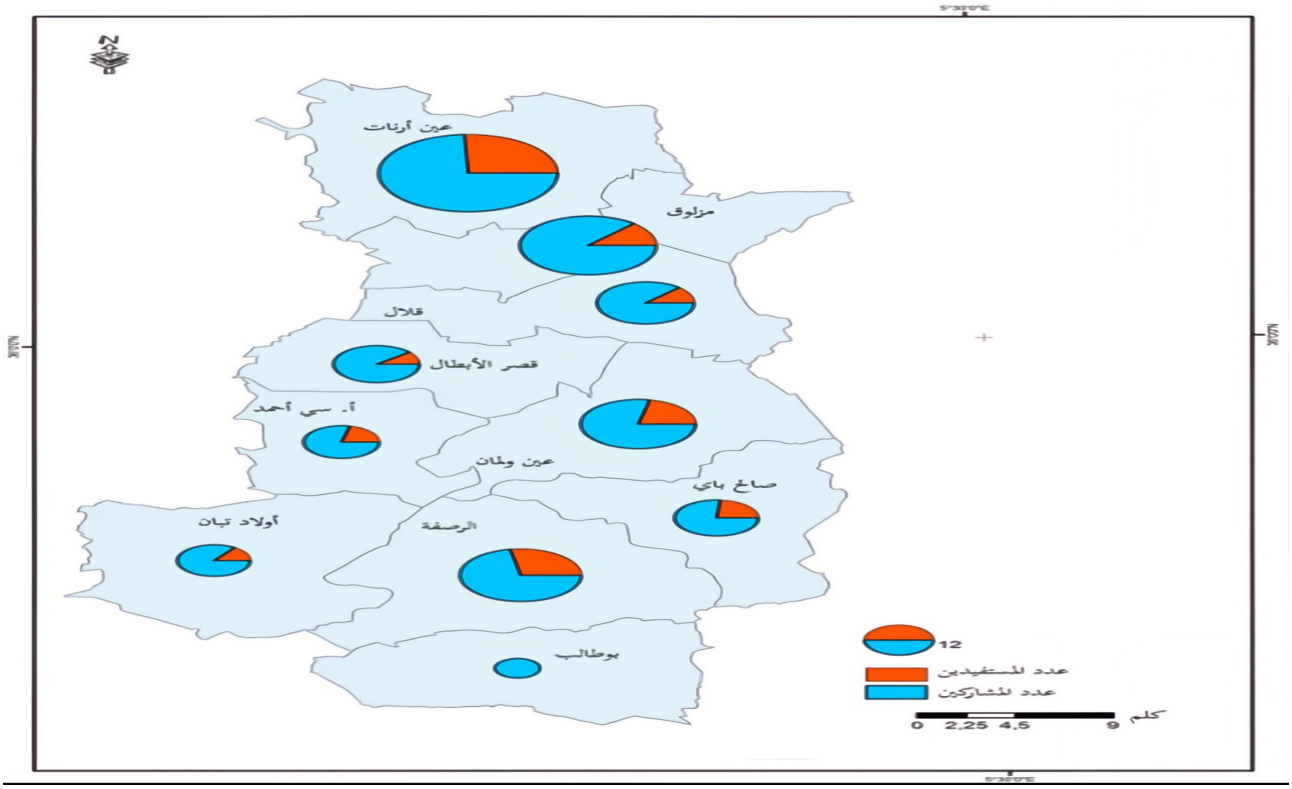

خريطة (03): توزيع عدد المستفيدين من المشاركين بفرع العتاد الفلاحي على البلديات العشر

المذكورة فيها اقتصاد كبير للمياه وهذا أمر ضروري في ظل مواسم الجفاف التي تشهدها الولاية في بعض الفترات.

ز- المستفيدون بفرع العتاد الفلاحي: استفاد بهذا الفرع 57 مستفيدا من بين 224 منخرطا موزعين على مستوى البلديات العشر (انظر الخريطة رقم 03) أي ما نسبته 25,44 %، واحتلت بلدية عين أرنات الصدارة ب20 مستفيدا، يليها بلدية الرصفة ب10 مستفيدين ثم بلديات عين ولمان ب07 مستفيدين، مزلوق 06 مستفيدين، صالح باي 04 مستفيدين، قلال وأولاد سي أحمد ب03 مستفيدين لكل منهما، وأخيرا بلديتي قصر الأبطال وأولاد سي أحمد بمستفيدين اثنين لكل بلدية.

أما أسباب ضعف الإنجاز فتتعلق أساسا بغلاء تجهيزاته ومحدودية الدعم بهذا الفرع (30 %)، ليس هذا فقط وإنما طول مدة الانتظار بعد وضع ملف المشاركة بهذا الفرع أين انتظر بعض الفلاحين مدة تزيد عن 05 سنوات والكثير منهم لم يستفيدوا نظرا لمحدودية الإنتاج.

إضافة إلى مشاركة أنشطة أخرى (الخضر، تربية الدواجن، الحليب، المواد الطاقوية، البيوت البلاستيكية) ببرامج الدعم الفلاحي إلا أن نسبة المشاركة والاستفادة كانت جد ضعيفة لا تكاد تذكر نظرا لقيود معينة وضعتها الجهات المعنية.

نتيجة:

- من خلال دراسة توزيع المستفيدين بمختلف الفروع الفلاحية نلاحظ ضعف الاستفادة بمعظم فروع الدعم وهذا راجع لكون الجهات المسؤولة لم تمنح التسهيلات اللازمة لتحقيق النجاح بهذه الفروع إضافة إلى محدودية نسبة التدعيم بمختلف الفروع الفلاحية (30 %) من قيمة إنجاز المشروع رغم تحقيق استفادة معتبرة ببعض الفروع (تنمية أنظمة الري، زراعة الزيتون).

- تضعف الاستفادة أكثر بالبلديات النائية ذات الطابع الجبلي (أولاد سي أحمد، بوطالب) وهاتين البلديتين تعانيان من نقص هياكل التنمية بهما في كل المجالات بما فيها القطاع الفلاحي الذي لازال يمارس بوسائل تقليدية.

- تجدر الإشارة أن بعض فروع الدعم السابق ذكرها (فرع تربية الأبقار، تربية النحل، زراعة الزيتون) قد تم تدعيمها في برامج فلاحية أخرى على غرار برامج سياسة التجديد الريفي والبرنامج الولائي لدعم تشغيل الشباب.

2-2-المساحة المنجزة حسب الفروع

: بلغ متوسط المساحة المنجزة في إطار سياسة التجديد الفلاحي بالمحاصيل الزراعية المدعمة على مستوى البلديات العشر خلال 05 مواسم (2010-2014) 4307 هكتار من بين 4970 هكتار المساحة المخصصة للمعالجة أي ما نسبته 86,65 % رغم التباين في هذه المساحة بين الأنشطة والبلديات.

أ- المساحة المنجزة بفرع تكثيف الحبوب: بلغت نسبة المساحة المحققة في فرع تكثيف الحبوب 88,11 % من إجمالي المساحة المخصصة لهذا الفرع أي أنجز 3685 هكتار من بين 4182 هكتار موزعة على ثلاث بلديات ذات الطابع السهلي (مزلوق، عين أرنات، قلال).

ب- المساحة المنجزة بفرع زراعة الأعلاف: تم معالجة 384 هكتار من بين 477 هكتار على مستوى ثلاث بلديات شاركت بهذا الفرع الفلاحي (عين أرنات وقلال 130 هكتار لكل منهما، مزلوق124 هكتار)، لكن المساحة المحققة لا تعكس نجاح الدعم بهذا الفرع بحكم اختصاص البلديات السهلية والمستثمرات الشاسعة بفرعي تكثيف الحبوب وزراعة الأعلاف.

ج- المساحة المنجزة بفرع زراعة الزيتون: بلغت نسبة الإنجاز بهذا الفرع الفلاحي 63,34 %، أي معالجة 127 هكتار من بين 200,5 هكتار، واستفادت بهذا الفرع كل بلديات الدراسة بنسب متفاوتة ماعدا بلدية أولاد سي أحمد، وحققت بلديتا أولاد تبان وعين ولمان أكبر مساحة منجزة بهذا الفرع والمقدرة ب23 هكتار لكل منهما تليهما بلدية الرصفة ب22 هكتار ثم بلديتا بوطالب ب15,5 هكتار وصالح باي 14 هكتار وبمساحة أقل لباقي البلديات. وعموما يمكن القول أن هذا الفرع الفلاحي قد حقق نسبة إنجاز معتبرة بمعظم بلديات الدراسة رغم أنها زراعة جديدة بالنسبة للإقليم الجنوبي، وقد تم تدعيم هذا الفرع الفلاحي على مستوى برامج دعم أخرى.

2-3 – سياسة التجديد الريفي

3-2-1-الأنشطة الجماعية

: من خلال ملاحظة الأنشطة الجماعية التي تم إنجازها عبر مجال بلديات الدراسة يتبين لنا أن هناك تنوع في الأنشطة، لذلك قمنا بتصنيفها حسب طبيعتها كما يلي:

أ- الأنشطة الخاصة بعمليات التهيئة: وتضم الأنشطة التي

من شأنها تسهيل حركة المواطنين مثل: فتح وتهيئة المسالك، تثبيت الجروف.

ب- الأنشطة الغابية (البيئية): وهي الأنشطة ذات الطابع البيئي الرعوي، وتشمل: القيام بعمليات تشجير، غرس أشجار رعوية، توسيع غرس أشجار الأرز، غرس أشجار الصبار، تجزئة المناطق الجبلية لتجنب انتشار النار، تنقية المناطق الجبلية من المواد التي تساعد على نشوب النيران في المناطق الأكثر عرضة لها.

ج- الأنشطة الخاصة بتسيير الثروة المائية: مادامت المياه عنصر ضروري لحياة كل الكائنات الحية بات من الضروري السعي قدر الإمكان إلى توفير هذا المورد الحيوي لأي تجمع سكاني، والأنشطة التي تم إنجازها من خلال سياسة التجديد الريفي في هذا الإطار شملت: حفر وتجهيز الأنقاب، تصحيح المجاري المائية، إنجاز وتهيئة منابع مائية.

د- الأنشطة الخدماتية: وهي الأنشطة ذات الطابع الخدماتي الاجتماعي في أي مجال من مجالات الحياة سواء تعلق الأمر بالصحة أو الترفيه أو غيرهما من الأنشطة، مثل: إنجاز قاعات العلاج، إنشاء فضاءات للعب.

ويقوم بإنجاز العمليات الجماعية مقاولون يتم اختيارهم على أسس قانونية وفق ما نص عليه قانون الصفقات العمومية، ويمنح له أمر بداية الأشغال واستكمالها في وقت محدد، غالبا ما يكون 12 شهرا، وما دامت العمليات (المشاريع) ذات طابع جماعي وليست خاصة بفرد معين، فإن الدولة تقوم بتمويلها بنسبة 100 %.

* العمليات الجماعية المنجزة في إطار سياسة التجديد الريفي على مستوى بلديات إقليم الدراسة: قدر عدد العمليات الجماعية المنجزة على مستوى بلديات إقليم الدراسة ب 133 عملية موزعة كما يلي:

جدول رقم 2: توزيع الأنشطة الجماعية المنجزة في إطار سياسة التجديد الريفي على بلديات الدراسة

البلديات	ملخص الأنشطة الجماعية المنجزة	عدد الأنشطة المنجزة
أولاد تبان	فتح وتهيئة المسالك49,5كم، تثبيت الجروف 40 هكتار، تصحيح المجاري المائية 3900م3، حفر أنقاب والتقاط منابع مائية 04 ، أنشطة غابية ورعوية متنوعة 562 هكتار .	28
الرصفة	فتح وتهيئة المسالك 50كم، تثبيت الجروف 10هـ، تصحيح المجاري5470م3، التقاط المنابع03، حملات تشجيرية ورعوية706هـ.	23
عين ولمان	فتح وتهيئة المسالك25كم، تثبيت الجروف25هـ ، تصحيح المجاري2000م3، حفر أنقاب وتجهيز منابع02، أنشطة غابية323 هكتار ، إنجاز مرافق خدماتية وأبراج مراقبة (الغابات) 04 .	19
صالح باي	فتح وتهيئة المسالك49كم ، تثبيت الجروف70هـ، تصحيح المجاري المائية5500م3 ، إنجاز أنقاب والتقاط منابع03، أنشطة غابية 50هكتار ، بناء مرافق خدماتية 01 .	15
بوطالب	تهيئة المسالك 28كم ، تثبيت الجروف40 هكتار ، تجهيز أنقاب وأحواض والتقاط منابع مائية04، غرس أشجار رعوية20هـ، مرافق خدماتية01 .	13
أولاد سي أحمد	فتح وتهيئة المسالك22كم ، تثبيت الجروف 35 هكتار ، حملات تشجيرية 50هكتار، بناء مرافق خدماتية 04 .	10
مزلوق	تهيئة المسالك01كم ، تجهيز أنقاب وبناء أحواض مائية 03 ، بناء مرافق خدماتية 05 .	09
عين أرنات	فتح وتهيئة المسالك57,1كم، تصحيح المجاري المائية 2000 م3 ، أنشطة غابية وحملات تشجيرية 110 هكتار .	08
قلال	فتح وتهيئة المسالك 23 كم ، تصحيح المجاري المائية .	05
قصر الأبطال	تهيئة المسالك 17,5 كم ، تصحيح المجاري المائية 100م3 .	03

المصدر: محافظة الغابات لولاية سطيف2017

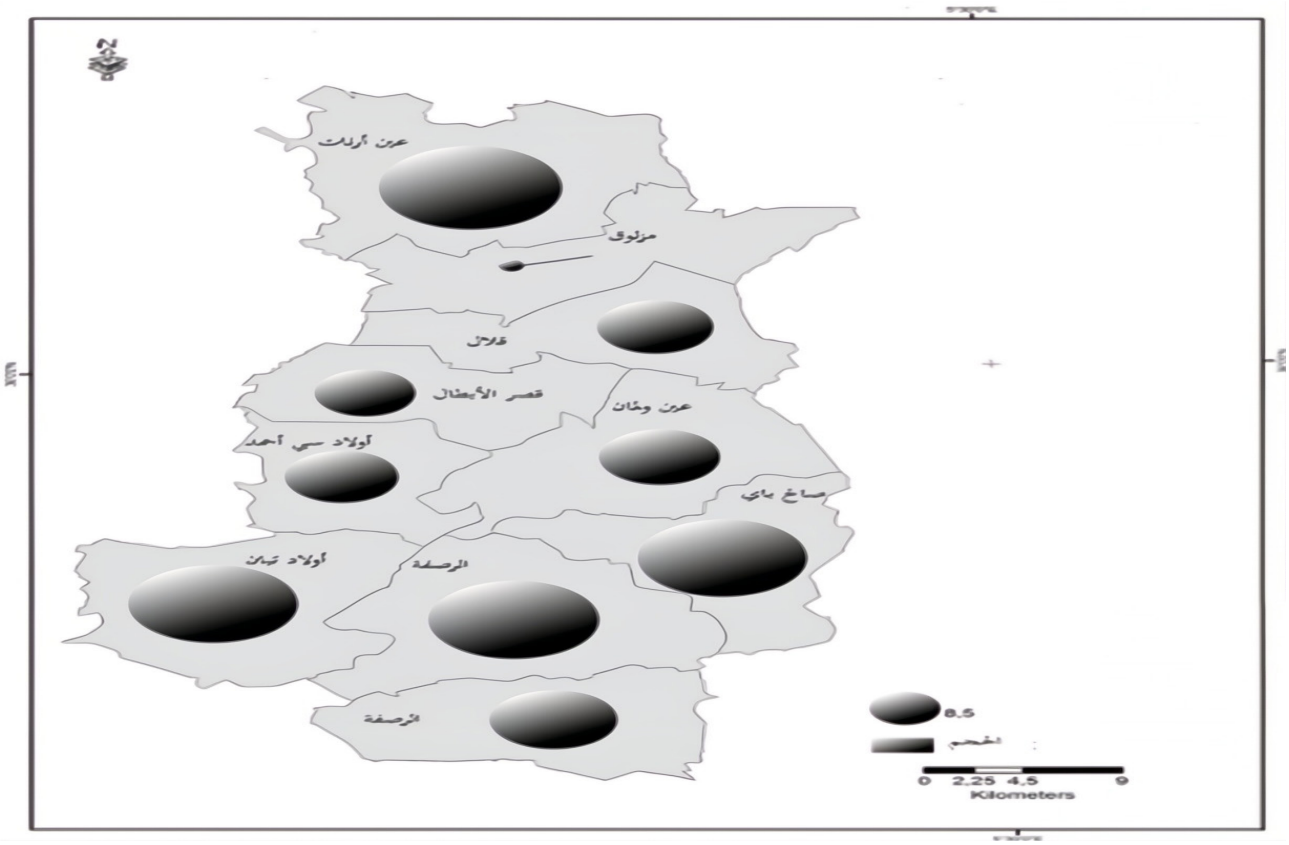

خريطة (04): حجم المسالك المهيئة والمفتوحة عبر بلديات الدراسة بالكلم

يختلف توزيع العمليات الجماعية المنجزة في إطار سياسة التجديد الريفي من بلدية إلى أخرى ومن خلال دراسة معطيات الجدول يتضح أن بلدية أولاد تبان هي التي استحوذت على أكبر عدد من العمليات المنجزة والمقدر ب28 عملية متعددة المجالات خاصة فرع فتح وتهيئة المسالك الذي شمل كل بلديات الدراسة بأحجام متفاوتة (انظر الخريطة رقم 04) إضافة إلى تشجيع عملية التشجير. وهذا يثبت التوجه الأساسي لسياسة التجديد الريفي التي استهدفت أكثر المناطق الريفية والمناطق الجبلية المعزولة قصد تثبيت السكان هناك والتقليل من ظاهرة النزوح الريفي، وهذه البلدية معروفة بعزلتها وطابعها الجبلي والعدد الكبير للدواوير المتواجدة بمجالها الجغرافي، تليها بلدية الرصفة ب23 عملية استهدفت أكثر تصحيح المجاري المائية وإعادة إعمار المناطق المتضررة خلال العشرية السوداء بالغطاء النباتي وهي الأخرى تقع في نفس النطاق الجغرافي لبلدية أولاد تبان (النطاق الجبلي) لكنها أقل تضرسا منها ثم نجد بلدية عين ولمان ب19 عملية وهي معروفة بطابعها الحضري غير أن العمليات الموزعة على مجالها الجغرافي توجد في المناطق النائية والأكثر بعدا عن المركز، وشملت أنشطة متنوعة (المياه، الصحة، تثبيت الجروف، أنشطة غابية...) ، ويأتي بعدها بلدية صالح باي ب15 عملية وجهت أساسا لفتح وتهيئة المسالك وتسيير الثروة المائية والقيام بعمليات التشجير، وتشهد هذه البلدية تحسنا حضريا ملحوظا في المركز لكن في مجالها الشرقي يوجد عدد معتبر من السكان الذين يقطنون دواوير ومناطق مبعثرة، متبوعة ببلدية بوطالب ب13 عملية التي عرفت نزوحا كبيرا لسكانها واستنزافا لطاقاتها الشبانية أثناء العشرية السوداء وكانت وجهتهم أكثر نحو الجزائر العاصمة خاصة المتواجدين في مناطق أكثر عزلة لدرجة أن البعض من هذه المناطق أصبحت خالية تماما من السكان، أما العمليات المنجزة فخصت أساسا توفير المياه (أنقاب مائية) وغرس الأشجار الرعوية وبناء بعض المرافق (قاعات علاج)، ثم نجد بلدية أولاد سي أحمد ب10 عمليات، وهي الأخرى تشهد نزوحا كبيرا نحو بلدية عين ولمان بسبب عزلتها وتضرسها الكبير (بلدية جبلية) لكن رغم هذا فمناطقها المبعثرة تشهد نموا سكانيا بسبب الجهود المبذولة من طرف الجهات المعنية حول تثبيت السكان وتوفير بعض المرافق الضرورية إضافة إلى فتح وتهيئة المسالك والقيام بحملات تشجيرية، أما بلدية مزلوق فقدر عدد العمليات المنجزة بها ب09 عمليات خصت

مجالات مختلفة (تهيئة المسالك، تسيير المياه، الصحة، الإنارة العمومية، الرياضة)، وهذه البلدية معروفة بموقعها الاستراتيجي وقربها من مدينة سطيف (10 كلم)، لذلك تقل فيها المناطق التي تحتاج إلى تجهيز خاصة وأن برامج سياسة التجديد الريفي شملت إنجاز المشاريع الضرورية التي تساعد على تثبيت السكان، وكذلك بلدية عين أرنات ب08 عمليات وهي الأخرى تشهد حركة حضرية كبيرة بحكم عامل قربها من مدينة سطيف (07 كلم) وامتصاصها للثقل السكاني الذي تعرفه هذه الأخيرة، وفي الأخير نجد كل من بلديتي قلال (05 عمليات) وقصر الأبطال (03 عمليات)، فرغم العدد الكبير للمناطق الريفية التي تحتاج إلى برامج تهيئة بهما خاصة على مستوى بلدية قصر الأبطال إلا أنها لم تشهد عدد كبير للعمليات الجماعية المنجزة وفسر المسؤولون هذا الأمر بحجة أن البلدية استفادت في وقت سابق من برامج التنمية الريفية.

3-2-2-الأنشطة الفردية

: تخص الأنشطة الفردية المنجزة على مستوى بلديات الدراسة في إطار سياسة التجديد الريفي بعض فروع الإنتاج النباتي والحيواني إضافة إلى استصلاح وحماية الأراضي والسكن الريفي، واختلفت نسبة الدعم بين مختلف الأنشطة، لكن ما يمكن التأكيد عليه أن هذه النسبة كانت معتبرة حيث فاقت في كل العمليات نسبة 50 % من إجمالي التكلفة الكلية لإنجاز المشروع.

* توزيع العمليات الفردية الخاصة بسياسة التجديد الريفي عبر بلديات الدراسة حسب طبيعة النشاط: بلغ عدد فروع الدعم التي مستها برامج التنمية الريفية على مستوى بلديات الدراسة سبع فروع (زراعة الزيتون، الأشجار المثمرة، تربية الأغنام، تربية النحل، السكن الريفي، استصلاح الأراضي، حماية التربة) وهي موزعة بأعداد وأحجام متفاوتة بين بلديات الدراسة.

أ- الإنتاج النباتي: شملت العمليات الخاصة بالإنتاج النباتي نشاطين اثنين، وهما: زراعة الزيتون وزراعة الأشجار المثمرة، بالنسبة لزراعة الزيتون شهد هذا النوع من الزراعة تطورا كبيرا في مجال التدعيم على مستوى الولاية عامة والبلديات المعنية بالدراسة خاصة، حيث كانت زراعة قبل تطبيق سياسة الدعم الفلاحي مقتصرة على المناطق الشمالية للولاية فقط، ثم توسع مجال زراعتها على جميع تراب الولاية، وقد بلغت المساحة المغروسة بهذا النوع من الزراعة في إطار سياسة التجديد الريفي على مستوى بلديات الدراسة 430 هكتار (بمعدل 01هـ لكل مستفيد ويغرس حوالي 120 شجرة لكل 01هـ) موزعة بمساحات متباينة بين البلديات، لتستحوذ بلدية أولاد تبان الواقعة أقصى جنوب غرب الولاية على أكبر مساحة والمقدرة ب 93هـ، ثم نجد بلدية صالح باي بمساحة 60هكتار موزعة على ثلاث مواقع بمساحة 20هكتار لكل موقع، تليها بلدية بوطالب التي غرس بها 57 هكتار شملت 04 مواقع متبوعة ببلدية الرصفة المحاذية لبلدية بوطالب من جهة الشمال بمساحة 55 هكتار، أما البلديات الثلاث المتجاورة التي تنتمي لدائرة عين ولمان (قصر الأبطال، عين ولمان، أولاد سي أحمد) فأنجزت بها نفس المساحة والمقدرة ب50 هكتار وفي الأخير نجد كل من بلديتي عين أرنات 10 هكتار، قلال 05 هكتار، أما بلدية مزلوق فلم تنجز أي مساحة بهذا النوع من الزراعة نظرا لطابعها السهلي الذي يتلاءم أكثر مع زراعة الحبوب.

نتيجة: من خلال توزيع المساحة المنجزة الخاصة بزراعة الزيتون عبر بلديات الدراسة في إطار سياسة التجديد الريفي نلاحظ أن أكبر مساحة سجلت بالبلديات ذات الطابع الجبلي الواقعة في أقصى جنوب غرب الولاية (أولاد تبان، بوطالب، الرصفة) وزراعة الأشجار هي الزراعة الأنسب للأراضي المتضرسة والمتقطعة ، أما بلديات الوسط (عين أرنات، مزلوق، قلال) فسجلت بها أضعف مساحة بهذا الفرع الفلاحي وهذا راجع لكونها تهتم أكثر بالزراعات الواسعة نظرا لطابعها السهلي.

أما زراعة الأشجار المثمرة فشملت أربع بلديات فقط من بين عشر بلديات المعنية بالدراسة وذلك بمساحة 25 هكتار وهي أقل بكثير من المساحة المنجزة في فرع زراعة الزيتون، وسجلت أكبر مساحة ببلدية عين أرنات 10هكتار ثم البلديات الثلاث المتبقية (صالح باي، الرصفة، أولاد تبان) بنفس المساحة والمقدرةب05هكتار.

ب- الإنتاج الحيواني: أهم فروع التربية الحيوانية التي تم تدعيمها في إطار سياسة التجديد الريفي هناك فرعين اثنين وهما: تربية الأغنام وتربية النحل.

بالنسبة لتربية الأغنام فتم تسجيل 220 مستفيد على مستوى

بلديات الدراسة ، ويأخذ كل مستفيد 10 نعاج وكبش بمجموع 11 رأس، ونسجل تفاوت في عدد المستفيدين بين البلديات، لتستحوذ بلدية عين ولمان السهبية على أكبر عدد والمقدر ب43 مستفيد، وتسود تربيتها جنوب غرب إقليم البلدية، تليها بلدية بوطالب ب40 مستفيد هذه البلدية التي يعتمد سكانها فلاحيا بدرجة كبيرة على تربية الماشية ثم نجد بلدية قصر الأبطال التي تعتبر بوابة المجال السهبي من جهة الجنوب (30مستفيد)، أما البلديتين ذاتا الطابع الجبلي أولاد سي أحمد وأولاد تبان فسجل بهما 29 مستفيد لكل منهما، تليهما بلديات مزلوق ب20 مستفيد، قلال 15 مستفيد، صالح باي 09 مستفيدين وفي الأخير بلدية عين أرنات ب05 مستفيدين والتي تهتم أكثر بتربية الأبقار، أما بلدية الرصفة فلم تسجل بها أي استفادة بهذا الفرع الفلاحي رغم أنها تشتهر بتربية الماشية.

أما عن تربية النحل فقد سجلت استفادة 135 شخص على مستوى البلديات العشر، ويأخذ كل مستفيد 12 صندوق مليء، واستحوذت بلدية صالح باي على أكبر عدد ب43 مستفيد معظمهم من الأرياف الواقعة شرق مجال البلدية، لتأتي بعدها بلدية بوطالب ذات الطابع الجبلي ب28 مستفيد والتي أصبحت تزود السوق المحلية بجزء كبير من إنتاج العسل (2600كلغ سنة 2015) ثم البلديتان الواقعتان في نفس النطاق الجغرافي أولاد تبان ب26 مستفيد والرصفة 20 مستفيد، أما البلديات الخمس المتبقية (مزلوق، قلال ، قصر الأبطال، عين ولمان، أولاد سي أحمد) فسجلت أعدادا ضعيفة أقل من 10 مستفيدين لكل منها، في حين لم تسجل أي استفادة ببلدية عين أرنات المعروفة بطابعها السهلي ونقص المناطق الجبلية .

نتيجة: يرجع ضعف الاستفادة وانعدامها ببلديات الوسط (عين أرنات، مزلوق)في فرع تربية النحل إلى كون برامج سياسة

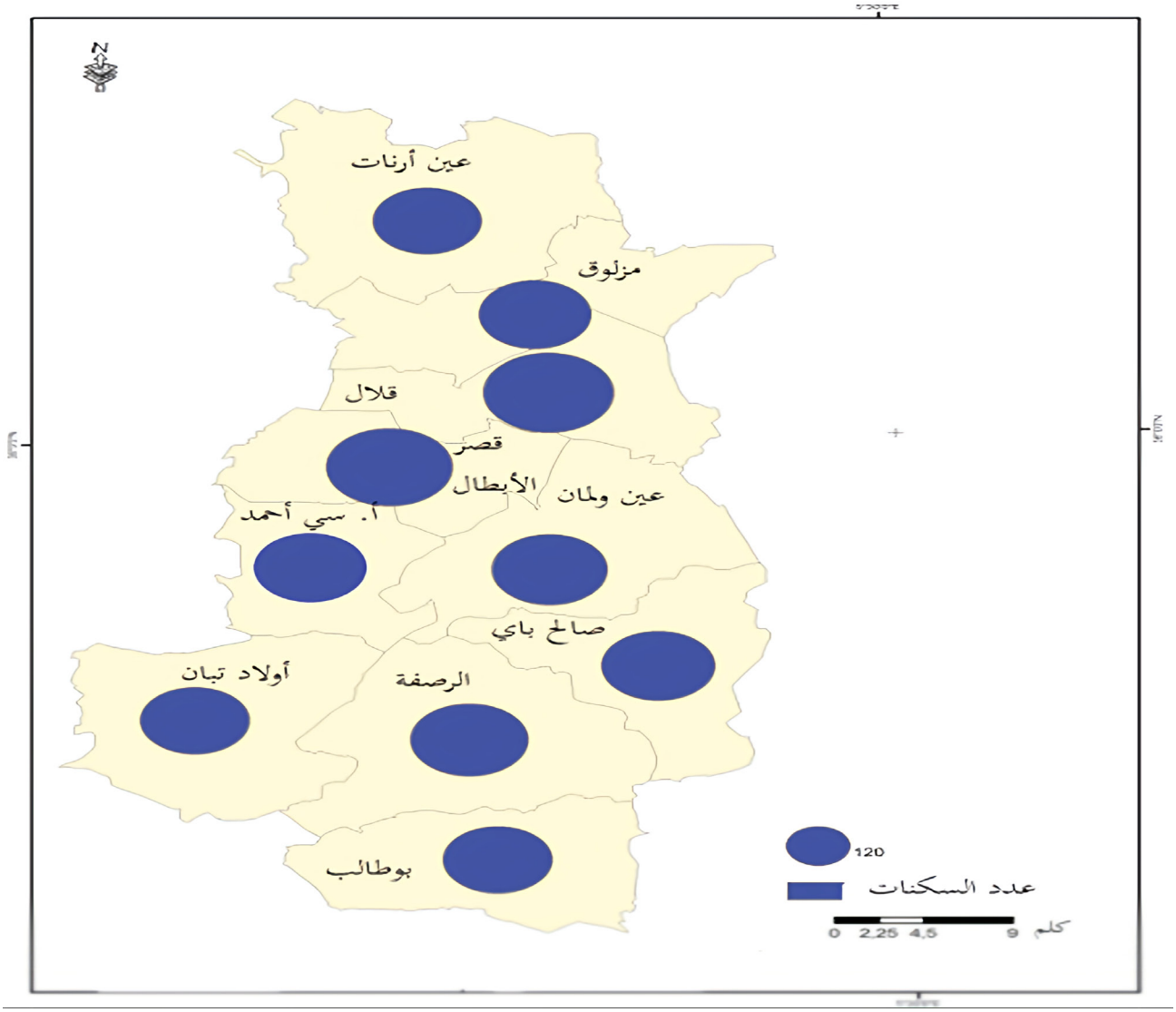

خريطة (05): توزيع السكن الريفي ببلديات الدراسة

التجديد الريفي كانت موجهة أساسا للعالم الريفي أي البلديات التي يطغى على مجالها الجغرافي الطابع الجبلي ضف إلى هذا أن تربية النحل تتلاءم أكثر مع البيئة الجبلية وليس السهول المفتوحة التي تعيق طبيعة هذا النوع من التربية.

ج – السكن الريفي: أولت الجهات المعنية أهمية كبرى لهذا الجانب الاجتماعي لما له من علاقة مباشرة في مساعدة سكان الريف على الاستقرار، حيث تم إنجاز 1199 وحدة سكنية على مستوى البلديات العشر خلال المرحلة الخماسية (2010 – 2014) موزعة بأعداد معتبرة ومتقاربة بين البلديات تتراوح ما بين 369 وحدة ببلدية عين أرنات و530 وحدة سكنية ببلدية قلال وهو ما تبرزه الخريطة رقم 05.

و يمكن التأكيد على أن الجهات المعنية أعطت أهمية بالغة للسكن الريفي لما له من دور بارز في مساعدة سكان الريف على الاستقرار، لكن هذا لا يتأتى إلا بتوفير المرافق الأخرى الضرورية لحياة السكان

د – استصلاح وحماية الأراضي: تم في هذا الإطار استصلاح بعض الأراضي البور التي كانت في وقت سابق غير مستغلة، إضافة إلى غرس أشجار مصدات الرياح (أشجار السرو) لحماية النبات من الاعوجاج والتربة من الانجراف.

بالنسبة لاستصلاح الأراضي فقد شملت هذه العملية تهيئة التربة وتنقيتها من الحجارة والشوائب التي تعيق زراعتها وفي هذا الإطار استفاد 383 شخص على مستوى خمس بلديات من بين عشرة محل الدراسة لاستصلاح 320 من الأراضي، وسجلت بلدية الرصفة أكبر مساحة المقدرة ب115 هكتار تليها بلدية عين ولمان ب77 هكتار، ثم بلدية صالح باي بمساحة 70 هكتار، أولاد سي أحمد 50 هكتار، وفي الأخير نجد بلدية قصر الأبطال ب08 هكتار.

نتيجة: هناك اختلاف في المساحة المستصلحة بين المستفيدين وبين بلديات الدراسة ، وهذا راجع إلى طبيعة المنطقة (صغر أو كبر مساحة الأرض المستصلحة) هذا من جهة ومن جهة ثانية يؤخذ في الحسبان أن الأراضي المستصلحة فيها ماهو تابع للقطاع الخاص وفيها ماهو تابع لأراضي العرش، حيث نلاحظ مثلا أنه سجل أكبر عدد للمستفيدين ببلدية أولاد سي أحمد (140 مستفيد) رغم أن المساحة المستصلحة بها لم تتعدى 50 هكتار، في حين سجلت أكبر مساحة مستصلحة ببلدية الرصفة (115 هكتار) واستفاد من ذلك 68 شخص فقط.

أما بالنسبة لغرس أشجار مصدات الرياح في إطار حماية النبات والتربة من الانجراف فقد تم هذا خاصة في المزارع التي غرست بها أشجار الزيتون، وفي هذا الإطار استفادت خمس بلديات فقط من بين عشرة محل الدراسة، وهي: بلدية الرصفة التي سجل بها أكبر عدد للمستفيدين المقدر ب25 مستفيد، تليها بلدية قصر الأبطال ب21 مستفيد، ثم بلدية عين ولمان ب20 مستفيد وفي الأخير كل من بلديتي قلال 14 مستفيد وأولاد سي أحمد ب10مستفيدين.

أما من حيث توزيع حجم الإنجاز عبر بلديات الدراسة، فقد سجل أكبر حجم ببلدية قلال ب50 كلم رغم أنه استفاد 14 شخص فقط من هذا الحجم، تليها بلديات عين ولمان، قصر الأبطال، أولاد سي أحمد بنفس الحجم (10كلم)، وأخيرا بلدية الرصفة ب05 كلم التي سجلت أكبر عدد للمستفيدين بهذا البرنامج الريفي.

ملاحظة: من خلال دراسة مشروع غرس أشجار مصدات الرياح على مستوى بلديات إقليم الدراسة، نلاحظ أن بلدية قلال سجل بها أكبر حجم استفادة بهذا النشاط (50 كلم) واستفاد بالمقابل 14 شخص فقط وهذا راجع لطابعها السهلي واتساع مستثمراتها الفلاحية، في حين سجلت بلدية الرصفة أكبر عدد للمستفيدين (25 شخص) وأضعف حجم استفادة (05 كلم) وهذا راجع لتجزء مستثمراتها الفلاحية وصغر مساحتها ذات الطابع الخاص خاصة في جزئها الجنوبي الذي يتميز بالتضرس.

ثالثا: العراقيل التي أعاقت السير الحسن لبرامج سياسة التجديد الفلاحي والريفي والآفاق المستقبلية: رغم الجهود المبذولة من طرف الدولة ظل القطاع الفلاحي يعاني من مشاكل جمة، ومنذ تطبيق سياسة الدعم للخوصصة والقطاع لم يتمكن من تحسين مستواه بالصورة المرجوة والتمكن من تحقيق شروط المنافسة، وسنحاول في هذا المبحث تشخيص الصعوبات التي أعاقت السير الحسن لبرامج هذه السياسة ومن خلالها اقتراح بعض الحلول التي من شأنها التخفيف من حدة هذه الصعوبات.

-1 المشاكل التي عانت منها سياسة التجديد الفلاحي والريفي: يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

- التفاوت الكبير في نسبة الدعم بين البلديات العشر وهذا

يعود إلى مكانة البلدية في إطارها الإقليمي، حيث نجد البلديات الجبلية (بوطالب) تعاني من بعض التهميش كانعدام الامكانيات الخاصة بالمستثمرات الصغيرة المساحة الواقعة في المناطق الجبلية(yannoussigeorges, 1984)

- تعرض أموال الدعم للتبديد وتحويلها من الأغراض والمشاريع التي قدمت من أجلها ، مما يؤثر حتما على نتائج هذه السياسة ، ولقد اكتشفت وزارة الفلاحة استفادة بعض الفلاحين المزيفين، من بين الفلاحين الذين يحملون بطاقة تثبت ذلك(ع سعاد، 2005).

- لم تكن الخدمات التي تقوم بها الأجهزة والمؤسسات التي أسندت لها بعض المهام في المستوى، فقد اشتكى العديد من الفلاحين من البيروقراطية التي تعيق عمليات الحصول على التجهيزات والعتاد والتماطل في ذلك لدرجة انتظار البعض منهم مدة تزيد عن خمس سنوات(غراب رزيقة، 1988-1989).

- انخفاض دخل الفلاحين والفقر في الأغلب الأعم مشكلة ريفية أين يعتمد السكان على الزراعة المعيشية(الطنوبي محمد عمر وآخرون، 1995) ، مع أن سياسة الدعم الفلاحي وعدت بتحسين مداخيل الفلاحين وإعطاء أهمية للأوساط الريفية.

- إن اتساع مساحة ولاية سطيف (654964 هكتار)، لا يعني ذلك وفرة الموارد الطبيعية التي يمكن استغلالها في القطاع الفلاحي، وذلك راجع لظروف طبيعية كالتضاريس والمناخ (حداد بختة، 1996) ، وظروف بشرية كقلة الامكانيات، هذا ما يحول دون الطاقات الفلاحية ويجعل استغلالها صعبا.

- وفيما يخص تسويق المنتوجات الزراعية يلاحظ غياب شبه تام لوزارة الفلاحة عن هذه الأسواق الحيوية والتي تستطيع من خلال وجودها تأدية أكبر الخدمات للمزارع، أما فيما يتعلق بعملية التخزين فيلاحظ وجود أبنية ومستودعات غير مناسبة لحفظ وعرض الإنتاج الزراعي إضافة إلى أنها غير كافية(أبو نعمة نديم، 1999).

-يبقى ترسيخ سياسة التجديد الفلاحي والريفي – بالرغم من الجهود – ضعيفا وهذا لعدم أخذه كما ينبغي بالمعطيات الاقتصادية والاجتماعية فهو يعمل بشكل تقريبي، مع غياب الرقابة والمتابعة الفعالة على تنفيذ برامج هذه السياسة، ومع الأخطاء المرتكبة في التمويل وتقديم المساعدات للفلاحين(المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، 2002).

-2 الحلول المقترحة والآفاق المستقبلية: نظرا للصعوبات والمشاكل السالفة الذكر التي اعترضت السير الحسن للتنمية الفلاحية والتطورات المتسارعة الحاصلة في العالم بات من الضروري على الدولة أن تسعى جاهدة لتنظيم هذا القطاع حتى يتمكن من القيام بنفسه، لأن ما يتطلبه القطاع الفلاحي يصعب على الأفراد أو القطاع الخاص القيام به، فالقطاع لم يعد بحاجة إلى سياسة تعمل على المدى القصير أو المتوسط بل هو بحاجة إلى خطة ارتيادية بعيدة المدى، تعمل على تحقيق الأمن الغذائي في إطار التنمية المستدامة والمتوازنة، ومن أجل تحقيق ذلك نقترح اتباع جملة من الخطوات(عدلي ز، 2003)، منها:

- التدعيم الفعلي والعادل للعاملين في القطاع الزراعي (OCDE, 2006) ومساعدتهم بالقروض الفلاحية، وهذا نظرا لعدم قدرتهم – خاصة منهم الفلاحين الصغار – على التمويل، ولابد أن يكون الدعم أو القرض بالحجم الذي يكفل تمويل المشروع، ويضمن احتياجات الفلاح، مع خلق توازن بين مختلف القطاعات المكونة لقوة الاقتصاد الوطني (OCDE, 2006).

- لابد من حماية الأراضي الفلاحية من التناقص، وهذا بتوسيع مخططات إعادة الاعتبار للأراضي، لتعويض الأراضي التي فقدت من جراء التوسع العمراني، مع حماية المناطق الزراعية ذات المردودية العالية، وتشجيع بناء المدن في مناطق الهضاب العليا والجنوب(صلاح محمد، 1996).

- من المتطلبات التي يجب توافرها في البيئة الطبيعية الإحاطة بالأرض وخصائص الوسط الطبيعي وضوابطه وتصور ما يمكن أن يكون عليه التفاعل بين الإنسان والأرض بعد مواجهة الصعوبات والتخفيف من تأثيرها، وفرض فرص الاستخدام الأحسن من خلال أساليب أفضل (OCDE, 2006).

- تشجيع البحوث العلمية والميدانية في القطاع الفلاحي، والتوسيع من التكوين والإرشاد الفلاحي، خاصة وأن معظم الفلاحين في الجزائر مستواهم التعليمي متدني، إذ يلعب الإنسان في عصرنا الراهن دورا كبيرا في تكييف الكائنات الحية النباتية حسب حاجاته وهو بذلك يساهم في تجديد الغطاء النباتي خاصة بعد استخدام الآلة والبحث العلمي في الزراعة على نطاق واسع(الصباغ عبد العزيز، 1989).

- ينبغي خلق سياسة جديدة للري، تهدف إلى تدعيم شبكة

السدود والآبار والتحكم في مياه الأمطار ومحاربة الرواسب والانجراف والجفاف(خالفي علي، 1990)، مع ترشيد استخدام المياه في أنظمة الري الحديثة (فليفل فؤاد، 1999)، وإرشاد الفلاحين على حسن استعمالها واستغلالها وحماية مصادر المياه ومعالجة التلوث ودعوة الإدارات المحلية للقيام بدورها في هذا النطاق(محمد يونس، 1999).

- لابد من مكافحة ظاهرة التلف والهدر في الموارد الزراعية، فالمحاصيل بعد جنيها عادة ما تتعرض للتلف بسبب الحشرات والفطريات، إلى جانب ضياع بعض منها أثناء الجني بسبب عدم صيانة العتاد الفلاحي، كما يضيع المحصول أثناء النقل والتعبئة أو بسبب عدم احترام ظروف التخزين (كالحرارة والرطوبة ...)(مهندس محمد محمد كذلك، 2001).

- التواجد الفعال لوزارة الفلاحة والجهات المسؤولة على الاسواق الحيوية إذ يمكنها ذلك من فهم أكثر واقعية لوضع المزارع والزراعة الوطنية، وبالتالي رسم السياسات الزراعية الواقعية التي تعود بالفائدة على المزارع(أبو نعمة نديم: المرجع السابق)، ففي ظل المدن المتطورة زراعتها التجارية تحدد السوق الذي يسمح بتطوير الدورات التجارية بين المدن والأرياف، المهم تسويق الإنتاج الزائد على الاستهلاك الذاتي، فالمدينة تستطيع أن تصدر للخارج كمحرك حقيقي للتحولات الزراعية وطريق تطور للمحيطات الريفية.

- ينبغي على الجزائر تطبيق برامج مكافحة التصحر الذي يهدد التربة بتوسيع السد الأخضر وتشجيع عملية التشجير وتفعيل دورها، واتخاذ السياسات اللازمة وتطبيقها وتوسيع تطبيق النصوص القانونية المتعلقة بمكافحة التصحر(كالبرامج التي تصيغها وزارة البيئة).

خاتمة

تعتبر سياسة التجديد الفلاحي والريفي آلية جديدة سعت من خلالها الدولة إلى النهوض بالقطاع الفلاحي بإحداث إجراءات وتغييرات خاصة بتسيير هذا القطاع الحساس، مستثمرا المعرفة المستخلصة من التجارب الفلاحية السابقة، خاصة وأن القطاع عاش بعدا كبيرا في التسيير من طرف الدولة قبل ذلك بعد أن منحت صلاحيات ذلك للقطاع الخاص، وعليه تم وضع سياسة التجديد الفلاحي والريفي لتجسد الإرادة القوية نحو تغيير المنظومة الفلاحية وترسيخ قدم الحداثة في هذا القطاع سعيا من الدولة نحو إعادة بناء اقتصادها ومسايرة التطورات الحاصلة في العالم نظرا للمكانة البارزة التي يحتلها القطاع الفلاحي في الاقتصاد الوطني، فهو يرتبط بقضية كبرى تشغل اهتمام الدول النامية والمتخلفة مادامت تعاني من تبعية غذائية مزرية للعالم المتقدم والذهنية الجديدة التي أتى بها المخطط تحاول رفع الفلاح إلى مصاف العون الاقتصادي المسؤول عن اختياراته باستعمال أدوات المساعدة – الدعم الفلاحي – التي سخرتها الدولة والقائمة على المشاركة الايجابية والفعالة.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أنه يصعب وضع خطة زراعية ناجحة دون معرفة خصائصها ، فدراسة خصائص ومتطلبات أي خطة تنموية تمكن من معرفة نمط علاقاتها وطبيعة متضمناتها المادية والاقتصادية وأحيانا معطياتها الاجتماعية ويضفي التكوين الزراعي واقتصادياته على القطاع الذي يعمل فيه خصائص وسمات تميزه عن نشاط القطاعات الأخرى، وجدير بالذكر أن معرفة هذه الخصائص تمكن من وضع استراتيجية لتطويره وفقا لبرامج ملائمة للتنمية والنمو الزراعي.

وفي الأخير نعود إلى التنمية الفلاحية على المستوى الوطني لنطرح التساؤل التالي: هل يمكن للدولة أن تتدارك النقائص والصعوبات التي قلصت من مستوى السير الحسن لبرامج سياسة التجديد الفلاحي والريفي خاصة بعد وضعها حيز التنفيذ؟ وهل هناك توافق بين أهداف وطموحات الفلاح والسياسة الفلاحية التي تنتهجها الدولة؟

المراجع

1. وزارة الفلاحة والتنمية الريفية: الاستثمارات والشراكة في الميدان الفلاحي بالجزائر - التجديد الفلاحي والريفي، 2009، ص01.
2. عمراني سفيان: سياسة التجديد الفلاحي والريفي كاستراتيجية لكسب رهان الأمن الغذائي المستدام بالجزائر ، الملتقى الدولي التاسع حول استدامة الأمن الغذائي في الوطن العربي ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة

حسيبة بن بوعلي-الشلف، -23 24 نوفمبر 2014 ، ص07.

3. الوزير المنتدب المكلف بالتنمية الريفية: وزارة الفلاحة والتنمية الريفية، أداة بيداغوجية للتنمية الريفية، ديسمبر2007، ص08.
4. هاشمي الطيب: التوجه الجديد لسياسة التنمية الريفية في الجزائر ، أطروحة مقدمة للحصول على شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية ، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان ،-2013 2014، رسالة منشورة، ص 243
5. الوزارة المنتدبة المكلفة بالتنمية الريفية: برنامج سياسة التجديد الريفي ، المطبعة الرسمية، 2006 .
6. ع سعاد:11ألف فلاح مزيف من مجموع 700ألف بطاقة فلاح، جريدة الخبر، جريدة يومية، الجزائر، عدد4329، الصادرة في 27 فيفري 2005، ص24.
7. غراب رزيقة: أثر التكامل – الصناعي الزراعي – على التنمية الزراعية ، بحث مقدم لنيل درجة الماجيستير في العلوم الاقتصادية ، معهد العلوم الاقتصادية، جامعة باتنة ، 1988 – 1989 ، ص 74.
8. الطنوبي محمد عمر وآخرون: الإرشاد الزراعي ، ط1، دار الكتب الوطنية ، بنغازي، الجماهيرية الليبية العظمى، 1995، ص96.
9. حداد بختة: مجهودات تكثيف الفلاحة الجزائرية في فترة الثمانينات وآثارها على إنتاج البقول - منطقة اسطاوالي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجيستير، معهد العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 1996، ص38.
10. أبو نعمة نديم: مشاكل الزراعة اللبنانية، أغروتيكا، مجلة الزراعة في الشرق الأوسط والعالم العربي، العدد28 مارس – آفريل 1999، ص13.
11. المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي: مشروع تقرير حول الظرف الاقتصادي والاجتماعي للسداسي الثاني من سنة 2001، 2002، ص-52 53.
12. عدلي ز: الإصلاحات الاقتصادية والشفافية في البلدان المتجهة نحو اقتصاد السوق، المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي، مجلة نصف سنوية ، العدد 13، ديسمبر2003 ، ص6.
13. صلاح محمد: الجغرافيا الواضحة ، مطابع أمزيان ، الجزائر ، 1996، ص – ص -511 512.
14. الصباغ عبد العزيز: موسوعة النبات العام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، منشورات عويدات، لبنان، 1989، ص06.
15. خالفي علي: واقع التنمية الفلاحية في ولاية البليدة، رسالة لنيل شهادة الماجيستير، فرع التحليل الاقتصادي، معهد العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 1989 – 1990، ص91.
16. فليفل فؤاد: الدورة التدريبية في نقابة المهندسين حول أنظمة الري، أغروتيكا، مجلة الزراعة في الشرق الأوسط والعالم العربي، العدد 31، سبتمبر- أكتوبر1999، ص14.
17. محمد يونس: المياه في لبنان وآفاق المستقبل، أغروتيكا، مجلة الزراعة في الشرق الأوسط والعالم العربي، العدد 32، نوفمبر- ديسمبر1999، ص14.
18. مهندس محمد محمد كذلك: مقدمة في زراعة الخضروات، مطبعة عصام جابر، نشر منشأة المعارف، الاسكندرية ، 2001، ص314 .
19. yannoussigeorges: agriculture et développement régional :emploi et résultats économique de l’activité agrico dans le département de trikala(grèce),thèse de magistère, institut agronomique, grèce,1984, p26
20. OCDE (Organisation de Coopération et de Développement Economique), Agriculture et développement, vers des politiques, 2006, p123.

The new policy for agricultural and rural development in Algeria - the case of municipalities from the western and southwestern regions of Setif Province

Abstract

The agricultural rénovation Policy has aimed at altering the conditions of the agricultural sector and liberating It in order to integrate in the global economy, The creation of a new relationship between the man and the land enhances the performance of the national agriculture given the fact that the government is required to adhere to the standards of the international competition which is based on competence, efficiency and quality, The aforementioned policy has laid the foundation to a special system of support which allows to involve the farmers in rural areas mainly in the national development. Farmers must be involved in tailoring the developmental plans in the agricultural sector through taking into consideration their views, ambitious and the environment.

Keywords
agricultural renovation
farmers
rural

La nouvelle politique de développement agricole et rural en Algérie - le cas des communes des régions ouest et sud-ouest de la province de Sétif

Résumé

La politique de renouvellement agricole se donne pour objectif de changer la situation de l'agriculture et d'aller vers la libéralisation en vue de l'intégration à l'économie mondiale, Et cela par la mise en place de nouveaux rapports entre l'homme et la terre destinés à améliorer les performances de l'agriculture algérienne. L'Etat algérien est tenu de respecter les paramètres de la concurrence mondiale qui reposent sur la compétence, l'efficience et la qualité. La politique agricole a institué un soutien particulier qui fait participer les agriculteurs au développement national, notamment parmi eux les habitants de campagne. Pour cela, il doit être tenu compte des avis et des ambitions de l'agriculteur ainsi que de leur environnement, comme il faut les faire participer d'une manière générale à toute démarche de développement portant sur le secteur agricole.

Mots clés
renouvellement agricole
agriculteurs
campagne

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

Journal of letters and Social Sciences (JLSS) مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

ما هي الخصائص المحددة لكيفية كتابة عناوين مخطوطات علمية، خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية؟

How to formulate an approprate title for a scientific manuscript, especially in the humanities and social sciences?

أ.د. محمود بوسنه
Pr. Mahmoud Boussena
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر
m_boussena@yahoo.fr

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2024-02-05
تاريخ القبول 2024-03-19

الكلمات المفتاحية
العنوان المناسب
مخطوط
المجلة العلمية المحكمة

ملخص

تتطلب الكتابة العلمية (رسائل جامعية، مخطوطات/أوراق علمية، ملصقات علمية،) مهارات متعددة يمكن تعلمها من خلال التدريب والممارسة. فكل باحث مبتدئ يمكن تحسين مهارته في هذا النوع من الكتابة مع الزمن، بشرط أن ينتبه الى اخطائه وأن يحترم قواعد النشر العلمي وأن يبتعد عن الميل الى السير في الطريق السهل. إن المهارات المتعددة التي تتطلبها الكتابة لهذه المنتوجات العلمية تتصل بكيفية التخطيط والكتابة الخاصة بكل جزء من أجزاء المخطوط/الورقة، الرسالة الجامعية، الملصقات... أي العنوان، المقدمة، المنهجية، الدراسات السابقة، تحليل النتائج والمناقشة والخاتمة. سنتناول في هذه الورقة العلمية كيفية التخطيط وكيفية كتابة عنوان مخطوط علمي موجه للنشر في مجلة علمية محكمة، يكون صالحا ومعبرا وبالتالي مناسبا. حيث تناولنا في البداية أهمية العنوان المناسب، ثم أوضحنا بأن مختلف الرواد الباحثين ينظرون إليه على أنه ليس فقط الواجهة العلمية والإعلامية الأولى لأي مخطوط علمي، وإنما أيضا يساهم في سيرورة قبول أي مخطوط، وبعد النشر يساهم في جذب القراء للمقالات. وقدمنا بعد ذلك عرض وتحليل للنقاط الموالية: أنواع العناوين المختلفة وكيفية التخطيط لكتابة عنوان مناسب وخصائص العنوان المناسب مع خاتمة نبرز فيها الوظيفة الأساسية للعنوان المناسب وضرورة العناية بصياغته.

مقدمة

يعتبر عنوان مخطوط علمي هو الواجهة الأولى علميا وإعلاميا. ولهذا يجب الاهتمام به، وتقديم كل ما يلزم من جهد ووقت وطاقة للوصول إلى صياغة عنوان جيد ومناسب. فالسرعة في صياغة عناوين مخطوطات الأوراق الموجهة للنشر في مجلات علمية محكمة، تعتبر عملية غير مفيدة يجب الابتعاد عنها، لأنها قد تؤدي إلى اقتراح عناوين غير مناسبة وبالتالي ستؤثر بالسلب فيما بعد على فرص النشر.

سنتناول في هذه الورقة بالشرح والتحليل النقاط الموالية: أهمية العنوان المناسب لمخطوط علمي موجه للنشر في مجلة علمية محكمة، وأنواع العناوين الشائعة الاستخدام، وكيفية صياغة العنوان المناسب، وسنقدم في الأخير عرضا للخصائص التي يتميز بها العنوان المناسب. فالهدف الأساسي لهذه الورقة يبقى تقديم عرض مفصل للمعارف المتصلة بكيفية صياغة عنوان مناسب لأي مخطوط علمي موجه للنشر في مجلة علمية محكمة.

1–أهمية العنوان المناسب للمخطوط/الورقة[1] العلمية

يعتبر عنوان المخطوط العلمي من أهم الأجزاء المكونة لهذا المنتوج البحثي؛ حيث أن كل من رئيس التحرير لأي مجلة

1 - **منتوجات النشر العلمي المتصلة بالمقالة العلمية الجيدة هي: 1- مخطوط** Manuscript (النسخة النهائية التي يكتبها المؤلف ويرسلها للنشر تسمى مخطوط أي عمل علمي ما زال لم يخضع بعد لتقييم الخبراء)، 2- **نسخة نهائية قبل النشر** Preprint (النسخة ما قبل النشر لمخطوط قُبل للنشر، محررة من طرف طاقم تحرير المجلة، في العادة ترسل للمؤلف للمراجعة النهائية قبل النشر وهذا لتصحيح كل الأخطاء المطبعية الممكنة أو البيوغرافية الخاصة بالمؤلف)، 3- **ورقة** Paper (الورقة هي أي مخطوط عندما يقبل وينشر فعلا في مجلة محكمة، يصبح ورقة علمية معترف بها).

محكمة يمكن أن يرسل إليها مخطوطا معينا من أجل النشر، والمحكمين الذين سيحكمونه والقراء المحتملين له فيما بعد النشر، سيقرؤون أول شيء العنوان؛ ولهذا يجب الاعتناء بصياغتة بصورة مناسبة وهذا مهما تطلب من وقت وجهد. فالعنوان كما يشير (بح Peh 2008)، يعطي للقراء المقصودين الانطباع الأول عن محتوى المخطوط/الورقة. فإذا كان العنوان غير قادر على جذب انتباه القراء المعنيين وعلى إثارة فضولهم، فمن المحتمل جدا ألا يتموا قراءتهم لبقية المحتوى.

إن إعداد عنوان مناسب أمر هام ومطلوب، حيث يؤكد في هذا الإطار العديد من الباحثين (مثلا تيلو Tullu 2019، وموس (Moss 2004، على ضرورة أن يكون العنوان دقيقا وجذابا وخاصا ومناسبا، وأن يكون بسيطا، ومباشرا، وكلماته واضحة لا لُبس فيها، حيث يكون لديها معنى واحد، وتعبر بصدق على محتوى المخطوط/الورقة البحثية. وزيادة على ذلك يجب أن يكون عنوان أي مخطوط لا هو طويل (حيث يكون من الصعب حفظه)، ولا هو قصير (فيكون غير معبر عن موضوع البحث). إن هذا التنبيه (بالنسبة لطول العنوان) لديه أهمية كبيرة خاصة بالنسبة للمؤلفين في ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك لأن بعض المؤلفين من هذه التخصصات، نجدهم أحيانا يكثرون من المفردات والترادفات في كتابة عناوين مخطوطاتهم وهذا بسبب سيطرة الأسلوب الأدبي في كتابتهم على الأسلوب العلمي.

وفي نفس السياق يوضح (مورقان Morgan 1984) بأن العنوان من وظائفه إفادة القراء المعنيين بموضوع ومحتوى المخطوط/ الورقة، ويقدم لهم بعض الكلمات المفتاحية التي تسهل عليهم عملية البحث عن الورقة واسترجاعها من قواعد البيانات الببليوغرافية. ولهذا عندما يكون عنوان ورقة ما مصاغ بصورة مناسبة سيساعد الباحثين الآخرين إلى الوصول إلى هذه الورقة بسهولة (بهادوران وآخرون Bahadoran et all 2019) والعكس بالعكس صحيح. مع العلم أن محرري العديد من المجلات يرفضون في كثير من الأحيان مخطوط علمي بسبب عنوانه غير المناسب (بفدكار Bavdekar 2016).

ويعتبر سانطوس وسانطوس Santos & Santos (2015) عملية اختيار عنوان (وعنوان فرعي) مناسب أمرا جيدا وأساسيًا لنجاح المخطوط/الورقة البحثية. فالعنوان هو العنصر الأول الذي يمكن أن يجذب انتباه المحررين المحكمين، ويخبرهم بموضوع ومحتوى المخطوط؛ وبالتالي ما إذا كان موضوعه يندرج ضمن اهتمامات المجلة واهتمامات القراء أم لا، ويمس جانب هام أم لا من جوانب ميدان بحث حديث أو قديم. ويعتبر هذا الأمر هاما بالنسبة لهؤلاء، حيث يفيدهم في اتخاذ القرار فيما يخص تخصيص وقت كاف لمواصلة استكشاف وقراءة المخطوط من أجل تحكيمه، أو تخصيص بعض من الوقت فقط. كما أنه من خلال العنوان يمكن استنتاج نوع المخطوط/الورقة، مثلا هل هو عمل بحثي تجريبي أم بحث وصفي أم دراسة نقدية للمعرفة حول موضوع معين ...

ورغم هذه الأهمية الكبيرة لهذا الجزء من المخطوط/الورقة، نجد بعضا من الباحثين لا يهتمون كثيرا بصياغة عناوين مخطوطاتهم، ويعتبرون العنوان جزءا لا يتطلب الجهد والوقت الكبيران لصياغته مثل باقي الأجزاء الأخرى من المخطوط؛ ومن تم قد يصوغون عناوين غير مناسبة تؤدي بعضا منها إلى حدوث عُسر في فهمها أو تضليل في معاني كلماتها. إن هؤلاء الباحثين بطبيعة الحال يمكن أن يتعرضوا إلى العديد من الصعوبات في نشر أعمالهم البحثية.

2–ما هي أنواع العناوين الشائعة

إن تصفح المجلات العلمية المختلفة يدلنا على وجود أنواع كثيرة من العناوين المستخدمة من طرف المؤلفين كواجهة لأوراقهم المنشورة في هذه المجلات. ومن أجل تحديد أنواع هذه العناوين وفهم أحسن للاختلافات فيما بينها، عمل بعض الباحثين المهتمين بالموضوع على تطوير تصنيفات معينة فيما يخص عناوين الأوراق العلمية؛ ففي سنة 2007 كتب هارتلي Hartley ورقة علمية عرض فيها تصنيفًا للعناوين الأكاديمية المستخدمة يتكون من 12 صنفا (عن جوديث Judith 2010)، نذكر من بينها التصنيفات المولية والتي عناوينها:- تعلن عن موضوع عام، أو تعمل على تخصيص موضوع معين، أو تطرح سؤال مراقبة، أو تشير إلى الإجابة على سؤال، أو تشير إلى موقف المؤلف من موضوع معين، أو تؤكد على منهجية بحث معينة، أو تقترح إرشادات أو مقارنات....

وذهبت الجمعية الأمريكية لعلم النفس في دليلها للنشر العلمي سنة (2009) إلى التأكيد على أهمية البساطة والأسلوب في بناء العناوين. وبالنسبة لهذه الجمعية العلمية

فإن أفضل العناوين تكون توضيحية، حيث تحدد بصورة مناسبة المتغيرات الأساسية للمخطوط/الورقة والنظريات والعلاقات فيما بينها؛ وموجزة فلا تزيد عن 12 كلمة (إسقاط الكلمات غير الأساسية والاختصارات من العناوين).

وتجدر الملاحظة إلى أن مراجعة الأدبيات العلمية المتصلة بهذا الموضوع خاصة منها المراجع الحديثة[1]، تبين لنا بأنه يوجد اتفاق واسع فيما بين الباحثين على تصنيف العناوين إلى أربعة أنواع يعتبرونها شائعة الاستخدام (قيسطافي Gustavii 2008، جمالي ونكزاد، Jamali & Nikzad 2011، تيلو2019، بهادوران وآخرون 2019)، وهي: العنوان الوصفي والعنوان التصريحي والعنوان الاستفهامي والعنوان المركب. وفيما يلي نتعرض إلى شرح خصائص هذه الأنواع الأربعة من العناوين.

2–1–العنوان الوصفي

العنوان الوصفي يقدم معلومات حول العناصر الأساسية لموضوع البحث، أي أفراد العينة المشاركين في البحث، التصميم/ منهجية البحث، التدخلات... لكنه لا يكشف عن النتائج الرئيسية المتوصل إليها (جمالي ونكزاد، 2011، بفدكار، 2016)، مما يسمح للقارئ أن يفسر نتائج البحث بعقل متفتح ودون تحيز مسبق. والعنوان الوصفي يعتمد على كلمات رئيسية متعددة تجعله من جهة يقدم معلومات شاملة حول محتوى الورقة، ومن جهة أخرى تجعله يزيد في مستوى حضور Visibility هذه الورقة في محركات البحث، وبالتالي ترفع من فرص قراءتها وتنزيلها والاستشهاد بها (تيلو، 2019)، ولهذا نجد مثل هذه العناوين مفضلة في الأوراق الأصلية عن عناوين الأنواع الأخرى.

وفيما يلي نقدم أمثلة عن العناوين الوصفية:

1-قشي الخير. 2020. **مظاهرات 11 ديسمبر 1960 في سياق التأثير المتبادل بين حق تقرير المصير وتدويل القضية الجزائرية.** مصادر تاريخ الجزائر المعاصر، المجلد 17، العدد 1. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر- الجزائر. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/111166

2-قماز فريدة. 2011. **تحديد الاحتياجات التدريبية أثناء الخدمة لمعلمي الأطفال المعوقين ذهنيا.** مجلة تنمية الموارد البشرية، المجلد 7، صص 123-139. منشورات مخبر تنمية الموارد البشرية- جامعة سطيف2. الجزائر.

3-Boussena M., Corlett N., Pheasant S. 1982. The relationship between discomfort and postural loading at the joint. Journals of Ergonomics, Volume 25, Issue 4, pages 315-322. Francis and Taylor. DOI: 10.1080/00140138208924959.

2–2–العنوان التصريحي

يختلف العنوان التصريحي على الأنواع الأخرى من العناوين بكونه يعلن مسبقا على النتائج الرئيسية، أو الرسالة المراد إيصالها (بفدكار 2016، جمالي ونيكزاد 2011)؛ مما يقلل من فضول المحررين والقراء، لكونه يقدم لهم مسبقا النتائج الأساسية المتوصل إليها أو الرسالة المراد تبليغها. ولهذا من أوجه النقد الموجهة لهذا النوع من العناوين هو أنها قد تشير إلى وجود نوع من التحيز من طرف المؤلف (بهادوريان وآخرون 2019). فالتصريح المسبق للنتائج قد يترك لدى القراء انطباعا مسبقا قبل قراءة الورقة، مفاده أن المؤلف اختار هذا العنوان التصريحي لأن نتائجه قوية جدا وصحيحة ومن المفروض أخذها كما هي. لكن الأجدر في الكتابة العلمية هو التواضع لأن نتائج البحوث العلمية مهما كانت مصداقيتها ودقتها عالية، فإنها تبقى نسبية وليست نهائية ولا تمثل الحقيقة المطلقة. ولتجاوز مثل هذا التحيز ينصح بالابتعاد عن استخدام هذا النوع من العناوين خاصة أن بعض رؤساء التحرير يرفضون استخدام العناوين التصريحية في البحوث التي تقبل للنشر في المجلات التي يشرفون عليها (جمالي ونيكزاد، 2011، بفدكار، 2016).

وفيما يلي نقدم أمثلة عن العناوين التصريحية:

1-عمر هارون الخليفة. 2011. **فروق النوع في الذاكرة السمعية والبصرية بعد التدريب على برنامج العبق(اليوسيماس). الذكور أفضل في الذكاء**

1- تجدر الملاحظة إلى أن أغلبية الأعمال البحثية المنشورة حول موضوع كيفية كتابة ورقة علمية أو جزء من الورقة العلمية نجدها بالإنجليزية وفي المقابل نجد القليل جدا مكتوبا باللغة العربية. مع العلم أن المؤلفين الذين اهتموا فعلا بهذا الموضوع وبالكتابة فيه هم من الباحثين المختصين في العلوم الطبية بالدرجة الأولى ثم المختصين في العلوم والتكنولوجيا ونجد فقط القليل من المختصين في العلوم الإنسانية والاجتماعية ممن ساهموا بكتابتهم في إثراء هذا الموضوع

والاناث في الذاكرة. أفكار وآفاق. المجلد1، العدد2، صص 1-32، منشورات جامعة الجزائر2، الجزائر.

https://www.asjp.cerist.dz/en/article/7958

2-Jackson JB, MacDonald KL, Cadwell J, et all. 1999. Absence of HIV infection in blood donors with indeterminate Western blot tests for antibody to HIV-1. New Engl. Jour. Med. January 25; 322(4). Doi: 10.1056/NEJM199001253220402.

2–3–العنوان الاستفهامي

العنوان الاستفهامي مثل ما يدل عليه اسمه ينتهي بعلامة استفهام؛ حيث يعبر عن موضوع الورقة في شكل سؤال، وهذا ما يجعله أكثر جاذبية، كما أوضح قيسطافي (2008). ويذهب هذا المؤلف إلى أن هذا النوع من العناوين يكون مناسبا أكثر للأوراق التي تهتم بمراجعة الأدبيات العلمية حول موضوع معين، حيث تتم مناقشة الجوانب الخلافية للرد على السؤال المطروح في العنوان. وتجدر الملاحظة إلى أنه عندما يكون العنوان استفهاميا فإنه يضفي طابعًا دِرَامِيًّا على موضوع الورقة مما يؤدي إلى الزيادة في عدد القراءات والتنزيلات لمثل هذه الأوراق، لكن قد يؤدي إلى عدد أقل من الاستشهادات (باهدوران وآخرون، 2019، وجمالي ونيكزاد، 2011). وفيما يلي نقدم أمثلة عن العناوين الاستفهامية:

1-بوسنه محمود. 2020. **كيف نبدأ وكيف ننتهي من كتابة ورقة علمية للنشر في مجلة علمية محكمة؟** مصادر تاريخ الجزائر المعاصر، المجلد 17، العدد 1. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر- الجزائر.

https://www.asjp.cerist.dz/en/article/111173

2- حارش محمد. 2011. **ثجماعت في منطقة القبائل. مجلس العرش أو مجلس القرية؟** أفكار وآفاق. العدد1، المجلد 1، منشورات جامعة الجزائر2- الجزائر.

https//:www.asjp.cerist.dz/en/article7833/

2–4–العنوان المركب

العناوين المركبة تتكون من عنوانين، الأول رئيسي أساسي والثاني فرعي مكمل؛ مع العلم أن العنوان الأول يكون مستقلا عن الثاني ويفصل بين العنوانين بنقطتين. تُستخدم هذه الأنواع من العناوين من أجل تقديم معلومات إضافية حول محتوى الورقة (مثلا، حول تصميم الدراسة أ والنطاق الجغرافي أو الزمني للبحث) (بفدكار، 2016). وتعتبر هذه العناوين مناسبة للعديد من الدراسات خاصة وأن أوراقها تبدو أكثر جاذبية ويقل احتمال رفضها (فيلار 2017 عن بهادوران وآخرون، 2019).

وفيما يلي نقدم أمثلة عن العناوين المركبة:

1-القورصو محمد. **التاريخ، الذكرة والسياسة: سطو فرنسا على التاريخ، حالة الجزائر (1830-2009).** أفكار وآفاق. المجلد1، العدد1، منشورات جامعة الجزائر2-الجزائر.

https//:www.asjp.cerist.dz/en/article7831/

2-منصوري عمار. **التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية: إرث استعماري مسموم في الصحراء وثقيل على الجزائر.** مصادر تاريخ الجزائر، المجلد 22، العدد1، صص 9-45. منشورات منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر- الجزائر.

https//:www.asjp.cerist.dz/en/article111165/

3-Boussena Mahmoud, Tiliouine Habib. (2015). Children's rights in Algeria: History, achievements and research evidence. Journal Global Studies of Childhood. V5, Issue 2, PP 132145-, Sage publications.

https://www.deepdyve.com/lp/sage/children-s-rights-in-algeria-history-achievements-and-research-oocpWqB1qy?key=sage

وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد أنواع أخرى من العناوين تستخدم الغموض أو الفكاهة أو ما شابه ذلك، من أجل إثارة فضول القراء وجذب انتباههم. ويعتبر تواجد هذه الأنواع من العناوين، في فهارس المجلات العلمية مقارنة مع الأنواع الأربعة المعلن عنها أعلاه قليل، وهي تعبر بالأساس عن أسلوب خاص ببعض المؤلفين فيما يخص الكتابة العلمية. وفي هذا الإطار يمكننا أن نقول بأن العنوان الوصفي يعتبر هو الأكثر استخداما كواجهة للأوراق العلمية المنشورة والأكثر تزكية من طرف المؤلفين والمحررين ونجد في المقابل العنوان التصريحي هو الأقل من حيث الاستخدام وهذا قد يعود إلى وجود تنبيهات للباحثين من طرف عدد من المحررين والمؤلفين، مفادها أنه من الأحسن الابتعاد عن استخدم مثل هذا النوع من العناوين إلا عندما تكون النتائج واضحة وقوية (بهادوران وآخرون 2019، بفدكار 2016).

3–كيفية التخطيط لكتابة عنوان مناسب

يجب التنبيه من البداية إلى أن العنوان رغم أنه هو الجزء الأول من الورقة، إلا أنه يكتب في صورته النهائية بعد كتابة الملخص وبالتالي بعد الانتهاء من كتابة المخطوط. وبطبيعة الحال، الباحث عندما تتضح في ذهنه معالم مخطوط ما يريد نشره، قد تكون لديه فكرة عن العنوان الذي يمكن أن يكون لهذه العمل البحثي؛ لكنها فكرة فقط، قد يكون العنوان الفعلي فيما بعد يختلف تماما عن هذه الفكرة الأولية.

ويتفق الباحثون (مثلا تيلو، 2019، بفدكار، 2016، وبهادوران وآخرون2019) على أنه من المفيد اتباع خطوات متدرجة لصياغة العنوان المناسب لورقة علمية معينة. وفي ما يلي نقدم هذه الخطوات في صورتها التدرجية من واحد إلى خمسة:

1. وصف محتوى الورقة في 2-3 جمل وهذا باستخدام الكلمات المفتاحية،
2. تلخيص هذه الجمل وذلك بحذف كل الكلمات غير الأساسية،
3. كتابة المحاولة الأولى للعنوان بناء على هذه الجمل المنقحة،
4. مراجعة وتدقيق المحاولة الأولى للعنوان،
5. التحقق من أن العنوان أصبح غنيا بالمعلومات، وأنه جذاب، ودقيق وواضح وفريد من نوعه.

يبدو واضحا من خلال ما سبق أنه في المرحلة الأولى نعمل على وصف محتوى الورقة دون ذكر النتائج وهذا من خلال 3-2 جمل (تيلو2019). وبعد ذلك في الخطوة الثانية نعمل على تكوين جملة واحدة فقط (متناسبة من حيث الطول) تكون مفيدة وخالية من الأخطاء، وهذا من خلال الاعتماد على الكلمات المفتاحية المختارة وحذف كل الكلمات غير الأساسية. في المرحلة الثالثة نكتب المحاولة الأولى للعنوان وهذا بالتأكد من أن الكلمات المفتاحية الموجودة في العنوان هي نفسها الموجودة في الملخص والمقدمة والمناقشة (زيجر Zeiger 2000 ، عن بهادوران وآخرون 2019). وفي المرحلة الرابعة تتم مراجعة هذا العنوان الأولي، وأخير في المرحلة الخامسة والنهائية، يعمل الباحث على التحقق من أن العنوان الذي توصل إلى صياغته غنيا بالمعلومات المفيدة حول محتوى الورقة وكاف، وجذاب للقراء ودقيق لا يوجد به أية كلمة غير أساسية، وكل كلماته واضحة ومفهومة من جميع القراء المقصودين والمحتملين، وفريد من نوعه، حيث إنه ليس تقليدا لأي عنوان سابق.

6–خصائص العنوان المناسب

يقدم لنا الجدول (1) حوصلة للخصائص التي يتميز بها العنوان المناسب، والتي يتفق حول أهميتها العديد من المؤلفين الذين ساهموا بأعمالهم البحثية في إثراء هذا الموضوع، مثلا (موس 2004، جمالي ونكزاد 2011، بفدكار 2016، بهادوران وآخرون 2019، تيلو 2019).

جدول (01): صفات العنوان المناسب

صفات العنوان المناسب	شرح معنى هذه الصفات
1-يكون العنوان غنيا بالمعلومات وشامل لمحتوى المخطوط/الورقة	**أولا:** تكون المعلومات التي يقدمها العنوان أساسية وكافية ومحددة، **ثانيا:** يُستخدم في العنوان كلمات مفتاحية واضحة لا لبس فيها ودقيقة ومباشرة تجعل العنوان جذابا، **ثالثا:** يكون العنوان خاليا من المصطلحات الغامضة والمعقدة والمسلية والغريبة، **رابعا:** يكون العنوان خاليا من معلومات حول مكان الدراسة إلا في حالة تقديم إضافات مهمة تزيد في قيمة الورقة مثلا عندما تكون الدراسة إقليمية أو وطنية أو عالمية أي مجموعة من البلدان)، **خامسا:** تحذف من العنوان كل الكلمات غير الضرورية، **سادسا:** تكون المعلومات التي يقدمها العنوان مكتوبة بلغة صحيحة وخالية من الأخطاء.
2-يكون العنوان خاليا من النتائج	- يكون العنوان خاليا من معلومات حول نتائج الدراسة (إلا في حالة العنوان التصريحي). وهذا حتى نحافظ على تواضعنا كباحثين وعلى فضول القراء.
3- يكون طول العنوان مناسبا	- يجب ألا يكون العنوان طويلا جِدًّا، بحيث يتميع المعنى المقصود أو الرسالة المراد توصيلها، أو قصيرا جِدًّا بحيث لا يقدم محتوى الورقة بصورة كافية. يجب الوصول إلى عنوان مناسب لا هو طويل ولا هو قصير، ويقترح بعض المؤلفين أن يكون عدد كلمات العنوان فيما بين 10-15 كلمة.
4-يكون العنوان خاليا من الاختصارات	- يجب أن يكون العنوان خاليا من الاختصارات باستثناء تلك التي يتم التعرف عليها بسهولة، وذلك لأنها يمكن أن تشوش على فهم الكثير من القراء كما أنها يمكن أن تخلق بعض المشاكل فيما يخص فهرسة المقال.
5- يكون العنوان خاليا من القيم الرقمية لوسائط البحث (مثل حجم العينة وفترة الدراسة)	- يجب أن يكون العنوان خاليا من القيم الرقمية لبعض وسائط البحث (حجم العيبة او فترة الدراسة)، إلا في الحالات الضرورية والتي تعطي قيمة أكثر للورقة مثلا عندما يكون حجم العينة كبيرا جدا.
6- يكون العنوان متوافقا مع قواعد النشر للمجلة المراد النشر بها	- يجب على المؤلفين عند صياغة العنوان الالتزام بالتعليمات المحددة من طرف المجلة الهدف (المراد النشر بها) فيما يخص عدد الكلمات ونوع أو أنواع العناوين المفضلة (في حالة وجود مثل هذه التوجيهات)، وهذا من أجل الحفاظ على كامل فرص النشر.
7- صياغة العنوان تحتاج إلى جهد ووقت معتبرين	- إن الصياغة السريعة للعنوان لا فائدة منها، بل قد تؤدي إلى صياغة عناوين غير مناسبة، يكون لها تأثير سلبي على عمليات النشر، - إن صياغة عنوان مخطوط ورقة يتطلب جهدا ذهنيا كبيرا ووقت يكون مناسبا لسيرورة الصياغة (خمس خطوات).
8- تبدأ سيرورة صياغة العنوان (فعليا) بعد كتابة ملخص الورقة	- رغم أن المؤلف قد تكون لديه فكرة من البداية عن العنوان الذي سيصغه فيما بعد لمخطوط شرع أو عازم على الشروع في كتابته، إلا أن الصياغة الفعلية للعنوان تكون من المفروض بعد الانتهاء من كتابة ملخص هذا المخطوط، وذلك حتى يمكن أن يكون العنوان غنيا بالمعلومات وشاملا لمحتوى المخطوط ويحترم مختلف الخصائص المهمة التي يتميز بها العنوان المناسب.

خاتمة

تعتبر عملية صياغة العنوان المناسب لمخطوط ورقة علمية، عملية مهمة تتطلب التدرج والتأني في التحرير من جهة والجهد الذهني الكبير من جهة أخرى؛ وذلك لأنه الواجهة العلمية والإعلامية للورقة. إن الوظيفة الأساسية للعنوان المناسب هي إخبار القراء عن محتوى الورقة بصورة واضحة ودقيقة وشاملة؛ وهذا بهدف تحقيق الإثارة اللازمة لجذب القراء إلى بذل المزيد من الجهد لمواصلة قراءة الملخص ثم باقي أجزاء الورقة. فالعنوان المناسب يساهم في الرفع من تنزيلات واستشهادات الورقة، ولهذا نجد العديد من المؤلفين ورؤساء التحرير يؤكدون على ضرورة العناية بصياغة عناوين المخطوطات الموجهة للنشر.

المراجع

1- American Psychological Association [APA]. (2009). Publication manual of the American Psychological Association (6th ed.). Washington, DC: Author

2- Bahadoran Z, Mirmiran P, Khasfi K, and Ghasemi A. (2019). The principals of biomedical scientific writing: the title. Int. j Endocrinol Metab. Octobre; 17(4). Doi: 10.5812/ijem.98326.

3- Bavdekar SB. (2016). Formulating the right title for a research article. J Assoc Physicians India. 64(2):53–6. [PubMed: 27730781].

4- Jamali HR, Nikzad M. (2011). Article title type and its relation with the number of downloads and citations. Scientometrics. ; 88(2):653–61. doi : 10.1007/s11192-011-0412-z.

5- Judith c hays. (2010). Eight Recommendations for Writing Titles of Scientific Manuscripts. Public Health Nursing Vol. 27 No. 2, Wiley Periodicals, Inc. doi: 10.1111/j.1525-1446.2010.00832.x

6- Gustavii B. (2008).Title, in How to write and illustrate a scientific paper. Cambridge University Press. doi: 10.1017/cbo9780511808272.010.

7- Morgan PP, Baker G. (1984). Writing the right title. Can Med Assoc Jour.; 131(10):1180. [PubMed: 20314465].

8- Moss F. (2004). Titles, abstracts, and authors. In: Hall GM, editor. How to Write a Paper, 3rd ed. New Delhi: Byword Viva Publishers Private Limited.

9- Peh WC, Ng KH. (2008). Title and title page. Singapore Med Jou. ; 49(8):607–8. [PubMed: 18756341]

10- Tullu MS. (2019). Writing the title and abstract for a research paper: Being concise, precise, and meticulous is the key. Saudi J Anaesth. 13: S12–7. doi: 10.4103/sja.SJA_685_18.

how to formulate an approprate title for a scientific manuscript, especially in the humanities and social sciences?

Abstract

The Scientific writing of university theses, scientific manuscripts/articles, scientific posters, etc. requires multiple skills that can be acquired by training and practice. All the researcher beginner can develop their skills in this type of writing over time, provided they are attentive to their errors, respect the rules of scientific editing, and do not tend to take the easy way out. The multiple skills required by the writing of these scientific products are linked to the way of planning and writing each part of the manuscript/article, thesis, posters etc., that is to say the title, the introduction, the methodology, the previous studies, analysis of results, discussion and conclusion. In this scientific article, we discussed how to plan and write a title of a manuscript intended for publication in a peer-reviewed scientific journal, which should be valid, expressive, and therefore appropriate. At the beginning, we discussed the importance of what is an appropriate title. Showing that various pioneering researchers consider it to be not only, the first scientific and informational interface for any manuscript, but it contributes also to the manuscript acceptance process and helps in attracting readers after the publication of any manuscript. Then, we presented and analyzed the following points: the different types of appropriate titles, how to plan the writing of an appropriate title, what are the characteristics of an appropriate title, and in the conc0lusion we emphasize the fundamental function of an appropriate title and the need 00to take care of its formulation.

Keywords
Appropriate title
manuscript
peer-reviewed scientific journal

Comment formuler des titres appropriés pour des manuscrits scientifiques, notamment en sciences humaines et sociales?

Résumé

La rédaction scientifique (thèses universitaires, manuscrits/articles scientifiques, posters scientifiques,...) requiert de multiples compétences qui s'acquièrent par la formation et la pratique. Tout chercheur débutant peut développer ses compétences concernant ce type d'écriture au fil du temps, à condition qu'il soit attentif à ses erreurs, qu'il respecte les règles de l'édition scientifique et qu'il n'ait pas tendance à emprunter la voie de la facilité. Les multiples compétences requises par la rédaction de ces produits scientifiques sont liées à la manière de planifier et de rédiger chaque partie du manuscrit/article, thèse, poster…, c'est-à-dire le titre, l'introduction, la méthodologie, les études antérieures, l'analyse des résultats, la discussion et la conclusion. Dans cet article scientifique, nous discuterons de la manière de planifier et de rédiger un titre d'un manuscrit destiné à être publié dans une revue scientifique à comité de lecture, qui soit valide, expressif et donc approprié. Au début, nous avons discuté de l'importance du titre approprié, en montrant que divers chercheurs pionniers le considèrent none seulement, comme la première interface scientifique et informationnelle pour tout manuscrit mais aussi, il contribue au processus d'acceptation des manuscrits et à l'attirance des lecteurs après la publication de tout manuscrit. Ensuite, nous avons présenté et analysé les points suivants : les différents types de titres appropries, comment planifier l'écriture d'un titre approprié, quels sont les caractéristiques d'un titre approprié, et pour conclure nous avons présente une conclusion dans laquelle nous soulignons la fonction fondamentale d'un titre approprié et la nécessité d'en prendre soin de sa formulation.

Mots clés
Titre approprié
manuscrit
revue scientifique à comité de lecture

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

الحِراك السياسي والثقافي الجزائري مع مطلع القرن العشرين

The Algerian political and cultural movement at the beginning of the twentieth century

د. نصيرة براهمي
Dr. Brahmi Nassira
جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر
brahmitebessa@yahoo.fr

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2021-06-10
تاريخ القبول 2024-02-25

الكلمات المفتاحية
الإصلاح
الحِراك
التجنيس
النخبة
الصحافة

ملخص

طبقت فرنسا سياسة استعمارية عمدت من خلالها إلى القضاء على الوجود المادي والفكري للجزائريين، كرست الاستيطان واتبعت سياسة جائرة أدت إلى تقهقر الأوضاع في جميع المستويات، وأهم شيء ركزت عليه هو القضاء على التعليم العربي وتجهيل الجزائريين كما عملت على محاربة الإسلام من خلال القضاء على المساجد ومصادرة أملاك الأوقاف وتنصير الجزائريين، مع بدايات القرن العشرين ظهر بالجزائر حِراك سياسي وثقافي ركز على الدعوة إلى تنقية الإسلام من الشوائب التي لحقت به وتجلى ذلك في نشأة مجموعة المحافظين والتي نادت بتشجيع التعليم العربي والحفاظ على مقومات الشخصية العربية الإسلامية، رفضت التجنيد الإجباري والتجنيس، كما ظهرت كتلة النخبة تمثلت في خريجي المعاهد الفرنسية طالبت بالإدماج والمساواة، كما تم في هذه الفترة طبع بعض الأعمال التاريخية السابقة، أسس المثقفون جمعيات ثقافية أعتبرت كمنابر للمناقشات والفكر فضلا عن تأسيسهم للصحافة الجزائرية حاربوا من خلالها البدع والخرافات ونشروا الوعي السياسي؟

مقدمة

بحلول القرن العشرين تمكنت فرنسا من إحكام قبضتها على الجزائر في مختلف الميادين لاسيما بعد إخفاق جميع المقاومات المسلحة لافتقارها الشمولية، التنسيق والتنظيم، ولطبيعة الاستعمار عسكري إستيطاني دعت فرنسا الأوروبيين لاسيما أبناء جلدتها للقدوم للجزائر والاستيطان بها، ولقد إعتبرت منذ البداية الجزائر قطعة فرنسية وأصدرت عدة مراسيم تخدم هذا الطرح أبرزها مرسوم الإلحاق جويلية 1834 ومرسوم أفريل 1845 الذي قسم الجزائر إلى 03 عمالات تدمج شؤونها في الوزارات الفرنسية. كرست الوسائل العسكرية، المادية، البشرية والقانونية لتثبيت قدمها بالجزائر، كما سنت من القوانين ما يخول لها السيطرة على الجزائريين وتقييد حرياتهم والاستيلاء على ممتلكاتهم، مست هذه التشريعات حق الملكية، الحريات والحقوق الشخصية وإتبعت سياسة الأرض المحروقة، صادرت أراضي الجزائريين عملت على تجزئة ما تبقى منها والتي كانت معظمها أراضي عروش لتسهيل نقل ملكيتها إلى المستوطنين، وهجرت أصحابها إلى المناطق النائية والمعزولة، ومنحت الخصبة منها للمعمرين، أثقلت كاهل الجزائريين بكثرة الضرائب، كما مارست القمع عن طريق القوانين الاستثنائية (قانون الأهالي)، بدخول القرن العشرين أصبح المعمرون هم أهل العقد والحل، إستولوا على الوظائف العامة والمهن الحرة، إحتكروا التجارة ورؤوس الأموال وسيطروا على البلديات بواسطة التمثيل النيابي وإستفردوا بميزانية الجزائر من خلال قانون 1900.

ولأن الاستعمار الفرنسي بالجزائر كان له دوافع دينية في إطار الحملة الأوروبية الصليبية قام الجيش الفرنسي منذ البداية بهدم المساجد وتحويل بعضها إلى كنائس وإسطبلات وثكنات، فضلا على إغلاق المدارس ومحاربة اللغة العربية ومصادرة أملاك الأوقاف، وجهود تنصير الجزائريين وأصدق مثال على ذلك حملات الكاردينال لافيجري 1863 – 1870. أدى تطبيق السياسة الكولونيالية إلى تقهقر أوضاع الجزائريين على جميع الأصعدة، إنتشار الفقر، الأوبئة، الجهل، تفشي الخرافات والبدع، إنحراف الطرقية، الركود

والجمود والتحنيط للفكر الإسلامي مما توجب أن يظهر حراك سياسي وثقافي كردة فعل على هذا الواقع المتدني و يقصد به في هذه الدراسة محاولات التجديد وإصلاح ما أفسده التخلف والجهل والتقاعس عن أداء المسؤولية، والتطرق إلى إنبثاق الوعي والدخول في معترك الحضارة والعمل على بعث روح ديننا الحنيف في مواجهة الحضارة الغربية الغازية بجيوشها وأفكارها، نقصد به أيضا الإسهام في التقدم مع الحفاظ على الهوية الإسلامية.

كما نعني به أيضا ذلك الأثر الناتج عن المواجهة بين عالم إسلامي يعاني التخلف والانحطاط وينهكه الفساد والاستبداد وعالم أوروبي تتحرك في ركابه حضارة مادية متطورة ولديه ثورة صناعية، سياسية، إجتماعية، فكرية.

تأخر ظهور الإصلاح في الجزائر المستعمرة بسبب العزلة الشديدة التي فرضتها الوسائل والأساليب الكولونيالية العسكرية، التشريعية، المادية وغير ذلك والتي كانت جميعها تهدف إلى إنغلاق الفرد الجزائري على نفسه وقطع كل رابطة بينه وبين العالم الإسلامي.

في هذا المضمون نطرح الإشكالية التالية: ظهر بالجزائر مع بداية القرن العشرين حِراك سياسي وثقافي هدف إلى تغيير جميع الأوضاع المتردية والفاسدة والخروج من الجمود والتحنيط للفكر الإسلامي أمام نهضة الغرب، فما هي ظروف وأسباب نشأته ؟ وما هي أهم مظاهره؟ و إنعكاساته ؟.

- للإجابة على هذه الأسئلة تم إستخدام المنهج التاريخي التحليلي الموضوعي والمنهج التاريخي السردي المناسب لطبيعة الدراسة.

- حدود الدراسة: الإطار المكاني هو الجزائر المستعمرة، أما الإطار الزماني فهو 1900 – 1927 فترة مهمة جدا في تاريخ الجزائر تميزت بسيطرة وهيمنة المعمرين على جميع المجالات، تدهور أوضاع الجزائريين، تطور جديد رغم انه محتشم جدا (الحراك السياسي والثقافي).

1–ظروف وأوضاع نشأته

1–1–الأوضاع السياسية

عملت فرنسا جاهدة على تطبيق سياسة الدمج والفرنسة ولأجل ذلك سنت الكثير من القوانين منها قانون الإدماج الذي أصدرته في 22 جويلية 1834، ينص على أن الجزائر قطعة فرنسية، ثم سلسلة القرارات المتخذة بعد ذلك، منها القرار الذي ينشئ منصب حاكم مدني وقرار آخر يلحق الجزائر مباشرة بفرنسا بواسطة دمج شؤونها بمختلف الوزارات بالحكومة الفرنسية في باريس(سعد الله. 1992)

ولقد كان للمستوطنين سلطة كبيرة على الحكومة الفرنسية، ورغم ما إستفادوا منه بعد تهجير الأهالي وسياسة الاستيطان إلا أنهم لم يكتفوا حتى إستصدروا قانون 15 أفريل 1845 الذي قسم الجزائر إداريا إلى 03 عمالات بدل 03 نواحي عسكرية وهذا مكنهم من صلاحيات أكثر ضمن البلديات، ثم دستور 1848 والذي منح فرنسيي الجزائر حقوق تمثيلية في المجالس الفرنسية وحق إنتخاب ثلثي أعضاء المجالس البلدية في الجزائر (فركوس، 2003، ص ص 224-225).

ثم تشريع نابليون (السانتو كونسولت) في 14 جويلية 1865 (Andre Julien.(2005). P467)، والذي بموجبه أصبح الجزائريين لا جزائريين وطنيين ولا مواطنين فرنسيين(هشماوي. (2010). ص 18)، عملت فرنسا على ترسيخ سياسة الدمج، وهو ما يعني من منظور كتابها وأعلامها جعل الجزائريين يتمتعون بجميع الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون داخل بلادهم وخارجها لكن الدمج عمليا كان مجرد طعم لاجتذاب النخبة وتوظيفها لشق وحدة الصف الجزائري وطمس مقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية(بن مزوز. (2010). ص 24).

فرض التجنيد الإجباري على الشباب الجزائري سنة 1912(Crochet , Piouffre.(2007). P 43) بمقتضى مرسوم 03 فيفري (قداش.(2008). ص 252) باعتبارهم رعايا فرنسيين (إبن العقون.(1984). ص 33)، وألزم الشباب الجزائري بالخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي(Saadallah.(1983). P71)، أنشأ هذا القانون صراع فكري وعملي وكان سببا في تصريحات متناقضة، فنجد مثلا أن النواب والأعيان والمثقفون ثقافة فرنسية (الشبان الجزائريون) قبلوا قانون التجنيد مقابل بعض الإصلاحات منها المساواة، في حين رفضه باقي الجزائريين، ومن الشخصيات البارزة التي رفضته عمر راسم الذي كان يكتب المناشير ويعلقها على الجدران،و الشيخ عبد الحليم بن سماية حيث صرح أمام المجلس البلدي بالرفض المطلق للتجنيد، أيضا الصحافي عمر بن قدور في مقالة عنوانها: « مسألة تجنيد مسلمي الجزائر»(- قنانش، قداش. (د.ت). ص ص 14-15).

كما إكتسى رفض هذا القانون أشكال مختلفة كالهجرة إلى بعض البلدان الإسلامية مثال الحجاز، سوريا، وتركيا وتنظيم المظاهرات وإرسال الوفود إلى باريس للاحتجاج لدى الحكومة الفرنسية، والهجوم على الفرق العسكرية المكلفة بالتجنيد، ورغم أن النخبة المثقفة قبلت مبدأ الخدمة العسكرية إلا أنها اشترطت بالمقابل منح الجزائريين الحقوق السياسية والمدنية سواسية مع المعمرين ، وهذا ما رفضته فرنسا، وتحول هذا الغضب إلى انتفاضة بني شقران بضواحي معسكر سنة 1914، ثم انتفاضة الأوراس نوفمبر 1916، وإمتدت ثورتهم حتى الصحراء ودامت عدة أشهر، ووفق مرسوم التجنيد الإجباري شارك أكثر من 100.000 جزائري في الحرب العالمية الأولى 1914-1918، وبلغت حصيلة القتلى في صفوف الجزائريين 19074 و 72035 جريح و 8779 معطوب (عمورة، دادوة.(د.ت). ص ص 298-299)، وهكذا مات من الشباب الجزائري في حرب لا تعنيه (هشماوي.(2010). ص 23).

سيطر المعمرون وقد كان المراد من سياسة الاستيطان تماشيا مع سياسة الإدماج أن تيسر تكاثر الأوروبيين تدريجيا للتغلب على الجزائريين، حيث إعتقد المستعمر أن الظروف الجهنمية المفروضة على الجزائريين قد تؤدي إلى فنائهم (Mahses. (1979). P p 33-34).

وقد عرفت حركة الاستيطان توسعا كبيرا خلال القرن التاسع عشر (ضيف الله. (2013). ص 26) ففي سنة 1832 كان عدد المستوطنين 5000 مستوطن ليصعد في فترة وجيزة إلى 25000 مستوطن، وبين 1840 و1845 تأسست مراكز الاستيطان(يعتبر الجنرال كلوزيل من أكبر مشجعي الاستيطان. أنظر: ضيف الله. (2013). ص 26) في الساحل ومتيجة وسهول وهران وعنابة وسكيكدة، ليبلغ عدد المعمرين 110.000 سنة 1846 و200.000 سنة 1866 و344.000 سنة 1876.

بلغ عدد المستوطنين 752.000 مستوطن سنة1911، لاسيما بعد صدور قانون التجنس الأوتوماتيكي، أنشأت السلطات الاستعمارية أزيد من 400 قرية إستيطان، وعبدت لهم الطرق وأنشأت لهم السكك الحديدية و مختلف المرافق الضرورية ومنحتهم القروض...أما الإطارات الجزائرية فإضمحلت حتى أصبح المعمرون هم أصحاب العقد والحل وإستولوا على الوظائف العامة والمهن الحرة، وإحتكروا التجارة ورؤوس الأموال، وسيطروا على البلديات من خلال التمثيل النيابي، وهيمنوا على المحاكم بصفتهم محلفين، وإستفردوا بميزانية الجزائر من خلال قانون 1900 الذي أقر الاستقلال المالي للجزائر(عباس. (د.ت). ص ص 95-97، ص 101).

1–2–الأوضاع الاجتماعية

طبقت فرنسا سياسة الأرض المحروقة (سعد الله. (1992). ص 22)، أَجْلَتْ القبائل من أراضيها وضمت مساحاتها إلى أملاك الغابات(عباس. (د.ت). ص 106)، عمدت إلى تفقير الجزائريين (بن مزوز. (2010). ص 30)، دمرت القرى والمدن وردمت العيون والآبار، وجردت أصحاب الأملاك من ممتلكاتهم ومنحتها للمعمرين، وهجرتهم إلى المناطق النائية، إستولت على الأوقاف وعلى الممتلكات العامة، حيث قال بيجو: « حيثما وجدت مياه غزيرة وأراضي خصبة، يجب أن يقيم المستعمرون الأوروبيون دون الاهتمام بمن يمتلك هذه الأرض»(بوقرة. (2009). ص110)، شددت الخناق عليهم وأثقلت كاهلهم بالضرائب(سعد الله. (1992). ص 87).

كرست فرنسا سياسة الاستيطان حتى بلغ عدد المستوطنين عُشر عدد الجزائريين والذين سيطروا على جميع الأنشطة الاقتصادية، وشكل الجزائريون الطبقة العاملة الكادحة بأجور زهيدة وحقوق معدومة وظروف شاقة تنعدم فيها أدنى مراعاة وإحترام لحقوق العامل أو الاجير(بن مزوز. (2010). ص 32).

واصلت فرنسا تنصير الجزائريين وعملت على تشجيع المحرمات وتعميم الفواحش والمنكرات لقتل القيم الفاضلة التي تربى عليها الجزائريون، وجندت لتطبيق هذا الأمر ضعفاء الإيمان من رجال الطرقية الذين إستحوذت عليهم شهوات الدنيا، فنشروا الأساطير والبدع ونسبوها إلى العلماء والصالحين (بوقرة. (2009). ص 110)، وساد الجهل والخرافات كما سيطر المرابطون على عقول الناس (سعد الله. (1992). ص 56).

لقد كان الاستعمار الفرنسي للجزائر عسكري وقانوني، حيث سن القوانين التي تكرس وجوده، فنذكر مرسوم الفاتح أكتوبر 1844 المتعلق بعقد الملكية، ومرسوم 1851 المتعلق بالتجمع، وكذا قانون البحث في الملكية 1853(عباس. (د.ت). ص ص 93-94).

قانون الأهالي صدر بعد فشل ثورة 1871 وتم توسيعه بعد ثورة1881 (سعد الله. (1992). ص ص 87-88)، وهو يمثل ذروة

الإجحاف(هشماوي. (2010). ص 19).

قانون 1873 يتجاهل ما يفرضه نظام العروش من عدم تجزئة الأرض (الميلي. (1980) ص ص 39-40).

قرار 18 أكتوبر 1892 أوجب الحصول على رخصة لفتح مدرسة عربية (بوصفصاف. (د.ت). ص 47)

قانون المحاكم الرادعة وهو جملة إجراءات تعسفية سُنت بعد ثورة عين الترك 1901 وثورة عين بسام 1906 (سعد الله. (1992). ص 62).

بلغ عدد الأوروبيين 536 ألف نسمة حسب إحصائيات 1896 أما الجزائريون ستة ملايين تعرضوا لعدة مجاعات(عباس. (د.ت). ص ص 111-112، ص 105) تلتها أوبئة قاتلة(روبير اجيرون. (د.ت). ص 101)، إنتشر الفقر والعوز بين الجزائريين فاتجهوا للعمل لدى المعمرين كيد عاملة رخيصة جدًا (قداش. (2008). ص 229)، وانتقل مركز النشاط إلى الوسط الحضري بسبب تفكك البنيات الريفية وتفقير الفلاحين (محساس. (د.ت). ص 43)، ساد الجهل نتيجة القضاء على الجمعيات الخيرية وغلق المرافق التي كانت تقدم خدمات تعليمية (عباس. (د.ت). ص 105)، ولقد أدى القمع الفرنسي وتردي الأوضاع إلى هجرة الجزائريين إلى فرنسا أو المشرق بحثا عن حياة أفضل (عمامرة. (2012). ص 51).

1–3–الأوضاع الدينية

ضمن برنامج تنصير الجزائريين هدم الفرنسيون الكثير من المساجد وحولوا بعضها إلى مستشفيات عسكرية أو مستودعات (سعد الله. (1992). ص 82) بهدف الحط من قيمة وقداسة الإسلام، لقد مثلت الأوقاف في الجزائر عشية الاحتلال نسبة 66% من الأملاك العقارية والزراعية، تنبهت لها فرنسا ولدورها، فسنت القوانين التي خولت الإستلاء عليها منها قرار 7 ديسمبر 1830 والذي مكنها من التصرف في أملاك الأوقاف بالتأجير والتمليك (زيلوخة. (2009). ص ص 92-93). هدفت فرنسا منذ البداية إلى تنصير الجزائريين (عمامرة. (2012). ص 65)، وإعتمدت عدة أساليب نذكر منها الخدمات الاجتماعية والتعليم والتطبيب وشراء الأراضي لبناء قرى عربية مسيحية (يسلي. (2007). ص 137)، ولإنجاح مخطط التنصير وفرق تسد زعمت أن سكان القبائل ينحدرون عن الغول « Gaulois» والرومان والبربر المسيحيين وسعت إلى تغيير دينهم وإعتناقهم المسيحية، وهذا ما يفسر الحملات التي قام بها لافيجري من 1863-1870، سمحت لهم بالاحتفاظ بأعرافهم واستغنت في منطقتهم عن القضاء الإسلامي، وإهتمت بالدفاع عن قوانينهم ضد الشريعة الإسلامية واحتفاظ البلاد بزعمائها الخاصين «الأمناء» وبنظام ضرائبها التقليدي، وتشجيع إستعمال اللهجات القبائلية (روبير أجيرون. (د.ت). ص 108)، منعت اللغة العربية في بلاد القبائل وسُمح فقط فيها بالأمازيغية والفرنسية وحضر على العلماء المسلمين زيارتها.

لما صدر قانون فصل الدين عن الدولة 1905 سرى ذلك فقط على ديانتي اليهودية والمسيحية، أما الإسلام فكان الوالي العام الفرنسي في الجزائر هو الرئيس الأعلى للمسلمين في الأمور الدينية (عمامرة. (2012). ص ص 69-70)، بالغت السلطات الفرنسية في التدخل في الشؤون الدينية فكانت الأعياد والحج تتطلب الحصول على رخصة من إدارتها (قداش. (2008). ص ص 233-234)، حاصرت القضاء الإسلامي ليصل الأمر إلى حصر إختصاصه في الأحوال الشخصية (بوقرة. (2009). ص 94) كما أبطلته في منطقة القبائل (روبير اجيرون. (د.ت). ص 108)، وعليه تغير القضاء في الجزائر (بوقرة. (2009). ص 95) وكل هذا تمهيدا لعملية المسخ والتذوي(الميلي. (1980). ص 40).

لعبت الطرق الصوفية دورًا هامًا في مقاومة الاستعمار حتى مطلع القرن العشرين، وفي تعليم القرآن الكريم (بلاح. (2006). ص ص 333-334) ومع الحصار الذي ضربته فرنسا على الجزائريين بقوانينها حيث منعتهم من التبادل الثقافي مع غيرهم، فكانت هذه الطرق والزوايا هي الوسيلة الوحيدة للجزائريين لمعرفة دينهم، إلا أن هذه الطرق الصوفية إنحرفت عن الخط العام الذي وضعه المؤسسون الأوائل (بوقرة. (2009). ص 98)، فادعوا الصفات الربوبية وادعوا قدرتهم على المنح والمنع (يسلي. (2007). ص 106)، وإنغمسوا في شهواتهم، ساعد الجهل والأمية المتفشية على هذا الانحراف، ووصل الأمر ببعض منها إبتداءا من القرن العشرين إلى أن أصبحت وسيلة في يد الاستعمار يسخرها لخدمة مآربه وجعلها كأداة لبث المعتقدات الفاسدة لدى الجزائريين (عمامرة. (2012). ص 124).

1–4–الأوضاع الثقافية

شنت السلطات الاستعمارية حربا على اللغة العربية بحجة أنها العائق أمام فرنسة الجزائريين، فسنت التشريعات

التي تمنع استعمالها أو التعامل بها(بن مزوز. (2010). ص ص 44-45)، أشعلت فتيل النزعة البربرية، ولتكريس سياسة فرق تسد شجعت القبائل على إستعمال اللهجة القبائلية وحضرت إستعمال اللغة العربية في إقليمهم(عمامرة. (2012). ص 69).

وفيما يخص التعليم العربي الإسلامي طردت معلميه، وإستولت على أوقافه وعطلت معاهده، وفرضت على ما تبقى منه نوع من التعليم يقتصر فقط على تحفيظ القرآن الكريم في الكتاتيب، كان بعضها تابعا للزوايا أو المساجد (يسلي. (2007). ص 218) أو في بعض المدارس القرآنية (سعد الله. (1992). ص 62)،راقبت الإدارة الاستعمارية هذه المدارس بدقة حتى تقهقر عدد مدرسي ومتعلمي القرآن(روبير اجيرون. (د.ت). ص 107).

أوصدت فرنسا مدارس التعليم الفرنسي في وجه الجزائريين(عباس. (د.ت). ص 34)، وفي أواخر القرن 19 زعم المؤرخ شارل روبير أجيرون أنه أثناء فترة مدير التعليم «Jeanmaire» بُذِلت مجهودات من أجل تنمية المدرسة الأهلية رغم تعصب المستوطنين، وفيما بعد كانت المفوضيات المالية قد فرضت تحويل المدارس إلى مدارس ملحقة، فكان عدد التلاميذ الجزائريين 33.337 أي 4,2 من المجموع يرتادون مدارس التعليم الابتدائي الفرنسي ورغم إرتفاع النسبة فإنها لم تصل سنة 1914 إلا إلى 5% أي 47.263 تلميذ من أصل 850.000 طفل في سن الدراسة، وفي سنة 1922 كان عدد التلاميذ في المدارس 60.644 من مجموع 900.000، وكان التعليم الثانوي الفرنسي لا يقبل وسطيا سوى 84 تلميذا جزائريا قبل سنة 1900 و150 تلميذ قبل سنة 1914، وفي هذه السنة تخرج من جامعة الجزائر 34 حامل بكالوريا جزائري(روبير اجيرون. (د.ت). ص ص 113-114).

يعتبر التراث الثقافي صلة الوصل بين الأمة وماضيها الثقافي (بن مزوز. (2010). ص 48)، لم يولي الفرنسيون المكتبات والمخطوطات والوثائق الهامة أدنى رعاية بل أهملوها بعدما نقلوا معظمها إلى متاحفهم في باريس وباعوا منها إلى تجار الكتب الأوروبيين، وأصدق مثال على عبث الفرنسيون بالتراث الثقافي للجزائريين ما فعله جيش الاحتلال بمكتبة الأمير عبد القادر (إبن العقون. (1984). ص 107)، وتذكر بعض الكتابات أن مكتبة اللغات الشرقية في باريس تتوفر على 700 مخطوطة حصل عليها الفرنسيون أثناء إحتلالهم للجزائر والتي وجدوها في مكتبة أحد علماء الدين الجزائريين ويدعى الشيخ الحداد الذي كان يقطن مدينة تيزي وزو (بن مزوز. (2010). ص 48).

2- أسباب نشأته

لقد تعددت العوامل أو الأسباب التي أدت قيام الحراك السياسي والثقافي بالجزائر في فاتحة القرن العشرين إلا أننا نستطع أن نذكر على سبيل المثال الأسباب الآتية:

2-1-تأثيرات أفكار الجامعة الإسلامية

فالجامعة الإسلامية هي تلك الحركة التي كانت تدعو إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الأوروبي، أما أبعادها فتقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي وذلك بتمجيد العقل والعودة إلى مذهب السلف، وقد بدأت هذه الحركة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، تبناها رسميا السلطان عبد الحميد الثاني ومن دعاتها جمال الدين الأفغاني (1838-1897) ومحمد عبده (1849-1905)... (سعد الله. (1992). ص 109)، وقد إنتشرت أفكارها الداعية إلى مقاومة الهجمة الاستعمارية الأوروبية على بلاد الإسلام (شلالي. (2006). ص 104)، وكانت الجزائر مجال دعاية للجامعة الإسلامية منذ أواخر ثمانينات القرن التاسع عشر ومن نتائجها حركة الهجرة التي بدأت في العقد الأول من القرن العشرين (سعد الله. (1992). ص 111، ص 119).

2-2-تأثيرات الشخصيات الإصلاحية

خاصة تأثير محمد عبده (بوقرة. (2009). ص 73) والذي زار الجزائر وإتصل برجال الفكر والإصلاح الديني مثل عبد الحليم بن سماية ومحمد بن مصطفى بن الخوجة الذي كان حريصا على قراءة كل ما يرد من المشرق من الكتب والجرائد والمجلات، وكان الهدف من هذه الزيارة تقوية العلاقة والروابط بين المشرق والجزائر (يسلي. (2007). ص 164)، كما كان لأفكار رشيد رضا الإصلاحية إنعكاسها الواضح والذي ثار على الأوضاع الاجتماعية والدينية المتردية نتيجة أعمال الزوايا والطرقية المنحرفة على الإسلام (بوصفصاف. (د.ت). ص 61).

2-2-1-الهجرة

عرف المجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية الهجرة كظاهرة إجتماعية كان لها مسبباتها ودوافعها، وقد تنوعت بين الهجرة الفردية والجماعية، فنجد حركة الهجرة سنتي

1898 و1899 بإتجاه المشرق (روبير اجيرون. (د.ت). ص 73) ومثال ذلك هجرات بعض الاسر الكبيرة من مدينة مليانة سنة 1899، ثم هجرة بعض العائلات الأخرى من سطيف سنة 1910 بإتجاه سوريا وهجرة مئات الجزائريين سنة 1911 من قسنطينة وسطيف إلى نفس الوجهة، وقد تمتع الجزائريون في المشرق بحرية وسمعة طيبة وتولوا المناصب العليا (سعد الله. (1992). ص 123، ص 128)، أما الهجرة إلى تونس فقد تكثفت خاصة منذ سنة 1918 سواء كانت فردية أو جماعية وما ميزها هو التقارب وسهولة الانتقال (بن موسى. (2006). ص 114).

ورخص قانون 1914 الهجرة إلى فرنسا لتزويد إقتصادها باليد العاملة حيث وصل عدد العمال الجزائريين إلى 08 آلاف، ليرتفع سنة 1924 إلى 71 ألف عامل(هشماوي. (2010). ص 23)، وهناك من سمى هجرة الجزائريين إلى فرنسا للعمل بالهجرة الاقتصادية خصوصا أثناء الحرب العالمية الأولى، وكانت الأجرة التي يتقاضونها أفضل بكثير من تلك التي يتلقونها في الجزائر من عملهم لدى المعمرين(إبن العقون. (1984). ص 48).

ومن أهم أسباب الهجرة نذكر الحكم الاضطهادي الفرنسي للجزائريين القائم على القوانين الاستثنائية (سعد الله. (1992). ص 119) وأيضا لطلب العلم ومثالها هجرة بعض الطلبة الجزائريين إلى فرنسا لإتمام الدراسة بالكليات الفرنسية (عباس. (د.ت). ص 141)، أو إلى فاس، تونس أو القاهرة ليتلقوا تعليما إسلاميا، وكان الأزهر يضم على الدوام من الطلاب الجزائريين أكثر مما تضمه المدارس الدينية في الجزائر (روبير أجيرون. (د.ت). ص 114)، فنجد على سبيل المثال على هذه الهجرة هجرة البشير الإبراهيمي سنة 1912 إلى المدينة المنورة حيث إكتشف فكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في 1917، ثم إلى دمشق أين ارتبط بالأوساط الأكثر استلهاما لفكر رشيد رضا، ليعود سنة 1922 إلى الجزائر حيث إستقر بسطيف وحث السكان على بناء مسجد حر لأنه هو الشرط للقيام بالدعوة والتعليم الإصلاحيين، وأيضا هجرة الطيب العقبي إلى الحجاز والذي عاد إلى الوطن سنة 1920 وعمل على نشر المذهب الديني الذي تلقاه في المدينة المنورة(مراد. (2007). ص 102، ص 108)، وكذا هجرة الشيخ عبد الحميد ابن باديس إلى نفس الوجهة وإلتقائه بأستاذه القديم حمدان لونيسي وكذالشيخ حسين أحمد الهندي (بن مزوز. (2010). ص 19).

2-2-2-الضغط الذي مارسته فرنسا على الدين الإسلامي

سياسة الدمج والفرنسة لإجتذاب النخبة (يسلي. (2007). ص 184) والقضاء على المساجد وتحويل الكثير منها إلى كنائس، أو مستودعات، أو مخازن أو ثكنات(سعد الله. (1992). ص 82)، مصادرة أملاك الأوقاف (بوقرة. (2009). ص 92)، التنصير ومحاربة القضاء الإسلامي (بن مزوز. (2010). ص 38، ص 40).

3-مظاهره

3-1-طبع وإحياء الأعمال التاريخية

ما ميز فاتحة القرن العشرين هو إنتعاش الثقافة الوطنية عن طريق نشر بعض المؤلفات لجزائريين (يسلي. (2007). ص 16) مثل أعمال إبن عمار سنة 1902، وإبن مريم سنة 1907، والورتلاني سنة 1908، والغبريني سنة 1915، وقد وضع بلقاسم الحفناوي سنة 1907 معجما تاريخيا إعتمد فيه على الوثائق والمخطوطات الموجودة لدى مختلف العائلات ويشتمل على تراجم علماء الدين والقضاء والأدباء (الميلي. (1980). ص 42) وقد عنونه بتعريف الخلف برجال السلف، وفي سنة 1904 نشر مثقف من بلاد القبائل وهو محمد الزواوي «ابن زكري» مؤلف وسمه ب «أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل» (مراد. (2007). ص 38)، أما حياة ومذكرات حمدان خوجة نشرها الكاتب الفرنسي جورج إيفير، وهكذا فإنه بمطلع سنة 1914 كانت الحياة الثقافية قد بعثت (سعد الله. (1992). ص 137).

3-2-كتلة المحافظين وحركة النخبة

صنع الحراك السياسي والثقافي في الجزائر مع بداية القرن العشرين مثقفون جزائريون خريجو مدارس مختلفة انضووا تحت كتلتين مختلفتين من حيث نوع الثقافة والاتجاهات والأسلوب، وهما كتلة المحافظين وحركة النخبة، سنحاول في ما يأتي التعرض لكل فئة على حدى.

3-3-كتلة المحافظين

تشكلت في العقد الأول من القرن العشرين ضمت عدد من المثقفين معلمين، ممثلين نيابيين، صحفيين (بن خليف. (2009). ص 108) رجال فتوى، قضاة في المحاكم الشرعية، وأئمة مساجد (بن موسى. (2006). ص 119) ومن قدامى المحاربين وبعض المرابطين ومصلحين آمنوا بالجامعة الإسلامية (فركوس. (2005). ص 403)، تمسكوا بالثقافة العربية الإسلامية

وعارضوا التجنيس والتجنيد الإجباري شعارهم نعم للإصلاح بشرط المحافظة على الهوية الإسلامية، ورأى المحافظون أن الجزائر لا تستطيع أن تهزم فرنسا وأن المحافظة على الشخصية الجزائرية ومقاومة كل الخطط التي تهدف إلى طمسها هو الكفيل بالانتصار، وإعتبروا الذين وقفوا في وجه فرنسا متمردين وعلى خطأ، رفضوا التعليم الفرنسي في الجزائر خوفا من أن يؤدي ذلك إلى الدمج، كما دعا بعضهم إلى الإصلاح.

إنقسموا إلى قسم أراد التغيير والنهوض لكن داخل الإطار الإسلامي وعارض التجنيس والخدمة العسكرية الإجبارية، في حين شجع القسم الآخر التعليم باللغة الفرنسية ورفض بدوره التجنيس والتجنيد الإجباري (سعد الله. (1992). ص ص 146-148)، ومن رجال كتلة المحافظين عبد القادر المجاوي أستاذ اللغة العربية والشريعة الإسلامية في المدرسة الجزائرية الفرنسية بالعاصمة وقسنطينة، ساهم بفعالية في المجال الثقافي بكتبه ومحاضراته ونشاطه في الصحافة، كما نذكر إبن الموهوب الذي تولى الإفتاء في قسنطينة منذ 1908، وهو أستاذ الفلسفة والعلوم الدينية والأدب العربي في المدرسة الجزائرية الفرنسية بقسنطينة، كان له دورا ثقافيا كبيرا في من خلال نشاطه وعمله بالتدريس ونشر مقالاته(سعد الله. (1992). ص 150)، وأيضا عبد الحليم بن سماية من مواليد العاصمة 1866 عمل بالتدريس وكان أحد الأعضاء البارزين للجامعة الإسلامية في الجزائر (مياسي. (د.ت). ص 130).

رفضت كتلة المحافظين التجنيس والتجنيد الإجباري (سعد الله. (1992). ص 152)، وطالبت بالمساواة في التمثيل النيابي وفي دفع الضرائب، إلغاء قانون الأهالي، العمل بالقضاء الإسلامي، ونشر التعليم العربي (هشماوي. (2010). ص 32)، والعمل بالشريعة الإسلامية وحرية الهجرة (بن خليف. (2009). ص 109)، ورغم شرعية مطالبها إلا أنها قوبلت بالرفض وأُتهمت بتكوين فرع للقومية الإسلامية في الجزائر (هشماوي. (2010). ص 32).

رفضت كتلة المحافظين كل الأفكار الغربية والخطط التي قد تدخل تغييرات تتعارض وأعراف المجتمع الجزائري، كما هدفت إلى الإبقاء على النظام الإسلامي والتعليم العربي بمختلف هيئاته والقيم القديمة، وقد مثلت منابع نادي الترقي (بن خليف. (2009). ص 109).

3-4-حركة النخبة

رجالها تعلموا في المدارس الفرنسية (بلغيث. (د.ت). ص122) وتخرجوا من المعاهد الكولونيالية(بن حبيلس. (2009). ص 93)، وفضلا عن وظائفهم الاجتماعية فقد إهتموا بالمسائل السياسية، ففي عشية الحرب العالمية الأولى كان عدد الجزائريين الذين تلقوا تكوينا جامعيا أو على الأقل ثانويا كاملا حوالي 100، وبعد الحرب أصبح عدد الشبان الجزائريين بضع مئات من صحافيين، محامين، أطباء، وخريجي المدارس الرسمية وكانوا منضوين في وداديات، رغبوا في القضاء على الجمود السياسي للجزائريين وحاولوا كسر السلبية الثقافية لمجموعة المحافظين (مراد. (2007). ص 43)، ورغبوا في المساواة إلا أن هذه الأخيرة تقود إلى الدمج وهو بدوره يعني القطيعة بين حاضر هؤلاء الشبان الجزائريين وماضيهم (هشماوي. (2010). ص33).

طالبت حركة النخبة بالدمج، المساواة في دفع الضرائب (روبير أجيرون. (د.ت). ص 115)، نشر التعليم الفرنسي بين الجزائريين (هشماوي. (2010). ص 33)، إلغاء القوانين الاستثنائية (فركوس. (2005). ص 403)، التمثيل البرلماني للجزائريين (قنانش، قداش. (د.ت). ص 14)، وإصلاح أوضاعهم الاجتماعية (إبن العقون. (1984). ص71)، وقد نادت بهذه المطالب مقابل التجنيد الإجباري للشبان الجزائريين (روبير أجيرون. (د.ت). ص.115).

تجلى نشاطها في الصحافة بالكتابات والمداخلات على مختلف المنابر وحركة الوفود والاحتجاجات والعرائض (مراد. (2007). ص 53)، وأيضا إرسالها وفدا يوم 1912/06/18 لمقابلة رئيس الحكومة الفرنسي بوانكاري» Poincaré « وتقديم إحتجاج له على عدم إتخاذ الحكومة الفرنسية إجراءات سياسية لصالح الجزائريين، رغم نشاط هذه الحركة إلا أن نتائجها كانت محدودة لعدم وجود فكر موحد بين رجالها ولافتقارها إنتهاج سياسة مشتركة (بوحوش. (2005). ص ص 203-204)، إهتمت بالقضايا الاجتماعية والسياسية، إلا أن مطالبها لم تتحقق ولم تكن حركة جماهيرية كونها لم تعمل على تحريك الجزائريين ولم تكن قادرة على مواجهة النظام الفرنسي، كانت عبارة عن كتلة إستهدفت الضغط على الإدارة الفرنسية، ولقد وجدت الحركة نفسها ملزمة بإعلان موقفها إزاء قانون 4 فيفري 1919 الذي يتيح لفئة من الجزائريين بالحصول على المواطنة الفرنسية الكاملة شريطة التنازل عن قانون الأحوال

الشخصية الإسلامي، وأدى كل هذا إلى إنقسام الحركة إلى تيارين تيار يأمل في الحصول على الجنسية الفرنسية وحق التمثيل النيابي حتى لو بالتنازل عن نظام الأحوال الشخصية، وتيار آخر يرفض هذا التنازل تزعمه الأمير خالد(محساس. (د.ت). ص ص 42-44).

3–5–النوادي والجمعيات الثقافية

لقد نشط الجزائريون فأسسوا الأندية والجمعيات (عباس. (د.ت). ص 141) فبين 1890 و 1914 أصبح هناك عدد من المراكز التي كانت تؤدي وظيفة المدرسة،ووظيفة المرفق الثقافي، فيها أيضا تبادل المناقشات، ملتقى للرياضة، الإسعاف، الكشافة ومقر للنشاط السياسي، ومن بين النوادي والجمعيات الثقافية التي أسست نذكر الجمعية التوفيقية، ودادية العلوم الجديدة، نادي التقدم، جمعية الهلال، نادي الاتحاد(سعد الله. (1992). ص 137)، الجمعية الراشدية تأسست سنة 1902، نادي الشباب الجزائري المؤسس سنة 1909 ومقره تلمسان، نادي الترقي تأسس سنة 1927 ومقره العاصمة (بن خليف. (2009). ص ص 104-105). أصبح للجمعية التوفيقية التي تأسست سنة 1908 بعد سنة واحدة من إنشائها مائتا عضو، وكان هدفها جمع الجزائريين الذي يرغبون في تثقيف أنفسهم وتطوير أفكارهم العلمية والاجتماعية بما يخدم حياتهم للأفضل ترأسها الدكتور ابن التهامي أحد زعماء النخبة.

ومن المراكز التي لعبت دورا هاما في هذه الفترة نادي صالح باي أسس سنة **1908** وكان يضم **1700** عضو، أنشأ عدة فروع له في مدن الجزائر، من أهدافه نشر التعليم والوعي لدى الجزائريين، والتوفيق بين المجموعتين الفرنسية والجزائرية، والدعوة إلى العمل والأخوة والتعاون ومعالجة الأمراض الأخلاقية ومحاربة الأنانية والظلم، ومساعدة الجزائريين على إظهار مواهبهم الأدبية.

كما أسس شبان جزائريون من خريجي المدارس والمعاهد الفرنسية وبتأييد من بعض الفرنسيين المتعاطفين (سعد الله. (1992). ص 139) الجمعية الراشدية، كانت تصدر نشرة بالعربية والفرنسية وتعقد محاضراتها، وقد ساعدت على نشر التعليم وكان لها فروع كثيرة في الجزائر، من أعضائها إبن التهامي، وإبن بريهمات، كما دعمت الشباب الجزائري للعمل والتفكير وتطوير نمط معيشته بما يتناسب مع مختلف التطورات المستجدة. (بن خليف. (2009). ص 105)

لقد ساهمت الجمعيات الثقافية والنوادي في يقظة الجزائريين خلال بداية القرن العشرين لأن المشرفين عليها حاولوا تحديث وتطوير المجتمع الجزائري، رغم أنهم لم يكونوا لا ثوريين ولا وطنيين متطرفين، بل أن بعضهم حاولوا تشجيع الإدارة الفرنسية على مساعيها المزعومة في التعليم والأعمال الخيرية، وموقفهم المعتدل جعلهم موضع نقد من قبل العناصر الجزائرية المحافظة (سعد الله. (1992). ص ص 140-141)، كما كان لها مشاركة في تربية النشئ(بن خليف. (2009). ص 105).

3–6–إنشاء صحافة جزائرية

أنشأ الجزائريون في فاتحة القرن العشرين صحافة وطنية منهم ليبراليون ينتمون إلى جماعة النخبة، وبعضهم ينتمون إلى طبقة المحافظين ويشتركون في الرغبة في إستعمال الصحافة كوسيلة للتعبير عن مطالبهم الوطنية، فأسس العربي فخار جريدة المصباح كان هدفها خلق تفاهم بين المجموعة الجزائرية والمجموعة الفرنسية، كما برزت جريدة المغرب 1900- 1914 وهي أسبوعية ذات لسان عربي مع إتجاه إصلاحي إسلامي لصاحبها الفرنسي بيير فونتانا، أثرت على الرأي العام الجزائري حيث كتب فيها الشيوخ أمثال عبد القادر المجاوي، المولود بن الموهوب، محمد بن أبي شنب، محمود كحول، وجريدة الأحياء بين سنتي 1906 و1907 كانت تنشر أفكار محمد عبده الإصلاحية(سعد الله. (1992). ص ص 134-135)، وجريدة الهلال في العاصمة 1906، وكوكب إفريقيا عام 1907، والمسلم في قسنطينة سنة 1909(عمورة، دادوة. (د.ت). ص300)، جريدة الاقدام حيث صدر أول عدد لها في 7 مارس 1919 وعُرِفت هكذا «صحيفة الدفاع عن الحقوق السياسية والاقتصادية لمسلمي إفريقيا الشمالية»، وإبتداءا من 1922 أصبح المدير السياسي للجريدة ومحررها باللغة العربية الأمير خالد ومحررها باللغة الفرنسية الأستاذ أحمد بهلول (قنانش، قداش. (د.ت). ص 44).

- صحيفة ذو الفقار 1913-1914 أنشئت للدفاع عن السنة المحمدية ومحاربة البدع والخرافات، عارضت فرنسة الجزائريين، وأكدت على عروبة الجزائر وإسلامها.

- صحيفة الفاروق باللغة العربية صدرت سنة 1913، وهي أسبوعية إسلامية وطنية تربوية، إقتصادية وإجتماعية ومنذ

سنة 1921 أصبحت منبرا لكتاب المذهب الإصلاحي (مراد. (2007). ص 40)، شعارها قلمي لساني ثلاثة بفؤادي، ديني ووجداني وحب بلادي.

جريدة النصيح وجريدة النجاح للشيخ عبد الحفيظ الهاشمي إشترك فيها الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ثم انفصل عنها بعدما إنحرفت وارتبطت بالحكومة الفرنسية (يسلي. (2007). ص 170).

لقد إزدهرت الصحافة الوطنية باللغتين سريعا بعد الحرب العالمية الأولى وكانت السلطات الفرنسية بزعم إنشاء الانفراج في الجزائر عينت جونارت حاكم فرنسي ويمكن إرجاع هذا التطور السريع إلى:

- محاولة الإدارة الفرنسية الظهور بمظهر اللين غداة الحرب.
- تغلغل الأفكار الإصلاحية في الجزائر عن طريق الطلبة العائدين من المشرق وأيضا بواسطة المثقفين المتكونين بالمشرق.
- تقدم الثقافة الفرنسية في أوساط الجزائريين مما أثار مخاوف الإصلاحيين الجزائريين المتشبعين بالثقافة الإسلامية.
- إنتشار ظاهرة الزواج المختلط بين الجزائريين والفرنسيين والتسهيلات التي أتاحها قانون 1919 للحصول على الجنسية الفرنسية، فكان لابد من التصدي لأعمال المستعمر الرامية لطمس الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية وتخليص الشباب الجزائري من هيمنة الفكر الغربي(مراد. (2007). ص ص 51-52).

وهكذا خلال عقد من الزمن خلق الجزائريون صحافة، هاجموا بها الإدارة الفرنسية، ولما أدركوا أن هجماتهم العنيفة قد لا تخدم قضيتهم تفادوا الشخصية منها والفضائح، وعملوا على نقل الأخبار بتحري وتجنبوا الأسماء المجهولة (سعد الله. (1992). ص ص 135-137).

- كانت الصحافة الوطنية أداة تعبيرية في فضح أعمال الإدارة الفرنسية ومهاجمتها (يسلي. (2007). ص 16) مركزة على معاملتها للإسلام والعربية في الجزائر، وعن طريقها رفض الجزائريون التغريب ودعوا إلى الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية (سعد الله. (1992). ص 116).
- ساهمت رغم محدودية أعدادها في نشر المفاهيم الأساسية للحركة الإصلاحية مثل مكافحة البدع والخرافات (مراد. (2007). ص 40).
- عملت على تكريس الوعي السياسي من خلال كشف الممارسات اللانسانية للإدارة الفرنسية في حق الجزائريين (بن خليف. (2009). ص 105)

خاتمة

بعد هذه الدراسة حول الحراك السياسي والثقافي الجزائري مع مطلع القرن العشرين نصل إلى النتائج التالية:

- طبيعة الاستعمار الفرنسي منذ دخوله الجزائر عسكري قانوني إستيطاني همشت الجزائريين وأدت إلى غياب المساهمة السياسية الفعالة.
- أدت السياسة الاستعمارية إلى تجهيل الجزائريين وخلقت جانب من الرعب تستحيل فيه الحياة المادية للجزائريين.
- حاربت فرنسا الدين الإسلامي بكل ما تملك ورغم ذلك بقى الجزائريين متمسكين بعقيدتهم.
- سياسة فرنسا نجحت في تجهيل الجزائريين إلا أنها لم تنجح في القضاء على اللغة العربية.
- تداخلت عدة عوامل أفكار الجامعة الإسلامية، تأثير الشخصيات الإصلاحية، الهجرة، مقاومة التنصير، طبع وإحياء الأعمال التاريخية وخلقت حِراكا سياسيا وثقافيا.
- إنحصر دور كتلة المحافظين في التعليم العربي، بينما شكلت كتلة النخبة أداة ضغط على الإدارة الاستعمارية وكشف تناقضاتها.
- كان للنوادي والجمعيات الثقافية دور في تشكيل النواة الأولى للحركة الوطنية وفي تربية النشئ على حب الوطن.
- أوصدت السلطات الفرنسية أبواب التعليم في وجه الجزائريين ورغم ذلك ظهر مثقفون أسسوا صحافة هاجموا بها السياسة الكولونيالية وهذا ما أوجد تطور نوعي في نضال الجزائريين سيؤدي لاحقا إلى زعزعة أركان الوجود الاستعماري.

المراجع

1. ابن العقون، عبد الرحمان ابن إبراهيم. (1984). الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر- الفترة الأولى 1920-1936. (د.ط). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
2. أجيرون، شارل روبير. (د.ت). تاريخ الجزائر المعاصرة. تر: عيسى عصفور. ط2. بيروت: دار عويدات.
3. الميلي، محمد. (1980). إبن باديس وعروبة الجزائر. ط2. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
4. بلاح، بشير. (2006). تاريخ الجزائر المعاصر من 1830إلى 1989. ج1. (د.ط). الجزائر: دار المعرفة.
5. بلغيث، محمد الأمين. (د.ت). تاريخ الجزائر المعاصر- دراسات ووثائق. ط1. الجزائر: البلاغ.
6. بن حبيلس، شريف. (2009). الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي. تر: عبد الله حمادي وآخرون. ط1. (قسنطينة، الجزائر): دار بهاء الدين للنشر والتوزيع.
7. بن خليف، عبد الوهاب. (2009). تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال. ط1. الجزائر: دار طليطلة.
8. بن مزوز، عمار. (2010). عبد الحميد ابن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح. (د.ط). (تيزي وزو، الجزائر): دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
9. بوحوش، عمار. (2005). التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962. ط2. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
10. سعد الله، أبو القاسم. (1992). الحركة الوطنية الجزائرية. ج2. ط4. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
11. ضيف الله، عقيلة. (2013). التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962. الجزائر: البصائر الجديدة.
12. عباس، فرحات. (د.ت). ليل الاستعمار (حرب الجزائر وثورتها). تر: أبو بكر رحال. (د.ط). (د.م).
13. عبد الكريم، بوصفصاف. (د.ت). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945. ط1. قسنطينة: دار البعث.
14. عمامرة، تركي رابح. (2012). الشيخ عبد الحميد ابن باديس- رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر. ط5. الجزائر: منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار.
15. عمورة، عمار. دادوة، نبيل. (د.ت). الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى غاية 1962 -الجزائر عامة-) الجزائر: (د.ن).
16. فركوس، صالح. (2003). المختصر في تاريخ الجزائر- من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م-1962م). عنابة: دار العلوم للنشر.
17. فركوس، صالح. (2005). تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال. (د.ط). عنابة: دار العلوم للنشر والتوزيع.

81. - قداش، محفوظ. (2008). جزائر الجزائريين- تاريخ الجزائر 1830- 1954. تر: محمد المعراجي. (د.ط). الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار.

19. قنانش محمد، قداش محفوظ. (د.ت). نجم الشمال الإفريقي 1926- 1937 (وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. (د.ط). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
20. محساس، أحمد. (د. ت). الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الى الثورة المسلحة. تر: الحاج مسعود. محمد عباس، (د.ط). الجزائر: دار الفضة.
21. مراد، علي. (2007). الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925-1940). تر: محمد يحياتن. ط3. الجزائر: دار الحكمة.
22. يسلي، مقران. (2007). الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945. (د.ط). (د.م) : دار الأمل.
23. هشماوي، مصطفى. (2010). جذور نوفمبر 1954 في الجزائر. (د.ط). الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
24. بن موسى، موسى. (2006). الحركة الإصلاحية بوادي سوف- نشأتها وتطورها 1900-1939. رسالة ماجستير. قسنطينة: جامعة منتوري.

25. بوقرة زيلوخة(2008 - 2009). سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجًا). مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الديني. باتنة: جامعة الحاج لخضر.

26. شلالي، عبد الوهاب. (2006) دور الطرق الصوفية في جهاد أهل تبسة خلال القرن التاسع عشر - دراسة تاريخية من خلال المؤلفات العسكرية الفرنسية. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. العدد التجريبي. تبسة: منشورات جامعة تبسة.

27. مياسي، إبراهيم. إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1914. مجلة المصادر. عدد 06 مارس.

28. Andre Julien Charles. (2005). histoire de l'Algérie contemporaine (la conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871). Alger : (s.l)

29. Crochet Bernard, Gerard Piouffre. (2007). Guerre d'Algérie 1954- 1962. Italie : nove dit.

30. Mahsas Ahmed : le mouvement revolutionnaire en Algérie L'Harmatan, paris, 1979.

31. Saadallah, Aboulkassem. (1983). la montée du nationalisme en Algérie , Alger : entreprise nationale du livre

The Algerian political and cultural movement at the beginning of the twentieth century

Abstract

France implemented a colonial policy, through which it aimed at eliminating the material and intellectual existence of the Algerians, it devoted settlement and pursued an unjust policy that led to the conditions regression at all levels and the most important thing that it focused on was the elimination of Arab education and on keeping the Algerians illiterate by closing schools and fighting the Arabic language as it worked to fight Islam by eliminating mosques, confiscating al Awqaf properties, and Christianizing the Algerians, at the beginning of the twentieth century a political and cultural movement emerged that focused on the call to purify Islam from the impurities that were afflicted with it, and this was evident in the genesis of The Conservative Group, which called for encouraging Arab education and preserving the fundamentals of the Arab-Islamic personality, rejected compulsory recruitment and naturalization, the elite bloc also appeared in the graduates of French institutes, demanding inclusion and equality, the intellectuals established cultural associations that were considered as forums for discussions and thought as well On their foundation of the Algerian press, they fought heresy and superstition and spread political awareness.

Keywords
reform
hirak
naturalization
elite
press

Le Hirak Algérien politico-culturel au début de vingtième siècle

Résumé

La mise en œuvre d' une politique coloniale par la France visant l'élimination de l'existence physique et intellectuelle des algériens , en instaurant une politique injuste qui a conduit à la détérioration de toute les situations, et la chose la plus importante sur laquelle elle est concentrée est l'élimination de l'enseignement arabe et de l'anonymat des algériens en fermant les écoles et en exterminant la langue arabe, et elle a œuvré pour l'élimination de l'islam et les mosquées en confisquant les biens Wakfs , et christianisation des algériens, dès le début du 20 -ème siècle l'Algérie a connu un mouvement politique et culturel en se concentrant à l'appel à la purification de L'islam des impureté qui l'ont affligé , et cela été évident à travers la création des groupe de conservateur qui ont fait appel à encourager l'enseignement arabe et la préservation des caractères fondamentaux arabo islamique, et l'appel refus recrutement militaire forcée et la naturalisation, aussi un groupe d'élites et également apparu représenté par les diplômés de l'enseignement français, qu' a revendiqué l'intégration, ainsi que dans cette période certain travaux historiques ont été imprimés, les intellectuels ont également fondé des associations culturels qui ont été considérés comme des plates formes, des discussions et des idées, aussi que leurs création de la presse algérienne à travers laquelle ils ont combattu les hérésies et les mythes et la défission de la conscience politique?

Mots clés
reforme
hirak
naturalisation
élite
la presse

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف واذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

مقاربة المتخيل في بناء الشخصية التاريخية» حميدو بن علي«في رواية »الرايس«لهاجر قويدري

The Imaginary Approach in Building the Historical Character «Hamido Ben Ali» in the novel «arais» by Hajar Koueidry

د. شفيقة عاشور[1]
Dr. Chafika Achour
جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، الجزائر
chafika.achour@yahoo.fr

أ.د. خير الدين دعيش
Pr. Kheireddine Daiche
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر
k.daiche@univ-setif2.dz

ملخص

تعددت التقنيات السردية في صياغة البنية الأساسية للنص الروائي، حيث تشكّل الصيغة أحد المكوّنات المركزية في إعطاء الانطباع الذهني والجمالي وإحداث التأثير في المتلقي، ورواية «الرايس» اعتمدت ظاهرة جديدة في الكتابة الروائية العربية، هي ظاهرة تعدد الضمائر المتكلمة في النص فأقحمت ضمائر متنوعة منها ضمير المتكلم والغائب والمخاطب، حيث منحت هذه السمة جمالية الأسلوب السردي، وأبعادا متعددة لقراءة النص وبنيته الحكائية.

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 26-12-2022
تاريخ القبول 28-02-2024

الكلمات المفتاحية
الرواية
التاريخ
المتخيل
الشخصية التاريخية
تعدد الضمائر

مقدمة

تعدّ الرواية من أكثر الأجناس الأدبية استيعابا للواقع ومتغيراته، ولهذا بات الاشتغال عليها والحديث عنها حديثا مهما للغاية حتى قيل: إنّ الرواية ديوان العرب الحديث فهي بمثابة وعاء تُصب فيه أفكار الإنسان وتاريخه في صراعه مع واقعه، حيث تجاوزت في علاقاتها الأجناس الأدبية ومدّت جسورا بينها وبين شتى الحقول المعرفية المتفاعلة. وضمن هذه الأنساق المعرفية المتفاعلة يأتي التاريخ بوصفه منظومة من الأحداث والتمثّلات الواقعية التي عرفت حضورا قويا ومتميزا في متون النصوص الإبداعية عموما والنصوص الروائية على وجه الخصوص.

تتّصف الكتابة النسائية الجزائرية بالتميّز والخصوصية على مستوى الإنجاز الإبداعي، حيث نجد معظم الكتابات النسائية العربية على العموم والجزائرية على الخصوص قد سلّطت أضواءها على ثنائية الذات والآخر، ورسمت لنا معاناة الذات و تأزماتها جراء الآخر ومظالمه، و»هاجر قويدري» واحدة من الكاتبات الجزائريات اللائي صورن لنا الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي كان يعيشها الفرد الجزائري طيلة حكم الإمبراطورية العثمانية، فتعود بنا إلى هذه المرحلة التاريخية البعيدة المدى التي لم تتعود جل الروايات على اقتحامها والغور فيها، فلقد أعادتنا إلى فترة حكم العثمانيين للجزائر وجسدت لنا الصراعات التي شهدتها هذه الفترة، كما جعلت شخصيتها المحورية شخصية تاريخية «حميدو بن علي» التي تناوبت مختلف الشخصيات للتعريف بها لأجل إيصالها إلى أذهان القراء، فتجاوزت مرحلة الكتابة الراهنة التي تستند إلى تخييل الواقع وتخطتها إلى مرحلة جديدة هي تخييل التاريخ وذلك بالعودة إلى مرحلة تاريخية غابرة هي زمن تسيّد الإمبراطورية العثمانية وحكمها للإيالة الجزائرية. ونسعى من خلال بحثنا هذا إلى مقاربة الشخصية التاريخية «حميدو بن علي»، هذه الشخصية المرجعية التي تحيلنا إلى دلالات وأدوار محددة سابقا في الثقافة والمجتمع، بحيث يكون إدراك القارئ مضامينها ودلالاتها مرتبطة بدرجة استيعابه لهذه الثقافة التاريخية. وقد تمثلت المرجعية التاريخية في رواية الرايس في مجموعة العناصر السردية التي بُنيت عليها الرواية من خلال الأحداث التي حركت الفعل النص، وكذا الزمن الذي غطته الرواية، وأيضا الشخصيات التاريخية، ومن أبرزها الشخصية المحورية «حميدو» التي هي موضوع بحثنا، انطلاقا من هذه الرؤيا وجب علينا طرح الإشكال الآتي كيف تعاملت الروائية مع الشخصية التاريخية الجاهزة البناء؟ وكيف أخضعتها لمنطق السرد الروائي؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات استندنا إلى ثلاثة مقاربات نقدية بداية بالمقاربة الموضوعاتية أثناء معالجتنا للتيمة

1 المؤلف المراسل

التي جسدتها الرواية، إلى جانب حضور آليات المنهج التاريخي للبحث عن أبرز الأحداث التاريخية التي اشتهرت بها هذه الشخصية سابقا كما اعتمدنا على منظورات سيمياء التأويل بما تتيحه من إمكانات القراءة القائمة على التأويل على معطيات نصية تخدم التحليل الموضوعاتي وتعززه.

والجدير بالذكر أنّ رواية الرايس رواية حديثة الصدور ، ومن ثمّة لم يسبق أن تناولتها أقلام الباحثين ضمن أعمال أكاديمية باستثناء بعض المقالات وبحوث لطلبة الماستر، عالجت جوانب من الرواية لا كلّها، وهذا ما يزيد من أهمية الموضوع وخصوصا أنّه يناول عنصرين أساسيين في الإبداع الروائي وهما التاريخ والتخييل.

1–شخصية الرايس «حميدو بن علي»

تعتبر الشخصية عنصرا أساسا في بنية العمل الروائي، بحيث لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات ومن ثم كان «التشخيص هو محور التجربة الروائية»(هينكل، صفحة 231)، وما من شك أن أغلب النقاد والباحثين اتفقوا على أهمية الدور الذي تقوم به داخل العمل الروائي، فهي «العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي»(يقطين، 1997، صفحة 87)، فبفضلها تتاح فرصة التعبير لمنتج النص عن كل ما يمور بداخله؛ فيتخذها وسيلة للتعبير عن أحاسيسه وعواطفه وكذلك طرح أفكاره ورؤاه وهذا ما يجعل صاحب الرواية التاريخية مجبرا على توظيفها كوّنها نماذج واقعية عاشت الحدث وشهدت وقوعه.

إن التعامل مع الشخصية التاريخية تعاملا صعبا ومرهقا لكتاب الرواية بصفة عامة وكاتب الرواية التاريخية بصورة خاصة؛ لأنها تدخل إلى العمل الروائي بحقيبة ملابس جاهزة لا يمكن إبعادها عنها أو اقتراح ملابس جديدة لها لا علاقة لها بالصورة المرسومة عنها(الشمالي، 2006، صفحة 226)، وكذلك توظيفها الذي يحتاج إلى وعي كامل بالأحداث التي اشتركت فيها وتلك التي لم تشترك فيها(الشمالي، 2006، صفحة 227)، فهذا النوع من الشخصيات يحدّ من حرية الروائي؛ لأنه يمتلك مرجعية ماضية سابقة لابد من التقيّد بها ولكن هذا لا يعني أن مهمة الروائي تقتصر على تسجيل أحداث التاريخ فحسب بل تتجاوز ذلك ويعيد الصياغة وفق ظروف العصر وإيديولوجيته التي تعكس قيَّماً يؤمن بها وأهدافا يريد الوصول إليها «لأن التاريخ معطى موضوعي في الماضي، قائم هناك ولكنه متغير، إننا في كل عصر نفهم الماضي فهما جديدا من خلال التغييرات الباقية لنا، ويكون فهمنا للماضي أفضل كلما توافرت شروط موضوعية في الحاضر»(المويفن، صفحة 112)شبيهة بما كان في الماضي.

تعتبر شخصية» حميدو بن علي» شخصية محورية في نص «االرايس» ولها طابع خاص؛ فهي الأكثر حضورا مقارنة بالشخصيات الأخرى، إذ سيطرت على معظم المسارات السردية والأحداث الروائية، «فاستأثرت بكثير من المقاطع الحكائية، وأنجزت دوراً بارزاً في تشغيل كثير من الحقول الدلالية، كما أنها شكّلت موضوع تبئير بارز»(أقلمون، 2010، صفحة 243) في موضوع الرواية.

إن الشخصية هي أكثر المكوّنات السردية فاعلية في بناء الرواية التاريخية، فهي العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده العناصر والمكوّنات الأخرى، باعتبارها الرابط الذي يجمع باقي البنى السردية في الرواية، فمن خلالها يبرز الحدث ويتشكل الزمان والمكان.

وبالعودة إلى نص «الرايس» نجد أحاديثه تسرد لنا سيرة البطل التاريخي «حميدو بن علي» الشخصية المحورية التي بُنيت عليها أحداث الرواية، ف»حميدو» البطل الذي لا يروي كثيرا ونعرف حكايته من مرويات الآخرين عنه، فهو شاب جزائري الأصل، ولع بالبحر منذ الصغر وجعله منفاه وموطنه الذي لا يقدر على مفارقته وتركه، كما كان من الأبطال الأفذاذ الذين يردّون الغزاة الأوروبيين ويصدّون هجماتهم عن السواحل الجزائرية، حيث كانت له الرغبة الملّحة في كسب الغنائم، هذه الأخيرة التي كانت تعد آنذاك المصدر الرئيس لخزينة الدولة فاستطاع أن يستولي على سفينتين إحداهما برتغالية وأخرى أمريكية.

ولعل الغاية المدركة من لجوء الكاتبة إلى الماضي التاريخي، وتسليط ضوئها على تاريخ هذه الشخصية، التي قلّما كتبت عنها النصوص السردية التخييلية هو قصد إعادة بعث تاريخها من جديد كي لا يبقى في طي الكتمان ومن القضايا المسكوت عنها، وربما أيضا وجدان الكاتبة وإحساسها بأن شخصيتها التاريخية بدأت تضمحل وتغيب صورتها عند الجميع، ومن ثم كان هدفها الرئيس من استحضار شخصية الرايس «حميدو» هو «لاستعادة الذات الضائعة»(الشمالي، 2006، صفحة 136)، وبعث الروح فيها لتستمر ويدوم وجودها

بين القراء، وهذا ما دفعها لفتح سجلات الماضي البعيد بغية إيجاد حل لمأزقها وإعطائها فرصة الحضور في النص الروائي، كوّن هذا الأخير يسهم بدور خلاق في إعادة الإحياء والبعث من خلال القراءة المتجددة بين القراء.

لاشك أن الروائي هو المتحكم/ المتصرف في زمام السرد، فهي المستثمر لهذا النمط من الشخصيات التاريخية، فكلما كان على صلة وثيقة بشخوصه وعارفا بكل أفعالها وحركاتها وأقوالها اتسم عمله بالتناسق والانتظام، إلاّ أن التعامل معها يعد مجازفة صعبة التجاوز، لأنها مستوحاة من «كتب التاريخ وأحداثه ويكونموضوعها مقتبسا من سير القادة ورجال الدين، أو أصحاب الحركات والثورات التاريخية للشعوب مع مختلف أجناسها»(عبد الخالق، 2009، صفحة 59)، فهي شخصيات جاهزة محددة المعالم، لها وجودهاوحضورها في التاريخ الرسمي، مما يقلل من حرية الروائي، ومن ثم تقوده «إلى مصيرها هي كما حسم قبل مئات وعشرات السنين»(الشمالي، 2006، صفحة 226)، وهذا ما يجبره على اختلاق شخصيات من صنع خياله بغية التخفيف من قيد الشخصيات ذات المرجعية الثابتة.

إن إقحام الشخصية التاريخية في النص الروائي وجعلها تتحاور مع الشخصيات المتخيلة هو الذي يسهم في تغيير حركاتها وأفعالها، ولكن هذا لا يعني أن الروائي يغفل على حرص الخصوصية التاريخية المميزة لها.

تحتل شخصية «حميدو» بؤرة اهتمام الشخصيات، فهي المسيطرة على الحدث الروائي طلية مراحل مسار الحكاية، إذ قدم لنا النص مراحل نمو هذه الشخصية من طفولتها إلى غاية وفاتها في البحر؛ فاستهلت الروائية بتقديم طفولة «حميدو»، عندما كان قاطنا في «يسّر» أينما كان عاشقا لمريم، ثم رحيله إلى الدزاير وعودته مرة أخرى بسبب انتشار مرض الطاعون، كما صورت لنا حرفة الخياطة التي كان يتعلمها، ثم توجهه إلى عالم البحر في سن لا تتجاوز ثلاثة عشر سنة والبطولات البحرية التي حققها في ظرف وجيز.

تبرز وظيفة الشخصية التاريخية «حميدو» في تحريك الحدث النصي وتفعيله، وفاعليتها واضحة في أدائها من خلال مساحات المحكي الروائي، فهي صانعة الأحداث وخالقتها، إذ تدفع بها نحو الأمام، حيث تشكّل في النص التيمة/الموضوعة الرئيسة للرواية التي يسعى الرواة السبعة إلى إضاءة جوانبها والتفاعل معها ما يجعلها مركز اهتمام الشخصيات الروائية الأخرى والرواة على السواء.

تعاملت شخصية «حميدو» مع المواقف بشكل اعتيادي وتحاورت مع غيرها من الشخصيات، فكان لها دور فعّال، جعل حركة السرد ديناميكية(حية)، وأحيانا تخلل المونولوج صوت هذه الشخصية، فكان هذا الأخير موردا آخر خرجت منه جميع المكبوتات التي صرحت بها الشخصيات هنا تظهر وظيفة التخييل في التعامل مع هذه الشخصيات وكأن الروائية تعلم مسبقا بأن تفعيل الحدث السردي لا يتم إلاّ بالضغط على الضمير الداخلي للشخصيات.

استثمرت الروائية سيرة «حميدو» من طفولتها إلى شبابها مركزة على أهم المحطات التاريخية التي شهدتها، مستندة في ذلك إلى استراتيجية التخييل التي تمنح لها الحرية المطلقة في استكمال الفجوات التي خلفها التاريخ، فنقلت إلينا المواقف والمغامرات التي عاشها «حميدو» في البحر، بطريقة تجعل القارئ يعيش «تجربة التكوّن التاريخي للشخصيات التاريخية المهمة، وإنها لمهمة الكاتب من ذلك الوقت فصاعدا، أن يترك أفعالهم تجعلهم يظهرون بمظهر الممثلين الفعليين لهذه الأزمات التاريخية»(لوكاش، 2005، صفحة 41)، وذلك بالاستناد إلى عامل التخييل الذي يضفي عليها طابعا فنّيا يرتقي بها إلى مستوى العمل الإبداعي ويتحاشى في الوقت نفسه التعامل مع الوقائع التاريخية بطريقة تسجيلية، كوّنها تضعف من قيمة الوظيفة الأدبية للرواية «فالتخييل يستلهم عوالمه من الواقع ويقصد إلى إعادة بنائه في صورة يعتقد المرسل أنها النموذج الذي يجب أن يكون عليه، ومن ثم فإن عوالم التخييل تتداخل فيها الكيانات التخييلية والكيانات الواقعية»(بن يطو، 2018، صفحة 92)، وهذا ما جسدته رواية «الرايس»، حيث تعالقت فيها المكوّنات التاريخية بالتخييلية لأجل رسم صورة «حميدو» فاستحضرت سيرته من خلال اعتمادها على المؤلفات التاريخية مع طبعها بمسحة فنّية تخدم النص الروائي وذلك باعتمادها على الآليات الفنّية المختلفة من أبرزها خطاب الذاكرة الذي كان يسترجعه مختلف الرواة، ومثال على ذلك استرجاع وكيل الحرج «مصدق» لحادثة طرد «حميدو» من ميناء الدزاير يقول:» قبل سنوات طرد حميدو من ميناء الجزائر وأرسل إلى أرزيو، ومنع من العودة إلى الدزاير غير أن هذه العقوبة لم ترض وكيل الحرج السيد علي الذي

أراد قطع رأسه»(قويدري، 2015، صفحة 32).

إن علاقة «حميدو» بوكيل الحرج «السيد علي» هي علاقة صراع؛ فإذا كان «حميدو» يسعى إلى خدمة الإيالة وشعبها ككل، فإن «السيد علي» همه الوحيد هو جمع الغنائم والاستيلاء على ثروات غيره، فشأنه شأن كل الدايات في تلك الفترة فهدفهم هو جمع المال والتسلّط على الغير.

لقد سبق الذكر بأن التاريخ الجزائري العثماني هو من أهم المرتكزات التي ارتكز عليها نص «الرايس» حيث أبرز لنا هذا الأخير محطات «حميدو» التاريخية، ولعل أهم محطاته التاريخية التي استوقفنا النص عندها هي ما يأتي:

- مرحلة الدفاع عن الإيالة الجزائرية ضد الغزو الإسباني، حيث أبان فيها «حميدو» حبه الشديد وشجاعته في الدفاع عن وطنه، وهذا ما جاء على لسان «مريم»، تقول:» إنه في وهران، ولن يتمكن من الحضور إنه يجاهد في سبيل الله، يحارب الإسبان، فادعوا له بالنصر إن شاء الله» (قويدري، 2015، صفحة 32).

إن «حميدو» من الشخصيات التاريخية البطلة التي أثبتت وجودها في التاريخ، وأثبت الروائي مرة أخرى وجودها في العالم الروائي الفنّي، فعدم حضوره لجنازة أبيه هو دلالة على اشتغاله بقضية الغزو الاسباني فأولوية العامة عنده قبل الخاصة، ومن هنا يتضح هدف الروائية من هذه الدلالة الرمزية، لأن ما يهم الكاتب في توظيفه الشخصية التاريخية أو الموقف التاريخي ليس الشخصية في حد ذاتها، ولا التاريخ الصحيح، ولكن دلالة الشخصية أو الموقف، لأن «دلالة الشخصية التاريخية بما تحمله من قابلية للتأويل والتفسير هي التي يستغلها الكاتب للتعبير عن واقعه وواقع عصره»(ثليلاني و طاجين، صفحة 4)، فلا تكمن أهمية التوظيف التاريخي في وعي الكاتب للتاريخ، وإنما تكمن بالأساس في كيفية توسيع دائرة التاريخ واستغلال دلالاته التأويلية لأجل فهمه وتفسيره. فالمقطع السابق الذكر يبرز لنا الدلالة الرمزية لشخصية «حميدو»، باعتباره رمزا للشجاعة والوفاء وفي الوقت نفسه رمز النضال نظرا إلى موقفه البطولي و الجبار الذي غيّبه عن جنازة أبيه، وكأن ما يهم الروائي من استثمار الشخصية التاريخية هو إطلاع القارئ على مواقفه وبطولاته ومن ثم الاحتذاء بهذه النماذج التي كان لها تاريخ مشرق ونيّر، فالرجوع إلى الماضي واستثمار مثل هذا النمط من الشخصيات هو رغبة الكاتبة في تحفيز هذا الجيل الجديد على الاقتداء بمثل هذا النموذج الأمثل الذي يخدم نفسه ووطنه في وقت واحد.

- الدفاع عن الذات المظلومة؛ لقد اتخذت شخصية «حميدو» في النص نموذج البطل العادل على خلاف الشخصيات الأخرى كوكيل الحرج «السيد علي»، والباشكاتب «يحي المديلي» والداي «مصطفى باشا» والداي «أحمد باشا»...الخ، فكل هذه الشخصيات كان همها الوحيد والأوحد هو السلطة وتحقيق النفوذ دون خدمة الإيالة وشعبها، أما «حميدو» فقد كان البطل العادل والشجاع فلا يرضى بالذل والجور، وخير مثال على ذلك إنقاذه لبنات وكيل الحرج «مصدق» من وحشية الداي «مصطفى باشا» الذي طلب منه إرسال أحد بناته ليقضي فيها شهوته، يقول الراوي:»...، لقد تمادى مصطفى باشا من انتقامه مني وجاء رسوله ليقول لي بكل وقاحة:

-إن مولاي الداي يريدك أن ترسل له واحدة من بناتك» (قويدري، 2015، صفحة 125).

إن فترة حكم الداي «مصطفى باشا» هي أضعف المراحل في تاريخ الجزائر العثمانية، فقد كان عنيد جدا ولا يمكن عصيان أوامره، مما جعل وكيل الحرج «مصدق» في حيرة شديدة ووجل كبير إلى أن جاء «حميدو» وأنقذه من هذا المأزق، يقول وكيل الحرج» مصدق»:»... غفوت جالسا على الباب؛ أحرس بناتي وأحرس عقلي الذي كاد أن يضيع مني فجأة تحرك الباب، ارتعبت ونهضت مفجوعا.

لا عليك... أنا حميدو، لا تخف.

استغربت حضوره ثم مشاداته العنيفة على الحراس، لقد قام بكسر الباب وأخرجني أنا وعائلتي ثم قام عدد من البحارة التابعين له بتطويق طريق سيرنا نحو أول زورق صادفنا»(قويدري، 2015، صفحة 125).

على الرغم من جبروت الداي «مصطفى باشا» وقوّته، إلاّ أن «حميدو» لم يكن خائفا من قرارات الداي أثناء سماعه لخبر فرار وكيل الحرج وعائلته، يقول «مصدق»: لم يشأ حميدو أن نبقى في مرفأ اسكندرونة ولو بضع يوم، لقد كان راضيا على أقدم عليه ولم يكن خائفا من مصير محتوم ينتظره في الدزاير»(قويدري، 2015، صفحة 127).

إنّ استعانة الروائية بهذا النموذج العادل، هو بغرض تمجيد

الماضي والحنين إليه، هربا من حاضرٍ قاتم يفتقر إلى حاكم عادل(وتار، 2002، صفحة 81)، وهذا واقع الدول العربية التي تعاني من ظلم الحكام وجبروتهم، فهم يسعون لخدمة مصالحهم الشخصية لا المصالح العامة التي تخدم الشعب والوطن.

فمن خلال المقاطع السابقة الذكر، يكون «حميدو» البطل التاريخي الذي يحمل رمزا لمعنى من المعاني الإنسانية، فقد كانت شخصيته مفّعمة بدلالات رمزية عدة منها: رمز المناضل الفدائي الذي يجاهد من أجل وطنه وشعبه، ورمز العادل الذي يدافع عن الحق وكل مظلوم مهما بلغ ذلك درجة الخطورة، ورمز الإنسان بأسمى معاني الإنسانية ويتجسد ذلك في طيبته وشفقته على الآخر وخير مثال على ذلك شفقته على جثة «سيتا» التي نكّل بها الجميع من أجل الوصول إلى الثروة التي كانت تحت قبرها، إذ استخرجها هذه المرة كل من «يحي المديلي» و«مزيان» و«إقزيرا» كما اتفقوا على تقسيم الثروة بعضهم مع بعض، حتى دق «حميدو» الباب فوجدهم أخرجوا جثة «سيتا» وجعلوها مركونة على جنب، فعاتبهم على تصرفاتهم المشينة، ثم خرج إلى الجامع ليحضر النعش، يقول «حميدو» :»سوف أذهب وأدفنها وأريدكم أن تتبعوني جميعا بعد ردم هذه الحفرة، هل حقا تريدون ثروة سيد علي، وهي تحت حرمة قبر، عار عليكم جميعا»(قويدري، 2015، صفحة 157).

وهكذا فإن استحضار شخصية البطل العادل في سياق السرود الروائية يأتي بدافع الكشف عن القطيعة بين جيل الأحفاد وجيل الأجداد، وإظهار تقاعس الأحفاد عن حمل رسالة الأجداد من جهة أخرى(وتار، 2002، صفحة 81) وأيضا لخدمة الوظيفة الاعتبارية، لأن الوعي بالتاريخ ليس حفظا للذاكرة وتسجيلا للحدث، وإنّما إعمالا للتفكير، واستنتاجا للعبرة والعظة، وامتلاك المؤهل لاستيعاب الحاضر وتفسيره والتنبؤ بتداعياته ومآلاته وعواقبه(أقلمون، 2010، صفحة 44).

- مرحلة الظفر، لقد استطاع «حميدو» أن يستولي على سفينة برتغالية سماها «البرتغيزة» وأخرى أمريكية سماها» المريكانة»، وهذا ما يثبته النص في قول «علي طاطار- بفاريتو»:» كانت الفرقاطة البرتغالية تتبعنا وبذات السرعة إلى غاية اقترابها النهائي منا، كان حميدو يستدرجها إلى السواحل الدزيرية حتى لا تتمكن من المقاومة... احتدمت المعركة، وبدأنا نطلق المدفعية تباعا، كما تمكن رجالنا من التسلل والصعود إلى الفرقاطة، ومن ثم السيطرة على قيادة الفرقاطة. لقد فقدنا تسعة بحارة في هذه المعركة، لكننا عدنا بأكبر غنيمة عرفها دفتر الغنائم، قرابة ثلاثمائة أسير و44 مدفعا، والكثير من الذخيرة الحربية»(قويدري، 2015، صفحة 133).

وانطلاقا من هذا الحدث التاريخي المؤثّث بالأحداث الجزئية التخييلية، نستشف أن رواية الرايس حرصت على التوظيف المباشر للتاريخ وذلك بطبع هذا الحدث الواقعي بصبغة فنّية مع محافظتها على جوهر الحدث، وبهذا تكون رواية «الرايس» من الأعمال العربية التي توسلت بالتاريخ لتشييد التجربة التخييلية ولإثراء قيمها الرمزية، والبحث عن إمكانات تنحت طرائق مستجدة في السرد والكتابة الحكائية(htt)، فلا تكون الرواية تاريخية إلاّ إذا استوعبت مشاكل عصرها وقضاياها وهذا ما حاولت رواية «الرايس» أن تجسده في متنها الحكائي، فانصبت مشاغلها على القضايا السياسية والاجتماعية التي سادت في الزمن العثماني وكذا الصراعات الحادة من أجل السلطة والحكم والأمر نفسه في الزمن الحاضر الذي يشهد المؤامرات والمكائد من أجل تحقيق الكيان الذاتي وتهميش الآخر(الشعب)، وبهذا كانت عودة الكتاب والروائيين إلى التاريخ من أجل التعايش مع الواقع «لأن الحديث عن القديم يمكن من رؤية فنّية، وكلما أوغل الباحث في القديم حلّ طلاسمه وفك رموزه، وأمكن رؤية العصر والقضاء على المعوّقات»التي تعيق المجتمع.

ومن الملاحظ أن الروائية اختارت لهذا العمل الروائي أهم الأحداث البارزة في تاريخ حكم الإمبراطورية العثمانية للجزائر من فترة 1791م إلى غاية 1815م، إذ أعادت تركيب الأحداث بطريقة فنّية سلسة وموزعة توزيعا تسلسليا، فجعلت كل حديث من أحاديث الرواة السبعة يحكي جزءا معينا من قصة ما لتكتمل بعدها وتشكّل حكاية كاملة لتاريخ «حميدو بن علي» وتاريخ الجزائر العثمانية ككل.

لا شك أنّ هدف الروائية من استعانتها بشخصية تاريخية عادلة «حميدو بن علي»، هو رؤية الآخر في عين الذات(حميدو)، هذا الأخير الذي يسعى جاهدا إلى الإنصاف ونشر العدل بين مختلف طبقات المجتمع على خلاف الشخصيات التاريخية الأخرى التي كان همها الوحيد هو حب

التملك وفرض السيطرة على بقية أفراد الإيالة. ولعل غاية الروائية من إقحام الشخصيات التاريخية في المتن الروائي وإبراز دورها التاريخي المشين هو إيجاد حلول لمستعصيات الزمن الراهن وعدم الوقوع في المأزق نفسه، ومن هنا يتضح لنا أكثر دور الكاتبة التوعوي الذي يسعى بدوره إلى نشر الوعي بين أفراد المجتمع وعدم السماح للتاريخ المشوّه أن يعود مرة أخرى ويفرض سلطته على الضعيف.

تتميّز الشخصية التاريخية في الرواية بأنها لا تحيل على ذاتها؛ أي أنها تبقى أسيرة تاريخيتها وتظل بمعزل عن مشاركة القارئ الذي لا يجد قاسما مشتركا بينه وبينها، فهي جاهزة ومحدّدة المعالم قبل ولوجها إلى العالم الروائي التخييلي، وهذا لا يعني أن الروائي لا يتعامل معها فنّيا بل على العكس من ذلك، فهو من يضفي عليها لمساته الفنّية التخييلية مع محافظته على مصداقيتها، ومن ثم يقول النص ما لم يقله التاريخ، باعتبار الرواية أكبر وأوسع من التاريخ فهي «خطاب يقول العالم»(بن دحمان، 2013، صفحة 74)، وفي الوقت نفسه يقرب المسافات بين العالم.

إنّ شخصية «حميدو» هي شخصية محورية تنهض بمهمة أساسية في الخطاب الروائي، إذ تحظى باهتمام كبير من طرف السارد، «يتوقف عليها فهم التجربة المطروحة في الرواية، فعليها نعتمد حين نحاول فهم مضمون العمل الروائي»(بوعزة، 2010، صفحة 57)، والإلمام به، وهكذا تتضح أهمية الشخصية المحورية والدور الكبير الذي تضطلع به في صنع الحدث وبلورته، مما «يمنحها حضورا طاغيا وتحظى بمكانة متفوقة، وهذا ما يجعلها مركز اهتمام الشخصيات الأخرى وليس السارد فقط»(بوعزة، 2010، صفحة 56)، فقد كانت شخصية «حميدو» بؤرة اهتمام الرواة السبعة الذين يسعون إلى رصد حركاته وتتبع خطواته كما أنها اكتسبت في النص طابعا خاصا ودلالات فنّية تتماشى مع طبيعة الرواية التاريخية، لأن الشخصية المرجعية ذات الطابع التاريخي تتغير طبيعتها بمجرد دخولها في شبكة من العلاقات المكتسبة من النص اللاحق ذاته، ومن ثم تصبح تابعة للنص رغم وجودها التاريخي.

وعليه فرواية «الرايس» وإن تناولت شخصيات تاريخية وأحداثا تاريخية، فهي رواية أدبية متميّزة كتبت بلغة تجاوزت الخطاب التاريخي إلى الخطاب السردي، مستفيدة من آليات النص السردي الذي يبرز تلك الجمالية التي تميّز الرواية، فسعت هذه الأخيرة إلى تقديم قراءة جديدة للشخصية التاريخية بمستويات معرفية مختلفة عن التناول التاريخي الصرف، الذي لا تسعى منهجيته وخطابه من ملامسة هذه المستويات، ولهذا يتولى السرد مسؤولية إخراج المسكوت عنه في ثنايا خطاب التاريخ وفي أعماق خطاب الذات، فهو مساءلة للتاريخ، وحوار مع الشخصية لاستنطاقها من جهة واستلهام رمزيتها واكتنازها الدلالي لمساءلة العصر وإشكالاته(مربن، صفحة 2).

لا شك أن كتابة رواية «الشخصية التاريخية» تتطلب جهدا ووعيا كبيرا من الروائي، فعليه أن يتسلح بذخيرة تاريخية عميقة لصعوبة التعامل مع هذا النمط من الشخصيات، لأنها تفرض بحضورها في العمل الروائي طوقا يحدّ من حرية الروائي، ما جعل هذا الأخير مجبرا على إقحام نمط آخر من الشخصيات للتخفيف من قيّدها، ألا وهي الشخصيات المفترضة التي تعطي له حرية التعبير المطلقة عن آرائه وأفكاره.

2–تمظهرات المتخيل في شخصية الرايس «حميدو بن علي»

لا شك أن كل رواية تاريخية تقوم بعملية الحفر في ذاكرة التاريخ، بغية استقصاء المستور عنه وكذا المزيّف من التاريخ، ومن هنا نستشف أن الرواية مهما سعت إلى تحقيق المتعة الفنّية فإنها لا تغفل عن تحري الحقيقة التاريخية من خلال الشخصية الجاهزة المكتملة البناء، رغم أن حضورها في العمل الروائي «**لا يحدث** في تكوينها أي تغيير، وإنّما يحدث التغيير في علاقتها بالشخصيات الأخرى فحسب، أما تصرفاتها فلها دائما طابع واحد»(الزمرلي، صفحة 27)، لأن لها شروطا معينة أثبتها التاريخ، فلا يستطيع الروائي أن يقف أمامها إلاّ مطيعا، فأي مخالفة بحق الشخصيات التاريخية تفقد العمل مصداقيته على مستوى الحكاية، ف»حميدو» باعتباره بطلاً للرواية لم نلحظ أي تغيير أو تطور في شخصيته، حيث استخدمت الروائية هذه الشخصية المكتملة كوسيلة للتعبير عن أهدافها ورؤاها الفكرية وإيديولوجيتها لتقف من خلال ذلك على أهم أسباب تدهور الأوضاع الاجتماعية وكذا العوامل البحرية والسياسية في مرحلة حكم الدايات الأتراك للإيالة الجزائرية، كما استوقفنا النص عن المسوّغات التي مهّدت السبيل لدخول القوات الفرنسية للجزائر، وأيضا دسائس وصراعات

الدايات من أجل السلطة وفرض النفوذ. ولكي تفسح المجال لبروز هذه الإيديولوجية وتفسح المجال للواقع التخييلي حتى يتلاحم ويأتلف مع الأحداث والشخصيات التاريخية لجأت إلى تقنيات من شأنها أن تحررها من أسر الشخصية الجاهزة وقيودها، ومن قوالب الأحداث التاريخية كي تتجنب الوقوع في مأزق التسجيل والنقل الحرفي المباشر للتاريخ.

استطاعت الروائية «هاجر قويدري» أن تخضع الشخصية التاريخية الموظّفة لمنطق السرد الروائي وخصائصه، فتصبح شخصية روائية كأي شخصية أخرى، وذلك عن طريق تقديمها بثلاث طرائق، فإما أن تقدّم بوساطة ضمير الغائب أو ضمير المخاطب أو ضمير المتكلم(وتار، 2002، صفحة 77).

2-1-ستخدام ضمير الغائب

لقد اختارت الروائية مجموعة من الرواة، لتتولى مهمة سرد الأحداث وتقديم شخصية الرايس «حميدو بن علي»، ومن بين هؤلاء الرواة «مصدق» الذي يقوم بدوره هذه المرة ويخبرنا عن شخصية «حميدو»، يقول: «وصل حميدو فاتحا، كان الجميع يهتف باسمه، لا أفهم ما الذي فعله حتى يستحق كل هذه الحفاوة، لقد قام بطرد سفينتين حربيتين قادمتين من جنوة أثناء مرورهما بسواحل وهران، كانتا متوجهتين نحو جبل طارق. لم يكن يملك العدة للمواجهة فاختار ترهيبهما ومنعهما من المرور...»(قويدري، 2015، صفحة 55).

يتولى الراوي «مصدق» سرد الأحداث المتعلقة بشخصية «حميدو» ويتخذ دور المؤرخ في التأريخ لحدث تاريخي واقعي، فاستخدام ضمير الغائب في السرد يسهم في تقديم الشخصية التاريخية عن وجهة نظر غريبة عنها، وهذا يعني أن التجني على الحقيقة يبقى احتمالا قائما لدى المتلقي الذي يراوده الشك حول صحة المعلومات المقدّمة عن الشخصية التاريخية(وتار، 2002، صفحة 78).

يمتلك الراوي في هذه الحالة حرية كبيرة في نقل خطاب الغير، ويماهيه مع كلامه بحيث يصبح من الصعب الكشف عن مدى الصدق في نقله خطاب الغير، وتتراجع هذه الهيمنة والسلطة والتدخل في خطاب الشخصيات عندها تتكلم هذه الأخيرة بصوتها ضمير «الأنا- المتكلم»(عيلان، 2002، صفحة 192).

ونستشهد بمقطع آخر يتولى فيه راوٍ آخر مهمة السرد نيابة عن «حميدو»، يقول «بفاريتو- علي طاطار»:«... لقد هرب حميدو إلى وهران بعد أن أصدر الداي حكما بقطع رأسه...»(قويدري، 2015، صفحة 67).

يروي لنا «بفاريتو» قصة الحكم الذي أسقط على «حميدو» جراء التهمة الموجهة إليه، حيث اتهموه بأنه السبب في قتل أربعة أرواح، فلم يكن هو السبب في ذلك وإنّما السبب الوحيد هو عدم توفر الإمكانيات اللازمة لإرساء السفينة في ميناء هارون. ونظرا إلى الحقد الدفين بين الرايس «حميدو» وأحد بحارته «عبد الله»، لذلك فقد وشى به هذا الأخير إلى الداي وأخبره أن:» حميدو قام بذلك عمدا وقد خطط لتحطيم السنبك ولم يشأ أن يربطه في مرسى هارون؛ رغم إمكانية ذلك بشهادة كامل البحارة وأراد أن ينتقم من حضرتكم عندما رفضتم أن تعطوه السفينة النابولية التي غنمها منذ شهرين، وفضلتم أن تلحق بالأسطول الحربي»(قويدري، 2015، صفحة 68).

لعل غلبة ضمير الغائب وهيمنته في النص راجع إلى بساطة استخدامه؛ فهو من الوسائل السردية البسيطة الاستخدام، لما يتسم به من ليونة ووضوح عند استخدامه من قبل الراوي، وكذلك بالموضوعية وذلك بنقله لمجريات الأحداث دون تأثير ذاتية المؤلف عليه، فهو بمثابة «القناع الذي يتموقع خلفه الراوي(الكاتب) حتى يتمكن من تقديم أفكاره وتصوراته دون أن يتدخل بصفة مباشرة»(حبيلة، 2010، صفحة 302)، كما تتجلى بساطة استخدام هذا الضمير بشكل بارز في الشكل السردي القديم الذي تجسده حكايات «ألف ليلة وليلة» فهو سيد الضمائر، كوّنه الوسيلة المثلى التي يتخذها الروائي لتمرير أفكاره وإيصالها إلى القارئ.

يلجأ الروائي إلى استثمار ضمير الغائب بدرجة عالية مقارنة بضميري (المتكلم والمخاطب)؛ لأنه الملاذ الذي يجد فيه حرية التعبير عن آرائه وأفكاره، وكذلك لتبني إيديولوجيته في النص دون أن يتعرى أمام القارئ، حيث يتعامل مع الأحداث كأنه مجرد راوٍ ولا تربطه أية صلة بالحديث والعمل السردي، هو موكل بمهمة السرد فحسب.

وللتوضيح أكثر نستعين بمثال آخر يبرز فيه ضمير الغائب، والذي جاء هذه المرة على لسان «مريم»، تقول:» إنه في وهران، ولن يتمكن من الحضور، إنه يجاهد في سبيل الله، يحارب الإسبان فادعوا له بالنصر، إن شاء الله»(قويدري، 2015، صفحة 32).

تستحضر لنا «مريم» مكان تواجد «حميدو»، كما تعلل سبب غيابه عن جنازة أبيه لاشتغاله بالجهاد ومحاربة الإسبان، وهذا يدل على حبه الشديد لوطنه ورغبته الملِّحة في خدمته، كما يلعب ضمير الغائب في هذا المقطع دورا بارزا في تعريف القارئ ببطولات «حميدو» التاريخية وكذلك شجاعته العالية في محاربة العدو.

يدرك القارئ للنص السردي «الرايس» تمام الإدراك مدى هيمنة ضمير الغائب على الضمائر الأخرى، ولعل ذلك مخافة من الوقوع في فخ «الأنا». وقد أرجع الباحث الجزائري «عبد المالك مرتاض» سبب شيوع هذا الضمير في النصوص السردية إلى جملة من الأسباب أهمها(مرتاض، 1998، الصفحات 153-154):

أنه وسيلة صالحة لأن يتوارى وراءها السارد فيمرر ما يشاء من أفكار وأيديولوجيات.

يجنب اصطناع ضمير الغائب الكاتب السقوط في فخ الأنا الذي قد يجر إلى سوء فهم العمل السردي.

يفصل اصطناع ضمير الغائب زمن الحكاية عن زمن الحكي من الوجهة الظاهرة على الأقل؛ وذلك حيث إن «الهو» في اللغة العربية يرتبط بالفعل السردي العربي «كان» الذي يحيل على زمن سابق على زمن الكتابة.

اصطناع ضمير الغائب في النص يحمي السارد من إثم الكذب، بجعله مجرد حاك يحكي، لا مؤلف يؤلف، أو مبدع يبدع. وقد يتولد عن هذا الاعتبار انفصال النص عن ناصه؛ وذلك بحكم أنه مجرد وسيط أدبي ينقل للقارئ ما سمعه أو علمه من سوائه.

استعمال ضمير الغائب يتيح للكاتب الروائي أن يعرف عن شخصياته وأحداث عمله السردي كل شيء.

يفصل ضمير الغائب النص السردي فصلا عن ناصه الذي نصّه، ويجعل المتلقي واقعا تحت اللعبة الفنّية، التي اللغة أداتها والشخصيات ممثلات فيها.

يرى «عبد المالك مرتاض» أن «رولان بارث» من أبرز النقاد الغربيين حديثا عن ضمير الغائب (هو،il) ويقول: «إن الهو يأتي في العمل الروائي بمنزلة العقد الممتاز للرواية؛ إنه معادل للزمن السردي؛ فهو يدل على الفعل الروائي وينجزه؛ إذ من دون ضمير الغائب يعتور الرواية الخور، بل ربما حلّ بها الدمار»(مرتاض، 1998، صفحة 155)، فكأن «الهو» البارتي هو الرواية نفسها، بل كأنّه زمنها نفسه، فهو المنشط للسرد وفاعله، وأيضاً الدال عليه والدافع إليه.

يضاف إلى هذا كله أن هوية الشخصية الحكائية ليست ملازمة لذاتها؛ أي أن حقيقتها لا تتمتع باستقلال كامل داخل النص الحكائي، لأن بعض الضمائر التي تحيل عليها إنّما تحيل في الحقيقة، كما يؤكد بنفنيست BENVENISTE « على ما هو ضد الشخصية، وخير مثال على ذلك «ضمير الغائب»، فهو في نظره ليس إلاّ «شكلا لفظيا وظيفته أن يعبر عن اللاشخصية»(لحمداني، 1991، صفحة 50)، لأن القارئ بإمكانه أن يتدخل بذخيرته الثقافية ليقدم صورة مغايرة عما يراه الآخرون عن الشخصية الحكائية.

وعليه فإن استخدام ضمير الغائب في السرد الروائي يؤدي إلى الفصل بين ما مضى وما هو حاضر وبناء عليه تصبح الشخصية التاريخية شخصية منتمية إلى زمن مضى دون رجعة، زمن منقطع عن الحاضر انقطاعا كاملا(وتار، 2002، صفحة 79).

2-2-استخدام ضمير المتكلم

يقوم المؤرخ في تقديمه للشخصية التاريخية باستعمال «ضمير الغائب»، هذا الأخير الذي يسهم بدوره في تغييب الشخصية وتقديمها من وجهة نظر غريبة عنها، في حين يتفاعل الروائي مع مختلف الضمائر من (الغائب، المتكلم، المخاطب)، ويجعل الشخصية التاريخية تقدم نفسها بنفسها؛ يعني باستخدامها ضمير «الأنا- المتكلم» الذي يسمح لها أن تتحاور وتتفاعل مع شخصيات الرواية، وهذا ما يجعلها شخصية روائية شأنها شأن الشخصيات المصطنعة في النص الروائي.

ظهرت شخصية الرايس «حميدو» في السرد الروائي، وهي تتحدث بضمير المتكلم، يقول «حميدو»:«...عليّ أن أتمكن من إيجاد غنيمة كبيرة من شأنها أن تنسي الداي مصطفى باشا ما أقدمت عليه معك»(قويدري، 2015، صفحة 126).

لا شك أن استخدام ضمير المتكلم يؤدي بالشخصية التاريخية إلى قول ما يخصها هي شخصياً، ولا يعلم به الراوي، ف«حميدو» يخبرنا عن هدفه المتمثل في إيجاد غنيمة ترضي الداي «مصطفى باشا»، لأنه هو القائم الفعلي بخطة فرار وكيل الحرج «مصدق» وعائلته، لذلك كان الضغط على هذه الشخصية واستنطاقها ملائما ومبدأ السرد الروائي؛ فهو سرد ما لا يعرفه أحد غيره ويجهله الراوي نفسه/ ما الذي قام

به «حميدو» مع «مصدق» في رحلة فرارهما إلى إسكندرونة فغياب الراوي في المقطع المقبوس السابق يوحي إلى عدم استطاعته استخدام ضمير الغائب، لأنه يجهل كثيرا من المعلومات التي لا يعرفها إلاّ صاحب القصة نفسه.

إذا كان ضمير الغائب يحيل إلى زمن مضى دون رجعة، فإن ضمير المتكلم من شأنه أن يقرب بين الزمنيين، الماضي والحاضر، ويجعل الشخصية التاريخية شخصية حية تغادر الزمن الماضي لتعيش في الحاضر من جديد(وتار، 2002، صفحة 79)، وهذا ما قامت به الروائية «هاجر قويدري» مع شخصيتها التاريخية، حيث جعلتها تغادر زمانها البعيد وتحيى مرة أخرى في النص الحاضر لتعبر عن ذاتها بذاتها، وهذا ما يؤكده هذا المقطع، يقول «حميدو» :»ربما أردت أن ترسمني حتى أرسلها لمريم، لكنني متأكد أنني لن أفعل، كما أنني متأكد أنني لن أتزوجها وأنني ضيّعت حياتها بالكامل. أجهل لماذا أفعل ذلك، إنها لا تستحق وأنا في داخلي أحبّها أكثر من روحي ومع كل هذا لا يمكنني الزواج بها. كل ما حدث هو ورطة كبيرة، من الصعب أن أجد نفسي منساقا خلف حكايات الزواج وتربية الأولاد وأنا غائب كبير عن البيت. الزواج يعني أن أكون على اليابسة لوقت أكثر وأن أترك البحر لوقت أكثر، وأنا قد حسمت أمري في هذا الأمر منذ زمن طويل»(قويدري، 2015، صفحة 111).

يسرد لنا «حميدو» قصة حبه ل»مريم» باستخدامه ضمير المتكلم «الأنا»، الذي قلما ونجد حضوره في النص؛ إذ أخبرنا عن شدة حبه لخطيبته «مريمّ» وكذلك تحسره عليها لعدم قدرته على الزواج منها، فهو أعطى حياته وروحه للبحر، فيصعب عليه العيش في اليابسة وتكوين أسرة، التي تحتاج إلى مسؤولية كبيرة مثل مسؤولية البحر أو أكثر.

فقد سمح له الراوي أن يسرد أطوار حكاية حبه ل»مريم» وتركه يروي عن الحب العميق بينها، والمعاناة المؤلمة التي جلبها إياه هذا الحب، كما أتيحت له الفرصة لأن يخرج ما في داخله من أحاسيس وعواطف والغوص في أعماق نفسه حيث لا يستطيع التاريخ أن يصل، فيفصح عن آلامه وعواطفه من خلال المشاهد الحوارية الموجودة في الرواية.

إن الغاية الفنّية التي تحققها هذه الآلية من خلال استنطاق الشخصية التاريخية ودفعها إلى الكلام، هو «كسر حاجز الزمن والتقريب بين الماضي والحاضر»(وتار، 2002، صفحة 80) وخير مثال على ذلك ما تقوله شخصية الرايس «حميدو بن علي» التي غادرت من ماضيها البعيد لتعيش في الحاضر وتتفاعل مع مختلف شخصيات الرواية، ما يمنحها وجودا وحرية على مستوى الإبداع الروائي.

كما تسهم هذه الآلية في تحقيق المتعة الفنّية والجمالية للنص الروائي، من خلال الابتعاد عن آلية التسجيل والنقل الحرفي للأحداث التاريخية وأيضا الابتعاد عن السرد السيري «السيرة الغيرية» فاستنطاق الشخصية التاريخية وطرح أفكارها والتعبير عن مشاعرها وأحاسيسها هو الذي يجعلها فنّية لا تأريخية، وفي الوقت نفسه يجعل النص الروائي حافظا ومتمسكا بآلياته الفنّية التي لابد لكل نص تخييلي أن يتحلى بها.

لقد سلف الذكر أن ضمير «المتكلم» له القدرة العالية على إذابة الفروق الزمنية والتقريب بين الزمنين(الماضي/ الحاضر)، فكأن السرد بهذا الضمير ينطلق من الحاضر نحو الوراء. ومن جمالياته التي يتسم بها ما يأتي(مرتاض، 1998، صفحة 159):

دمج الحكاية المسرودة أو الأحدوثة المروية في روح المؤلف.

جعل المتلقي يلتصق بالعمل الروائي ويتعلق به أكثر.

إحالته على الذات، لكوّن مرجعية «الأنا» جوانية.

قدرته العالية على التوغل في أعماق النفس البشرية وسبر أغوارها، باعتباره ضميرا للسرد المناجاتي.

ونظرا للقدرة العالية التي يملكها ضمير المتكلم في سبر أغوار الشخصية والكشف عن أعماقها ومعرفة ما يجول بداخلها، فإن الشخصية التاريخية «حميدو» تفصح لنا عن أمانيها وحبها الشديد لعالم البحر، يقول «حميدو» مخاطبا «بفاريتو- علي طاطار»: «...لو حدث لي شيء في البحر فلا تأخذوني إلى اليابسة، قل لهم يا عليلو أن يرموا بي في عمق البحر، حتى أتناغم مع السكينة وأشفى من هذا العالم الصاخب»(قويدري، 2015، صفحة 112).

إن هدف الروائية من استنطاق الشخصية التاريخية «حميدو» هو للكشف عن أعماقها وما يدور في خلدها، إذ أطلعنا «حميدو» عن أمنياته، عن شدة حبه للبحر وسكينته، فالقارئ لسيرته يجد أن هذه الأماني حقيقية، فقبل وفاته أوصى أن يرموا بجثته في البحر، وتتضح وظيفة هذه التقنية أكثر من خلال إفصاح الشخصية عما يختلج في صدرها وكأنّها

وسيلة لتفريغ المعاناة العالقة في الصدور.

2–3–استخدام ضمير المخاطب

تعتبر هذه الآلية من أحدث الآليات، وأشهر من اصطنعها هم الغربيون وبالتحديد «ميشال بيتور M. BUTOR» في روايته «التحويل la modification» مصرحاً عن علة استخدام هذا الضمير في العمل السردي قائلا:»لما كان الأمر يتعلق باستعادة الوعي، فإنه كان على الشخصية الروائية أن لا تقول «je». وكان عليّ إذاً أن أعمد إلى اصطناع مناجاة تكون أدنى من الشخصية نفسها في شكل يقع وسطاً بين ضمير المتكلم وضمير الغياب. إن الأنت «le vous» يتيح لي توصيف وضع الشخصية من وجهة، ورصد الكيفية التي تولد بها اللغة في نفسها من وجهة أخراة»(مرتاض، تحليل الخطاب السرديّ - معالجة تفكيكية سيمائيّة مركّبة لرواية «زقاق المدق»، 1995، صفحة 197)، يأتي هذا الضمير في المرتبة الثالثة والأخيرة، وهو الأقل ورودا في نص «الرايس»، حيث يتسم بالتعقيد والطولية إلى حد بعيد، فهو متشعّب يتجه تارة نحو الماضي القريب وأخرى نحو المستقبل القريب؛ أي يتقدم ويلتف إلى الوراء، لذا تتجاذبه جميع الأزمنة وكأن هذا الضمير يأتي استعماله وسيطاً بين ضمير الغائب والمتكلم، فهو يقع بين بين، يتنازعه الغياب المجسد في ضمير الغياب، ويتجاذبه الحضور الشهودي المماثل في ضمير المتكلم(روايني، 2000، الصفحات 188-189).

تبرز لنا هذه الآلية في النص من خلال الحوار الذي دار بين وكيل الحرج» السيد علي» و»حميدو»، يقول وكيل الحرج مخاطبا «حميدو:» لا أسمح لك بالبقاء هنا أكثر من ثلاثة أيام. أنتَ تعرف عقوبتك جيدا، لولا وفاة والدك لما تركت هذا السنبك يرسو هنا أبدا»(قويدري، 2015، صفحة 38).

لقد اتخذ وكيل الحرج «السيد علي» في هذا الموقف دور المحقق البوليسي، الذي تحدث عنه «ميشال بيتور-B.Mi chel» إذ يقوم بجمع كل المعلومات المتعلقة بشخص ما ليواجهه بها(وتار، 2002، صفحة 78)، فوكيل الحرج بصفته وكيلا للشؤون الخارجية والبحرية فهو واعي بالعقوبة التي تلحق ب»حميدو» إذا مكث أكثر من ثلاثة أيام، أضف إلى ذلك أنه يسعى من خلال تحقيقه هذا إلى إدانته والتقليل من شأنه أمام بحارته.

إن استخدام ضمير المخاطب في النص يخدم غرضين: أولهما رفض الراوي الإفصاح عن الكلام المتعلق بالشخصية، أو عدم قدرته على الإدلاء به، وثانيهما كذب المتكلم أو محاولته إخفاء شيء ما أو عدم معرفته ما حدث له(وتار، 2002، صفحة 78).

يخاطب في هذا المقطع «علي طاطار» «حميدو» قائلا:» لقد ضيعت على نفسك منصب الداي، يبدو أن الداي الجديد خاف أن تأخذ مكانه؟»(قويدري، 2015، صفحة 177). يتضح لنا من خلال هذا المقطع رغبة «علي طاطار» في معرفة ردّة فعل «حميدو» لما ضيّع منصب الداي، وفي الوقت نفسه يكشف لنا عن عدم رغبته في استلامه لهذا المنصب، نظراً إلى غطرسة الدايات ورغبتهم المخيفة في الحصول على غنائم كثيرة، وأيضاً فرض سلطتهم على جميع أفراد الإيالة.

يستوقفنا مرة أخرى حوار «جون جاكسون» مع «حميدو»، يقول:» لو أنك تقبل بالخدمة في البحرية الأمريكية، سيكون هذا مكسبا كبيرا لنا»(قويدري، 2015، صفحة 179).

إن مطالبة «جون جاكسون» بقبول «حميدو» بالخدمة البحرية الأمريكية، ما هو إلاّ استفزاز ل»حميدو» الذي لا يرضى بالخدمة مع الدولة الأمريكية الكافرة، لأن من أبرز مبادئه الدفاع عن الدين الإسلامي، باعتباره عمود الإيالة، ثم الدفاع عن المبادئ الأخرى التي تخصها، وكأن ضمير المخاطب يستخدم لمعرفة ردّة الفعل و من ثم دفع الشخصية إلى المواجهة.

خاتمة

وهكذا استلهمت الروائية الأحداث التاريخية بغية تمديدها وتركيبها بالتخييل، فقد أضافت على الحوارات التاريخية كثير من المخيالية السردية واستنطقت التاريخ الذي سكت عنه المؤرخون في كتاباتهم وذلك وفق عملية تذويب التاريخ مع التخييلي وجعل هذا الأخير في خدمة الأول المسكوت عنه لعوامل عديدة قد تكون ذاتية أحيانا وموضوعية أحايين أخرى، كما استعانت بتقنية تعددية الضمائر(الغائب، المتكلم، المخاطب)، في العمل الروائي ما هي إلاّ آلية فنّية جديدة يستعين بها الروائي المعاصر لبناء نصه وتزيينه وفي الوقت نفسه وسيلة لإبعاد الشخصية التاريخية عن فخ التسجيل والنقل الحرفي للتاريخ، ومن ثم جعلها تتحاور وتتفاعل مع باقي الشخصيات الروائية مما ينتج نصا روائيا مكتملا ومحافظا على المرجعيتين التاريخية والفنّية.

المراجع

1. أحسن ثليلاني، و سماح طاجين. (بلا تاريخ). حضور التاريخ وتوظيفه في الكتابة الروائية رواية « البيت الأندلسي» لواسيني الأعرج أنموذجا.
2. الشريف حبيلة. (2010). بنية الخطاب الروائي - دراسة في روايات نجيب الكيلاني. الأردن: عالم الكتب الحديث.
3. الطاهر روابنية. (2000). سرديات الخطاب الروائي المغاربي الجديد – مقاربة نصية نظرية تطبيقية في آليات المحكي. قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر.
4. جورج لوكاش. (2005). الرواية التاريخية. (صالح جواد الكاظم، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
5. حميد لحمداني. (1991). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي (الإصدار 1). المركز الثقافي العربي.
6. روجر ب هينكل. (بلا تاريخ). قراءة الرواية. (صلاح رزق، المترجمون) القاهرة: دار غريب.
7. سعيد يقطين. (1997). قال الراوي- البنيات الحكائية في السيرة الشعبية. المغرب: المركز الثقافي العربي.
8. عبد الرحمان بن يطو. (2018). الشخصية الروائية بين المرجعية التاريخية والمتخيل السردي - مقاربة تحليلية لثلاثية «أرض السواد» لعبد الرحمان منيف. مجلة جسور المعرفة، 4(1).
9. عبد الرزاق بن دحمان. (2013). الرؤية التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة «روايات الطاهر وطار أنموذجا»- دراسة تحليلية تفكيكية. قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر: جامعة الحاج لخضر باتنة.
10. عبد السلام أقلمون. (2010). الرواية والتاريخ - سلطان الحكاية وحكاية السلطان (الإصدار 1). الرباط: دار الكتاب الجديد المتحدة.
11. عبد الملك مرتاض. (1995). تحليل الخطاب السرديّ - معالجة تفكيكية سيمائيّة مركّبة لرواية «زقاق المدق». الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
12. عبد الملك مرتاض. (1998). في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد. الكويت: عالم المعرفة.
13. عمر عيلان. (2002). الضمائر ودلالة تعدد الصيغة في رواية «حمائم الشفق» لجيلالي خلاص. مجلة العلوم الإنسانية، 13(1).
14. فوزي الزمرلي. (بلا تاريخ). الرواية التاريخية عند البشير خريف. تاريخ الاسترداد 01 11, 2018، من https://www.4shared.com/document/pyMrPHpx/online.htm
15. محمد بوعزة. (2010). تحليل النص السردي – تقنيات ومفاهيم (الإصدار 1). الرباط: دار الأمان.
16. محمد حسن مربن. (بلا تاريخ). الأمير: الشخصية التاريخية في الرواية. تاريخ الاسترداد 11 09, 2018، من https://massareb.com//?p=7819
17. محمد رياض وتار. (2002). توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة. دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب.
18. مصطفى المويفن. (بلا تاريخ). تشكل المكونات الروائية.
19. نادر أحمد عبد الخالق. (2009). الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني. العلم والإيمان.
20. نضال الشمالي. (2006). الرواية والتاريخ – بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية (الإصدار 1). الأردن: عالم الكتب الحديث.
21. هاجر قويدري. (2015). الرايس (الإصدار 1). الجزائر: منشورات الاختلاف.
22. (s.d.). Récupéré sur https://www.maghress.com

The Imaginary Approach in Building the Historical Character «Hamido Ben Ali» in the novel «arais» by Hajar Koueidry

Abstract

There are many narrative techniques in formulating the basic structure of the fictional text, as the formula is one of the central components in giving the mental and aesthetic impression, and influencing the recipient, Including the pronoun of the first person, the absent person, and the interlocutor, This feature gave the aesthetics of the narrative style and multiple dimensions to reading the text and its narrative structure.

Keywords
novel
history
imaginary
historical personality
multiple pronouns

L'approche imaginaire dans la construction du personnage historique «Hamido Ben Ali» dans le roman «arais» de Hajar Koueidry

Résumé

Il existe de nombreuses techniques narratives pour formuler la structure de base du texte de fiction, car la formule est l'un des éléments centraux pour donner l'impression mentale et esthétique et influencer le destinataire, y compris le pronom de la première personne, la personne absente et Cette caractéristique a donné l'esthétique du style narratif et de multiples dimensions à la lecture du texte et de sa structure narrative

Mots clés
roman
histoire
imaginaire
personnalité historique
pronoms multiples

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

التصوف تجربة كونية قراءة في اعمال اريك فروم

Reading in the mystical experience in the philosophy of Erich Fromm

د. نصيرة بوطغان
Dr. Nassera Boutaghan
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر
nasserasafo@yahoo.com

ملخص

يسعى المقال إلى الوقوف على طبيعة التجارب الإيمانية(الصوفية) في الفضاءات الغربية من خلال رؤية الفيلسوف الألماني اريك فروم، الذي يعتقد أن المجتمعات الغربية مجتمعات التقنية والحداثة والأنوار قد غرقت في عالم التشؤ والمادة وفقدت كل القيم الإنسانية الحقيقية، فهي تعيش حالة اغتراب مضاعف، وهي تتجه إلى المجهول، وقد صار الإنسان أحادي البعد عبدا لمنتجاته فاقدا للمعنى، ولانتشال الإنسان من هذا الضياع حاول فروم بنزعته الإنسانية تقديم سبل خلاص الإنسانية وتحررها، والخلاص مرهون بضرورة العودة إلى التجارب الإيمانية والصوفية بكونها تتضمن قيم إنسانية حقيقية يمكن أن تساعد الإنسان على استرداد كرامته وكينونته المنسية والأمل المفقود. إنها سبيل أي تغيير في التاريخ، هذا الإيمان الذي تم تحييده تحت ضغط النزعات العلمية وقد ادى هذا النزوع للعلم الجديد إلى انهيار القيم الروحية، كما أن القيم الإنسانية السامية التي تتجاوز الحاجيات المادية فقدت وزنها وتأثيرها، والإنسان المعاصر اعتقد انه مطالب بالتحرر من الدين والممارسات الطقوسية، لكنه اكتشف أن العودة للدين وللتجارب الدينية في صورتها الصوفية الروحية هي الأمل الوحيد لنيل حريته.

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2023-04-22
تاريخ القبول 2024-02-25

الكلمات المفتاحية
التصوف
الكينونة
الإنسان
التقنية
الاغتراب

مقدمة إستشكالية

سعى المفكر الالماني اريك فروم Erich Fromm(1900-1980) إلى تفكيك الوضع الانساني للوقوف على الاسباب الفعلية التي ادت به إلى فقدان إنسانيته وكرامته وكينونته في عالم الاشياء والتقنية التي أنتجها، فصارت الملكية هي المعيار الوحيد في تعريف الإنسان وتحديد قيمته بل ماهيته، وهذا الوضع جعل الإنسان المعاصر يشعر بالاغتراب والضياع والقلق وفقدان الأمل، لقد صار أحادي البعد عبدا لمنتجاته فاقدا للمعنى، وفي ظل هذا الوضع المأزوم حاول اريك فروم بنزعته الإنسانية تقديم سبل خلاص الإنسانية وتحررها لاكتشاف كينونتها الحقيقية المنسية، ولعل الإيمان والنزعة الروحية(التصوف) كما يراه، هو سبيل البشرية اليوم، لأن التجارب الصوفية عبر التاريخ أثبتت أنها عزاء البشرية في محنها، ولا أمل للإنسان في معزل عن الإيمان، فهو ضروري لأي تغير اجتماعي في التاريخ، هذا الإيمان(الدين) تم تحييده والتقليل من دوره تحت تأثير النزعات العلمية.

وقد ادى هذا النزوع للعلم الجديد إلى انهيار القيم الروحية، كما أن القيم الإنسانية السامية التي تتجاوز الحاجيات المادية فقدت وزنها وتأثيرها، والإنسان المعاصر اعتقد انه مطالب بالتحرر من الدين والممارسات الطقوسية، لكنه اكتشف أن العودة للدين وللتجارب الدينية في صورتها الصوفية الروحية هي الأمل الوحيد لنيل حريته، وهو يلتقي واعتقاد بول ريكور الذي يقول:»متى لم يعد هناك اعتقاد نتشبث به، ولا بقي بين أيدينا ما نؤمن به، فإن كل شيء سيتبخر ويتحول إلى هباء منثور»(الاعتقاد والانتقاد،ص05).

لهذا السؤال المشروع هو كيف قارب إريك فروم أزمات الإنسان المعاصر؟ وماهي العوامل الفاعلة التي أدت بالإنسان إلى الانحراف عن إنسانيته؟ وهل يمكن أن يكون الإيمان(التصوف) هو سبيله للخروج من ضيق التملك إلى أفق الكينونة(الإنسانية)؟ وسنركز في هذه الدراسة على

النقاط التالية:

أولا: اغتراب الإنسان المعاصر في عالم التملك (الاشياء).

ثانيا: جدل السوسيولوجي والسيكولوجي والديني.

ثالثا: الإيمان (التصوف) في مقاومة التملك.

1–اغتراب الإنسان المعاصر في عالم التملك(الأشياء)

الإنسان هو الكائن الذي يحيا في افق المعنى، معنى يستمده من انتمائه الثقافي والاجتماعي والتاريخي واللغوي، أفق يساعده على الاستمرار والتحرك في التاريخ، وبه يسمو عن عالم الأشياء بكونه كائن هوياتي يشعر بانتمائه المستمر للإنسانية، لكن هذا الكائن فقد المعنى في هذا العصر، عصر الحداثة الفائقة والتقنية المتجاوزة المنفلتة من كل معنى وقيمة إنسانية، وكأن الإنسان أنتج عالم مضاد لعالم المعنى، إنه عالم الأشياء والتقنية التي أنتجها وسرعان ما انفلتت منه فصار جزءا منها يعيش داخلها، لا يعي مايحدث من حوله، إنه كائن شقي فعلا بلغة نيتشه.

هذا الوضع الذي آل إليه إنسان العصر دفع بالفيلسوف الألماني إريك فروم إلى التفكر في وضعه المأزوم عبر النقد محاولا تعرية المجتمع التقني الذي سلب الإنسان حريته وجعله عبدا لعالم الأشياء، إنسان انتصر للوجود على حساب كينونته التي تم نسيانها حسب هيدجر(Martin Heidegger) (1889-1976، لأن «نسيان الوجود كان بمثابة السبب الأكثر قوة ومركزية في تحديد انحطاطها لاحقا» (هيدجر، 2015). والمهمة التي تكفل بها فروم هي العمل على تحرير الإنسان ليعود إلى ذاته مرة ثانية ويمارس كينونته الحقيقية، وتقديم رؤى علها تساعد الإنسان على اكتشاف ذاته ووجوده الأصيل بلغة ياسبرز Karl Jaspers(1883-1969م) (كارل، 2007)، إنسان فقد القدرة على التواصل مع غيره أو مع الإنسان كآخر مختلف فصار كائن دو بعد واحد (ألكسيس كاريل)، رهينة لعالم الاستهلاك والتملك، فصار يدرك وجوده عبر الأشياء التي أنتجها كوسيط ومن ثم زاد اغتراب الإنسان عن إنسانيته، لقد فعلت الحداثة فعلتها فحطمت مقولة المعنى والأنسنة مساوية بين كل الكائنات، وهي عودة إلى المرحلة الديكارتية، أين جعل ديكارت السيطرة على عالم الأشياء سبيل ادراك الكينونة.

وبين الوجود المستلب والوجود الأصيل يحاول فروم انقاذ الإنسانية بداية بتشخيص أمراض الحداثة خاصة الأمراض المتأتية عن التقنية، والخروج مرهون بأنسنة كل مظاهر الحياة من سياسة وتقنية وتملك واقتصاد وإعادة الاعتبار لمقولة الكينونة والمعنى. والمعنى يسترد عبر اعادة الاعتبار للدين والنزعة الإيمانية، هذا الوضع دفع فروم إلى توظيف جملة من المناهج والمقاربات حيث نجده يعتمد على المقاربة السيكولوجية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية والنقد الفلسفي والتاريخي، فهو سليل مدرسة فرانكفورت المعروفة بنقدها لكل مظاهر الانحراف الاجتماعي والعلمي، لهذا كانت الإشكالية التي انطلق منها تتعلق بآليات انتشال الإنسان المعاصر من عالم الأشياء والتملك والإلحاد وإعادة موضعته في أفق الكينونة والإيمان والأخلاق؟

2–جدل السيكولوجي والسوسيولوجي والديني

ارتكزت رؤية فروم لواقع الإنسان المعاصر على الرؤية السيكولوجية التي انحدرت من فرويدSigmund Freud(1856-1939)، والمعروف أن فرويد من واضعي أسس التحليل النفسي، وهو منهج يُعتمد في علم النفس بغية دراسة الظواهر النفسية من خلال تمظهراتها السلوكية محاولا تفسير وتأويل تلك السلوكات لفهم العالم الباطني واستنباط قوانينها، وتبقى الغاية الأسمى هي التحكم في الفرد داخل المجتمع ومراقبة علاقاته مع ذاته ومع غيره، لأن هذا التيار يعتقد بإمكانية فهم البنية النفسية لأفراد المجتمع ومن ثم توقع ردود أفعالهم مسبقا والتحكم فيها وتوجيهها، لكن فروم كان يرى أن علم النفس المعاصر في أزمة ينبغي تشخيصها، ومن تمظهرات تلك الأزمة هو عزوف الطلبة والمرضى على معاهد التحليل النفسي (فروم، 1998).

ويعود فروم لأسباب ظهور علم النفس وانتشاره وتوسعه في كل الحقول المعرفية والجوانب الحياتية إلى ألازمات التي عاشها الإنسان بسبب الحروب أولا التي خلفت مآسي كان من مظاهرها الشعور بالقلق والخوف والعزلة والضياع، وثانيا بسبب تحييد الدين عن الفضاءات العامة تحت ضغط الحداثة والنزعة العقلانية والتقنية المتطرفة، وتراجع الدين كان سببا في انتاج إنسانية فاقدة للمعنى تشعر بالاغتراب في هذا الوجود، وعليه فهذا الوضع النفسي والاجتماعي والديني ساهم في ظهور التحليل النفسي كحاجة أنطولوجية ملحة، فحل المحلل النفسي محل رجل الدين والفلسفة والسياسة،

وهكذا انتقلت البشرية من قداسة الدين إلى قداسة المحلل النفساني، وهذه الوضعية الهشة التي عاشها الإنسان الغربي جعلته رهينة لأناس غير متخصصين يعبثون بجسده وبوعيه وبقيمه، فكان هذا الانفلات سببا في فشل التحليل النفسي على تقديم حلول واقعية للإنسان الغربي (فروم، 1998).

وبدأت أزمة التحليل النفسي عندما تحول كبديل عن القيم الدينية فصار دينا وطقوسا بلغت درجة التقديس والدوغما، لأن المجتمع صار رهينة الرؤية الفرويدية لحياته السيكولوجية ولسلوكياته الاجتماعية، أي أن التحليل الفرويدي صار بمثابة البراديغم الذي يحرم الخروج عنه، وكل محاولة للتحرر وتقديم تصور مغاير عن الإنسان تدخل دائرة التكفير (قاسم، 2011).

وأزمة الإنسان الغربي تضاعفت مع سيطرة التحليل النفسي وبلوغه درجة القداسة، وهذا كلام تلميذ فرويد نفسه(فروم)، لأن التحليل النفسي عمل على بث الشك في الأديان وقدرتها على تمكين الإنسان من الخروج من أزمة القلق والضياع إلى أفق الاستقرار والطمأنينة، لقد شكك التحليل النفسي في الإيمان. رغم تأكيد فروم على أن التحليل النفسي يعكس شخصية فرويد النفسية، معتبرا التحليل النفسي «وسيلة لفهم الذات...ووسيلة في فن العيش» (فروم، فن الإصغاء، ت، 2004)وإذا أردنا فهم طبيعة التحليل النفسي فينبغي البحث عن أسسه داخل شخصية فرويد.

ورغم هذا الموقف السلبي الذي اتخذه فروم إلا أن التحليل النفسي يظل منهجا ضروريا لمقاربة الثقافات وتحليلها من وجهة نظر بول ريكور Paul Ricoeur(1913-2005)، لأن الإشكال لا يكمن في المنهج وفرويد وإنما في طريقة فهمنا لبنية التحليل النفسي، لأننا لم نفهم التحليل النفسي على أنه آلية هيرمينوطيقية وطريقة في التفسير يمكن اعتمادها في فهم البنى الثقافية وعلاقتها بحياتنا النفسية (بول، 2003). فهو تقنية منهجية تساعدنا على التحرر من كل أنواع الحتميات الخارجية التي تضغط على حياتنا النفسية وتولد لدينا القلق والشعور بالعجز، فينبغي أن ننظر للتحليل من زاوية ايجابية على أنه سبيلنا للخروج من ضيق القلق إلى أفق فن العيش على طريقة شوبنهاورArthur Schopenhauer(1788-1860).

والتحليل النفسي في نظرنا مكن المجتمعات الغربية المعاصرة من فضح القوى التي تتحكم في حياته الاجتماعية عبر قوالب ثقافية جاهزة، لكن فروم يعتقد أن التحليل النفسي لم يتمكن من انتاج إنسان متزن أخلاقيا ونفسيا واجتماعيا في ظل سيطرة التقنية وطغيان عالم الأشياء وثقافة الاستهلاك، هذه الثقافة التي أوهمت الإنسان بإمكانية التحرر وبلوغ الرفاهية والسعادة في حالة تنكره للقيم الدينية والروحية، لهذا عمل فروم على اعادة بناء مفهوم التحليل النفسي ليشمل الظواهر السوسيولوجية، وهو مايطلق عليه بعلم النفس الاجتماعي الذي يحاول فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية من خلال ربطها بباقي الظواهر الاقتصادية والسياسية والثقافية، وهنا يكون قد انتج نظرية وأسس لمنهج يجمع فيه بين التحليل النفسي الفرويدي والتفسير المادي لماركس، فإذا كان فرويد مكتشف قارة اللاوعي وتأثيرها على حياة الفرد وعلاقاته الاجتماعية فإن ماركس قد أشار إلى أن الإنسان هو الذي يصنع تاريخه وأن الحياة النفسية (حب، كره، قلق، وخوف) تحركها الحاجات المادية، ليصبح دور علم النفس الاجتماعي هو محاولة تعرية البنية الليبيدية للمجتمع (فروم، ماوراء الأوهام، 1994).

إذا أردنا فهم الشخصية الاجتماعية فينبغي ربط سلوك الأفراد بالمعطيات الثقافية لما لها من تأثير كبير على تشكيل وعيهم الفردي والجمعي، ولا ينبغي التركيز على البعد الغريزي، وهذا ما حاول توضيحه فروم من خلال تحليله لحالة الكبت الفردي والاجتماعي، فالكبت له علاقة بظاهرة النبذ والعزل الاجتماعي التي يمارسها على أفراده، وبالظروف المادية والثقافية والسياسية والعقدية التي ينتمي إليها، ولا يمكن تفسيره غريزيا، وهكذا يصل فروم إلى اعادة بناء مفهوم الإنسان والمجتمع، فالإنسان كائن انثروبولوجي يتميز بحرية الارادة والقدرة على العقلنة والأنسنة والميل إلى العيش المشترك، في حين المجتمع عبارة عن كيان يلتقي فيه ماهو مادي بماهو روحي ويمارس فيه الفرد علاقاته في أفق الحب والتعاطف، وبهذا التصور يكون فروم قد حاول التوفيق بين التحليل النفسي والتفسير المادي أو بين فرويد وماركس (فروم إ.، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، صفحة 1979)، وهذا هو مفهوم الشخصية الاجتماعية التي يركز عليها فروم في نظريته، فكل مجتمع مطالب بأن يعمل على تكوين أفراده تكوينا ايجابيا في أفق الحب والإيمان (الخوف من الحرية، 1979).

إن تحرير الإنسان المعاصر من ثقافة التملك مشروط بإعادة بناء الكثير من المفاهيم وتصويبها، وهو العمل الذي قام به فروم أين اعاد بناء مفهوم الفرد وعلاقته بالمجتمع وببنيته الثقافية، وفي كل محطات فكره كان يسير على خطى مدرسة فرانكفورت(ماكس هوركايمر، ماركيز، تيودور أدورنو، ...)، مدرسة اعلنت عن أهدافها بصراحة وهي العمل على تحرير الإنسان من كل مظاهر التسلط والهيمنة والتملك، ووسيلتهم في ذلك النقد (ماركس، 1990)، وعبر النقد يمكن انتشال الإنسان من عالم المادة وإعادة موضعته في أفق الكينونة التي تكتشف ذاتها من خلال علاقتها بالغير والتواصل معه.

3–الإيمان (التصوف) في مقاومة التملك

يعتقد فروم أن الجماليات التي فقدها الإنسان بفعل سيطرة عالم الأشياء يمكن العثور عليها في الدين والتجارب الروحية(الصوفية)، لأن الدين أو لوساكري(sacré) يمنح الإنسان القيم التي تسمو به عن عالم التملك، لهذا ينبغي أن يكون هو مصدر القيم وسبيلنا للخلاص، فهو الذي يمكن الإنسان من التمييز بين المقدس والمدنس(profane)، ولا غرابة في هذا الموقف الذي اتخذه فروم من الدين إذا علمنا أنه تَلقى تربية دينية (أرثوذكسية)، فكان يؤمن بأن هوية الفرد ليست معطى اجتماعي وثقافي فحسب وإنما تتحدد بمقومات دينية (فروم، حب الحياة، نصوص مختارة، 1998)، وهذا ما اكتشفه في الأرثوذكسية اليهودية التي تدافع عن ضرورة الحفاظ على الهوية الأصيلة، وسبيل ذلك هو المحافظة على وحدة الدين، والدين خزان للقيم الإنسانية كلما استند الإنسان عليها كلما أمكنه تجاوز أزماته الأنطولوجية، لأننا نجد في الدين «إجابة على كل مشاكل الوجود الإنساني التي وجدت إلى الآن» (فروم إ.، 2013)،

كما أن الدين يساعد المجتمع على ضبط أفراده في أفق القيم المشتركة، والمطلوب أنسنة الدين ليستجيب لحاجياته الروحية والمادية، وكل إنسان له ميل طبيعي للدين، فينبغي إعادة تأويل النصوص الدينية لتصبح وظيفة الدين انتشال الإنسان من ظاهرة التملك وإعادته لكينونته الأصيلة، وهنا يعارض موقف ماركس من الدين، لأن ماركس اعتقد أن الدين هو سبب تعاسة الإنسان، وما هو إلا خرافات تمكنت من وعي الناس وارتقت إلى مرتبة القداسة، هذا الموقف رفضه فروم ونادى بضرورة الاهتمام بالعالم الروحاني لإحداث التوازن، ولن يتم الأمر إلا إذا نظرنا للدين على أنه تعبير عن هوية الإنسان، والإنسان الذي»يحاول أن يعيش دون اعتقاد يصبح عقيما دون أمل» (فروم إ.، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، 1978)، أي أن الإيمان la foi عند فروم هو ضرورة إنسانية ليس لها علاقة بدين أو معتقد معين أو بفكرة إلهية، ولكن الإيمان ضروري لكي ينفتح الإنسان على عوالم متعددة ومختلفة، فعبر الإيمان ينفتح على الإنسانية التي تشاركه الألم والأمل، فهو سبيله للعيش المشترك في أفق السلام.

وكل المجتمعات المعاصرة مطالبة بالاهتمام بمادة الدين في برامجها لإشباع حاجيات أفرادها الروحية، وينبغي أن لا ننظر للدين على أنه مجرد مجموعة من الطقوس والسلوكات والمعتقدات وإنما هو قوة محركة للسلوك وميل طبيعي في الإنسان، فهو هويتنا التي فقدناها بنسيانا للدين ويمكن استعادتها بعودتنا للدين، ونحن مكرسون للدين، وهذا الموقف تأثر فيه فروم بالصوفي الألماني ايكهارت الذي استطاع في رأي فروم من بناء إيمانه على حقيقة وجود الله كحقيقة كلية وإتحاد الإنسان بالله (إريك، كينونة الإنسان، 2013)، والإنسان المؤمن هو الذي يملك قدرة التحرر من عالم الأشياء، وقدرته مستمدة من إيمانه بأن السعادة لا تستفاد من امتلاك الأشياء، وفعلا عمل إيكهارت على تحرير فكرة الله من التصورات البشرية، وهذا الموقف نجده عند سبينوزا Baruch Spinoza(1677/1632)في كتابه «رسالة في اللاهوت والسياسة ***Traité théologico-politique***» (Spinoza, 1965). وانتبه ايكهارت إلى ضرورة التركيز على التملك الروحي بدل تملك الأشياء، لأن التملك الروحي هو عزاء البشرية اليوم لتخرج من هيمنة العقل الأداتي. وعبر الإيمان يمكن للإنسان أن يكتشف الحقيقة التي فقدها في سيرورته نحو التقدم، لكن التقدم في نظر فروم لا معنى له بعيدا عن الإيمان وعن القيم الإنسانية التي تشير إليها كل الأديان التوحيدية، وهو يثق في قدرة الأديان على قول الكوني وعلى تمكين البشرية من العيش في سلام دائم، فهي قادرة على نقل الإنسانية من أفق الصراع والتنافر إلى أفق الوحدة والتسامح، فكل الأديان تؤكد على كرامة الإنسان بكونه غاية الوجود، لهذا كلما سعت حضارة أو ثقافة إلى تهميش الدين شأن العلمانية الغربية، كلما ساهمت في اغتراب الإنسان عن ذاته وعن حقيقته الروحية (Fromm, 1978). وهذا التصور يلتقي وموقف باسكال من

الدين الذي يرى أن خروج الإنسان من التعاسة والشقاء مرهون بالعودة إلى الله عبر الإيمان (Pascal, 1943).

ويبدو أن الإنسان المعاصر، الإنسان الذي أنتج الأنوار والحداثة ومابعدها بحاجة لمقولة باسكال وهو العودة مرة ثانية إلى الله عبر الإيمان بعد أن فقد الثقة في الوعود التي قدمت له من قبل عقل الأنوار الذي كان يعده بالسعادة التي ستتحقق على يد العلم وليس الدين (ايمانويل، 2005). لكن الذي حدث هو تحطيم مقولة الحقيقة باسم المعرفة، وصارت المعرفة مجرد شيء قابل للبيع في تحلل من القيم الأخلاقية والإنسانية، وتم رمي الإنسان في العدمية الفائقة، عدمية نيتشه(موت الإله) (فاتيموجياني، 1998)، وفي عالم الاستهلاك المفرط، وفي عالم الحرية الوهمية، وفي الأنا المزيفة والمشوهة، هذا الإنسان أطلق عليه فروم بالإنسان المريض طالما يتعامل مع ذاته تعامله مع الأشياء التي صنعها، والإنسان المريض عاجز على التواصل مع ذاته ومع غيره، لكنه في نفس الوقت مسؤول عن الوضع الذي آل إليه ومسؤول عن الخروج من هذا الوضع عبر العودة إلى الإيمان والتمسك بالأمل.

والأمل هو حالة نفسية داخلية تجعل الإنسان يشعر بإمكانية أن يكتشف كينونته ويستردها، فهو طاقة تدفع الإنسان باستمرار صوب الوجود الأصيل، وينبغي على الإنسان ادراك زيف وجوده الفردي والاجتماعي والعمل على تغييره (إريك، 1979)، إنه عامل مقاومة كل مظاهر الانحلال والتفكك وفقدانه يؤدي إلى أمراض اجتماعية يصعب علاجها، والأمل مرتبط بالإيمان، إذ لا يمكن تصور أمل في معزل عن الإيمان، ولا يمكن للإنسان أن يخرج من هذا الشعور بالضياع والاغتراب إلا عبر الإيمان، فهو سبيل الإنسان المعاصر في زمن تأليه العقل الأداتي، وبالإيمان يمكن التحرر من عبادة الأصنام التي أنتجها هو بنفسه،

لقد آمن فروم بدور الإيمان في تحرير الإنسان من ذاته، وهنا نعود مرة ثانية لبول ريكور الذي يقول:»متى لم يعد هناك اعتقاد نتشبث به، ولا بقي بين أيدينا ما نؤمن به، فإن كل شيء سيتبخر ويتحول إلى هباء منثور» (بول، الاعتقاد والانتقاد، 2011).

خاتمة

بعد تحليلنا لأطروحة فروم وعرض العناصر المشكلة لها يمكن استنتاج بعض النتائج التي نرى أننا حققناها في هذه الدراسة ومنها:

- الإنسان المعاصر يعيش حالة اغتراب عن كينونته متنكرا لكرامته وقيمه الإنسانية خاضعا لمقولة التملك وعالم الأشياء التي أنتجها، فهو يعيش حالة قلق دائم فاقدا للأمل وللمعنى. فهو ضحية أحلامه اللامعقولة(عقل الحداثة).
- يقترح فروم لخروج الإنسان من هذه الأزمات ضرورة عودة الإنسان إلى الدين والاستثمار في التجارب الروحية والصوفية التي كانت عونا له وسندا في خروجه من الكثير من المحن، مؤكدا أن التجارب الإيمانية هي التي تجعل الإنسان قادرا على التواصل مع ذاته ومع الآخر.
- الإيمان هو الذي يعطي لحياتنا معنى في هذا الوجود وعبره يمكن أن نستمر في التاريخ صوب الأفضل.
- مقاومة عالم الأشياء لا يتم إلا عبر التجارب الإيمانية التي تخلق لدينا التوازن وتبعث فينا الجانب الإنساني.
-ينبغي الاستثمار في التجارب الصوفية في كل الثقافات من أجل التأسيس لفضاءات التعايش في أفق الاختلاف كحق طبيعي للجميع.

المراجع

1. إريك فروم. (1979). الإنسان المستلب وآفاق تحرره (المجلد ط1). (ت، لشهب حميد، المترجمون) الرباط: فيديبرات لنشر والتوزيع.
2. اريك فروم. (1979). الخوف من الحرية (المجلد ط1). (ت، مجاهد عبد المنعم مجاهد، المترجمون) سوريا: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
3. إريك فروم. (1994). ماوراء الأوهام (المجلد ط1). سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع.
4. إريك فروم. (1998). أزمة التحليل النفسي. (، ت، طلال عريسي، المترجمون) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
5. إريك فروم. (1998). حب الحياة، نصوص مختارة (المجلد ط1). (ت، محمد سيد، المترجمون) سوريا: دار الحصاد للنشر والتوزيع.
6. إريك فروم. (2004). فن الإصغاء، ت (المجلد ط1). (محمود منقذ الهاشمي، المترجمون) سوريا: اتحاد الكتاب العربي.
7. إريك فروم. (2013). كينونة الإنسان (المجلد ط1). (ت، محمد حبيب، المترجمون) سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.
8. إريك فروم. (بلا تاريخ). الإنسان المستلب وآفاق تحرره. مصدر سابق.
9. أريك فروم. (بلا تاريخ). مساهمة في علوم الإنسان.
10. إريم فروم. (2013). مساهمة في علوم الإنسان»الصحة النفسية للمجتمع المعاصر. (ت، محمد حبيب، المترجمون) سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.
11. جمعة قاسم. (2011). النظرية النقدية عند إريك فروم (المجلد ط1). لبنان: منتدى المعارف.
12. ريكور بول. (2003). في التفسير، محاولة في فرويد (المجلد ط1). (ت، وجيه أسعد، المترجمون) سوريا: أطلس للنشر والتوزيع.
13. ريكور بول. (2011). الاعتقاد والانتقاد (المجلد ط1). (ت، حسن العمراني، المترجمون) المغرب: دار توبقال، للنشر والتوزيع.
14. فاتيموجياني. (1998). نهاية الحداثة، الفلسفة العدمية والتفسيرية وثقافة ما بعد الحداثة. (ت، فاطمة الجيوشي، المترجمون) سوريا: منشورات وزارة الثقافة.
15. كانط ايمانويل. (2005). ثلاث نصوص، تأملات في التربية، ماهي الأنوار، ما التوجه في التفكير. (ت، محمود بن جمعة، المترجمون) تونس: دار محمد علي للنشر.
16. مارتن هيدجر. (2015). مدخل إلى الميتافيزيقا (المجلد ط1). (عماد نبيل، المترجمون) بيروت لبنان: دار الفرابي.
17. هوركهايمر ماركس. (1990). النظرية التقليدية والنظرية النقدية (المجلد ط1). (ت، مصطفى الناوي، عيون المقالات، المترجمون) المغرب: الدار البيضاء.
18. ياسبرز كارل. (2007). تاريخ الفلسفة بنظرة عالمية. (عبد الغفار مكاوي، المترجمون) بيروت: دار التنوير للطباعة و النشر.
19. B Pascal. (1943.(Les Pensées. (Neslon Editeurs(، paris.
20. Fromm, E. (1978). Psychanalyse et religion (Vol. ed1). (D. Merllie, Trad.) paris.
21. Spinoza. (1965). Traité théologico-politique. paris: GF Flammarion.

Reading in the mystical experience in the philosophy of Erich Fromm

Abstract

The study aims to stand on the nature of faith experiences in Western spaces through the vision of the German philosopher Eric Fromm, who believes that Western societies, the societies of technology, modernity and lights, have been lost in the world of things, and have lost all true human values, that they live in a state of double alienation, and they are heading to the unknown , lacking meaning, and Fromm, with his human tendency, tried to provide ways to save humanity and liberate it, and salvation depends on the need to return to faith and mystical experiences, as they contain real human values that can help a person recover his dignity, his forgotten being, and lost hope.

Keywords
Sufism
Humain
human being
technology
recognition

Une approche philosophique de l'expérience du soufisme dans le projet d'Erich Fromm

Résumé

L'étude vise à se positionner sur la nature des expériences de foi dans les espaces occidentaux à travers la vision du philosophe allemand Eric Fromm, qui estime que les sociétés occidentales, les sociétés de la technologie, de la modernité et des lumières, se sont perdues dans le monde des choses, et ont perdu toutes les vraies valeurs humaines, qu'ils vivent dans un état de double aliénation, et qu'ils se dirigent vers l'inconnu, dépourvus de sens, et Fromm, avec sa tendance humaine, a essayé de fournir des moyens pour sauver l'humanité et la libérer, et le salut dépend de la nécessité de revenir à la foi et aux expériences mystiques, car elles contiennent de vraies valeurs humaines qui peuvent aider une personne à retrouver sa dignité, son être oublié et son espoir perdu. C'est le chemin de tout changement dans l'histoire.

Mots clés
Soufisme
Humain
être humain
technologie
reconnaissance

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

المصطلح الطّبي في معجم مفاتيح العلوم للخوارزمي: الخصائص والوظائف

The medical term from the dictionary of the keys of science of Al-Khawarizmi: The characteristics and the functions

د. حياة أحمد الصّيد
Dr. Hayette Ahmed Sid
كلّية الآداب واللّغات، عنّابة، الجزائر
hayatseid047@gmail.com

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2022-11-04
تاريخ القبول 2024-02-06

الكلمات المفتاحية
المصطلح الطّبّي
مفاتيح العلوم
الوظائف
الخصائص
النّقل المُصطلحي

ملخص

الأصلُ في المصطلح أنْ يكونَ علامةً لسانيّة مخصوصةً وَضَعَتها جماعةٌ خاصّة في مجال معرفيّ علميّ أو ثقافيّ مخصوصٍ ليدلَّ على مفهومٍ مخصوصٍ ويحقّق التّداول فيها، لكنّ الواقع اللّغوي يُثبتُ استعارةَ المجالات المختلفة مصطلحات بعضها البعض بشكلٍ يزيدُ أو ينقص حسب الحاجة، حيثُ ينتَقِل المصطلح من مجالِه إلى مجالٍ آخر حاملاً مفهومَه الأصلي ومتحلّلا بعض الشّيء من علاقاته المُسبقَة في مجاله الأصلي ليُنشئ علاقات جديدة مع مصطلحات المجال الجديد بطريقٍ فيه انتقائية وقصدية. تَهدف هذه الدّراسة إلى التّحقّق من أهمّية النّقل المصطلحي بين المجالات من خلال معجم الخوارزمي المتخصّص الموسوعي «مفاتيح العلوم» حيثُ دعا الخوارزمي الكُتّابَ واللّغويين إلى ضرورة التّمكّن من مصطلحات المجالات المعرفيّة على اختلافها، وعدم تركها حِكراً على جماعتها الخاصّة، هذا التّمكّن يتمَظهَر في مُستَوَيَي فَهم خطابات المجالات الأخرى ، وإنتاج خطابات غير مُنغلقة على نَفسها مُنفتِحة على المعارف الإنسانية باختلافها، واخترنا المصطلح الطّبّي نموذجا للدّراسة ببحثِ خصائصه وتعريفاته ووظائفه التّي يمكنُ أن تتجاوزَ بناء المعرفة الطّبّيّة وتنظيمها إلى استثمارِها تداوليّا في إنتاج معارف جديدة في مجالات غير طبّيّة كالدّين والفلسفة خصوصا. انتهى العَمل إلى أنّ دعوة الخوارزمي لها جدواها؛ فتوظيفُ المصطلحات الطّبّية في الخطابات المتنوّعة يسهِم في تداوليتها أكثر، وانفتاحها على آفاق أعمق دون أن تقطع المصطلحات الطّبّيّة خُصوصياتها الطّبّيّة وانتماءاتها الأصليّة للميدان الطّبّي.

مقدّمة

ارتباطُ الإنسان العربي المعاصر بتراثه العربيّ الإسلامي ارتباطا معرفيا فكريّا وجدانيّا ثقافيّا كان من أسباب نشأة صراعٍ بين التّراث والعلوم الحديثة الوافدة من الآخر الغربي، من مبرّرات ذلك، انصباغُ هذا التّراث بالصّبغة الدّينية وتجلّيه باللّغة العربية وهمَا العنصران المعقود عليهما تشكيل هوية العرب المسلمين الجامِعة المنوط بالمسلم حمايتُها من الذّوبان والتّشوّه، إضافةً إلى ثراء هذا التّراث وتنوّعه وإبداع علمائه في كلّ الميادين التّي طالَتها عقولهم بالدّرس والبحث، ها هو معجم مفاتيح العلوم للخوارزمي (محمّد بن أحمد بن يوسف ت 387هـ/997م) يقِفُ شامخا لا تكادُ تصدّق أنّه أوّل معجم متخصّصٌ موسوعيّ تُراثي، وأنّ واضِعَه ألّفه على غيرِ تقليد وهو الذّي يستوفي شروط الصّناعة المعجميّة الحديثة جَمَع فيه أهمّ مصطلحات علوم عصره مرتّبة موضوعيّا مقرونة بتعريفات مفاهيمها داخل مجالها العلمي المخصوص بعيدا عن التّطويل والحشو.

موضوع هذه الدّراسة هو المصطلح الطّبّي في المفاتيح من حيثُ آليات صياغته، وخصائص تعريفاته التّي تقدّم مفاهيمَه الأساسية، وأبعاده المعرفيّة والأخلاقيّة والتّداوليّة التّي يمكنُ أن نَفهمها ضمنيّاً من دعوة الخوارزمي اللّغويّين إلى التّمكّن من مصطلحات المجالات المعرفيّة المختلفة، وعلى ذلك كانت أهداف الدّراسة:

- الدّعوة إلى الإفادة من المصطلح التّراثي الطّبّي في المجال الطّبّي العربي المعاصر بشكلٍ عقلاني وموضوعي.
- توضيح أنّ على المصطلحات الطّبّيّة ألاّ تظلّ حبيسة الاستخدام الخاص داخل الميدان الطّبّي المخصوص، من

حقّ مُستَعمِل اللّغة خصوصا القادر على التّأثير في الآخرين خِطابيّا أن يمتلك معرفة متخصّصة بالمصطلحات، وعلى المُصطلحيّين أن يراعوا ذلك في إنجاز معاجمهم الخاصّة.

- الأخذ بدعوة الخوارزمي كلّ مشتَغِلٍ بالخطاب مهما كان تخصّصه أن يكون موسوعيّا، وأن يأخذ من كلّ علمٍ بطَرَف.

1–مَدخل إلى التّراث والمصطلح التّراثي

1–1–التّراث العربي الإسلامي وقيمته العلميّة والحضارية

مفردةُ «تراث» مُشتقّة من الجذر (و، ر، ث)، وذكر الأصفهاني أنّ أصلها «وُراث» ثمّ أجرِيَ عليها الإبدال للضّرورات الصّرفيّة الصّوتيّة المناسبة.

يعتَقدُ الجابري أنّ المفردتين الأجنبيّتين Heritage وPatrimoine لا تحملان المضامين نفسها التّي نَفهمها نحن العرب المعاصرين للتّراث من حيثُ إنّ معناهما لا يتعدّى: « تَركةَ الهالِك إلى أبنائه»، وحتّى لو حملتا معنىً وجدانيّا حضاريا فإنّه يظلّ فقيرا بالمقارنة مع المعنى العربي المُسْنَد للتّراث (الجابري، 2006، صفحة 24)، ولذلك يكون معنى التّراث كما نفهمه حاليا بِقِيَمه الوجدانيّة، وحمولاته الإيديولوجيّة، وأبعاده الرّمزية غير معروف عند قدمائنا، وعند المحدثين الغربيّين على السّواء، بمعنى أنّه من نواتج الخطاب العربي المعاصر.

إذا كانت المشتقّات المشهورة للجذر (و، ر، ث) خصوصا الميراث كما حدّدها الفقهاءُ في باب الفرائض تفيدُ معنى التّركة التّي تُوَزّعُ على الوَرَثة بحيثُ تختفي في النّهاية ولا تظلّ شيئا مجموعًا واحدًا، فإنّ التّراث يدلّ على ما تَركه السّلَف للخلف لا ينقُص منه شيء، بل يجمع الخلف ويوحّدهم: «وإذا كان الإرث أو الميراث هو عنوانُ اختفاء الأب وحلول الابن محلّه، فإنّ التّراث قد أصبح بالنّسبة للوعي العربي المعاصر عنوانًا على حضورِ الأب في الابن، حضور السّلف في الخَلَف، حضور الماضي في الحاضر» (الجابري، 2006، صفحة 24)، من أجل هذا، ليس التّراثُ في الخِطاب العربيّ المعاصِر عودةٌ إلى الأصول العربيّة القديمة وإفادةٌ منها في نقد الحاضر والتّحضير للمستقبل فقط، بل التّراثُ هو درعُ حماية لهويّة الأمّة من الذّوبان والتّلاشي.

لم تكن للتّراث العربي الإسلامي هذه المكانة العظيمة تعصّبا فيه، إنّ المخزون المعرفي الفكري الذّي يزخر به هو ما أكسبه قيمته، ثمّ إنّ انصباغَه بالصّبغة الدّينية، وتجلّيه باللّغة العربية هو ما جعله غير منفصلٍ عن وجدان الإنسان العربي وعقله، وعلى هذا نفهم حقيقة الصّراع بين العلوم التّراثية والعلوم الوافدة الغربيّة التّي لم تحظَ بالقبول عند قطاعٍ كبير من المفكّرين والعلماء المسلمين القدامى منهم والمحدثين، فللأمر حقيقة نفسيّة حضارية رمزيّة تنظرُ للآخر دوما بحذر، واستعدادٍ للصّراع معه والحَرب.

أحسن المناهج تعاملاً مع التّراث هي التّي تنظر إليه في ذاته؛ في خلفياته ومنطلقاته، في إنتاجاته ومؤلّفاته، في إجراءاته وتطبيقاته ورؤاه وتصوّراته، وفي نتائجه وعلاقتها بمقدّماته من أجل استخراج أوجه الإبداع الفكري والعلمي والأخلاقي فيه بغضّ النّظر عن مقارنته بغيره، أو الاجتهاد في إثبات تفوّقه عليه، فقيمته في خصوصيّاته.

يحفلُ تراثنُا بزاد عظيمٍ من علوم ومعارف وآداب وفلسفة، ومن الأدوات التّي أقدرتنا على التّعامل مع ما وَصَلَنا منه نجدُ المصطلحات، فما هو المصطلح؟ وما هو المصطلح التّراثي؟

1–2–المصطلح والمصطلح التّراثي

وُجودُ زادٍ مُصطلحيٍّ عظيمٍ في التّراث الإنساني جميعه العربي الإسلامي وغيره، وأدائه وظائف حفظ المعارف المُستَجدّة وتحقيق الأغراض التّواصليّة التّداوليّة آنيا بين مُنتجيها المتخصّصين في بيئاتهم الخاصّة، وتاريخيا بين السّابقين واللاّحقين المنتمين للسّياقات اللّغوية والاجتماعيّة ذاتها دليلٌ على أنّ للوضع المُصطلحيّ ارتباطٌ بالمُمارسة اللّغوية بعدّها قدرةً فطريةً عند الإنسان، يدلّك على ذلك، السّبق التّاريخي للمنتوجات المصطلحيّة على تأسيس العلم المنشغل بموضوع الوضع المصطحي.

كلمة مُصطلَح في اللّغة العربية مصدرٌ ميميّ أو اسم مفعول للفعل « اِصْطَلَحَ » من المادة «صَلَحَ» (حجازي، د ت، صفحة 7) ،تُجمِعُ المعاجم العربية على أنّها تحمل دلالة الصّلاح والاتّفاق: «صَلَحَ صَلاحًا وصَلُوحًا: زالَ عنه الفسادُ، والشّيء كان نافعا ومناسبا، يقال هذا الشّيء يصلُح لك، صَالَحَهُ، مُصَالَحَةً وصَلُوحًا: سالمه وصَافَاه، ويقال صَالَحه على الشّئ: سَلَكَ معه سِلك المُسالَمة في الاتّفاق». (أنيس وآخرون، 1982، صفحة 520)

أمّا في الثّقافة الغربية فمفردة مصطلح «terme» مأخوذة من الجذر اللاتيني: term أو termo الذّي يحمل معاني التّمييز، والنّهاية، والحدّ في تقسيم الحقول والمساحات الزراعية... ويدلّ المصطلح في لغتهم العامة على الحد المكاني أو الزّماني أو

الشّرط» (حابس، 2002، صفحة 210).

ومنه نفهم أنّ المعنى اللّغوي للمصطلح عند الغربيين يرتبط بوظيفة المصطلح في تمييزه بين الدّلالات في الحقول المعرفية المختلفة بما يحفظ المعاني من التّداخل والاختلاط.

- «المصطلح ترجمة لغوية بحتة لفكرة تسبقها». فالمصطلح إذن عمليّة منفصلة عن المفهوم، وتالية لها. (DUBOIS, 2001, p. 480)

- حسب فيلبر(Felber): «هو رمزٌ اصطلاحيّ يمثّل مفهومًا يُحدَّد بدوره في مجالٍ معرفيّ معين». (الأشهب، المصطلح العربي البنية والتمثيل، 2011، صفحة 33)المصطَلَحُ هو وَضع تَسميةٍ لاحقةٍ لمفهومٍ تَحَدَّدَ بعد دراسةٍ متخصّصة، مستفيدا من طاقات اللّغة المتعدّدة وقدراتها على التّولّد والتّحوّل، لا يكونُ ذلك دون الانتماء إلى مجالٍ معرفيّ فكريّ معيّن.

- الكلمة نتاجُ تواضع الجماعة اللّغوية، والمصطلح هو تواضع جماعة خاصة داخل الجماعة اللغوية.

- الكلمة تقيمُ علاقات دلالية مع الكلمات الأخرى بالترّادف والاشتراك، ولها معانٍ عدّة يُرجّحُ المقصودَ منها السّياقُ، أمّا المصطلحُ فإنّه لا يحتاجُ سياقًا لغويا ليُعرَف مفهومُه، يكفي ذكرُ مجالِه الذّي ينتمي إليه ليتخصّص أكثر ويُعرف.

المُصطلحُ عمليةُ تواضعٍ بين جماعة متخصّصين على تسمية مفاهيم تمّ تنظيمها علميّا تجريبيّا منظورٍ إليها ضمن مجالٍ معرفيّ معيّن. وعليه يكون المصطلح التّراثي هو التّسميات التّي أنتجها علماء التّراث العربي الإسلامي المتخصّصون في ميادين الفكر والمعرفة: لغويا وفقهيا وفلسفيّا وطبّيا وسياسيا ورياضيا وهندسيا...إلخ. والمصطَلح موضوع علمٍ مهمّ منبثقٍ من رحم اللّسانيات التّطبيقيّة يتناولُ بالدّراسة الأسس العلميّة لوضع المصطلحات وتوحيدها مُهتمّا بالمفاهيم اعتمادًا على معايير أساسيّة تنبع من اللّسانيات وعلم المنطق. (الحمزاوي، 1995، صفحة 115)، هو **علمُ المصطلح**». **Terminologie**»

وهناك علم متكاملٌ مع علم المصطلح هو المصطلحية «**Terminographie**» :»نشاط علميّ تطبيقيّ يقوم بجردِ المصطلحات وبناء المعطيات وتوثيق مصادرها ... ثم نشرها في شكلِ معاجمَ علميّة متخصّصة سواء ورقية أو إلكترونية». (لوم، 2012، صفحة 41)، والعلاقة بين العلمين أنّ الاوّل علمٌ نَظَريٌّ بالأساس، يبحثُ في طبيعة المفاهيم وخصائصها وعلاقاتها ببعضها البعض، وفي كيفيّة وضع مصطلحاتها وإشكاليات ذلك اللّغوية والمعرفيّة والثّقافيّة من أجل الوصول إلى قواعد الاستعمال والتّداول الموحّدة العالية، بينما تظهر الطّبيعة التّطبيقيّة للمصطلحيّة حيثُ تنشغِل بالمادة النّظرية من العلم الاوّل من أجل تنظيمها ونشرها في شكل معاجم متخصّصة ورقيّة أو إلكترونيّة تواكب تطوّرات الحياة التّكنولوجيّة والعلميّة الإنسانيّة المتسارعة.

يهدفُ علم المصطلح من المنظور اللّساني العلمي إلى ضبط المفاهيم المجرّدة، والانتقال بأمانٍ علميٍّ ومنهجيّ إلى إمكانيّة تعريفها لسانيّا في مجموعة من الخصائص والسّمات التّي تتّفق عليها الجماعات المتخصّصة، ثمّ وضع التّسميّات المناسبة لها حسب الخصائص اللّسانية والثّقافيّة لكلّ لغة، في مقابل ذلك، يبرزُ اسمُ الفيلسوف جيل دولوز (Gilles Deleuze) وهو يطرح رؤية فلسفيّة متميّزة عن وظائف الفلسفة وعلاقاتها بالعلوم ، فليس من وظائفِها التّأمّل في الأشياء، لأنّ هذه وظائف العلوم الخاصّة: فالجسد له الطّبّ والأرض لها علوم الأرض، والمادة لها علوم الفيزياء وهكذا، وليسَ من وظائفْها تَنظيم حياة النّاس لأنّهم بالأصل يقومون بذلك كُلٌّ في ميدانِ تخصّصه، فالفلسفة ليست أمّ العلوم ولا ملكتها، بل ليست هي من العلوم التّواصليّة تَطرَحُ الأفكار وتناقشها في دوائر الإعلام والحوار، مع أنّ ذلك لا يعني قَطع الفلسفة كلّ صلة لها بالعلوم الإنسانيّة والتّجريبيّة، مسؤوليتها مُتوجّهة إلى أن تفكّرَ فيما فكَّرَ فيه المختصّون وحَصّلوه من مفاهيم عن ميادينهم ، فهي فكرٌ أعمَق، أو فكرٌ ثانٍ، ولذلك «يَنخرط الفيلسوف في مهمّات تشقيفِ الأغيار بما قد تَحدُسُ به عن نَفسِها، وبما لا تَعرفُ عن نفسها معًا، أي بما يَكشفُ عن حادثَتها وذلك خارج مُصطَلحها الخاص» (دولوز و غتاري، 1997، صفحة 12)، ولأنّ مفهوم الشّيء لا يتطابق كما تحدّده جماعته الخاصّة مع ما يقوله غيره الفيلسوف تنشأ تعدّدية المفاهيم، بل قُل لا نهائيتها وتوالدها المستمر، وعلى هذا تكونُ الفلسفة عند الرّجل: «الحقل المعرفيّ القائم على إبداع المفاهيم». يُفيدنا توجّه دولوز الفلسفي هذا في جانبين:

-إثبات قدرة المفاهيم الطّبّية الخالصة على توليد مفاهيم أشمَل في ميادين أخرى.

- موافَقة دولوز في مقولة عدم انحصار المفاهيم في قوالب صارمة خاصّة بميدانٍ معرفيّ ما معزولٍ عن غيره، وهذا ولاشكّ أمرٌ يرتبط بآلية عمل الذّهن البشري.

2–المصطلح في مفاتيح العلوم: مادته وخصائصه

يُعَدّ معجم «مفاتيح العلوم للخوارزمي» أوّل معجم موسوعي متخصّص في التّراث العربي الإسلامي، وضعه الخوارزمي وفقَ شروط الصّناعة المعجميّة المتخصّصة الحديثة، «فالمعجمَ المختصّ بصورة عامة هو كتابٌ يتضمّن بين دفّتيه رصيدا مصطلحيا لموضوعٍ ما مرتّبا ترتيبا معيّنا، ومصحوبا بالتّعريفات الدّقيقة الموجزة(...) ويُعنَى المعجم المختصّ بمصطلحات موضوع خاص». (سماعنة ج.، 1999، صفحة 36) ومفاتيح العلوم معجم متخصّص موسوعيّ لأنّه لم يختصّ بمجالٍ علميّ واحدٍ، لقد كان مرآةً لعلوم عصره في القرن الرّابع الهجري.

انبهر المستشرقون بطريقة بنائه، وتقديم موضوعاته، وحتّى مقدّمته التّي حملت زادا مصطلحيّا نظريا يمكن التّأسيس عليه لبناء نظريات مصطلحيّة، توجد ثلاث مخطوطات من المعجم في المتحف البريطاني في لندن، وظهر لأوّل مرّة بنصّه العربي في نشرة للمستشرق البريطاني فان فلوتن (Gerlov van Vloten) عام 1895، هذا ومع الأسف، لم يحظَ بالاهتمام العربي المطلوب الذّي يجعل منه مُؤَلَّفاً فاعلاً في خطابنا اللّساني العربي المعاصر.

2–1–سبب التّأليف

يقول الخوارزمي في مقدّمة معجمه إنّه ألّفَ معجماً: «يكونُ جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصّناعات مُتَضمّناً ما بين كلّ طبقةٍ من العلماء من المواضعات والاصطلاحات التّي خَلَت منها- أو من جُلّها- الكُتب الحاضرة لعلم اللّغة حتّى إنّ اللّغويّ المُبرَّز في الأدب إذا تأمّل كتابا من الكُتب التّي صُنّفَت في أبواب العلومِ والحِكمة ولم يكُن شدَّ صدراً من تلك الصّناعة لم يفهم شيئاً معه، وكان كالأمّيّ الأغتَم عند نَظرِه فيه. (الخوارزمي م.، 2020، صفحة 8)، يتجلّى وعي الخوارزمي المصطلحيّ في مُلامسة كلامه لقضايا مصطلحيّة ومعرفيّة مهمّة:

- المصطلحات عنده «مفاتيح العلوم»، وَصْفُها بالمركّب الإضافي هذا مجازيّ يقدّم العلوم التّي هي معارف ومفاهيم وكأنّها أبواب بيوت، أو أقفال خزنات لا يمكن ولوجها إلاّ بمفاتيح خاصّة تُنَاسِبها، ولم يكن توظيف المجاز هنا لدواعٍ إمتاعية ترفيهيّة وإنّما لتقرير حقيقة، وشرح رؤية، سيظلّ الباب مغلقا في وجه من لا يملك مفتاحَه، كذلك العلم يظلّ محتفظا بكنوزه ما لم يتمكّن طالبُه من القبض على مصطلحاته.

- المصطلحات من نواتج التّواضع والاصطلاح، إنّها عمليّة خاصّة تَقوم بها جماعة خاصّة في مجالٍ معرفيّ أو ثقافيّ أو أدبيّ أو دينيّ لبناء المعرفة فيه، وتصنيف قضاياها بشكلٍ يمكّنهم من التّواصل والتّفاعل والتّداول النّاجع.

- الكُتب العلميّة والمتخصّصة تُكتَبُ بلغةٍ خاصّة، والمصطلحات هي اللّبنة الأساسيّة في هذه اللّغات العلميّة الخاصّة، فقد يكون العربيّ بارعا في اللّغة واستعمالاتها في المنظوم والمنثور، ولكنّ عدم امتلاكه معرفة مُسبقةً بمصطلحات مجالٍ ما واتّفاقات مُتخصّصيها فيها يقطَع تواصله بذلك المجال، ويمنَع من تحَقّق التّواصُل النّاجع معها.

- المصطلحات تحيا في مجالاتها الخاصّة، وتبني علاقاتها مع بعضها البعض لتُقيمَ حقيقةَ تلك المجالات العلميّة، ولذلك، يكونُ للمصطلح نفسه قيمة مفهوميّة مختلفة حسب المجال الذّي يُوَظَّف فيه، وقد وعى الخوارزمي هذه الحقيقة النّظرية بوضوح، ومثّل لذلك بمصطلحات الوَتَد والرّجعة والفكّ حيثُ تختلف مفاهيمها حسب جماعاتها الخاصّة التّي تستعملها.

- يقول الخوارزمي: «أحوجُ النّاس إلى معرفة هذه الاصطلاحات الأديبُ اللّطيفُ الذّي تحقّق أنّ علم اللّغة آلةً لدرسه الفضيلة، لا يُنتَفَع به بذاته مالم يُجعَل سَببا إلى تحصيلِ هذه العلوم الجليلة، ولا يُستَغنى عن عِلمها طَبقاتُ الكُتّابِ لصدقِ حاجتهم إلى مطالعة فنون العلوم والآداب» (الخوارزمي م.، المرجع السابق، صفحة 8)، لقد سبقَ الخوارزمي وعلماؤنا التّراثيون المعرفيّين المحدثين الذّين قالوا بمعرفيّة اللّغة، وأنّها ما به يمكن فهمُ العالم وإدراكه، ثمّ إعادة تقديمه بالشّكل الذّي يخدُم تصوّراتنا، إنّ فهمنا للعالم هو فهمٌ لغويّ لا ينفصلُ فيه اللّغوي عن التّصوّري العقليّ الثّقافي، بمعنى أنّ اللّغة موطن الدّلالة والتّداول معًا، ففي اللّغة يكون كلّ شيء، ومن يشتغل باللّغة عليه أن يفهم من كلّ شيء شيئاً.

دعوة الخوارزمي تَستلزم ضرورة الاستعمال العام للمصطلحات العلميّة بحيثُ لا تبقى حكراً على جماعتها المتخصّصة، واللّسانيّون أولى من غيرهم بهذه الدّعوة، في الدّراسات الحديثة يعمل اللّساني جنبا إلى جنب مع المتخصّصين في الميادين الأخرى، فنتجت المَعارف اللّسانيّة الحاسوبيّة والعصبيّة والجغرافيّة والتّاريخيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة وغيرها. ممّا يعيدنا إلى حقيقة أنّ وجودَ كلّ شيء هو وجودٌ لغويّ بالأساس.

أراد الخوارزمي أن يكونَ معجمهُ مدخلاً للمتعلّمين والمثقّفين، للكتّاب المتخصّصين كما عامة المتلقّين ليكون دليلهم إلى ولوج العلوم المختلفة، في باب الكتابة، الفصل الثّامن «**في مواضعات كُتّاب الرّسائل**» يقول الخوارزمي»: أمّا الكُتّابَ فإنّ كلّ ما تقدّم في هذا الباب ممّا يستعملونه»، (الخوارزمي م.، المرجع السابق، صفحة 50)، ويقصد بكلّ ما تقدّم أسماء الدّفاتر والمهمّات في الدّواوين، والخراج، والخَزن، والبريد، وديوان الجيش، وديوان الضّياع والنّفقات، وديوان الماء، وهذه كما ترى ميادين تشمل جوانب كثيرة في الحياة اقتصاديا وعسكريّا وسياسيّا...على اللّغويّ أن يتمكّن منها بمعرفة اصطلاحاتها الأساسة على الأقل، وانظُر إلى جسامة المهام التّي تتحقّق بالكِتابة كما وَصفها النّحّاس: «قد غَلِط من زَعَمَ أنّ أحكامَ الكتابة مُباينةٌ لأحكامِ الشّريعة، لأنّ ذلك مخالفٌ لما يوجد في العقل والدّين، لأنّ الكتابة فَرعٌ من فروع الدّين، والمُلكُ لا قِوامَ له إلاّ بالدّين، وما كانَ فرعاً لشيءٍ لم يُباينه»، وقال:» الكتابةُ...نَسَبٌ وقرابة ورحِمٌ وماسّة ووسيلة، وهي أسّ الملك، وعمادُ المَملَكَة، وهي قُطبُ الأدب، وفَلَك الحكمة، ولسانٌ ناطقٌ، وهي نورُ العلم، وتزكيةُ العقول وميدانُ الفضل والعدل»... « وبها وُسِمت التّوراة والإنجيل والقرآن والكتب المُنزّلة، ولو أنّ فضلا ونُبلاً تَصوَّرا جِسماً لتَصوّرتِ الكتابةُ». (النّحّاس، 2004، الصفحات 363-364)، لَيسَت فضيلة الكاتب منسوبة إلى بلاغته فقط، وإلى حسنِ سَبكه كلماته في نَسَقٍ لغويّ جميلٍ يَقَع الوقع الحسن في نفس قارئه، واجبُ الكاتب أن يكونَ ذا عقلٍ راجح تزوّدَ من مختلف العلوم بزبدَتها المعرفيّة الفكرية، ونفسٍ كريمةٍ تَهذّبَت بمطالعةِ الجيّد الحَسَن من علوم الاخلاق والتّربية والفنون، ليكونَ في مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه؛ فيكونَ لسان العلوم والأفكار والأخلاق والجسر الآمن لوصولها إلى القارئ، ويكونَ أيضاً ضميرَ القارئ ووعيه وصوتَ الحقّ والعلم، بل وصورة الإنسان الكامل فيه.

على ما تقدّم، يمكن أن نفهم أنّ جهود الخوارزمي في توسيع مجالات عمل اللّغوي العربي مُتساوقة وسياسة تعريب الحياة العربية الإسلاميّة في كافّة مناحيها؛ هذا المشروع الذّي كُتِبت له الحياة بعد أن استكمل عبد الملك بن مروان جهود عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان في إطار منهجيّ رائع وضمن خطة إستراتيجيّة محبوكة تعريب وجه الدّولة الإسلاميّة في الدّواوين التّي كانت تحت سيطرة غير العرب من الفرس والرّوم، ففي العراق كانت الدّواوين تُنظّم باللّغة الفارسيّة، وفي الشّام باليونانيّة، وفي مصر بالقبطيّة، ومعنى هذا الكلام هو بقاء تلك اللّغات منافسات للّغة العربيّة، وبقاء أصحابها بنفوذٍ قويّ فاعِلٍ يؤثّر على الدّولة الإسلاميّة كلّها مع اضطرار العرب وغيرهم إلى تعلّم تلك اللّغات طلباً للوظائف السّامية في الدّولة، فكان التّعريب عاملا مهمّا في الارتقاء باللّغة العربية لغة الدّولة الرّسميّة، وينتج عن ذلك إعادة تنظيم معرفيّ وفكريّ وإداري ومالي اقتصاديّ عربيّ موحّد.

2–2–مادة المعجم المصطلحيّة

من أركان المعجم: «الجمعُ الذّي هو مفهومٌ اصطلاحيّ قد يراد به عادة جملة الألفاظ المدوّنة في المعجم». (العواضي، 1991، صفحة 28)

يقول الخوارزمي إنّه: « جَمَع في هذا الكتاب أكثر ما يُحتاجُ إليه من هذا النّوع (. . .) وألغى ذكرَ المشهور والمُتعارَف بين الجمهور، وما هو غامِضٌ غريبٌ لا يكادُ يخلو إذا ذُكِرَ في الكُتب من شرحٍ طويل، وتفسيرٍ كثير». (الخوارزمي م.، المرجع السابق، صفحة 9)، جمَعَ الخوارزمي مصطلحات معجمه بالنّظر إلى تَقديرِه حاجةَ المستعملين إليها، وخلفياتهم واهتماماتهم وأغراضهم العلميّة والثّقافية والأخلاقيّة، وجَعَل موضوعاته في مقالتين: « إحداهما لعلم الشّريعة وما يقترِنُ بها من العلوم العربيّة، والثّانية لعلوم العَجَم من اليونانيين وغيرهم من الأمم». (الخوارزمي م.، المرجع السابق، صفحة 9) المقالة الأولى فيها ستّة أبواب، وفيها اثنان وخمسون فصلا؛ في الفقه والكلام النّحو والكُتّاب والشّعر والعَروض والأخبار، والمقالة الثّانية فيها تسعة أبواب بواحد وأربعين فصلا؛ في الفلسفة والمنطق والطّب والعدد والهندسة وعلم النّجوم والموسيقى والحِيَل والكيمياء.

أساسُ تصنيف الخوارزمي لعلوم عَصره أساسٌ موضوعيّ علميٌّ لا تجدُ معه تعصّبا للاتّجاه العربي على حساب الآخر الاعجميّ، ولا تَلمَحُ فيه تفريطا في علمٍ لصالح علمٍ أخر من حيثُ إنّه نَظَر في أصلِ العلوم ونِسبَتِها إلى أهلها، فوَجد علوماً أصيلةً ابنة العقل العربي الخالص هي العلوم الدّينيّة واللّغوية، وعلوما دخيلةً ضمّت المجالات التّي سَبَق فيها غيرُ العربِ العربَ من مثل الطّب والرّياضيات والفلسفة وغيرها.

2–3–المصطلح الطّبّي في مفاتيح العلوم

مع أنّ الخوارزمي لم يُعرّف الطّبّ إلاّ أنّ ذكَره مجالاته المفهوميّة الفرعيّة الكبرى أسهَم في تقديم تصوّر واضح عن هذا المجال، يُمكّن مُستَعمل المعجم من فَهمِ موضوع الطّبّ وقضاياه بالشّكل نفسه الذّي يؤدّيه تعريف الطّب، بحيثُ إنّ ذكر الخوارزمي للمجالات المفهوميّة الفرعيّة للطّبّ يتلاقى مع تعريفِ العالم الجليل التّهانوي(مُحَمّد بن الشّيخ بن علي بن محمّد، عالمٌ موسوعيّ هنديّ جليل، تُوفّي في 1158هـ، عاشَ في عصر سلاطين الدّولة المغوليّة في الهند، وقيل إنّه كان قاضيا في قريته تِهانة يعيشُ بكلّ عفّة وخير، وقد نال حظّا وفيرا من مختلف العلوم العربيّة والشّرعيّة، والفلسفيّة والحِكميّة، ويُعدّ معجمه الموسوعي كشّاف اصطلاحات العلوم والفنون شاهداً على نبوغه المعرفيّ وتميّزه) للطّب في كونه: «علمٌ يُبحثُ فيه عن بدَن الإنسان من جهة ما يُصِحّ وما يُمرِض لالتماسِ حفظِ الصّحّة وإزالةِ المرض، وموضوعه بدنُ الإنسان وما يشتمل عليه من الأركان والأمزجة والأخلاط، والأعضاء والأرواح والقِوى وأحواله من الصّحّة والمرض وأسبابها». (التّهانوي، د.ت، صفحة 59).

وَقع اختيارُنا على المصطلح الطّبي للدّراسة للأسباب التّالية:

- مكانة الطّب الأساسيّة في حياة الإنسان بعدّه المجال الذّي يختصّ بشكل مباشر بصحّة الجسد وسلامته، فهو مجالٌ تستفيدُ من تطوّراته المذهلة الإنسانيّةُ جمعاء بغضّ النّظر عن الانتماءات العرقيّة والدّينيّة للإنسان، ومن أجل هذا لم يجد المسلمون حرَجًا من الإفادة من مُكتَسبات غير المسلمين الطّبّيّة.

- تَبيّن جدوى دعوة الخوارزمي في تعميم استعمال المصطلحات الطّبّية عند غيرِ جماعتها الخاصّة، فهذا أمرٌ يقودنا إلى التّساؤل: هل سيكتفي ذلك المُستعمِل بتوظيف المصطلح الطّبّي كما قرّرته الجماعة المختصّة الطّبّيّة أم أنّه سيُجري عليه تغييرات تتناسب مع خلفيته الفكريّة والمعرفيّة؟ وهل سيكونُ لهذا التّوظيف آثار معرفيّة جديدة؟ وهل ستوفّر هذه المصطلحات لغير المتخصّص في الطّبّ فُرصة لتكون سبيلَه في بناء معارف أخرى من مجالات أخرى بتلك المعرفة الطّبّية نفسها؟

المُصطَلحات الطّبّيّة في المفاتيح وَرَدت في مجالات مفهوميّة كما يلي:

2–3–1–التّشريح

تبدأ معرفة الجسد البشري بمعرفة أعضائه وآلية عملها ثمّ تفهّم حالة الصّحة ودواعي الحفاظ عليها، والمرض وما يتطلّبه علاجُه، ومع أنّ كثيرا من المستشرقين قالوا بامتناع المسلمين عن تطبيقِ تشريح الجثث لأسبابٍ دينيّة، وأنّهم اكتَفوا بنقل المعارف في هذا الموضوع من اليونانيين خصوصا أبقراط وجالينوس، إلاّ أنّ الإضافات العظيمة التّي تزخر بها المؤلّفات الطّبية التّراثية تشي بغير ذلك تماما، والمؤلّفات التّي وَثّقت ما فاقَ فيه طبّ التّشريح الإسلامي الآخَر الغربي أكثر مِن أن تُحصى، ذكرَ راغب السّرجاني مثلا:

-معارضة ابن النّفيس لتفسير أبقراط انتقالَ الدّم من البطين الأيمن إلى البطين الأيسر بوجود طريقٍ غير مرئيّ في الحاجز البطيني، لقد بيّن ابن النّفيس عدم وجود أي حاجز وأنّ انتقال الدّم إنّما يتمّ عن طريق الرّئتين، وهو ما عُرِف بالدّورة الدّموية الصّغرى. (السّرجاني، 2009، صفحة 33).

-كان ابنُ سينا (370هـ-427هـ) الشّيخ الرّئيس المرجع الرّئيسي في علم الطّب، فهو من اكتشف العديد من الدّيدان الطّفَيليّة، وأوّل من وصفَ الالتهاب السّحائي، وله باعٌ مشهودٌ في مجال الأمراض التّناسليّة، والأمراض المُعدية، وطب العيون، وحتّى الأمراض النّفسية عَرَف كثيرا منها وشَرَحَ أثرها على صحّة الجسم العضوية. يدلّنا على مكانة الرّجل الرّفيعة ما ناله كتابه القانون في الطّب من احترام وتبجيلٍ من الغرب قرونا طويلة، فقد ذَكر السير ويليام أوسلر أنّه كان بمثابة الإنجيل في عالم الطّب ما يزيد على سبعة قرون من الزّمن. (السّرجاني، 2009، صفحة 188)

- والزّهراوي البارع كانَ أوّل من فَرّق بين الجِراحة وبين ميادين الطّب الأخرى، فجعلها علما طبّيّا مستقلاّ بذاته، وهو أوّل من أوقف نزيف الدّم أثناء العمليّات الجراحيّة وذلك بربط الشّرايين الكبيرة، وجهوده في طبّ الأسنان وعلاج السّرطان وغيرها سبقت الطّب الحديث بمئات السّنين. (السّرجاني، 2009، صفحة 56 و ما بعدها)

أفاد الخوارزمي من هذه المعرفة العميقة، يظهر هذا في مصطلحات هذا المجال الفرعي الطّبي الدّقيقة:

الشّرايين، وفيها: العروق؛ الأبهران: الباسيليق والقيفال، الأكحل، الوَدَجان الظّاهر والغائر، حبل الذّراع، الأشيلم، الصّافن، عرق النَّسا، **العضَل**، **النّخاع**، **طبقات العين**:

المشيمة، الشّبكية، العنكبوتيّة، القرنية، الملتحم، **قصبة الرّئة، المريء، الحنجرة، المعدة، البوّاب**، الاثنا عشر، المعي الصّائم، المرابض، القولون، الأعور المعِي المستقيم، **الحجاب، المسامّ**. بالمجموع: 34 مصطلحا لتسمية أعضاء كبيرة.

الغاية من التّشريح أن يتجنّب الطّبيب العارف بالأعضاء ومواضعها أذيّة تلك الاعضاء وقطعها بشكلٍ قد يتسبّب في تدميرها، وهي غاية كما نرى جليلة تَفرض على الطّبيب التمكّن من التّشريح نَظَراً وإجراءً.

2-3-2-**الأمراض والأدواء**

الأصلُ أن يكون جسدُ الإنسان في حالة اعتدالٍ أي سليماً صحيحا وعلى هذا فالمرض العضوي حدثٌ طارئٌ يضطرّ الإنسان إلى الاستطباب لمواجهة المرض وإرجاع حال الاعتدال أو الصّحة، ويحدث ذلك بمساعدة الطّبيب في الغالب، قال الأصفهاني: « المرضُ خروجٌ عن الاعتدال الخاص بالإنسان وذلك ضربان؛ الأوّل جِسميّ وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿**ولا عَلَى المريضِ حَرَجٌ**»﴾ (سورة النور/ الآية 61)...والثّاني عبارة عن الرّذائل كالجهلِ والجبن والبُخل والنّفاق وغيرها نحو قوله تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُم الله مَرَضًا**﴾(البقرة /10)». (الأصفهاني، 2010، صفحة 353).

يقوم كلّ معجمٍ على ركيزتين هما الجمع والوضع، (بن مراد، 1993، صفحة 5) ومعجم الخوارزمي معجم موضوعي موسوعي ترتيبُ مادته المصطلحيّة كان على حسب المفهوم/ الموضوع وليس المصطلح /التّسمية اللّغوية.

أورد الخوارزمي قائمة الأمراض على غيرِ تصنيفٍ لها، لا نعدّ صنيعَه هذا عيباً منهجيّا في معجمه لسببٍ بسيطٍ جدّا وهو أنّه ارتضى التّرتيب الموضوعي لمَدَاخِلِه المعجميّة المصطلحيّة، وجُلّ اهتمامه أن يجمَع أشهَرها وأكثرها فائدة لمُستعمل المعجم ضمنَ عنوانٍ واحدٍ هو عنوانُ المَرَض، وقد نَظّمنا مصطلحات الأمراض **التّي ذَكَرها الخوارزمي تحت عناوين مصطلحيّة من وضعنا** لتكون حقولا فرعيةً طبّيّة مصطلحيّة ضمن مجال «المرض» (الخوارزمي م.، مفاتيح العلوم، 2020، الصفحات 106-109):

*- **أمراض في الرّأس**: السّعفة، الهبرية/الإبرية، الحُزاز، الدّوار، الشّقيقة.

*-**أمراض العيون**: الشُّعيرة في الجَفن: الجساء، السّبل في العين، الظّفرة، الطّرفة، الانتشار، الغَرْب.

*-**أمراض الفم والأسنان**: الحَفر في الأسنان، الخَلوف.

*-**أمراض الأنف**: البواسيرُ في الأنف، الخَشَم.

*-**أورام و انتفاخات جلدية (الأمراض السّرطانيّة والجلديّة)**: الخنازير، السّرطان، السّلعة، النّملة، النّار الفارسيّة، الدّاحس، ومجموعة ذوات السّموم: الجرارات، الرّتيلاء، الشّبث، الكَلْب.

*-**الحمّى ودرجاتها**: السّرسام، حمّى يوم، الدِّق، الوِرد، الغِبّ، الرّبع والخِمس والسّدس، الحمّى المطبِقة، الحمّى المحرقة، الوباء.

*- **أمراض تسبّب فقدان الوعي**: السّكتة، السّبات، الشّخوص.

*- **درجات الشّلل (أمراض الجهاز الحَرَكي)**: الفالج، الخَدَر، التّشنّج، اللّقوة، الصّرع.

*-**أمراض نفسية**: الكابوس، المالنخوليا.

*-**آلام في الصّدر والأضلاع (الأمراض الصّدريّة)**: ذات الجنب، ذات الرئة، الشّوصة، السّل.

*- **أمراض في المعدة (الجهاز الهضمي)**: الهيضة: الاستسقاء، وفيه الزّقّي والطّبلي، واللّحمي، القولنج، الخِلفة، الزّحير، الفتق، الرّحا.

*-**أمراض في جهاز الإطراح (له علاقة بأمراض المسالك البوليّة)**: سلس البول، البواسير، القَروُ، القَرو.

*- **أمراض التهابيّة**: الحصاة، النّقرس، عِرق النّسا. الدّوالي، داء الفيل، الوباء: بالمجموع 81 مصطلحاً.

تخصّص علمِ تصنيف الأمراض (Nosologie) يهدف إلى تصنيف الأمراض في مجموعات متقاربة بعد توفّر المعرفة الطّبّية الكافية عنها بتجميعها في صنفٍ واحدٍ نظرا لوجود دَرجاتٍ من التّشابه في: أسبابها، وأعراضها، والعلاجات المناسبة لها وخطورتها وكلّ ما يتعلّق بها، وكما سبقَ ذكره، لم يكن الخوارزمي مهتمّا بتصنيف الأمراض فقد أوردها دون ذلك، لكنّ قيامنا بتصنيفها أعطانا نظرةً واضحةً عن تقدّم الطّب الإسلامي في زمنه، فالأمراض المذكورة استَغرقَت كلّ الجَسَد البشري ظاهرا وباطنا، حتّى الامراض النّفسيّة كانت لها مساحتها من الاهتمام والبحث.

لم تكن المعرفة الطّبّية هذه طارئة أو بالعَرَض، يدلّنا على ذلك ورودها بمُصطلحاتٍ عربيّة معروفة في السّاحة الثّقافيّة آنذاك مقرونة بتعاريفها الاصطلاحيّة التّي وضعتها الجماعة

الطّبّيّة المتخصّصة، وهذه من أكبر الأدلّة على ترسّخ هذه المعرفة المتخصّصة في الثّقافة الإسلاميّة العربيّة.

2–3–3–الأغذية

النّظام الغذائي الصّحي الذّي يُفَاد من مفاتيح العلوم **نظامٌ نباتيّ** بالأساس مضافٌ له **أنواعٌ من السّمك والأفراخ** من ذلك:

الأطرية، الفراني، النّشا، حبّ الصّنوبر الكبير، النّارجيل، الملبّق، البهطة، كشك الحنطة والشّعير، القَطَف، الطّرخسقوق، الحُمّاض، الحزاء، التّوت الشّامي، الملوكية /الملوخيّة، الحلزون، الإربيان والصّدف، الهازباء البنّي والجُرّيت، والشّبّوط، والسّميكات والمجموع: 31 مصطلحا. (الخوارزمي م.، مفاتيح العلوم، 2020، صفحة 111):

عَرف عماؤنا مبكّرا ارتباط الغذاء بالدّواء والصّحة الجسدية، يدلّك على ذلك المؤلّفات المتفرّدة في هذا الجانب، مثلا: منافع الأغذية ودفعُ مضارها لأبي بكر الرّازي، والجامع لمُفردات الأدوية والأغذية لعبد الله بن أحمد الأندلسي، الغذاء بمكوّناته وأصله ووظائفه وكونه أصلا لكثير من الأدوية سواء بطريق مباشر أو عن طريق تحضيرٍ بخلط أو طهيٍ شكّل فرعًا تابعا للطّب هو ما يمكن أن نسمّيه الصّيدلة، وقد كان متطوّرا بشكل كبير معرفيّا وتنظيميّا في شكل صيدليّات لها قوانينها وضوابطها الصّارمة.

2–3–4–الأدوية المفردة

ذكر الخوارزمي مصادرها فهي إمّا نباتيّة: ثمرٌ أو بذور، أو زهر أو ورَق قضبان أو أصول أو قشور أو عصارات أو ألبان أو صموغ، وإمّا معدنيّة: وهي حجرية أو ممّا ينبع مثل القار أو الزّفت، وإمّا حيوانيّة كالّذراريح وأعضاء الحيوانات وأحشاءها ومراراتها، وفيه 27مصطلحا. (الخوارزمي م.، مفاتيح العلوم، 2020، الصفحات 111-113).

وافهم أنّ الأدوية المفردة هي التّي تتكوّن من مادة واحدة في تحضيرها، وهنا يبرزُ السّبب الحقيقي الذّي دعا علماء المسلمين المهتمّين بالطّبّ إلى إقامة علمٍ كامِلٍ خاص بالنّبات، فهو فَرعٌ مُساعدٌ في صناعة الادوية، لابدّ من معرفة النّبات إذن، تفاعلاته بمقادير معيّنة مع أعضاء جسم الإنسان.

2–3–5–أدوية مشتبهة الأسماء

مثالها: إكليل الملك، رِجل الغراب، شقائق النّعمان، عصى الرّاعي، قاتل ابيه، لسان الجمل، ألسنة العصافير، لسانُ الثّور، لحية التّيس، فيها 36 مصطلحاً (الخوارزمي م.، مفاتيح العلوم، 2020، الصفحات 113-114).

وتسمية هذا الحقل بالأدوية مشتَبهة الأسماء يعكسُ حقائق لغوية مهمّة:

-تَحمِل اللّغة طاقات دلاليّة لامتناهية بسبب طبيعتها التّطوّرية، وخاصيتها الإبداعيّة التّي تسمح بتوليد الدّلالات وتحوّلها، لذلك لابدّ من تحديد الخلفيات العلميّة والمنهجيّة في وَضع المصطلحات.

-تحديد المجال المصطلحي في تقديم المصطلحات جُزءٌ مهمّ من تعريف تلك المصطلحات، فلولا ذكر المجال المفهومي الفرعي» الأغذية» في المجال الرئيسي «الطّب» لما عَرَف المتلقّي مثلا أنّ مصطلح «قاتل أبيه» مصطلحٌ طبّي وليس تركيبا إضافيّا لغويا يعيّن إنسانا حقيقيّا أو مفترضا يقوم بجريمة قتل أبيه.

-إنّ المشتغِلين في الميادين العلميّة مسؤولون عن ضبط المعجم المصطلحي الخاص بهم ونشره لعموم المستعمِلين.

2–3–6–الأدوية المركّبة

هي الأدوية المركّبة من عدّة مواد، ذكر الخوارزمي: التّرياق، ترياق الأفاعي، ترياق الأربعة، أطريفل.

أصناف الأدوية: المعجونة والأرياجات والمطبوخات والحبوب واللّعوقات والأقراض والجوارشنات والأضمدة والأطلية والأدهنة والأشربة والرّبوب والأنبجاتن ذكَر فيها حوالي 40 مصطلحاً. . (الخوارزمي م.، مفاتيح العلوم، 2020، صفحة 111)

2–3–7–أوزان الأطباء ومكاييلهم

مثالها: القنطار، قيراط، تُرمُسة، درخميّ، الكُفّ، درخميّات اليهودية، الجوزة، الإبريق، النّاطل. فيها 43 مُصطَلحاً. (الخوارزمي م.، مفاتيح العلوم، 2020، الصفحات 111-113).

للأوزان والمكاييل أهمّية عظيمة في الحفاظ على الصّحة أو إعادتها، فهذا القانون لابدّ أن يسري على الغذاء، والمواد الأولية المُستَعمَلة في تحضير الأدوية، و على طريقة خلط تلك المواد مع بعضها بعضا، وجرعات الدّواء ومواقيتها، هذه الأوزان وَضَعها المختصّون بناءً على تجارب علميّة وخبرات متراكمة، انظُر مثلا إلى إشارة ابن رشد إلى كمّيات الغذاء المناسبة للحفاظ على الصّحة عندما قال إنّ العسل غذاءٌ ودواء، لكن إذا أكثر منه الإنسانُ استحالَ سمّا وانعكس مفعوله، وهكذا: نجاعة كلّ شيء يدخُل الجَسد البشريّ تكونُ

بمقداره المناسب في حالاته المتعدّدة، فحال المرض غير حال الصّحة، وحاجات جسد المرأة غير حاجات جسد الرّجل والطّفل وهكذا.

تتناسبُ معرفة المكاييل وتطبيقاتها المناسِبة مع ثقافة الاعتدال التّي هي من سمات الفكر الإسلامي العظيم، فالاعتدالُ يَحفَظُ التّوازن، والتّوازُن هو القانون العام الطّبيعي الذّي تسير بفضله كلّ الأنظمة في الكون؛ في الأرض والفضاء، في جَسَد الإنسان يكفي أن نطّلع على عدد يسيرٍ من البحوث العلميّة الحديثة لَنشهد عظَمة التّوازن في خَلق الله تعالى الذّي أثبته الإعجاز العلمي، وإذا نَظَرت في تكاليف الله تعالى عباده رأيتَ حقيقة التّوازن حاضرة من حيثُ إنّه تعالى لم يكلّفهم مالا يُجاوزُ طاقتهم ويُفسِدُ توازنهم، فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلّم كما ذكَرَ البيهقي إلى التّفكّر في نِعَم الله وليس الله تعالى لأنّ ذلك أمرٌ فوق الطّاقة وغيرُ مأمون العواقب، وقال تعالى في غير موضعٍ من القرآن الكريم إنّه لا يُكلّف كلّ نَفسٍ إلاّ وُسعَها، قال ابن القيّم رحمه الله تعالى: «ما أمرَ الله تعالى بأمرٍ إلاّ وللشّيطانِ فيه نزعتان؛ إمّا تَفريطٌ وإضاعةٌ، وإمّا إلى إفراطٍ وغلوٍّ، ودينُ الله وَسطٌ بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بينَ جبَلَين، والهُدى بينَ ضلالتين، والوَسط بين طَرفينِ ذَميمَين، فكما أنّ الجافي عن الأمر مُضيعٌ له، فالغالي فيه مُضيعٌ له، هذا بتقصيره عن الحدّ، وهذا بتجاوزه الحد». (ابن القيّم، 2003، صفحة 492/2).

2–3–8–نوادر: الأمزجة تسعة

المعتدل، الحار، البارد، الرّطب، اليابس، الحار الرّطب، الحار اليابس، البارد الرّطب، البارد اليابس.

2–3–9–الأخلاط. والأعضاء الرّئيسة

الدّماغ والقلب والكبد والأنثيان، الكَيموس، الكَيلوس، البراز، التّفسرة، الطّبيعة، العلاج، السِّحنة، النّاقه، الاستِفراغ، النّفض بالفَصد أو الإسهال أو القَيئ ... (الخوارزمي م.، 2020، الصفحات 116-117)

تبني المجال المعرفيّ الطّبّي مجالاتٌ مفهوميّة فرعيّة تترابطُ جينيّا مع بعضها البعض لا ينفصل أحدها عن الآخر، فالوضع المعتدل في جسد الإنسان هو حال الصّحّة، وبغيابها يتقدّم إلى الواجهةِ مجالُ معرفة الأسباب والتّشخيص الذّي يتأسّس علميّا على خطوات من بينها التّشريح، ومعرفة أسباب الأمراض يوضّح ماهيتها، ويَهدي إلى سبل علاجها بالغذاء، والدّواء وغيرهما، فمصطلحات المجالات الفرعيّة تأخذ قيمتها نَظرا وإجراءً من علاقاتها المتشعّبة مع بعضها البعض، وهي بتكاملها تبني المعرفة الطّبّية وتحدّد قضاياها، وتزيدها تخصيصا ودقّة.

2–4–آليات توليد المصطلح الطبّي في المفاتيح:

لم نعلم عن الخوارزمي أنّه كان طبيبًا أو صيدليّا، ولم نعلم عنه أنّه كان من المشتغلين في التّنظير المصطلحي، ولكنّنا علمنا أنّه كان عالما مبرّزا، وأنّه إلى ذلك مقرّب من الوزراء والطّبقة الحاكمة الأمر الذّي مكّنه من الاطّلاع على خزائن المكتبات النّفيسة ليجمعَ من مصادرها المتعدّدة أهمّ مصطلحات علوم عصره، ويُقدّر الأهمّ منها، فهو لم يجمع كلّ مصطلحات العلوم بل الأمر معقودٌ عنده على اختيار ما يَعتَقِد أنّه أنجع للمتلقّي، يقول:

«جَمعتُ في هذا الكتابِ أكثرَ ما يُحتاجُ إليه من هذا النّوع، متحرّيا الإيجاز والاختصَار...وألغيتُ ذكرَ المشهور المتعارَف عليه بين الجُمهور، وما هو غامِضٌ غريبٌ لا يكادُ يخلو إذا ذُكِرَ في الكُتُبِ من شرحٍ طويل، وعُنيتُ بتحصيلِ الواسطة بين هذين الطّرفين، إذ كانَ هو الذّي يُحتاجُ إليه دون غيره». (الخوارزمي م.، مفاتيح العلوم، 2020، صفحة 9)، يصحّ هذا التّقرير ليكون منطلقا تداوليا عاما في أيّ مشروعِ وضعٍ مصطلحيّ عربي نريدُ به تمكين البحث المصطلحيّ العربي من التّميّز نظريّا، أو إجرائيا بإثراء خطابنا العربي بالزّاد المصطلحي المواكب لتطوّر الحياة.

فيما يلي أهم آليات توليد المصطلحات الطّبّية في المفاتيح:

2–4–1–الاشتقاق

هو عملية توليد تمسّ جانب المبنى وما ينتج عنها من معانٍ جديدة. جاء في تعريفه أنّه: «الطريقة التي تتكوّن بها الكلمات، وذلك عن طريق إضافة السّوابق واللّواحق والدّواخل إلى جذر ثابتٍ، ويأتي في كلا التّعريفين الكلمة المتولّدة - والمتحصّل عليها - بعد إضافة سوابق ولواحق لجذر ثابت» (خليل، 1998، صفحة 72)، فالاشتقاق إذن عمليةُ توليد كلمات جديدة من جذر عربي هو الحروف الأصلية تُفرَغ في قالبِ صرفيّ هو البنية سواء أَتبَع ذلك زيادة أم بقيت على حالها من التّجريد، فتكون لدينا: جذر + صيغة صرفية + عناصر لسانيّة هي السّوابق واللّواحق.

أمثلة: العَضَل، الصّرع، الخَدَر، الخَشَم، البَهَق،

الحَصَف(فَعَل).

الدِّق، الوِردُ، الغِبُّ، الرّبْعُ، الخِمْس، السِّدْس (فِعْل).

لُقوَة، تُخمة، ظُفرة، طُرفة (فُعلة).

دُوار، قُلاع، جُذام، صُنان، سُبات، نُخاع(فُعال).

كَلْب وكَلِب، سَحْج، سَلْعة، نملة، سَكْتة، هَيْض، فَتْق(فَعْل) و(فَعلة).

داحِس، فالج(فاعِل).

تشنّج (تَفعّل)، كابوس (فاعول)، انتشار (افتِعال)، خُنّاق (فُعّال)، سُلٌّ (فُعْل)، يَرَقان (فَعَلان)، استسقاء (استفعال)، مشيمة (فَعيلة)، ملتحِم (مفتَعِل)، معدة (فَعِلة من المعد الذّي هو الضّخم)، بوّاب (فعّال)، مُرابض (مفاعِل)، حِجاب(الفِعال) وغيرها.

أغلب المُشتقّات كانت على أوزان **المصادر** وخصوصا في فَصلي التّشريح والأمراض، حيث كانت المصطلحات مشتقّات من جذورٍ عربيّة مبنيات على صيغ المصادر التّي بسبب دلالتها على أحداثٍ مع خلوّها من الزّمن تأخذُ طابع التّجريد والشّموليّة، وهما مناسِبَان للاصطلاح على الخصائص العامّة في المصطلحات.

ظَهرت بنية المصطلحات الطّبّية في المفاتيح مُوزّعة بين كونها بسيطة، أي متكوّنة من كلمة مفردة، وبين كونها مركّبا، فمصطلحات الأمراض بالخصوص كانت بسيطة: «في المصطلحات البسيطة الصّغيرة تسكُنُ صغار العلم وجزئياته». (خيّاط وآخرون م.، د ت، صفحة 199)، أمّا في الأغذية والأدوية فغالبية مصطلحاتها كانت مركّبة تركيبا إضافيا أو وصفيّا بالأساس.

2-4-2-**المجاز**

المجازُ نقلُ لفظٍ من معنى إلى معنى آخر يلتقي معه في جانبٍ دلاليّ مُعيّن. (وغليسي، 2008، صفحة 84) فالأصل في المجاز نقلُ اللّفظ من معناه الأصلي إلى معنى لعلاقة بينهما معقولة مبرّرة، ومع أنّ العلوم المعرفيّة الحديثة تنفي النّظرة الثّنائية للمعاني حقيقيّةً ومجازيةً وتعدّ المجاز ضرباً رئيسيا من ضروب اشتغال الذّهن البشري إلاّ أنّ توفّر القصد في الوضع الأوّل، والوعي بمتطلّبات القول بالمعاني الأولى والثّانية يجعلنا نعتَرف بانتقال معانٍ انتقالا معروفا تتوفّر فيه شروط الرؤية القديمة، لعلّ فصل أدوية مشتبهة الأسماء كلّه مُنبَنٍ على المجاز، حيثُ كانت المصطلحات مركّبة كلّها تركيبا إضافيا أو وصفيّا، المصطلح في الوضع الأوّل يقوم بوظيفة التّعيين، أو الوصف والتّعريف لأشياء في الواقع؛ رجل غراب أو آذانُ فأر أو غير ذلك لها مرجعها الحقيقي الأوّل الذّي اتّفق عليه متكلّمو اللّغة، وهو هنا مركّب لغوي غير مصطلحي، ثمّ حدث التّواضع الثّاني داخل مجال معرفي فكري خاص هو الطّب في حقل مفهومي فرعي هو الدّواء لعلاقة مشابهة موضوعيّة شكليّة كما في حالة رِجل الغراب، وقد تكون المُشابهة رمزية أسطورية ثقافيّة اجتماعيّة عقليّة وهذا هو الأغلب والأكثر إبداعاً في أمثلة أخرى، مثال ذلك:

قال ابنُ منظور في مصطلح الشّريان:» الشّريانُ بفَتح السّين وكسرها: شجَرٌ من عضاه الجبال يُعملُ منه القِسيّ، واحِدَتُه شريانة، وقال أبو حنيفة: نباتُ الشّريان نَباتُ السّدر يسنو كما تسنو السّدر...وشريانُ: وادٍ...: (أبو الفضل، 1990)ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش ر ي). المعاني اللّغوية المعجميّة تُعطينا: شجر، سدر، التّفرّع، طريق، الشّق...إنّ هذه المعاني العامة موجودة في المصطلح الطّبّي شريان من حيثُ إنّه طريقٌ للدّم، ومن حيثُ تشعّب الشّرايين إلى فروع تشبِه تَشعّبات نباتِ السّدر، فالمُشابهة بين المَعنيين الوضعي والطّبّي عقليّة.

جزءٌ كبيرٌ من مصطلحات الفصل الثّامن مُنبَنٍ بالكناية والاستعارة، فمصطلحات الطّبيعة التّي يُكنّى بها عن حال البطن في اللّين واليُبس، أو التّفسِرة التّي هي كناية عن البول انتقل معناها من عامٍ إلى خاصّ بعلاقة تخصيص كنائية تأدّبا في التّواصل، وترفّعا عن ذكرِ ما تعافُه النّفس بشكلٍ صريح.

حضَر المجاز بشكلٍ طاغٍ آليةً في وضع مصطلحات الطّب في هذا المعجم، فاللّغة العربية كما قال ابن جنّي أكثرها مجاز، والمجاز يتناسب وطريقة اشتغال الذّهن البشري في فهمِ أشياء جديدة بأشياء قديمة نعرف عنها الكثير فنوظّف ما نعرفه لندركَ مالا نعرفه ونُحسِنَ التّعامل معه.

2-4-3- **الاقتراض**

ظاهرة لا تخلو منها لغة من اللّغات، ويعرّف الاقتراض على أنّه أخذُ مفردةٍ أو أسلوب من لغة واستعماله في لغة أخرى، ويَشتهِر له في العربية نوعان:

2-4-4-**التّعريب**

نقل المفردة الأعجمية من لغتها الأصلية إلى العربية مع إخضاعها لطرائق العربية في تعاملها مع مفرداتها، وكلّ مفردة مقتَرضَة مُعَرّبة ستدخل النّظام الصّرفي العربي وتصبح تُعامَل

معاملة زميلاتها العربيّات يجري عليها ما يجري عليهنّ، وردت في المعجم بكثرة في فصل **الأوزان والمكاييل والأدوية المفردة** مثل النّارجيل أصلها فارسية ناركيل، البهطة، الرواصير، سنجسبويه مخفّفة من سك بستان...التّدخّل العربي كان غالبا صوتيا وبدرجة أقل صرفيّا مراعاة للذّوق العربي ومواضعات العربية في اجتماع حروف مفرداتها بالأساس.

2–4–5–**الدّخيل**

إدراج المفردة الأجنبيّة بصيغتها الأعجمية، قليلة الورود جدّا، مثالها البيض نيمرَشت (فارسية).

2–4–6–**التّرجمة**

الحُزاء ترجمة ل دينارويه، البسباسة ترجمة لقشور جوزبوّا، أي جوزة الطّيب، الكاكنج هو عنب الثّعلب الأحمر.

قلّ ورود المصطلحات المُترجمة، ومن البديهي أن تكون بسبب اختلاف الجماعات اللّغوية في تسميّة المراجِع نفسها، لم يجد علماؤنا نقصا في أن يستخدموا المصطلح الأجنبي بحاله الأصلي أو بإدخال بعض التّغييرات عليه، فمن الطّبيعي أن يستفيدوا من خبرات الأمم الأخرى التّي سبقتهم في مجالات غالبا ما كانت مادية طبيعيّة لا روحية ثقافيّة دينيّة، في هذا الأمر نركّز على أنّ هناك اكتفاء ذاتي عربي من النّاحية الدّينية الرّوحية.

2–5–التّعريفُ المصطلحيّ للمصطلح الطّبّي في المفاتيح

إذا كان دي سوسير قد جعَل المفردة ثنائية الحقيقة تتكوّن من دال ومدلول تربطهما العلاقة الاعتباطيّة، فإنّ الفلاسفة واللّسانيين بعده اشتغلوا على المكوّن الثّالث الذّي هو المرجع لتكون المفردة ثلاثية الأبعاد الأمر الذّي يوسّع حدود تعريفها بالنّظر إلى البعد الذّي تعرّفه: هل هو الدّال(التّعريف اللّغوي)، أو المرجع(التّعريف الحقيقي)، أو المدلول(تعريف التّصوّر والخصائص)، لا يختلف المصطلح عن المفردة إلاّ في التّواضع المخصوص به في مجالٍ معيّن، لكنّه يحتَفظ ببنية ثلاثيّة الأبعاد؛ المصطلح (التّسمية)، والمفهوم، والمرجع أو الشّيئ في الواقع، بالنّسبة للباحثين: «لا يُعَرّف اللّفظ ولا يُعرّف الشّيء الذّي يدلّ عليه، وإنّما يُعرّف المفهوم أو التّصوّر الحاصل في الذّهن عن الشّيء». (القاسمي، 1998، صفحة 114)

للتّعريف المصطلحي أنواع كثيرة وتصنيفات متعدّدة حسب المدارس المصطلحيّة أهمّها: التّعريف القصدي والوظيفي، التّعريف بالخصائص والمكوّنات، التّعريف بالقسمة او التّقسيم والتّفريع وذكر الأجزاء (خيّاط وآخرون م.، صفحة 231)، لكنّ التّعريف المصطلحي النّاجع هو الذّي يعرّف التّسمية أو المصطلح ويعرّف المفهوم بكلّ الطّرق الممكنة، وهذه بعض الأمثلة من المعجم:

2–5–1–**الشّرايين**

تعريفها يعطي الخصائص التّالية:

العروق+ نوابض +منبتُها من القلب + تنتشر فيها الحرارة الغريزيّة. (الخوارزمي م.، 2020، صفحة 104)

هذه الخصائص الجوهرية في المعرّف توجّهت إلى المفهوم المأخوذ من الشّيء في الواقع بعد أن جرّبها المعجميّ بنفسه أو ثقافيا بما انتقل إليه من معارف المتخصّصين من الأطباء والمترجمين والجرّاحين، وهي على وضوحها ودقّتها وبساطتها تحقّق غاية معرفيّة تداوليّة، فالشّريان هو سبيل نقل الدّم النّقي القوي من القلب إلى سائر أعضاء الجسم، غناه بالأوكسجين يجعل مستوى الدّم مرتفعا، وقوّة الشّرايين وصلابتها المناسِبة لوظيفتها القوية تجعل بنيتها العضلية أقوى وضغط الدّم فيها أعلى من الأوردة، ولذلك هي «نوابض».

أضاف الخوارزمي تعريفاً بالقسمة لأقسام الشّرايين: الأبهران+ الباسيليق والقيفال+ الأكحل + الودجان الظّاهر والغائر + حبلُ الذّراع+ الأشيلم + الصّافن. (الخوارزمي م.، مفاتيح العلوم، 2020، صفحة 104).

2–5–2–**قصبة الرّئة: التّسمية الشّائعة**

عند متكلّمي العربية هي الحلقوم، في تعريف **ماهيتها ذَكَر:** مجرى النّفس المتّصل بالرّئة، وفي **موقعها:** أمام المريء الذّي هو مجرى الطّعام والشّراب إلى المعدة، وهو إلى القفا الحنجرة وهي العظم النّاتئ في العنق تحت اللّحى، وهي آلة الصّوت. (الخوارزمي م.، 2020، صفحة 106)، وكما ترى فالتّعريف هنا امتداديٌّ ينقُلك من عضوٍ إلى عضوٍ مرتبطٍ به منتمٍ معه إلى المجموعة الكبرى ذاتها لكنّه يستقلّ بنفسه بوظيفة وهوية تُفرّقه عن شركائه.

2–5–3–**المسامّ**

المنافذ التّي يخرُجُ منها العرق: تعريفٌ بالماهية والوظيفة معا.

2–5–4–**السُّعفة**

في الرّأس والوجه، قروح فيه، يابسة أو رطبة يسيلُ منها الصّديد (الخوارزمي م.، 2020، صفحة 106) تعريف بالخصائص الجوهرية.

2-5-5-**الحقل المفهومي لأمراض الجلد: البَهَق**

: بياضٌ على الجلد دون البَرَص، وربّما أسود.

الشّرى: داءٌ يأخذُ في الجلد أحمر كهيئة الدّراهم.

الحَصَف: بثورٌ تهيجُ من كثرة العَرَق، **القوباء**: معروفة، خلطٌ غليظٌ يظهَر إلى ظاهر الجلد ويأخذ فيه. **النّملة**: بثورٌ صغارٌ مع ورم مع حكّة وحرقة وحرارة في اللّمس تسرع إلى التّقرّح (الخوارزمي م.، 2020، صفحة 107)،المشترك في هذه الأمراض أنّها أمراض جلدية سطحيّة ظاهرة، وتتمايز في نوع تجَلّيها ما بين تغيّرٍ في لون الجلد وتهيّجه.

*-الحقل المفهومي لأمراض المعدة: **الهَيضة**: مَغسٌ وكربٌ يحدث بعدهما قيءٌ واختلاف، **الشّهوة الكلبيّة**: أن يدومَ جوعُ الإنسان ثمّ يأكلُ الكثير ويثقل عليه ذلك فيقيئه أو يغيثه، **الاستسقاء**: أن ينتفخ البطن وغيره من الأعضاء، **الزّحير**: معروف. **القولنج**: اعتقال الطّبيعة لانسدادِ المعي المسمّى قولون، **الخِلفَة**: ألاّ يلبثَ الطّعام في البطن، يخرج سريعاً وهو بحاله لم يتغيّر من لذعٍ ووجع. (الخوارزمي م.، 2020، صفحة 108). الخصائص المشترَكة بين مصطلحات هذا الحقل هي خروج وظيفة المعدة عن حال الاعتدال، أمّا تمايزها ففي مظاهر ذاك الخروج وتوزّعه ما بين ألم، وانتفاخ، ودوام عطش المريض، أو دوام جوعه مع ما ينتج عن ذاك من ضعف أو سوء استهلاك للماء والطّعام فينتج أثرٌ آخر سلبيّ.

أدّى **المجال الطّبي** دوراً حاسما في تخصيص المصطلحات الطّبية خصوصا تلك المشتقّات وزيادة تدقيق تعريفها، إنّه من غير الممكن مثلا أن يعرف العربيّ أنّ «**الانتشار**» هو مصطلح يدلّ على مرضٍ يصيبُ العين إلاّ إذا سبقت معرفته بانتمائه إلى هذا المجال؛ فهو اتّساعُ ثَقبِ النّاظر حتّى يلحقَ البياضُ من كلّ جانبٍ، مِن ضَربةٍ أو عقِبَ صُداعٍ شديدٍ. (الخوارزمي م.، 2020، صفحة 108)

نالت الأمراض الجَسديّة الدّاخلية حظّها من تعريف الخوارزمي، لعلّ سبب اهتمامه بها هو شيوعها بشكلٍ واضح؛ **فالنّقرس**: وَرَمٌ في المفاصل لموادّ تنصبّ إليها (الخوارزمي م.، 2020، صفحة 109): الخصائص الحقيقيّة التّي تبني هويّة/ طبيعة هذا المرض: ورم+ مكانه هو المفاصل+ **سببه**: مواد تترسّب فيها. **وعِرق النّسا**: مفتوح مقصور (إشارة لغويّة صرفيّة) + وجعٌ يمتدّ من لدن الورك إلى الفخذ كلّه في مكانٍ منه في الطّول+ وربّما بلغ السّاق والقَدَم مُمتدّا. **والدّوالي**: عُروقٌ تَظهَر في السّاق غِلاظٌ ملتويةٌ شديدة الغِلظ والخُضرة: وصفَ آثار المرض لا أسبابه (الخوارزمي م.، 2020، صفحة 109). وكذلك الحال مع الحمّى وأنواعها وما يصاحبها من أعراض أخرى ومقدار مكثها بالأيّام، أو زوالها وعودتها.

أكثر المصطلحات كانت للحقل المفهومي للأمراض والأدواء باعتباره بؤرة الميدان الطّبّي، فهو العارض الّذي يزيل الحال المعتدلة أي الصّحة، لتبدأ سيرورة متجدّدة على الدّوام من البحث عن الصّحة ومحاربة الأمراض بما تيسّر من سبل وأدوات.

حضر التّعريف بالمقابل من اللّغات الأخرى اليونانية والفارسية والسّندية والهندية، والحال أنّ العرب أمّة كانت متأخّرة عن الأمم الأخرى في الجانب الطّبي لكنّها تداركت التّأخّر ذاك بالنّقل والإضافة المبدعة.

أوفى الخوارزمي بوعوده التّي وَضَعها في مقدّمة معجمه الموسوعي: لقد عرّف مَداخِلَه المصطلحيّة بِلُغة دقيقة، مختصرة، بعيدا عن الحشو، فكانت بحقّ تعريفات علميّة تداوليّة للمتخصّص تَدفعُه لمزيد من البحث، وللعربي المتلقّي العام تُدخِل إلى لغته وفكره رصيدا مصطلحيّا ومفاهيميّا مفيدا.

دلّ ما سَبق بشكلٍ لا يقبلُ الجدال على قدرة اللّغة العربية على تقديم المعرفة الطّبية بهيئة عربية: فقد كان الأطبّاء المسلمون يقرأون الطّبّ بالعربيّة، ويفهمونه بالعربيّة، ويُسجّلون ما يَكتشفونه من جزئيات جديدة تمسُّ كلّ فروعه باللّغة العربيّة، وكانت المعرفة الطّبّيّةُ عربية والمصطلحاتُ عربيّة، وكانت كتبُ كثيرٍ من الأطبّاء المسلمين العربيّة أساس نهضة أوروبا في العصر الحديث، لكنّ النّاظر إلى واقع الطّب في البلاد العربيّة في العصر الحديث يلمحُ شيئا يدعو إلى الأسى، فمعظم الدّول العربية أصبح الطّب فيها يُدَرّس بلغات غير العربيّة تأكيدا لدراسة نَشَرَتها مُنظّمة الصّحة العالميّة عام 1988 عن أكثر من ألف كلّية طب في أكثر من 120 دولة اتّضحَ فيها أنّ الدّول القوية والمُستقلّة سياسيا تُدرّس الطّب بلغاتها الأم، بينما الدّول التّي تَعَرّضت للاستعمار يُقَدَّم الطّبّ فيها بلغة المُستَعمِر وهذا أخطر مظاهر الاستعمار اللّغوي الثّقافي، إنّه دليلٌ على هزيمة نفسيّة وانبطاح للعدوّ لا يجابهه إلاّ صاحب المناعة الشّخصيّة القوية المتحصّن بهويته الذّاتية الخاصّة.

تُقدّم التّجربة العربيّة السّورية شعاع فَخرٍ وأملٍ بأن تحذو البلدان العربية حذوها ليس في تعريب الطّب فيها ولكن في إعادة الطّب إلى حضن العربية.

لا يعني تَعريب الطّب في عالمنا العَربي أن نُديرَ ظهرنا لما تُسجّله الإنسانيّة من ثورات معرفيّة طبّيّة هائلة، فالتّجربة السّورية الرّائدة في التّعريب سجّلت صعوبات كبيرة كادت تَعصفُ بجدواها خصوصا في صعوبة اطّلاع الأطبّاء السّوريين على المستجدّات الطّبّية المنشورة بلغات أجنبيّة، أو في عدم مواكبة المعاجم العلميّة المتخصّصة العربيّة لتلك المستجدّات، وهذا الأمر يدلّ دلالة قاطعة على أنّ تعريب الطّب فقط بمَعزل عن إستراتيجيّة سياسية شاملة للتّعريب هو أمرٌ عَبثيٌّ، فكلّ مؤسّسات الدّول العربيّة وهيآتها السّياسيّة والعلميّة مدعوّة إلى تحمّل مسؤوليّات جسيمة في التّعاون والتّكاتف لتجسيد مهماتها الخاصّة. لعلّه من المفيد أن نُذكّر بالواجبات التّالية:

-إعطاء الأهميّة القصوى للتّرجمة سياسيا وعلميّا تخطيطاً وتنفيذا.

-إعطاء صلاحيّات رسميّة للمراكز العلميّة العربيّة المسؤولة عن وضع المصطلحات لتكونَ توصياتها مُلزمة للباحثين والدّارسين.

-توفّر الإرادة السّياسيّة الصّادقة لتحقيق التّعريب، والاستعانة بخبراء متخصّصين لوضع إستراتيجيّات دقيقة تُخطّط لتطبيق التّعريب وتنفيذه وفق برامج واضحة.

-تشجيع دور النّشر على نشر الأعمال التّرجميّة الطّبّية ودعمها رسميّا بشكلٍ متزامنٍ مع ما يُنتجه العقل الإنساني من جديد.

3–انتقال المصطلحات الطّبّيّة إلى الميادين غير الطّبّية وقدرَتها على بناء معارف جديدة فيها

ارتبط تاريخ الطّب بتاريخ الفِكر البشري في نموّه وتطوّره وثرائه وتخصّصه، يدلّنا على ذلك حضور هذا المجال بمصطلحاته ومفاهيمه في الفلسفة وعلم الأخلاق والسّياسة والاجتماع والتّشريع وغيرها، لقد كانَ –ولازال- معينًا لا ينضب من الإمكانيات التّي وفّرها للفلاسفة وغيرهم ليستثمروا المعارف الطبّية في تقديم تصوّراتهم ورُؤاهم المتنوّعة، يجد هذا الكلامُ تبريره فيما تؤكّده العلوم المعرفيّة التّي تشتغل على معرفة كيفيّة عمل الذّهن البشري بالإفادة مِنَ العلوم الحديثة مِنْ أنّ الدّلالةَ لا تنفصل عن التّداول، فالدّلالةُ بنيةُ معلوماتٍ مركوزةٍ في الذّهن البشري تشكّل مُستوى التّمثيل الذّهني الذّي هو البنية التّصوّرية بفضله تكون المعلومات التّي تقدّمها اللّغة منسجمةً مع تلك المعلومات الآتية من أنساقٍ أخرى غير لغويّة، بحيثُ تَنسحب مبادئ البنية التّصوّرية تلك على كلّ تجاربنا الفيزيائيّة والمجرّدة الأمر الذّي يُثبت أنّ دراسة اللّغة هي دراسةٌ للفِكر والتّصوّرات . (جاكندوف، 2010، صفحة 191 و ما بعدها).

من النّتائج الخطيرة لعدم فصل البنية الدّلالية عن البنية التّصوّرية:

- التّأكيد على أنّ مصدر إحالة التّعابير اللّغويّة ليس ما هو موجود في العالم الخارجي بل ما يوجَد في ذهن المتكلّم، وما يوجد في ذهن المتكلّم هو نتاجُ تأويله لتجاربه مع العالم الواقعي. (راغين، 2011، صفحة 74)فإذن ليس العالم الخارجي هو مصدر المعطيات الدّلاليّة بل ما يُسمّى بالعالم المُسقَط- هو ناتجٌ عن التّفاعل مع العالم الواقعي- وهذا الذّي رأينا المصطلحيّين يقولون به من حيثُ إنّ التّعريف المصطلحيّ هو تعريفٌ للمفاهيم وليس للعالم الخارجي.

- التّأكيد على أنّ الذّهن البشري في جزءٍ كبيرٍ منه استِعاريّ مجازيّ، يتّخذ من المجاز أداة معرفةٍ وفهمٍ بفضل جملة الإسقاطات المعرفيّة التّي يقيمها بين المجالات التّي يعرف عنها كثيرا وتلك التّي لا يعرف، مُستثمرا المعارف المسبقة في انتقاء ما يناسب عمليّات الإسقاط.

ترتبط الصّحةُ بالجسد حالَ الاعتدال، ويُشكّل غيابها خللا في التّوازن يَستدعي في العادة تدخّل الطّبيب القادر على تشخيص المَرَض ومن ثمّة علاجه إمّا بتحفيز الجسد داخليا بإمكاناته المناعيّة الخاصة، وإمّا خارجيا باقتراح غذاءٍ أو دواء مُناسبَين، وإذا كان هذا البناء المفهومي المادي الخاص بمَرَض الجَسد سَهل الاستحضار فإنّه قابلٌ للنّقل إلى مواضيع أخرى في حياة الإنسان، لأنّه مرتبطٌ بحصيلة تفاعُلنا مع واقعنا ومحيطنا، وهذه الحصيلة تُشكّل بنيتنا التّصوّرية الحركية التّي تسمحُ بفهم مجالات بمجالات بجملةٍ من الإسقاطات الانتقائيّة المناسبة بينها، وهكذا تظلّ البِنية العامة لمفهوم المرض في المجالات كلّها هي نفسها؛ حدوثُ خللٍ في حالة التّوازن لأسباب مُعيّنة داخليّة أو خارجيّة تبدو أعراضها مؤثّرة على الوضع العام للمجال سلبا الأمر الذّي يتطلّب تدخّلا عاجلا لإصلاحه قبل فوات الأوان في السّياسة وفي

الفلسفة وفي النّفس والأخلاق:

*- جاءَ في معاجِمنا العربية إمكانية توظيف المصطلح الطّبي في مجالات غير الطّب عندما يتواتَرُ بالاستعمال اللّغوي الطّبيعي جزءٌ جوهريّ من مفهوم «مرض»في مجالات عديدة أثبَتتها الاستعمالات العربيّة الثّقافية: فالمرض في الأبدان فُتور الأعضاء. وإذا كان في العين: فهو فتور النّظر، وفي الريح: سكونها، وشدّة حرّها، وفي الأرض: كثرة الهرج بها والفِتَن والقتل، وفي الرّأي: انحرافٌ عن الصّواب، وفي الليلة: إظلامُها ونقص نورها لا تُرى كواكبها، وفي الطّبيعة: إظلامُها واضطرابها بعد صفائها واعتدالها، وفي القلب: فتورٌ عن الحق. (أبو الفضل، 1990)، لقد تمّ نَقل المعرفة الطّبّية الجَسدية عن المرض إلى مجالات غير مجال الجسد البشري بحيثُ احتَفظ النّقل بالخصائص الرّئيسة للمرض وبالمقابل تخلّى عمّا يربط تلك الخصائص بالجَسد ورَبطها بالمجال المُنتَقَل إليه.

*- كان المجال النّفسي الأخلاقي من أكثر المجالات انبناءً بالمعارف الطّبّيّة، حيثُ يتمّ تصوّر النّفس جَسدا يَعرِضُ لها ما يَعرِض للجسد من صحّة ومرض، قال الفارابي: «إنّ للنّفسِ صحّةً ومرضا...كما للبدن صحة ومرض». (نجّار، 1993، الصفحات 24-25)، وقال مسكويه: «في مقالةٍ عن شفاء الأمراض التّي تلحق بنفس الإنسان وعلاجها وبذكر أسبابها والعلل التّي تولّدُها وتحدّث منها فإنّ حذّاقَ الأطبّاء لا يُقْدِمون على علاج مرضٍ جسماني إلاّ بعد أن يعرفوه ويعرفوا السّبب والعلّة فيه، ثمّ يرموا مقابلَته بأضداده من العلاجات، ويبتدؤون من الحمية والأدوية اللّطيفة التّي إن انتهوا في بعضها إلى استعمال الأغذية الكريهة والأدوية البشعة، وفي بعضها إلى القطع بالحديد والكيّ بالنّار(...)، وأيضا لمّا كان طبّ الأبدان ينقسمُ بالقسمةِ الأولى إلى قسمين أحدهما حفظُ صحّتها إذا كانت حاضرةً، والآخر ردّها إليها إذا كانت غائبة وجبَ أن تُقسّم طبّ النّفوس هذه القسمة بعينها فنردّها إذا كانت غائبة، ونتقدّم في حفظ صحّتها إذا كانت حاضرة». (مسكويه، 1985، الصفحات 145-146)، وقال ابن رشد: «الفضيلةُ ضربٌ من الصّحة والجمال، والرّذيلة ضربٌ من المرض». (ابن رشد، 1998، الصفحات 122-123).

وفّر المجال الطّبي العضوي بعناصره المادية فرصةً عظيمة للفلاسفة لإدراك جوانب خفيّة من مجال النّفس شديد التّجريد، حيثُ انتقلت المصطلحات الرّئيسة: المرض والصّحّة العلاج من مجالها الاصلي إلى مجالٍ أخر بحيث تحلّلت من علاقاتها المعقّدة بمصطلحات الطّب لتقيمَ علاقاتٍ لها أخرى أساسية مع المجال المُنتَقّل إليه، ووفّرت معرفة جديدة سواء في فهمِ جوانب مظلمة من هذا المجال، أو في إمكانية توفير حلولٍ ناجعة لمشاكله التّي تقوم مقام امراضٍ فيه. لابدّ من تشخيصها ووضع الأدوية النّاجعة لها.

عمليّة النّقل من المجال الطّبي لا تكونُ بشكلٍ آليّ كامل، فالفيلسوف يقومُ بانتقاء ما يناسب المقام الخطابي له ليبني جزءًا من المعرفة الفلسفيّة النّفسيّة، ولا يمتنع الإفادة من مجالاتٍ غير الطّب في إضاءة جوانب جديدة من المجال المدروس، كتابُ ابن سينا الشّفاء يبدو من عنوانه أنّه كتابٌ في الطّب ولكنّه ليس كذلك، هو كتابٌ في الفلسفة والمنطق والإلهيات ، وكتاب القانون كتابٌ في الطّب مع أنّ تسميته قضائيّة قانونيّة، ومنه نلمَس النّظرة الكُلّية التّي كان ينظُر بها إلى المعارف وأنّها في الأصل تمتدّ إلى مَنبعٍ واحدٍ، سواء كانت في الإنسان أو في الكون أو في علاقة الإنسان بربّ الكونٍ، يبدو أنّ هناك قانون واحدٌ تسير حسبَه أنظِمة الكون، وجميع المعارف تكون صحيحة سليمة عندما تضمَنُ صحّة وخيرا وقدرة على الإنتاج المفيد مهما كان نوع العائد.

انتَقلت المصطلحات الطّبّيّة إلى المجال الدّيني، وأسهمت في شرح جوانب معيّنة منه ومكّنت العلماء من إفهام المتلقّين قضايا مجرّدة معرفةُ الإنسان فيها فقيرةٌ، لننظُر إلى قول البيهَقي(384هـ-458هـ): «أمّا الطّبيب فهو العالم بحقيقة الدّاء والدّواء، والقادر على الصّحة والشّفاء، وليس بهذه الصّفة إلاّ الخالق البارئ المصوّر، فلا ينبغي أن يُسمّى بهذا الاسم أحدٌ سواه، فأمّا صفةُ تسمية الله جلّ ثناؤه فهي أن يُذكَر ذلكَ في حال الاستشفاء مثل أن يُقَال: اللّهم إنّك المُصحّ والمُمرِض، والمداوي والطّبيب ونحو ذلك... (البيهقي، د ت، صفحة 25)، يبني تصوّر «الطّبيب» مجموع الخصائص الدّلاليّة المُتّفق عليها بين جماعة المتخصّصين في المجال الطّبّي من مثل: هو الذّي يمتلك معرفةً دقيقةً بالجسد البشري+ شروط الحفاظ على الصّحّة+ معرفة أحوال المَرض وأسبابه...+ الأدوية وعلاقتها بكلّ جزءٍ من الجسد، فليست الأدوية دائما جالبة للبُرء لأنّها لا تتفاعل بالشّكل ذاته مع الأغذية ومع أعضاء الجسد، يتفاوت الأطبّاء البَشر في هذه المعرفة ويظلُّ عِلمُ أمهَرِهِم قليلا، لذلك فَهِم البيهقي

أنّ الطّبيب في الحقيقة هو الله تعالى، وفَهِمَ ابنُ رشد(520هـ-595هـ) الشّارعَ (أي المشرّع: ولا مشرّع إلاّ الله تعالى) بخصائص الطّبيب في الوظيفة: «إنّ الطّبيب هو الذّي يطلُب أن يحفَظ صحّة الأبدان إذا وُجدت، ويستردّها إذا ذهبت، والشّارع هو الذّي يبتغي هذا في صحّة الأنفُس، وهذه الصّحة هي المسمّاة بالتّقوى». (العسري، 1997، صفحة 121) ، لا تتأتّى هذه الصّحة الشّرعية بالغذاء والدّواء الطّبيعيين، فهُما في المجال الجديد من طبيعة أخلاقية معنويّة تمكّن الإنسان من كبحِ جماح رغباته الفاسدة وشهواته المُهلكة اتّقاء غضب الله تعالى، فالتّقوى هي الدّرع الذّي يحمي الإنسان من عقاب الله تعالى يُنشِؤه بفضل الطّاعات الكثيرة والدّائمة، تماما مثلما يواظب الإنسان على احترام نظام حياةٍ سليم من نومٍ وغذاء ورياضة خوفا على صحّة جسده من الاختلال، وليعيدها إن غابت، عندما يدخل المصطلح الطّبّي مجالاً ما يحتفظ بخصائصه العامّة المجرّدة وتنضاف له خصائص تحدّدُه ضمنَ ذاك المجال، وتُشكّل علاقاته الجديدة مع المصطلحات الاصليّة .

من أجل كلّ ما سبق وغيره، لم يجد الفلاسفة حرَجاً في تبيانِ جدوى الفلسفة، نذكُرُ مثلا كيف يُشبّه ابن رشد الفلسفة بالعَسَل في سياق توضيحه المنافع الفلسفيّة بمنافع العسل لصحّة الجسد، يقول:» العسل ...غذاءٌ دوائيّ وخاصّة للشّيوخ، فإنّه من أنفع الأدوية لهم، إذ ينقلب فيهم إلى دَمٍ محمود...». (ابن رشد، لكُلّيات في الطّب، 1999، صفحة 428) ومع أنّ هذه الفوائد ظاهرة للنّاس إلاّ أنّ للعسل مضار يعلمها المتخصّص إمّا بسبب الإكثار منه، وإمّا بسبب خصائص في جسد المريض ، لكن مع ذلك يظلّ العسل نافعاً ولا أحد يقول بإيقاف استعماله، فالحالُ نفسه مع الفلسفة والحاجة إليها: «فإنّه ليس يلزمُ مِن أنّه إن غَوى غاوٍ بالنّظر إليها ، وزلّ زالٌّ، إمّا مِن قِبَلِ نُقصِ فطرته ، وإمّا من قِبل سوء تَرتيب نظَره فيها ، أو مِن قِبَل غَلَبة شهوته عليه، أو أنّه لم يجد معلّما يُرشده إلى فَهم ما فيها أو مِن قِبَل اجتماع هذه الأسباب فيه أو أكثر من واحدٍ منها أن نمنَعها عن الذّي هو أَهلٌ للنّظَر فيها، فإنّ هذا النّحو من الضّرر الدّاخل من قِبلها هُوَ شيءٌ لَحِقها بالعَرَض لا بالذّات». (ابن رشد، 1997، صفحة 94).

فالفلسفة بعدّها علم النّظَر العقلي الحكيم المفيد لا تتحقّق إلاّ بتوفّر شروطٍ مُسبقة في المشتغل عليها تماما كما لا يفعل العَسل فعله المفيد في جسم مستعمله إلاّ بتوفّر شروطٍ واستعدادات قبليّة، بمعنى أنّ الحاجة إلى الفيلسوف لا تقلّ أهمّية هن الحاجة إلى الطّبيب في المجتمع العقلاني.

في الفلسفة الحديثة نَظَرَ ميشال فوكو(Michel Foucault)إلى ظاهرة معقّدة نظرة فريدة؛ الجنون ، الذّي لا نفهم منه عنده أنّه يعدّه حالة مَرَضية عقليّة فردية فقط، إنّها عنده حالة غير عادية للعقل البشري، خارجة عن المألوف ، مَظهر للإبداع، أو التّفوّق، أو السّخرية من واقع ظالم، وانتقاده بقول ما يجب قوله تحت غطاء انعدام المسؤولية القانونيّة والاجتماعيّة، الجنون قد يكون مرادفاً للحرية، ليقظة العقل في أقصى حدودها، وإذا كان الجنون في الطّب النّفسي مَرضا عقليّا يجعل المصاب به غير قادر على التّمييز السّليم، أو قصور عقله عن أداء وظيفته، فقد جَعل فوكو من دراسته للجنون في العصور الوسطى في أوروبا وسيلة لدراسة سلوكيات وأخلاق المجتمع الأوروبي، لقد نَظَر إليه كقوّة فكرية لها دواعيها ونتائجها ومظاهرها وامتداداتها اللّامتناهيّة، لها وجودٌ أدّى إلى رَفض الفكر الرّسمي سياسيا وثقافيّا لها ونبذه، فاعتمد المخيال في رسم قصّة سفينة المجانين الرّمزية، سفينةٌ ضائعة قلِقة لا وِجهة لها ولا غاية ولا انتماء تماما مثلما هو حال المجنون المنبوذ، ولذلك كان الجنون عند فوكو مظهَرا مُختَلِفا جدّا من مظاهر العقل الجَمعي اتّخذه أداة لتحليل السّلوك الرّسمي ونقده في سلبيّات تعامله مع المصابين بهذه الحالة تعاملا رمزيّا أكثر منه موضوعيّا وطبّيّا ،»إنّ ما يُفسّر فرادةَ كتاب فوكو ويمنحه طابعه الخاص هو الاستناد إلى خَبَرات الإنسان وتجربته مع حدوده الدّنيا والقُصوى على حدٍّ سواء، فقد استقى مادته من الطّبّ الوضعي بطبيعة الحال فالفصل الثّاني بفصوله الأربعة مُخصّصٌ بالكّلّية للحديث عن المعرفة الطّبّية(المجنون في حديقة الأنواع، وتسامي الهذيان، وأشكال الجنون، والاطبّاء والمرضى)، لكنّه استقاها أيضا وربّما أساساً من الأدب والفنّ والمسرح والفلسفة، كما استقاها من الشّعوذة والكيمياء وكلّ المُمارسات السّحريّة، ومن تاريخ ممارسات الدّولة والشّرطة والمُستَشفيات العامّة والسّجون، ومؤسّسات الحجز»: (فوكو، صفحة 12 و ما بعدها)، كان كتابا تقييميا تأريخيا سياسيا ودينيا واجتماعيّا ونفسيّا للنّفس الإنسانيّة الغربيّة وهي من منظور الطّب أولى خطوات العلاج.

في الميدان السّياسي، يفيدُ انتقال المصطلح الطّبّي إلى مجال الخطابات السّياسيّة السّياسيين الذّين ينتجون هذا الخطاب، والمشتغلين في فلسفة السّياسة والأخلاق الذّين يبحثون في شروط بناء الخطابات السّياسية وخصائصها وأزماتها وعلاقتها بالمجالات الأخرى وتوصياتها لتتجدّد دوما وتؤدّي وظيفتها في إدارة الحكم.

ليس من الغريب أن يُقَدّم السّياسيون خُصومَهم على أنّهم مَرضى، أو مُدمِنون على السّلطة، أو أنّهم من مُسبّبي حالة التّأزّم في الوضع السّياسي بكلّيته، ويقدّمونَ مشاريعهم السّياسيّة على أنّها ما به يتحسّن الوضع السّياسي العام لأنّها مشاريع قامت على تَشخيصٍ سليمٍ نتيجة لخبرة كبيرة ورؤية ثاقبة ونية صادقة في علاج الوضع السّياسي المريض، فالمجال الطّبي يُمِدّ الخطاب السّياسي بزادٍ مصطلحيّ مهم تتعدّى وظائفه التّعريف بجوانب كثيرة من السّياسة إلى تمكين المشتغِلين فيها من التّعامل الحقيقي مع المشاكل المتنوّعة التّي تَعرض لهم.

بوجهٍ عام: استثمارُ المصطلحات الطّبّية بتوظيفها في مجالات غير طبّيّة يُثري المعرفة البشرية، ويُثبتُ تكاملها ويوجّه التّركيز إلى أهمّية انفتاح مجالاتها على بعضها البعض.

خاتمة

- الاعتِزاز بالتّراث العربي الإسلامي يكون أفضل بالتّوظيف العلمي المنهجي التّداولي لمقولاته ومصطلحاته في خطابنا المعاصر، والاستثمار في مصطلحاته يكون بشكلٍ مباشر بمفاهيمها التّراثية المناسبة للأوضاع العلميّة الحالية أو بإجراء التّغييرات المناسبة على صعيدَي البنية والدّلالة، مع وضع المصطلحات المناسبة لكلّ جديد طالما خزّانُ اللّغة العربيّة لا ينفد من الإمكانات.

- وَضعُ المصطلحات يكون بالشّروط المعروفة لتحقّق الأغراض المعرفيّة التّواصليّة المخصوصة، لكن يجبُ ألاّ تَبقى المصطلحات حكراً على جماعتها الخاصّة، من الأجدى أن يعُمّ استعمالها ومن الأنفع أن يتّسع تداولها، لتُصبح ملكاً للجماعة اللّغوية كلّها، تثري خطابها العام دون أن تفقد هويتها وخصوصيتها، ولنا في دعوة الخوارزمي جماعة الكّتّاب والأدباء ضرورة التّزوّد بمعرفة المصطلحات والمجالات العلمية سبيلا نهتدي به في طريق نشر المعرفة المصطلحيّة وتعميمها، فكلّ من بإمكانِه أن يظهَر خِطابيّا للآخَر معنِيّ بهذه الدّعوة، في عصرنا الحالي في التّعليم، والإعلام، والسّياسة، والأدب والفن وغيره.

- الطّب هو علمٌ يبحثُ في صحّة الجسد البشَري وما يعرض له من أمراض، قدّمه الخوارزمي في ثمانية فصول بمصطلحاتها ومفاهيمِها المتشابكة المتكاملة لتبني معرفةً مناسبة عن هذا المجال، لكنّ الطّبّ أيضا بمصطلحاته ومفاهيمه تلك يعدّ مجالاً يمكن أن تتأسّس عليه معارف موسوعية تمسّ مجالات حياة مهمّة أخرى، ويكونُ هذا بمثابة نتائج تداوليّة للمعارف الطّبّيّة. قَولك مثلا: الكيانُ الصّهيوني سرطانٌ نمَا في جسدِ الأمّة العربية الإسلاميّة استثمار للمعرفة الطّبّية المتخصّصة في خطابٍ سياسيّ يصفُ واقعا حقيقيّا، وقولك للمنافق أو الكاذب إنّك مَريضٌ إيمانيّا وسلوكيّا تحتاجُ علاجا عاجلا ليسَ زخرفاً لفظيا ولا ترفاً لغويا، إنّه تشخيصٌ حقيقيّ لحاله واستثمارٌ ناجحٌ للمعارف الطّبّية الدّقيقة بما يتناسب والمقام.

- اللّغة العربية هي الخزّان الأوّل لتوليد المصطلحات الطّبّية بآلِيَتَي الاشتِقاق والمجاز، ويُكمِل الاقتراضُ ما نَقُصَ منها، أمّا التّعريف المصطلحيّ فحفَظ المعارف التّي اكتسبها الإنسان بالتّجريب أو النّقل أو الاستنتاج في شكل خصائص وسمات جوهريّة في مجالات فرعيّة تخدم المجال الطّبّي وتنفَتحُ على غيرِه.

- دَلّنا الخوارزمي على أنّ الفائدة من المعاجم ليست في كثرة جمعِ المصطلحات وتكديس المعارف بل في مُراعاة ما يحتاجه الإنسان وما سيوظّفه في حياته، أي أنّ رؤية الخوارزمي المعجميّة المصطلحيّة هي رؤية علميّة تداوليّة بامتياز.

المراجع

1. إبراهيم أنيس وآخرون. (1982). معجم الوسيط (الإصدار 2، المجلد المجلد 1). القاهرة.
2. إبراهيم بن مراد. (1993). المعجم العلمي العربي المختص حتّى نهاية القرن الحادي عشر هجري (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
3. ابن القيّم. (2003). مدارج السّالكين بينَ منازل إيّاك نعبُدُ وإيّاك نستَعين. بيروت: دار الكتاب العربي.
4. ابن رشد. (1997). فصل المقال وتقرير ما بين الشّريعة و الحكمة من الاتّصال.(عبد الواحد العسري، المحرر) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
5. ابن رشد . (1999).ا لكُلّيات في الطّب. (مراد محفوظ، و آخرون، المحررون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
6. أبي بدر أحمد بن الحسين البيهقي. (د ت). الأسماء والصّفات (الإصدار 1). السّعودية: مكتبة السّوادي للتّوزيع.
7. أحمد بن محمّد بن إسماعيل النّحّاس. (2004). عُمدة الكُتّاب (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار ابن حزم للطّباعة والنّشر والتّوزيع.
8. أحمد حابس. (2002). مصطلحات أمراض الكلام، دراسة إبستيمولوجية تحليلية. ملتقى اللّغة العربية والمصطلح (صفحة 210). عنابة: جامعة باجي مختار.
9. ابن رشد. (1998). الضّروري في السّياسة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
10. الأصفهاني. (2010). مُعجم مُفردات ألفاظ القرآن. بيروت: دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع.
11. التّهانوي. (د.ت). كشّاف اصطلاحات الفنون (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلميّة.
12. الحسين بن محمّد أبو القاسم الأصفهاني. (2010). معجم مفردات ألفاظ القرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
13. بوشعيب راغين. (2011). البنى التّصوّرية واللّسانيات المعرفيّة في القرآن الكريم. إربد، الأردن: عالم الكتاب الحديث.
14. جواد حسني سماعنة. (1999). المعجم العلمي المختص (المنهج والمصطلح). (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، المحرر) مجلّة اللّسان العربي (48).
15. جيل دولوز، و فليكس غتاري. (1997). ما هي الفلسفة؟ (الإصدار 01). (مركَز الإنماء القومي، المترجمون) بيروت.
16. حلمي خليل. (1998). الكلمة، دراسة لغوية معجمية (الإصدار 2). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
17. حميد مطيع العواضي. (1991). المعاجم اللّغوية المعاصرة قضاياها النّظرية والتّطبيقية (الإصدار 1). اليمن: مؤسّسة عفيف الثقافية.
18. خالد الأشهب. (2011). المصطلح العربي البنية والتمثيل (الإصدار 1). الأردن: عالم الكتب الحديث.
19. راغب السّرجاني. (2009). قصّة العلوم الطّبيّة في الحضارة الإسلاميّة (الإصدار 01). القاهرة: مؤسّسة اقرأ للنّشر والتّرجمة والتّوزيع.
20. راي جاكندوف. (2010). علم الدّلالة والعرفانيّة. (عبد الرّزّاق بنّور، المترجمون) تونس، المركز الوطني للتّرجمة.
21. ميشال فوكو. تاريخ الجُنون في العصر الكلاسيكي (الإصدار 01). (سعيد بن كراد، المترجمون) بيروت، لبنان: المركز الثّقافي العربي.
22. سورة النور/ الآية 61.
23. علي القاسمي. (1998). النّظرية الخاصّة في علم المصطلح وتطبيقاتها في مهنة المحاماة. مجلّة اللّسان العربي (45).
24. فوزي متري نجّار. (1993). فصولٌ منتزعة (الإصدار 2). بيروت: دار المشرق.
25. ماري كلود لوم. (2012). علم المصطلح، مبادئ وتقنيات (الإصدار 1). (ريما بركة، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة

العربيّة.

26. محمّد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي. (2020). مفاتيح العلوم. مؤسّسة هنداوي.
27. محمد بن مكرم أبو الفضل. (1990). لسان العرب (الإصدار 1، المجلد 2). بيروت، لبنان: دار صادر.
28. محمّد رشاد الحمزاوي. (1995). المصطلحيّة العربية المعاصرة، سبيل تطويرها وتوحيدها. مجلّة اللّسان العربي (39).
29. محمّد عابد الجابري. (2006). التّراث والحداثة، دراسات ومناقشات. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربيّة.
30. محمّد هيثم خيّاط وآخرون. (د ت). علم المصطلح لطلبة كلّية الطّب والعلوم الصّحيّة. فاس: منظّمة الصّحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط.
31. محمود فهمي حجازي. (د ت). الأسس اللّغوية لعلم المصطلح. القاهرة: دار غريب.
32. مسكويه. (1985). تهذيب الأخلاق. بيروت: دار الكتب العلمية.
33. يوسف وغليسي. (2008). إشكالية المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم (الإصدار 1). بيروت.
34. DUBOIS, J. (2001). Dubois est autres dictionnaire de linguistique. France: édition Larousse.

The medical term from the dictionary of the keys of science of Al-Khawarizmi: The characteristics and the functions

Abstract

The origin of the term is that it is a specific linguistic sign, developed by a special group in a specific scientific or cultural field, to indicate a specific concept and achieve it, but the linguistic reality proves that the different domains borrow terms from each other, in an increasing or decreasing way according to the needs, and the term passes from one domain to another, carrying its original concept; and decomposing from its previous relations in its original domain, to establish new relations with the terms of the new domain in a selective and intentional way. This study aims to verify the importance of the terminological transfer between the domains through the specialized encyclopedic lexicon of Al-Khwarizmi "Mafatih al-Ulum", So, Al-Khwarizmi called writers and linguists to be able to understand the terminology of various domains of knowledge and not to leave the terminology exclusive to its own group, we have chosen the medical term as a study model, by examining its characteristics, definitions and functions, which go beyond the construction and organization of medical knowledge to its deliberative investment in the production of new knowledge.

The work concluded that Al-Khawarizmi's call was useful, because the use of medical terms in various discourses contributes more to their deliberative character, and medical terminology is expanding, without losing its medical specificity, its original affiliations to the medical field.

Keywords
Medical term
scientific keys
functions
characteristics
Terminological transfer

Les Termes médicaux dans le Dictionnaire de «Mafatih al-Ulum»d'Al-Khawarizmi: caractéristiques et fonctions

Résumé

l'origine du terme est qu'il s'agit d'un signe linguistique spécifique, développé par un groupe spécial dans un domaine scientifique ou culturel spécifique, pour indiquer un concept spécifique et y parvenir, mais la réalité linguistique prouve que les différents domaines empruntent des termes entre eux, de manière croissante ou décroissante selon les besoins, où le terme passe de son domaine à un autre, portant son concept original et se décomposant un peu de ses relations précédentes dans son domaine d'origine, pour établir de nouvelles relations avec les termes du nouveau domaine de manière sélective et intentionnelle.cette étude vise à vérifier l'importance du transfert terminologique entre les domaines à travers le lexique encyclopédique spécialisé d'Al-Khawarizmi «Mafatih al-Ulum», où Al-Khwarizmi a appelé les écrivains et les linguistes à la nécessité de maîtriser la terminologie des différents domaines cognitifs, et ne pas la laisser exclusive à son propre groupe, nous avons choisi le terme médical comme modèle d'étude en examinant ses caractéristiques, ses définitions et ses fonctions qui vont au-delà de la construction et de l'organisation des connaissances médicales à son investissement délibératif dans la production de nouvelles connaissances.Le travail a conclu que l'appel d'Al-Khawarizmi était utile, parce que l'utilisation des termes médicaux dans divers discours contribue davantage à leur caractère délibératif, et son ouverture vers des horizons plus profonds sans que la terminologie médicale interrompe ses particularités médicales et ses affiliations originales au domaine médical.

Mots clés
Terme médical
clés scientifiques
fonctions
caractéristiques
Transfert terminologique

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

قراءة كرونولوجية في كتاب «شرح كتاب النيل»

A Chronological review of "Sharh kitab Al-Nil"

د. حاج إسماعيل بن لولو[1]
Dr. Hadjsmail Benloulou
مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية-الجزائر
benloulou.hadjsmail@univ-ghardaia.dz

أ.د. قاسم حاج امحمد
Pr. kacem Hadjmahammed
مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية-الجزائر
hadjkacem47@gmail.com

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على تاريخ تأليف كتاب «شرح كتاب النيل» لأحد أعمدة المدرسة الإباضية بالجزائر في العصر الحديث، وهو الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش(1237هـ/1332هـ)، حيث لا زالت هذه الموسوعة الفقهية الكبيرة، المؤلفة من سبعة عشر مجلدا، مرجعا أساسيا لكل باحث في الفقه الإباضي. فكانت إشكالية الدراسة كالآتي: متى بدأ الشيخ أطفيش في تأليف «شرح كتاب النيل»؟ ومتى أنهاه؟ ومتى ألف كل جزء منه (السبع عشرة جزءا)؟ ومتى أنهاه؟ ومتى طبع لأول مرّة؟ وما هي الكتب التي ألفها خلال فترة تأليف «شرح كتاب النيل»؟ ومتى بالضبط؟ توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، ومنها: استغرق الشيخ أطفيش في تأليف كتابه «شرح كتاب النيل» خمس عشرة (15) سنة (1270هـ إلى 1285هـ)، فأنهاه في سن مبكرة (47سنة)، وهو عمر يوافق ما وصف به نفسه في مقدمة الكتاب.

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 15-09-2019
تاريخ القبول 25-02-2024

الكلمات المفتاحية
كرونولوجيا
شرح كتاب النيل
أطفيش

مقدمة

يعدّ الشيخ أطفيش الإباضي(1237هـ/1332هـ) ظاهرة فريدة في عصره، حيث استظهر القرآن في السن الثامنة، وبدأ التأليف في السادس عشرة من عمره؛ وذاع سيطه في العالم منذ العشرين من عمره فكان مرجعا في الفتوى، وألف ما يزيد عن مائة وخمسين عنوانا في مختلف العلوم. ومن بين هذه الكتب «شرح كتاب النيل»، الذي ألفه في صغر سنه وأصبح مرجعا لمن يريد التعرف على فقه الإباضية. لكن للأسف الشديد لم يحظ هذا الكتاب بعدُ بالبحث والقراءة المعمّقة ما يليق بمقامه.

لذا، جاءت هذه الدراسة -كمحاولة- لتسليط الضوء على تاريخ تأليف كتاب «شرح كتاب النيل» لأن أغلب مخطوطات هذا الكتاب ليس به تاريخ النسخ بخط يد المؤلف، بل أكثر أجزائه إما به تأريخ لأحد نساخه أو منعدم التأريخ، وغالبا ما يكون غير دقيق إن وجد.

فكانت إشكالية الدراسة كالآتي: متى شرع الشيخ أطفيش في تأليف كتاب «شرح كتاب النيل»؟ ومتى أنهاه؟ ومتى ألف كل جزء من أجزائه السبعة عشر؟ ومتى أنهاه؟ ومتى طبع لأول مرّة؟ وما هي الكتب التي ألفها خلال فترة تأليف «شرح كتاب النيل»؟ ومتى بالضبط؟

للإجابة على هذه الإشكالية، اعتمد الباحث المنهج التاريخي من خلال تتبع الوثائق التاريخية والمخطوطات المتاحة من هذا الكتاب. والمنهج الاستقرائي من خلال تتبع بعض نصوص «شرح كتاب النيل» ومقارنتها مع بعض الكتب الأخرى التي ألفها الشيخ أطفيش، والمنهج الوصفي.

أما الدراسات السابقة المتعلقة بهذا الموضوع فهي نادرة جدا باستثناء دراسة لمصطفى وِينْتَن، كان عنوانها «تاريخ تفاسير القطب»(مصطفى وينتن، 2018)، حاول فيها الباحث أن يتعرف على تاريخ تأليف تفاسير أطفيش، وقد ذكر أنّ الغرض منها هو معرفة بعض القضايا والمسائل التي تتعلق بفكره في مجال التفسير، انطلاقا من معرفة الأزمنة التي ألف فيها أطفيش هذه الكتب، كخطوة أولى. وهي دراسة لم تتناول مجال الفقه ولا كتاب «شرح كتاب النيل».

1 المؤلف المراسل

1–سبب تأليف كتاب «شرح كتاب النيل»

لا بأس من الإشارة إلى مسألة مهمة تناقلها المؤرخون، وهي أن سبب تأليف «شرح كتاب النيل» هو تأسيس الحكومة الاستعمارية للجنة مجلة الأحكام الإسلامية؛ فأراد أطفيش أن يساهم في ذلك لأجل إثبات حضور الفقه الإباضي مع غيره من المذاهب في هذه المجلة التي ستكون مصدرا للقضاء في مجال أحكام الأسرة.

لكن عند الرجوع إلى تاريخ صدور هذه المجلة نجد أنه كان بتاريخ 1324هـ/1907م، واستمرت إلى سنة 1913م(أبو القاسم سعد الله، 1998). فالملاحظ أن هذه فترة متأخرة جدا عن بدايات تأليف «شرح كتاب النيل» مما يجعل هذا السبب غير صحيح، لأن «شرح كتاب النيل» قد شرع فيه أطفيش منذ سنوات حسب الوثائق التي تثبت ذلك(أبو القاسم سعد الله، 1998).

2–طريقة الإحالة عند أطفيش في كتاب «شرح كتاب النيل»

2–1–الإحالة عند مراجعة الكتاب

إنّ ما يُحيل إليه أطفيش من مصادر في كتابه «شرح كتاب النيل» ليس دليلا قاطعا أنه قد ألفه قبل ذلك المبحث من «شرح كتاب النيل».

والدليل على ذلك مثلا: إحالته إلى كتاب «إيضاح المنطق في بلاد المشرق». فقد أحال إليه في الصفحة 14 من المجلد الأول من الكتاب الأول في الطهارات.

فهذا الكتاب «إيضاح المنطق في بلاد المشرق» قد ألفه في سنة 1290هـ، والدليل على ذلك القرينة الصريحة المتمثلة في قوله: «فانظر كتابي الذي ألفته في السفر بعضه في السّفينة وبعضه في مكة الذي سميته إيضاح المنطق في بلاد المشرق»(أطفيش، 1332هـ).

فلو أنه لم يذكر هذا، لتوهمنا أنه قد ألفه قبل «شرح كتاب النيل». وهو غير صحيح، فالمؤرخون قد أثبتوا بأدلة أخرى أنه سافر إلى الحجاز سنة 1290هـ، ومنه علمنا أنه ألف كتاب «إيضاح المنطق في بلاد المشرق» بعد الشروع في تأليف كتاب «شرح كتاب النيل».

2–2–الإحالة خلال الفترة التي يؤلف فيها

مما يلاحظ كذلك في الكتب التي يشير إليها أطفيش في كتابه «شرح كتاب النيل» أنها كانت قريب عهد بالمبحث الذي لا يزال يؤلف فيه. وسنرى أمثلة على ذلك-لاحقا- في الفرع الخامس (كتب ألفها أطفيش وأحال إليها في «شرح كتاب النيل»).

3–تاريخ تأليف كتاب «شرح كتاب النيل»

لم ترد نسخ موثقة التاريخ بيد الشيخ أطفيش حول تاريخ بداية تأليف كتابه «شرح كتاب النيل» أو تاريخ إنهائه. لذلك سوف يلجأ الباحث في الكشف عن هذا إلى الأزمنة التي تتعلق «بشرح كتاب النيل»، سواء في ما يخص مراسلاته أو من نسَخ كتبه للوصول إلى تاريخ بداية تأليف للكتاب. وسنبدأ بالملاحظات الآتية:

3-1- لقد ورد في سبب تأليف «شرح كتاب النيل» الثاني أنّ الشيخ قاسم بن سليمان الشماخي المتوفى قبل صفر من عام 1269هـ، طلب من أطفيش أن يكتب كتابا مختصرا يشرح فيه «كتاب النيل»، وهذا في رسالة أرسلها له بواسطة الحاج محمد بن يحي بن إبراهيم الذي التقى به في رحلته إلى الحج الممتدة بين رجب 1264هـ-1268هـ(صالح سيوسيو ومحمد بوسنان، 2013).

3-2- أغلب المحققين يتفقون على أن «شرح كتاب النيل» قد ألف بعد نهاية تأليف «هميان الزاد»، الذي كان تاريخ إنهائه في 09 رمضان لسنة 1271هـ. وهو كتاب متألف من أربعة أجزاء. والدليل على تاريخ إنهائه في هذه السنة هو وُرُود التاريخ في خاتمة نسخةٍ بخط الشيخ، وهي موجودة في مكتبته(انظر: المصدر نفسه، ص:453).

3- 3- عند الرجوع إلى أقدم نسخة من غير خط الشيخ، فإننا نجد نسخة للجزء الأول منه(من أول كتاب الطهارة إلى الكتاب التاسع في الحقوق وإلى آخر السفر) نسِخت في يوم الخميس 27 ربيع الأول 1271هـ، وعلى هامش الكتاب إضافات كثيرة بقلم أطفيش مشيرا في أولها أنها أصول وليست حواش(انظر: مجموعة باحثين، فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ الحاج صالح لعلي(ت:147هـ)).

فمن خلال هذه الملاحظات نستنتج ما يأتي

3-3-1- الفارق الزمني بين نسخ الجزء الأول (من أول كتاب الطهارة إلى الكتاب التاسع في الحقوق وإلى آخر السفر) من كتاب «شرح كتاب النيل» ونهاية تأليف «هميان الزاد» هو ستة أشهر.

3-3-2- شرع أطفيش في تأليف «شرح كتاب النيل» قبل نهاية تأليف «الهميان»، وليس كما ثبت أنّه بعده لأن النسخ بدأ

قبل ستة أشهر منه، بناء على الملاحظات السابقة.

3-3-3- سؤال: ترى، متى بدأ أطفيش تأليف كتابه «شرح كتاب النيل»، إذا كان نسخ الجزء الأول قبل إنهاء «الهميان» بستة أشهر؟

وقبل ذلك نتساءل: كم هي مدة النسخ -عادة- في تلك الفترة؟ علما أن عدد الأوراق التي يتضمنه هذا الجزء هي: 399ورقة في 31 سطرا بحجم 28 * 22.5 سم(انظر: المصدر نفسه).

فإذا قابلنها بالنسخة الحالية (مطبعة جدة) نجد أن عدد المجلدات هو: خمسة (05) مجلدات. كل مجلد يحتوي على عدد الصفحات الآتي:(1/479-2/689-3/466-4/545-5/414).

للإجابة على هذا التساؤل نفترض أن مدة النسخ تمت خلال شهرين على الأكثر. وبالتالي تبقى أربعة أشهر كفارق زمني بين نهاية تأليف «هميان الزاد» وإنهاء تأليف الجزء الأول (من أول كتاب الطهارة إلى الكتاب التاسع في الحقوق وإلى آخر السفر) من كتاب «شرح كتاب النيل». ويكون عمره حينها ثلاث وثلاثون (33) سنة لأنه بدأ التأليف في سنة 1253هـ وعمره ستة عشر (16) سنة.

أي أنّ بداية تأليف «شرح كتاب النيل» كانت في ذي الحجة من سنة 1270هـ. وبمعنى أن الشيخ أطفيش كان يؤلف كتابا وبضعة أسطر في كل شهر.

لكن السؤال المتبادر من هذه النتيجة: كيف ألف أطفيش خمسة مجلدات (باعتبار طبعة جدة) في أربعة أشهر، وباقي المجلدات (12 مجلد) ألفها في ظرف تسع وعشرين سنة (29)؟!! (باعتبار القائلين إن طباعة كتاب «شرح كتاب النيل» كانت سنة 1306هـ. ولا بأس أن نفترض أن ذلك كان سنة 1300هـ، وباقي السنوات تكون لمراجعة الكتاب ثم إرساله إلى مصر ثم طباعته).

4-3-3- ملاحظة:

ذكر المحققون أنه بقي في خزانة أطفيش مجلدان كبيران(إلى آخر كتاب النفقات) من «شرح كتاب النيل» الثاني بخطه، وقد استغرق في تأليفهما أكثر من عشر سنوات بدليل أنه أحال إليه في كتابه «شرح القلصادي» المؤرخ سنة 1283هـ في متن المجلد الثاني(انظر: المصدر نفسه).

وهذا يعني: أن بعد سنة 1270هـ من تأليف الجزء الأول (من أول كتاب الطهارة إلى الكتاب التاسع في الحقوق وإلى آخر السفر، أي المجلدات الخمس باعتبار طبعة جدة) أكمل أطفيش تأليف الكتاب العاشر في النكاح إلى الكتاب الثامن عشر في النفقات (من المجلد السادس إلى المجلد الرابع عشر، حوالي ثمان مجلدات) في ظل عقد من الزمن أو أكثر (إلى سنة 1280هـ).

وبالتالي يصبح معدل التأليف عند أطفيش خلال هذه المدّة هو كتاب واحد ونصف كتاب في كل سنة. ويكون عمره في سنة 1280هـ بعد تأليف هذه المجلدات هو ثلاثة وأربعون (43) عاما.

ومما يعضد كون التأليف كان خلال هذه المدة، هو أن أطفيش أحال في كتاب البيوع» من «شرح كتاب النيل» إلى رسالة أرسلها سعيد بن خلفان العماني جوابا على أحد التلاميذ المبتدئين، وهو عمر بن يوسف اليَسْجَنِي، وذكر أن له عليها حاشية؛ وتاريخ هذا الجواب مؤرخ في يوم الخميس من جمادى الآخر من عام 1274هـ(انظر: مجموعة باحثين، فهرس، مكتبة الاستقامة «الخزانة الثانية»، الرقم في الفهرس: 410هـ، الرقم في الخزانة أ/26). وقد يكون وصول هذا الجواب من عمان إلى وادي مزاب خلال سنة 1275هـ. وهي الفترة التي كان يؤلف فيها أطفيش كتابه «شرح كتاب النيل» من الكتاب العاشر في النكاح إلى الكتاب الثامن عشر في النفقات (من بعد سنة 1270هـ-1280هـ).

ثم يكون بقي له من الأجزاء لإنهاء تأليف «شرح كتاب النيل»: من الكتاب التاسع عشر في الدماء إلى الكتاب الثاني والعشرين في الأفعال المنجية من المهلكة. أي: من المجلد الخامس عشر (15) إلى نهاية المجلد السابع عشر (17) باعتبار طبعة جدة. ولا يزال باقيا له من الوقت ست وعشرين (26) سنة ليكون الكتاب قد طبع بكامله في مصر(1306هـ).

وما دام أن أطفيش كان يؤلف بمعدل كتاب وجزء منه في السنة، بناء على التتبع الزمني السابق، يمكن القول أنّ كتاب «شرح كتاب النيل» اكتمل تأليفه خلال سنة 1284هـ وسنة 1285هـ كأقصى تقدير. ويكون أطفيش قد بلغ من العمر سبعة وأربعين (47) أو ثمانية وأربعين (48) سنة.

فهو لا يزال حديث السن، وهو عمر يوافق ما وصف به نفسه حول فترة تأليف «شرح كتاب النيل» الأول والثاني قائلا: «وكلاهما في صغر السن مخلص لربنا الجليل»(طفيش، ت:1332هـ).

وأما لو اعتبرنا أنّ نهاية تأليف «شرح كتاب النيل» كانت في

سنة 1305هـ، فإن عمره سيكون حينئذ ثمانية وستين (68) سنة، وهو عمُر متقدم جدا.

وبالتالي نستنتج -أيضا- أن مدة تأليف كتاب «شرح كتاب النيل» استغرقت خمسة عشر(15) عاما، حيث أنّ أكثر مدة مكث فيها طويلا واستغرق فيها وقتا أكبر هي فترة تأليف «الكتاب العاشر في النكاح إلى الكتاب الثامن عشر في النفقات»، حيث دامت عقدا كاملا من الزمن(10 سنوات)، ثم بعدها فترة تأليف «الكتاب التاسع عشر في الدماء إلى الكتاب الثاني والعشرين في الأفعال المنجية من المهلكة»، حيث يفترض أنها استغرقت أربع (04) سنوات، ثم الفترة الأقصر وهي عند تأليف «الكتاب الأول في الطهارة إلى الكتاب التاسع في الحقوق» حيث دامت حوالي أربعة(04) أشهر(بداية من 10 رمضان 1271هـ).

تجدر بالملاحظة أنّ مدة التأليف في المرحلة الأولى كانت وجيزة جدا رغم أن عدد المباحث(الكتب) كان مقاربا مع عدد المباحث(الكتب) في المرحلة الثانية.

كما أنه وُجدت نسخة لآخِر كتاب(جزء) من «شرح كتاب النيل»، وهو «الكتاب الثاني والعشرون في الأفعال المنجية من الهلاك»، وقد نسخ من قبل سليمان بن الحاج أيوب بن يوسف الباروني النّفُوسي الكِباوي، نسخها في غرة شعبان من عام 1305هـ، وعليها إضافات وتصحيحات بخط الشيخ أطفيش وابنه يوسف[12]، مما يدل أنّ كتاب «شرح كتاب النيل» قد اكتمل تأليفه قبل سنة 1305هـ بكثير، ولا يستبعد أن يكون في ما بين 1284هـ-1285هـ كما سلف ذكره(انظر: مجموعة باحثين، فهرس مكتبة أبي إسحاق، الرقم في الفهرس:82، الرقم في الخزانة: أو2-1الكتاب22).

4–سبب التباين في مدة التأليف

4–1–سؤال: ترى، ما سبب هذا التباين في مدة تأليف أطفيش لكتابه «شرح كتاب النيل»؟

للإجابة على هذا السؤال، لا بدّ من الإشارة إلى الملاحظات الآتية:

4-1-1- قبل أن يؤلف أطفيش كتاب «شرح كتاب النيل» الثاني، ألف «شرح النيل الأول» المسمى بـ: كتاب «التبيين من النيل» كما هو وارد في تفسير «هميان الزاد»(تبقى مسألة الطبع سنرجع إليها في حينها)، وهو أكبر حجم ولم يتمّه. قال أطفيش: «هذا ثاني تفسير على النيل، يغسل عنه ما أبهم كالسيل، بخلاف الأول فإنه طويل الذيل، ولم يتم»(أطفيش، ت:1332هـ). فقد توقف في «كتاب الشفعة» إلى ما قبل «باب في هبة المنافع»(طفيش، ت: 1332هـ).

فإذا تأملنا في مباحث «شرح كتاب النيل» الثاني التي ألفها خلال الأربعة الأشهر (حسب ما افتراضنا) نجد أنها قد دونت كلها، فربما قام باختصارها.

لذلك لم يستغرق معها وقتا طويلا في إعادة تدوينها. إذ توقف في «شرح النيل الأول» عند «كتاب الشفعة» إلى ما قبل «باب في هبة المنافع».

4-1-2- إذا تأملنا في سن أطفيش قبل سنة 1270هـ، نجده كان في السن الثالثة وثلاثين (33). أي هو في فترة الشباب التي يكون فيها العطاء أكبر، كما أنّ المسؤوليات الاجتماعية لم تُلق بعد كلها على عاتقه. وبالتالي كان له من الوقت الكافي ليتفرغ للتأليف.

4-1-3- انضباط الشيخ واستغلال وقته، إذ كان يخصص خلال الأسبوع أغلب الفترة الليلية للتأليف، والفترة الصباحية للتدريس باستثناء يومي الخميس والجمعة، فلا يدرس فيهما.

رابعا- يبدو أن أطفيش لم يتفرغ خلال هذه الأربعة الأشهر إلا لتأليف هذه الأجزاء من «شرح كتاب النيل» الثاني، بالموازاة مع تأليف الجزء الأخير من «هميان الزاد» الذي أتمه في 09 رمضان من عام 1271هـ(صالح سيوسيو ومحمد بوسنان، 2013)؛ بخلاف ما لو نظرنا فيما بعد سنة 1270هـ-1280هـ. أي بعد تأليف هذه المباحث(من الكتاب الأول في الطهارة إلى الكتاب التاسع في الحقوق). فإن التأليف فيها غزير إذ تزيد عدد المؤلفات عن العشرة غير «شرح كتاب النيل»(انظر: المصدر نفسه).

ويلاحظ أن بعد هذه الفترة تراجع عددها إلى بضع مؤلفات، عندما تفرغ أطفيش لتأليف «الكتاب التاسع عشر في الدماء إلى الكتاب الثاني والعشرين في الأفعال المنجية من المهلكة»(1281هـ-1284هـ)، بسبب كثرة المشاغل وتقدم العمر، وخاصة إذا علمنا أنه تولى القضاء منذ سنة 1269هـ-1299هـ لكن ربما لم يبلغ نشاطه ذروته كما كان في سنة 1273هـ وما بعدها(انظر: الصدر نفسه).

ومما يعضد هذا القول أيضا أن أطفيش بعدما أنهى تأليف «شرح كتاب النيل» خلال سنة 1284هـ-1285هـ(كما

افترضنا)، ألف حوالي 35 عنوانا وأزيد مما ثبت تاريخ تأليفه[1]. وهناك كتب أخرى كثيرة يبدو أنها ألفت بعد سنة 1285هـ أو قبل تأليف «شرح كتاب النيل» الثاني(انظر: صالح سيوسيو ومحمد بوسنان، 2013)، بعض منها تحوي أكثر من مجلد(باعتبار الطبعة الحديثة) كتيسير التفسير الذي يبلغ 17 مجلد(طبعة 2011م).

فالغرض من التمثيل بهذه الكتب هو محاولة التعرّف على المسار الزمني لتأليف «شرح كتاب النيل» جزءا جزءا، إذ إنّ تلك المصادر قد ضُبط زمن تأليفها[2].

5–العلاقة بين كتابي «شرح كتاب النيل» و»هميان الزاد»

سيحاول الباحث في هذا المبحث أن يبين أنّ الإحالات المتعلقة بـ»شرح كتاب النيل» والموجودة في كتاب «هميان الزاد»، تُثبت -نسبيا- المسار الزمني الذي افترض فيما سبق حول تأليف «شرح كتاب النيل». ولا بأس بالتذكير به في الجدول الآتي:

أول كتاب الطهارة إلى الكتاب التاسع في الحقوق وإلى آخر السفر(ج/1-ج/5)	قبل سنة 1270هـ
الكتاب العاشر في النكاح إلى الكتاب الثامن عشر في النفقات(ج/6-ج/14)	1271هـ-1281هـ
الكتاب التاسع عشر في الدماء إلى الكتاب الثاني والعشرين في الأفعال المنجية من المهلكة(ج/15-ج/17)	1282هـ-1285هـ

لقد ذكر الباحثون أن كتاب «هميان الزاد» قد راجعه أطفيش على فترات، حيث راجع كل جزء منه في فترة معينة[3].

- فالجزء الثالث (الربع الثالث)، راجعه في: 12 ربيع الأول 1273هـ.

-الجزء الرابع (الربع الرابع)، راجعه سنة:1283هـ.

-أما الجزء الأول والثاني فلم يرد تاريخ مراجعته. لكن يظهر أنه روجع ما بين سنة: 10 رمضان 1271هـ- ما قبل 11 ربيع الأول 1273هـ. لأن تاريخ إنهاء تأليفه كان في 09 رمضان 1271هـ.

5–1–أمثلة عن إحالة أطفيش لـ «شرح كتاب النيل» في «هميان الزاد

5–1–1–المثال الأول

ذكر أطفيش في الربع الثالث في شرح الآية 14 من سورة لقمان النص الآتي:

«وقال أبو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا وعنه أن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا وإن أكل أكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم فانظر شرح النيل».

وذكر في كتاب شرح النيل في الصفحة 13 من المجلد السابع (07) النص الآتي:

«وروي: وأربعة أشهر، وفي رواية: وستة، وهو قول أبي حنيفة قال: مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى: (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) وحمله الجمهور على أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع، لأن مدة الحمل داخلة فيه وأقله ستة أشهر، وأجمعوا أن للأم أن تطالب الزوج بنفقة الرضاع إلى الحولين، ولا يحكم لها بها بعدها كما لو طلب الرضاع بعدهما لم يحكم به عليها، وأنه لا يحرم عليه أن يرضع من لبن زوجته وعلى القول بأن أبعد الريبة أربعة (فمن أرضعته دونها) أي دون السنة الرابعة، (لا تتزوجه، وهو معنى قولهم، ابن سنتين يصافح) مرضعته (ولا يناكح) بها لأنها محرمته».

نلاحظ أن الإحالة صحيحة لتطابق معنى النصين، ولأن المجلد السابع من «شرح كتاب النيل» ألف خلال 1271هـ-1281هـ. والجزء الثالث من كتاب هميان الزاد قد روجع خلال 1271هـ. ولا يوجد هناك تعارض.

وهو دليل على أن الفترة المفترضة في تأليف «شرح كتاب النيل» صحيحة (المجلد السابع ألف خلال 1272هـ). وهي ليست بعيد من فترة مراجعة الربع الثالث من كتاب «هميان الزاد».

5–1–2–المثال الثاني

ذكر أطفيش في الربع الثاني في شرح الآية 33 من سورة الإسراء النص الآتي:

«واختلف في الدية العمدية هل يأْخذ فيها الورثة مطلقاً أو لا يأْخذها إلا من له القتل وعليه فلا تأْخذ الأُم والزوجة والأُخت للأُم، قولان ذكرتهما في شرح النيل بأَدلتهما».

وذكر في كتاب «شرح كتاب النيل» في الصفحة 105 من المجلد 06 النص الآتي:

1 هناك وثيقتين على الأقل تثبت أن الشيخ مارس القضاء خلال 1273هـ وما بعدها. انظر: صالح سيوسيو ومحمد بوسنان، فهرس مخطوطات خزانة القطب، ص:08

2 - وهذا يحتاج إلى مزيد بحث وتحقيق أكثر لمعرفة التاريخ بدقة. انظر: صالح سيوسيو ومحمد بوسنان، فهرس مخطوطات خزانة القطب، ص:465-472

3 شكر الله سعي الباحثين صالح سيوسيو ومحمد بوسنان اللذين قاما بفهرسة مكتبة «القطب أطفيش».

«ودية العمد ترث فيها الورثة كلهم، وقيل: لا يرث فيها الأزواج والكلالة، وهو مذهب أهل العراق وأبي محمد - رحمه الله- ، يرَون أن الدية عوض من القتل، وبدل منه، فإذا ترك ولي القتل القتل فله الدية عوضا عن القتل الذي تركه، بدليل أنه لو أراد القتل ومنعته الزوجة أو الزوج أو الكلالة لم يجدوا المنع. واختار بعض أنها للورثة كلها، ونسبه لأصحابنا يعني جمهورهم، واستدل بأنه صلى الله عليه وسلم حكم للزوجة بنصيبها في دية زوجها، والخبر إذا ورد حمل على عمومه حتى يخصص، ولا دليل في ذلك، لأنه لم يذكر في الخبر أنه قتل زوجها عمدا فيحتمل أنه قتل خطأ ودية الخطأ يرث فيها الورثة كلهم إجماعا، إذ لا قتل على القاتل خطأ، ولا عموم في الحديث بل إجمال يتوقف إلى بيان لأنه في واقعة مخصوصة، وإنما يتجه أن يقال يحمل الخبر على العموم هنا لو قال صلى الله عليه وسلم: إذا قتل زوج فلزوجته سهم في ديته، فحينئذ يحمل على القتل العام للعمد والخطأ، اللهم لا يقال: حكمه بنصيبها من الدية مشعر بأن القتل خطأ، وإلا حكم لها بالقتل؛ لأن الزوجة لا حق لها في القتل، ويأتي في الكتاب التاسع عشر في قوله: باب جاز لولي إلخ ما نصه: وتورث الجناية لعاصب فقط، ثم رأيت في رواية أن المقتول المذكور الذي أورث فيه المرأة مقتول عمدا (وقيل: هو) أي الولد - قرب أو بعد - (أولى) بالنكاح والقتل (من الأخ) وأولى به اتفاقا مما بعد الأخ وأولى منه الأب والجد ولو علا، (و) الأخ (الشقيق أولى من الأبوي فقط)، وابن الأخ الشقيق أولى من ابن الأبوي».

نلاحظ أن الإحالة صحيحة لتطابق معنى النصين ولأن المجلد السادس (باعتبار طبعة جدة) من «شرح كتاب النيل» ألف خلال 1271هـ-1281هـ. والجزء الثاني من كتاب «هميان الزاد» قد روجع 10 رمضان ما بين 1271هـ-قبل 11 ربيع الأول 1273هـ. ولا يوجد هناك تعارض.

وهو دليل على أن الفترة المفترضة في تأليف «شرح كتاب النيل» صحيحة (المجلد السادس ألف خلال 1271هـ). وهي ليست بعيد من فترة مراجعة الربع الثاني من هميان الزاد. فمن خلال هذين المثالين نستنتج أن الفترة التي افترضناها لو كانت مضطربة لما تم هذا التناسب بين الإحالات.

5-1-3-**المثال الثالث**

ذكر أطفيش في الربع الثاني في شرح الآية 14 من سورة الحجرات النص الآتي:

«وقيل الايمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس والإسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين بإظهار الشهادتين فما واطأ فيه القلب اللسان إيمان، وما لم يواطئه فيه إسلام، وعندنا الإسلام والإيمان سواء والمسلم والمؤمن سواء وبسط ذلك في الفقه وقد قيل الاسلام العمل الصالح والايمان التصديق والاقرار».

وذكر في كتاب «شرح كتاب النيل» في الصفحة 520-536 من المجلد 17 (باعتبار طبعة جدة) النص الآتي:

«ويرى أن الإيمان مجموع العلم بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح، وأنه لا حرام إلا فيما نص عليه بقوله تعالى: (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما) الآية، ويكفر الرعية بكفر الإمام...والثوبانية أصحاب ثوبان المرجئ، قالوا: الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله تعالى ورسوله وبكل ما لا يجوز في الفعل أن يفعله».

فالربع الأخير من كتاب «هميان الزاد» قد راجعه الشيخ سنة 1283هـ، وتاريخ تأليف المجلد 17 كان ما بين 1282هـ-1285هـ. أي أنه لم يُحل إليه عند المراجعة لكتاب «هميان الزاد» إلا بعد أن وصل إلى تأليف المجلد 17. وليس هناك تناقض بين الإحالتين.

5-1-4-**المثال الرابع**

ذكر أطفيش في الربع الثاني في شرح الآية 89 من سورة المائدة النص الآتي:

«(واحْفظوا أَيمانَكم) بأن لا تحلفوا كاذبين ولا على فعل معصية، وإذا حنثتم فاحذروا ترك أداء الكفارة فإنها فرض، من تعمد تركها عصى، والذي عندي أنه يكفر، وعلى الأول فقيل لا يبرأ ممن تركها، وتفريع ذلك في الفقه، ويجزئ الإيصاء بها».

وذكر في كتاب شرح النيل في الصفحة 369 من المجلد 04 النص الآتي:

«ومن ترك كفارة لزمته من الكتاب ككفارة القتل وكفارة الصيد والحلف؛ هلك، وقيل: عصى، وكذا ما لزمه من السنة إلا إن نزل به عذر يزيل عنه حكم ذلك فالمعذور سالم عندنا، ومن تركه ناسيا فلا يحكم عليه بشيء...».

فالربع الأول من كتاب «هميان الزاد» قد راجعه الشيخ ما بين سنة: 10 رمضان 1271هـ- ما قبل 11 ربيع الأول 1273هـ، وتاريخ تأليف المجلد 04 كان خلال سنة ذي الحجة 1270هـ.

5–1–5–**المثال الخامس**

ذكر أطفيش في الربع الثاني في شرح الآية 43 من سورة النساء النص الآتي:

«(وإن كُنتم مَّرْضى): مرضاً يزيده الماء ضرراً، أو يؤخر برءَه ودخل في المرض الجدري وإحراق النار، ويفهم بالأولى إلحاق حدوث المرض بالماء، ومن صح بعض أعضائه، ومرض بعض غسل الصحيح، ويتيمم للمريض جمعاً بين الطهارة، كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال: في رجل شج وأجنب، فاستفتاهم في التيمم، فقالوا: لا إلا الغسل- قتلوه قتلهم الله- «يكفيه أن يتيمّم ويمسح على العصابة ويغسل سائر جسده» فجمع بين الغسل والتيمم، وتفريع ذلك في الفقه».

وذكر في كتاب شرح النيل في الصفحة 344-345 من المجلد 01 النص الآتي:

«...أو هذا ترجيح لغسله فيتيمّم للعليل وحده أو يترك، (والخلف في) الوضوء (العليل هل يمسح بالماء)...(ولو) كانت المسحة الواحدة فصاعدا (على الجبائر)...(أو يغسل السالم ويتيمم للعليل) كما إذا كان يضره المسح على القول الأول، ففرض الصحيح الغسل، وفرض العليل التيمم، (كل عضو بفرضه) على هذا (أو سقط فرض العليل) على حدة، بل ارتفع حدثه بغسل السالم فلا يتيمم له ويتوضأ للسالم أو هذا إن قل محل العلة بأن كان ثلث عضو أو دونه، (أو) أي أو سقط (الوضوء ولزمه التيمم) للسالم والعليل مطلقا، أو إن كثر العليل بأن كان ثلاثة أعضاء (أقوال؛ وكالوضوء) في تلك الأقوال (الغسل) لجنابة أو حيض أو نفاس أو إسلام، قيل: الحدث يرتفع عن كل عضو بانفراده وكل عضو فرض فليتيمّم للعليل فقط...وإن كان النجس في غير عضو الوضوء ولا يقدر على نزعه تيمم، وقيل: يتوضأ للصحيح ويتيمم للعليل».

فالربع الأول من كتاب «هميان الزاد» قد راجعه الشيخ ما بين سنة: 10 رمضان 1271هـ- ما قبل 11 ربيع الأول 1273هـ، وتاريخ تأليف المجلد 01 كان خلال سنة ذي الحجة 1270هـ.

5–2–**ملاحظة**

عندما أنهى أطفيش كتابه «هميان الزاد»، أرسله إلى زنجبار لطباعته في المطبعة السلطانية؛ وفي نسخة اطلع عليها الباحث في دار التلاميذ «إروان»، وجد في آخر الربع الأخير كلاما للشيخ ناصر بن سالم بن عديم الرّواحِي. وذكر فيه أن كتاب «هميان الزاد» قد وصل إلى السلطان بَرغِيش بن سعيد بن سلطان بزنجبار سنة 1295هـ(صالح سيوسيو ومحمد بوسنان، 2013).

ما يستفاد من هذا التاريخ، هو أن الإحالات المتعلقة بشرح النيل ثابتة، وأن كتاب «شرح كتاب النيل» انتهى تأليفه قبل سنة 1295هـ، بل قبل ذلك بكثير(خلال1285هـ) كما أثبتنا. ولقد أحال الشيخ في هذه النسخة إلى «شرح كتاب النيل» في الربع الأول عند تفسير الآية 273 من سورة البقرة. وعند الرجوع إلى كتاب شرح النيل وجد معنى النص في الصفحة 466-467 من المجلد 16 (باعتبار نسخة جدة)، مما يثبت أن «شرح كتاب النيل» قد أتمه قطعا قبل سنة 1295هـ، ورجح الباحث أنه خلال سنة 1285هـ لأن المجلد (15، 16، 17) يفترض أن أطفيش ألفهم ما بين سنة 1282هـ-1285هـ كأقصى تقدير.

فنصُّ «الهميان» هو كالآتي: «(ملعون من سأل بالله) وذكرت فيه هذه الأحاديث وسقته في شرح النيل بتمامه، وفيه فوائد، ومنه حديث أبى سعيد عنه صلى الله عليه وسلم : (من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف)»(انظر: صفحة 02 من خطبة الكتاب).

ونصّ «شرح كتاب النيل»، هو كالآتي:

« (من سأل وله أوقية فقد ألحف) وأخرج النسائي: (من سأل وله أربعون درهما فهو ملحف)...فيحمل قوله صلى الله عليه وسلم: (ملعون من سأل بالله) من سأل إلحافا وهو غني عما يسأل، فأما على أن الإلحاح بلا ضرورة كبيرة فواضح كفره، وأما على أنه صغيرة أو كبيرة فعلى أنه سأل بالله لعلمه أو ظنه أنه إذا سأل بالله تعالى، فإنه يعطيه وهو كاره فيكون بمنزلة الغاصب، والغاصب ملعون، ويكون ممن يأكل مال الناس بالباطل، أو يحمل على ما إذا أظهر حالة اضطرار إلى ما يسأل وهو غير مضطر إليه، أو على من يسأل تكاثرا أو على من أظهر فقرا أو إرادة حج أو نكاح أو غرامة أو مكاتبة أو دين أو نسبة إلى قوم ولم يكن كذلك أو نحو ذلك، فإن ذلك مكر وخداع، وهما كبيرتان».

وكذلك عندما فسر الآية 284 من سورة البقرة، أحال إلى كتاب «شرح كتاب النيل». وعند الرجوع إليه نجد معنى النص نفسه في المجلد السابع عشر (17).

نص «هميان الزاد»: «(ويعذّب من يَشاء): تعذيبه بأن يصر،

وأما ما خطر في النفس من المعصية ونفاه صاحبه، أو كان يتردد فيه ولم يعزم عليه، فلا ذنب فيه، ورحمة الله سبقت غضبه، وطرف التردد إلى الترك بغلب طرف التردد إلى الفعل، وبسطت ذلك في شرح النيل»(أطفيش، ت:1332هـ).

ونص «شرح كتاب النيل»، هو كالآتي:

«وإن قولهم: خلاف اليقين، هو التردد بين شيئين سواء استوى طرفاه أو رجح أحدهما على الآخر...وأراد - والله أعلم - أن الشك التردد وقصده إلى طرف يثبته أو يزيله بلا علم يسمى ارتيابا أو أراد ما مر من أن الريبة عند بعض توهم أمر ثم يتبين خلافه»(المصدر نفسه).

وفي موضع آخر: «و (لا) يبطل الشك (ما يسع الشك فيه)، مثل ما عدا الجملة في قول، ومثل سائر الفرائض ما لم يكفر بالفعل أو بالترك أو يصوب أو يخطئ بلا علم»(أطفيش، ت: 1332هـ).

وأيضا: «فالصحيح أنه لا عصيان في الشك فيما خطر هل هو ذنب حتى يقارف»(المصدر نفسه).

6–كتب ألفها أطفيش وأحال إليها في «شرح كتاب النيل»(المصدر نفسه)

إنّ الكتب التي أحال إليها الشيخ أطفيش في كتابه «شرح كتاب النيل» مما هو من تأليفه عديدة. وسنذكر كل عنوان مع الجزء الذي ورد فيه العنوان. كما سنورد تاريخ تأليف كل كتاب بناء على ما ورد في فهرسة مخطوطات «مكتبة القطب أطفيش».

الرقم	الكتاب	الجزء	تاريخ التأليف
	إزالة الاعتراض	99/1.	دت
	التفسير	24/1، 26، 127، 141. 66/2. 233/3. 203/5، 146/9. 78/12. 06/3. 35/4، 43، 81، 137، 289، 307، 455، 470. 06/5، 182، 305، 339، 402. 340/6.	دت
	حاشية على الإيضاح	400/3. 85/4. 101/16،	دت
	حاشية على تفسير سورة النور للثميني	506/16.	دت
	حاشية على جواب قاسم بن سعيد الجربي	123/8، 522. 506/16.	دت
	حاشية على شرح الرواية	13/1.	دت
	شرح أصول تبغورين	28/1.	دت
	شرح التقريب	10/1.	
	شرح التوحيد	320/1.	دت
	شرح المعالم(فتح الباب للطلاب بإذن الملك الوهاب).	250/17.	دت
	شرح على شرح عصام الدين في الاستعارات	10/1، 11، 13، 15، 20، 24.	دت
	شرح قصيدة الولاء والمكاتبة(لابن النظر)	15/16.	دت
	كتاب الدماء	618/17.	دت
	كتاب العيبة	25/1.	دت

كتاب المعاني	216/5.	دت
كتاب النحو(قرّرته)	30/1، 331، 383. 161/2. 35/4، 72، 421/11. 05/12، 432.	دت
مختصر القواعد والحاشية	485/16. 138/17، 402.	دت
مطلع الملك في فن الفلك	23/1. 438/9.	دت
حاشية على شرح زكرياء على الغرناطية	30/1.	حوالي 1258هـ
ترتيب لقط عمنا موسى بن عامر	189/7، 355/11.	عيد الفطر 1267هـ
ترتيب نوازل نفوسة	353/11، 372.	قبل رمضان 1268هـ
حاشية على المرادي	101/8. 530/9.	1268هـ-1271هـ
حاشية على شرح النونية (للتَّلاتي)	13/1	1268هـ-1271هـ
هميان الزاد إلى دار المعاد(ج/4)	137/4. 171/5، 12/6، 14، 111، 152، 103/7، 387، 423. 271/8. 102/9. 32/13. 602/14، 603، 604. 330/16، 464، 488. 221/17، 611.	09 رمضان 1271هـ
مختصر الوضع والحاشية	272/4(اعتذار)،	قبل 1279هـ
تحفة الحب في أصل الطب	148/1. 320/4. 28/5. 386/6، 36/10، 185. 174/17. 175/17.	قبل 1280هـ
حاشية على أبي مسألة	05/1. 104/2، 273. 208/4. 14/16، 118. 279/17، 302، 303.	قبل 1280هـ
الشامل	27/1، 83/1، 147، 150، 154، 265. 23/2، 80، 161، 177، 406، 418، 472، 473، 475، 528، 561، 595، 637، 643، 659، 434/5. 294/12. 90/16، 575. 30/17.	قبل 1280هـ
مسند أطفيش	28/5، 50، 211.	قبل 1280هـ
شرح القلصادي	480/10، 662. 590/12، 298. 607/13. 298/15، 300، 302، 304، 305، 312، 587، 612. 294/17.	21 رمضان 1283هـ
ردّ على جواب سعيد بن خلفان	47/1، 267/8، 541/17، 544.	قبل 1285هـ
حاشية على رسالة سعيد بن خلفان للعبادي	123/8، 522، 562/14. 506/16.	بعد 1285هـ وقبل 1287هـ
رد الشرود إلى الحوض المورود	382/16.	13 ربيع الثاني 1286هـ
جامع حرف ورش	161/2.	قبل 1288هـ
بيان البيان	20/1، 127.	1288هـ- 1289هـ

إيضاح المنطق في بلاد المشرق	14/1.	1290هـ
شرح الدعائم	115/16، 269، 513. 13/17.	قبل 1290هـ
شرح على فضل مختصر العدل	27/1، 34.	1290هـ
السؤالات	131/11.	قبل 1292هـ
شرح اللامية	05/1، 69. 188/5. 362/7.	بعد 1300هـ وقبل 1303هـ

من خلال هذا الجدول يمكن استنتاج ما يأتي:

6-1-إن الإحالة إلى

الكتاب رقم: (22، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40) في شرح كتاب النيل كانت بعد الانهاء من تأليف الكتاب بأكمله، وكان ذلك أثناء المراجعة في هذه السنوات: بعد عام 1285هـ، وبعد 13 ربيع الثاني 1286هـ، خلال 1288هـ-1289هـ، خلال 1290هـ-1291هـ، وخلال 1301هـ-1302هـ.

6-2- الكتابان رقم: (23، 24)، كانت الإحالة إليهما في فترة التأليف وليس بعد المراجعة. لأنه ألفهما خلال تلك المدة. وكذلك الكتب رقم: (19، 20، 21) لكن لأنها قد ألفت قبل الشروع في تأليف «شرح كتاب النيل».

7-كتب ألفها أطفيش خلال تأليف «شرح كتاب النيل» ولم يُحِل إليها

سيركز الباحث في هذا الجدول على المؤلفات التي ثبت تاريخ تأليفها مما أثبته المحققون، أمّا ما كان غير معلوم فلا يتعرض إليه([1]).

الرقم	الكتاب	تاريخ التأليف
	التحفة والتوأم	14 ربيع الأول1272هـ
	بيان الحرم والحل من أنواع الخل	1272هـ
	إيضاح الدليل إلى علم الخليل	8 ذو الحجة 1273هـ
	حاشية المنصف في نفي تأويل المحرف	بعد 1273هـ
	الذهب الخالص	1276هـ
	علم الخط	قبل 1280هـ
	شرح لغز الماء حوالي 1283هـ	حوالي 1283هـ

8-تاريخ طباعة كتاب «شرح كتاب النيل»

اختلف المؤرخون في تاريخ طباعة «شرح كتاب النيل»؛ فمنهم من ذهب إلى أنه طبع سنة 1306هـ لكنه غير كامل إذ طبع منه سبعة أجزاء (باعتبار الطبعة الحجرية). أي إلى آخر «الكتاب التاسع عشر في الهبات»، فأتم أبو إسحاق إبراهيم أطفيش طبعه من «الكتاب العشرين في الديات إلى آخر كتاب الثاني والعشرين في الأفعال المنجية من الهلاك»، وهو قول أغلب الذين أرّخوا للشيخ أطفيش. ومنهم من ذهب إلى أن هذه الأجزاء(1-7) طبعت بعد سنة 1318هـ(انظر: صالح سيوسيو ومحمد بوسنان، 2013).

وممّا نستدلّ به على ذلك، ما يأتي:

8-1-الرسالة التي أسلها سليمان بن الناصر اللّمكي في 08 ذي القعدة من سنة 1318ه يطلب من الشيخ أطفيش إرسال بقية الأجزاء لطبعها

ونصها هو كالآتي:

1 - قمت بهذا العمل شخصيا دون الرجوع إلى كتاب فهارس شرح النيل حتى أتحقق من جميع الكتب التي أحال إليها، ولأنني وجدت فيه استقصاء غير تام

«إلى جناب شيخنا وذخرنا وفخرنا العلامة القطب السيّد الحاج محمد بن يوسف أطفيش اليسجني-سلمه الله تعالى وأبقاه وعافاه- سلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا زلتَ وكافة الإخوان في حال الخير والنعمة والسرور، وقد تقدّم مني إليك كتاب منذ أيام خَلَت فعساه وصل إليك. والذي أعرفك به في هذا الكتاب أنني لما وجدتُ الشيخ الحاج محمد بن يوسف الباروني قد أجّر طبع «شرح النيل» لواحد من أهل مصر، رأيتُ أن مدّة الطبع لَتَطولُ جدا إلى أن يكمل الكتاب، فاستحسنتُ شراء مطبعة لطبع «شرح النيل» وغيره من كتب أصحابنا، وقد اشتريتها، وأوصيتُ على الحروف من بيروت، وتركتُ المطبعة في يد الباروني ليُدير أشغالها، والمرادُ من فضلك أن تعجّل في إرسال الأجزاء المتأخرة من كتاب «شرح النيل» لتكون موجودة في مصر عند الباروني حتى يكمل الطبع بسرعة -إن شاء الله- وأنا الآن بمصر، وإن شاء الله بعد شهر أسافر منها إلى زنجبار»(انظر: صالح سيوسيو ومحمد بوسنان، 2013).

8–2–وجود رسائل لأطفيش قبل هذه السنة تفيد مساعيه لطباعة «شرح كتاب النيل»(انظر: صالح سيوسيو ومحمد بوسنان، 2013)

. لكن يبدو أن الكتاب قد طبع قبل سنة 1305هـ، لأن أطفيش قد سلّم نسخة من «شرح كتاب النيل» للسلطة الاستعمارية سنة 1886م وأصبح معتمدا رسميا في المحاكم الفرنسية كمرجع في الفقه الإباضي(سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، 2015).

8–3–8-3- لقد كتب أطفيش رسالة إلى القائد الفرنسي «قبرنو»

في سنة 1304هـ يطلب منه وقف ما أرسل إليه من كتاب شرح النيل (من أول البيوع) في خزانة الجزائر أو طبع ما شاء منه. ويعده بإرسال ما تبقى منه من الأجزاء(أبو القاسم سعد الله، 1998).

9–خاتمة

بعد هذه الدراسة العلمية، تم التوصل إلى النتائج الآتية:

- إنّ الفرَض الذي انطلق منه الباحث حول تاريخ تأليف «شرح كتاب النيل»-بناء على بعض المعلومات الأولية وبعض الحقائق التاريخية- صحيح إلى حدّ ما، من خلال ما عرضه من الأدلة المنطقية والعلمية.

- استغرق الشيخ أطفيش في تأليف «شرح كتاب النيل» خمسة عشر (15) سنة (1270هـ إلى 1285هـ)، فأنهاه في سن مبكرة (47سنة)، وهو عمر يوافق ما وصف به نفسه في مقدمة الكتاب.

- لقد أنهى الشيخ أطفيش تأليف «شرح كتاب النيل» قطعا وجزما قبل 1295هـ، لكن رجّح الباحث أنه قبل هذا، وإلا يكون سنه كبيرا(57سنة)، وهو مخالف لما وصف به نفسه في مقدمة الكتاب.

- الراجح في تاريخ طباعة «شرح كتاب النيل» هو خلال سنة 1306هـ أو قبله.

- لم يبدأ الشيخ أطفيش تأليف «شرح كتاب النيل» بعد الانتهاء من تأليف «هميان الزاد»، بل قبل ذلك بحوالي أربعة أشهر أو خمسة كأقصى تقدير.

10–التوصيات

يوصي الباحث من خلال هذه الدراسة بالآتي:

- استكمال البحث عن نسخ مخطوطات «شرح كتاب النيل» في أنحاء العالم، لأن أغلبها موجود خارج وادي ميزاب.

- إجراء دراسات أخرى تثبت أو تنفي النتائج المتوصّل إليها حول تاريخ تأليف «شرح كتاب النيل»، لأن هذا له فوائد مهمة، ومنها: الكشف عن خصائص أسلوب أطفيش في كل مرحلة من مراحل تأليفه، ومعرفة أثر المسار التاريخي على ما يدوّنه وأثره على فكره، وغير ذلك من الميزات.

المراجع

1. أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ط/1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998م.
2. أطفيش (ت: 1332هـ)، شرح كتاب النيل وشفاء العليل، ط/2، دار الفتح، بيروت. ودار التراث العربي، ليبيا. ومكتبة الإرشاد، جدة، 1392هـ/ 1972م.
3. أطفيش(ت:1332هـ) هميان الزاد إلى دار المعاد (القطعة الثالثة)، دط، المطبعة السلطانية (طبعة حجرية)، زنجبار، 1305هـ.
4. سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، تاريخ الطباعة والمطبوعات العمانية عبر قرن من الزمن، ط/1، ذاكرة عمان، سلطنة عمان-مسقط، 1436هـ/ 2015م.
5. صالح سيوسيو ومحمد بوسنان، فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات القطب أطفيش(ت:1332هـ)، مكتبة القطب، غرداية-الجزائر، شعبان 1434هـ/جويلية 2013م.
6. مجموعة باحثين، فهرس مخطوطات مكتبة أبي إسحاق إبراهيم أطفيش، غرداية-الجزائر، دت.
7. مجموعة باحثين، فهرس مخطوطات مكتبة الاستقامة، غرداية-الجزائر، دت.
8. مجموعة باحثين، فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ الحاج صالح لعلي(ت:147هـ)، غرداية-الجزائر، دت.
9. مصطفى وينتن، تاريخ تفاسير القطب، 20 جوان 2018.

A Chronological review of "Sharh kitab Al-Nil"

Abstract

This study aims to trace the history of the writing of the book "Sharh Kitab al-Nil" by one of the pillars of the Ibadi school in Algeria in the modern era, Sheikh Ahmed Ben Youssef Attfich (1237 H / 1332 H). This major legal encyclopedia, composed of seventeen volumes, remains a fundamental reference for any researcher in Ibadi jurisprudence. The problem statement of the study was as follows: when did Sheikh Attfich start writing "Sharh Kitab al-Nil"? When did he finish it? When did he write each part (the seventeen parts)? When did he complete them? When was it first printed? What are the books he wrote during the period of writing "Sharh Kitab al-Nil"? And when precisely? The study led to several conclusions, including: Sheikh Attfich dedicated fifteen (15) years (1270 H to 1285 H) to the writing of his book "Sharh Kitab al-Nil", which he completed at an early age (47 years), corresponding to what he described about himself in the book's introduction.

Keywords
Chronology
Sharh Kitab al-Nil
Attfich

Une revue chronologique de «Sharh Kitab Al-Nil»

Résumé

Cette étude vise à retracer l'histoire de la rédaction du livre «Sharh Kitab al-Nil» par l'un des piliers de l'école Ibadienne en Algérie à l'époque moderne, Cheikh Ahmed Ben Youssef Attfich (1237 H / 1332 H). Cette encyclopédie juridique majeure, composée de dix-sept volumes, reste une référence fondamentale pour tout chercheur en jurisprudence ibadite. La problématique de l'étude était la suivante : quand le cheikh Attfich a-t-il commencé à rédiger «Sharh Kitab al-Nil»? Quand l'a-t-il achevé ? Quand a-t-il écrit chaque partie (les dix-sept parties) ? Quand les a-t-il terminées ? Quand a-t-il été imprimé pour la première fois ? Quels sont les livres qu'il a écrits pendant la période de rédaction de «Sharh Kitab al-Nil» ? Et quand précisément ? L'étude a abouti à plusieurs conclusions, notamment : le cheikh Attfich a consacré quinze (15) années (1270 H à 1285 H) à la rédaction de son livre «Sharh Kitab al-Nil», qu'il a terminé à un âge précoce (47 ans), correspondant à ce qu'il a décrit de lui-même dans l'introduction du livre.

Mots clés
Chronologie
Sharh Kitab al-Nil
Attfich

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف واذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

تأصيل النظريات النقدية الحداثية في النقد العربي القديم عند عبد الملك مرتاض

The rooting of modern critical theories in the ancient Arab criticism of Abdulmalik Murtadh

يوسف لطرش[1]
Youssouf Latreche
مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 ، الجزائر
youceflatreche@gmail.com

أ.د. مختار ملاس
Pr. Mokhtar Mellas
مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 ، الجزائر
mokhtar_aboanis@yahoo.fr

ملخص

يتابع هذا البحث أحد أبعاد المعتقد النقدي لدى عبد الملك مرتاض في سعيه خلق التوازن بين التراث والحداثة، فعرض وناقش جهوده في تأصيل بعض النظريات النقدية الحداثية في النقد العربي القديم، وهي: الشكلانية، والأدبية، والانزياح، والتناص، وقد خلص البحث لإدراك الامتداد المعرفي الذي يحظى به التراث النقدي العربي وقابليته للتفكيك وإعادة صياغته في حلة عصرية.

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 15-10-2018
تاريخ القبول 25-02-2024

الكلمات المفتاحية
تأصيل
الحداثية
النقد
القديم
عبد الملك مرتاض

مقدمة

مثلت النظريات والمناهج النقدية الحديثة والمعاصرة التي أنتجها الغرب ووفدت على النقد العربي أسئلة بحث عميقة لدى الناقد العربي الذي تعددت سبل تعامله معها واختلفت بين النقاد وأحيانا عند الناقد الواحد.

يعد عبد الملك مرتاض من أكثر النقاد المعاصرين تفاعلا مع هذه النظريات والمناهج النقدية الغربية لاسيما الحداثية حيث ساهمت جهوده في التقديم النظري لها وأحيانا استثمارها في قراءة الخطاب الأدبي العربي، ولعل ما يلفت النظر في تقديم مرتاض لهذه النظريات النقدية الحداثية هو ربطها بمنجزات النقد العربي القديم في غالب الأحيان، ففي الخطاب النقدي لدى مرتاض يظهر إيمانه الشديد وجهده الكبير لتأصيل بعض نظريات ومقولات النقد الحداثي في المدونة النقدية العربية القديمة وهو الموضوع المتخذ للدراسة في هذا البحث.

ويسعى البحث تحديدا معرفة ماهية النظريات النقدية الحداثية التي سعى مرتاض ربط جذورها بالحركة النقدية عند العرب قديما، مع مناقشة إمكانات هذا التأصيل واحتمالاته الواقعية، ولهذا اعتمد البحث منهجا يقوم على الوصفية المقارنة، إذ بعد الحديث عن هذه النظريات ووصفها معرفيا كما يقدمها عبد الملك مرتاض ويربطها ببعض الجهود والأفكار النقدية العربية تقوم المقارنة بعد ذلك للتعليق على هذا الطرح.

وانقسم البحث نتيجة متطلباته المعرفية إلى: تمهيد منهجي حُدد فيه موقف مرتاض من التراث العربي عامة والسؤال الذي مثل الخطوة الأولى نحو توجهه في هذا المنحى التأصيلي، ثم تأصيله لأربعة نظريات ومقولات نقدية حداثية في النقد العربي القديم هي: الشكلانية، والأدبية، والانزياح، والتناص، فخاتمة احتوت ما خلص إليه البحث والتوصيات المتطلع إليها.

تمهيد

في البدء؛ وقبل الكشف عن هوية النظريات النقدية الحداثية التي انبرى عبد الملك مرتاض يؤصل أصولها ويبين جذورها في التراث النقدي العربي، من الجدير الإبانة عن موقف مرتاض من تراثه العربي الإسلامي عامة، واستطلاع جملة الأسئلة التي شكلت المخاض الفكري لمنهجه في قراءة التراث النقدي العربي.

أولا؛ فيما يخص نظرة مرتاض إلى التراث العربي الإسلامي فقد ميزها الشعور بفخر الانتماء قبل أي شعور آخر،

1 المؤلف المراسل

وهذا الأمر ينكشف من خلال حديثه عن أعلام الفكر في تاريخ الحضارة الإسلامية: «الذي يقرأ كتابات المفكرين العرب أمثال الجاحظ وابن قتيبة، وعبد القاهر الجرجاني، والفارابي، ...يقتنع بعظمة هذا التراث المتنوع المتعدد المتسامح الراقي معا» (مرتاض، 2010).

فمن هذا المقطع المقتضب يتبين واضحا أن مرتاض يرى التراث العربي الإسلامي بعين العظمة والسمو والرقي، هذه العظمة ناشئة في نظره مما يحمله هذا التراث من سمات التعدد والتنوع في الرصيد العلمي والمعرفي الخالد، وانتمائه إلى حضارة فاعلة ومؤثرة في مسار الإنسانية.

ثانيا؛ إن توجه مرتاض نحو تأصيل بعض النظريات النقدية التي صاغها الفكر النقدي الحداثي المعاصر عند الغربيين لم يكن منطلقا عشوائيا، إنما قد مهد له سؤال ظل يتردد في ذهنه كلما وقف أمام المنجز النقدي العربي القديم، وقد صيغ هذا السؤال على النحو الآتي: «من حقنا أن نتساءل: هل يجوز لنا أن نعد تلك النظريات النقدية مجرد تراث بائد لا ينبغي له أن يستشرف العصر بأي وجه» (مرتاض، نظرية النص الأدبي ، 2010).

إنه سؤال مهم للغاية هذا الذي يحوم في ذهن مرتاض والنقاد العرب المعاصرين ما دام أنه تحدث عنه بصيغة الجمع ويتمحور حول موقع المنجز النقدي العربي القديم في الحياة النقدية العربية المعاصرة، إذ يطرح مرتاض احتمال تقييد هذا المنجز في ذاكرة تاريخية بائدة، واحتمال ثان هو مساءلة تفاصيله وتفكيك متونه لعلها تحتوي شيئا يُستثمر اليوم، وسرعان ما يبادر إلى تبني الفرضية القائلة: «إن الفكر النقدي العربي القديم حافل بالنظريات والإجراءات التطبيقية، ومن العقوق أن نضرب صفحا عن الكشف عما قد يكون فيه من أصول لنظريات نقدية غربية تبدو لنا الآن في ثوب مبهرج بالحداثة، فننبهر أمامها، وهي في حقيقتها لا تعدم أصولا لها في تراثنا النقدي، مع اختلاف في المصطلح والمنهج والإجراء» (مرتاض، نظرية النص الأدبي، 2010).

يؤكد مرتاض في هذا النص أسبقية النقد العربي إلى بعض الأفكار والمقولات النقدية التي يتقاطع مضمونها فنيا ومعرفيا مع نظريات نقدية حداثية غربية المنشأ والأصل ينظر إليها الناقد العربي اليوم بعين الانبهار ويأخذ بها مأخذ التسليم والتبعية لا مأخذ المناقشة والمتابعة مع اختلاف المنجزين في المصطلح لاختلاف اللغات والمنهج لتباين البيئات والمرجعيات الفكرية.

وما ذهب إليه مرتاض هنا في كون النقد العربي في عهوده القديمة احتوى جذور نظريات نقدية حداثية لا يعد قولا أو طرحا جديدا، فهو يشترك فيه مع نقاد عرب معاصرين كبار على غرار: شكري عياد، محمد عبد المطلب، أنور الجندي، عبد العزيز حمودة الذي يرى بأنه: «لا توجد مشكلة نقدية توقفت عندها نظرية/ نظريات الأدب الحديثة لم يتوقف عندها العقل العربي منظرا وممارسا» (حمودة، 2001) . ما يؤكد أن هذا الطرح يمثل توجها كبيرا ومستقلا بأفكاره في قراءة التراث النقدي العربي.

صار واضحا الآن محور تفكير عبد الملك مرتاض وهو يواجه المنجز النقدي العربي القديم، لقد كان يفكر بعمق في إبراز سمات المعاصرة والحداثة في مقولاته ونظرياته، لكن السؤال الآخر الذي يُطرح: لماذا يحاول مرتاض إبراز هذه السمات في النقد العربي القديم؟ ألم يطرح النقد الحداثي نظرياته ومناهجه ونقلها النقاد العرب المحدثون إلى بيئاتهم ووطنوها وقُضي الأمر؟

يبين مرتاض مسعاه من هذا حيث يقول: «نود أن ندعو إلى ضرورة إعادة صياغة النظرية النقدية العربية القديمة للانطلاق منها في تأسيس بعض النظريات النقدية المعاصرة التي استجلبناها من الغرب» (مرتاض، نظرية النص الأدبي ، 2010)، ويبين أيضا طريق وسبل تحقيق هذا المسعى: «فلا ينقصنا من وسائل الفكر والعمل شيء. ذلك بأننا دون العودة إلى هذا التراث، لمحاولة توظيفه في حياتنا الفكرية المعاصرة، سنظل صورة طبق الأصل فيما نكتبه وفيما نفكر فيه أيضا. وليس هذا الأصل هنا إلا غيرنا، إلا الآخر» (مرتاض، نظرية النص الأدبي ، 2010).

واضحة وصريحة غاية مرتاض من تأصيل بعض النظريات النقدية الحداثية في التراث النقدي العربي، إنها غاية الخروج من مسلك التبعية الفكرية للآخر، فالاجتهاد العميق في قراءة المدونة النقدية العربية وصياغة نظريات معاصرة منها توازي النظريات الحداثية هو الضامن الذي يراه مرتاض كفيلا بخلق استقلالية الذات العربية الناقدة التي تقع على ماضيها لإنتاج حاضرها وليس الاعتماد على الآخر حصرا.

1–الشكلانية

نجحت المدرسة الشكلانية خلال الربع الأول من القرن العشرين في تحويل مسار النظرية الأدبية والدراسات النقدية من المحور السياقي إلى المحور النسقي، غير أن عبد الملك مرتاض وفي طرح نقدي مثير يصف عبد الله بن قتيبة بأنه أول ناقد شكلاني في التاريخ ويبرر ذلك بقوله: «إنما نطلق هذا الوصف على آراء ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء لأننا نريد أن نتسلح بحسن الظن بالموسوعة العالمية الفرنسية اللسان، التي عزت الشكلانية النقدية في نشأتها الأولى إلى ابن قتيبة» (مرتاض، في نظرية النقد، 2002).

إن شكلانية ابن قتيبة طرح لم يؤسسه مرتاض بنفسه كما يُظهره كلامه، ولكنه موقف تبناه منقولا عن موسوعة اللسان الفرنسية، وهو الطرح والموقف الذي لن يمر هكذا دون نقاش حيث تثار في شأنه أسئلة مثل: ما هي الأسس والمنطلقات التي جعلت مرتاض يتبنى الطرح القائل بشكلانية ابن قتيبة؟ هل كشف حقا مرتاض عن أصول النظرية الشكلانية المعاصرة في الخطاب النقدي العربي القديم عند عبد الله بن قتيبة تحديدا؟

تقتضي مناقشة هذا الطرح العودة لمضامين الخطاب النقدي عند عبد الله بن قتيبة، حيث تمكن هذا الأخير من إحداث تحول في مسار الممارسة النقدية العربية في عصره، فقد كان النقاد والرواة قبله لا يقيسون جودة الشعر إلا من خلال زمن الشاعر أو مكانته الاجتماعية، كان هذا الأمر مع أبي عمرو بن العلاء في تقييماته النقدية للشعر التي كان يأخذ فيها الأخذ المطلق بمعيار الزمن حتى أنه وقف حين أحس بتحسن شعر المحدثين حائرا كيف يصنع معه: «لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته» (ابن قتيبة، 2006). والمعيار نفسه كان يقيس به الأصمعي فحولة الشعراء حيث قال في الثلاثي الإسلامي جرير والفرزدق والأخطل الذين قال فيهم: «لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن ولا أقول فيهم شيئا لأنهم إسلاميون» (الأصمعي، 1980).

ظل هذا المعيار الزمني التاريخي يهيمن على طبيعة الممارسة النقدية العربية حتى جاء عبد الله بن قتيبة بنظرة مغايرة وتوجه نقدي جديد في عصره عبر عنه بقوله: «ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره» (ابن قتيبة، 2006)، كان هذا بيانا نقديا من ابن قتيبة عن تجاوز المعيار الزمني والانتقال إلى معيار آخر يبينه قوله: «فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنه» (ابن قتيبة، 2006).

هكذا إذًا صار معيار الحكم على القول الشعري لدى ابن قتيبة هو ما يحتويه من قيم فنية وجمالية حسنة ولا دخل لشخص صاحبه في ذلك، وهذا الأساس بالذات هو الذي جعل من خلاله عبد الملك مرتاض ابن قتيبة ناقدا شكلانيا ذلك أن : «المعيار الذي وضعه لكي يحتكم إليه هو الجمال الفني؛ هو ما يحمله النص تدقيقا؛ لا ما يتمتع به الناص من سمعة وذكر» (مرتاض، في نظرية النقد، 2002) ، ويقرأ مرتاض هذه الرؤية لابن قتيبة أيضا في إطار ما يلي: «يمكن اعتبار هذه الرؤية إلى الأشياء حداثية جدا» (مرتاض، في نظرية النقد، 2002).

إن تحليلا واعيا لما طرحه مرتاض وتبناه في شأن شكلانية ابن قتيبة يبعث بتقدير موقفه وتثمينه ذلك أنه كشف عن توافق كبير جدا بين الفكر النقدي الشكلاني المعاصر مع ما طرحه ابن قتيبة، حيث أن تجاوز المعطى السياقي في مقاربة الإبداع الأدبي كان نتاج رؤية نقدية لابن قتيبة، كما أنه كان المبدأ النظري الأبرز في الشكلانية الروسية، إضافة إلى ذلك كان معيار تقييم النتاج الشعري لدى ابن قتيبة يقاس بما تضمنه من مختلف المقومات الجمالية هو ما يحمله هذا العمل من حسن وجودة، وهو المبحث نفسه الذي كان الشكلانيون يوجهون إليه محور دراساتهم تحت مسميات عديدة مثل: سمات الأدب، الأدبية، علم الأدب (إيرليخ، 2000).

وخلاصة ما سبق؛ لقد كشف مرتاض في هذا الطرح عن عن أصول شكلانية في النقد العربي لدى ابن قتيبة، فالمبادئ النقدية الشكلانية في صورتها المعاصرة لم تكن جديدة بدرجة كاملة على النقد الأدبي عند العرب قديما، وما وجه الاجتهاد إلا في مدى استعداد الناقد العربي اليوم لتفكيك الخطاب النقدي العربي القديم وإعادة صياغة معطياته في ضوء أفكار ومنجزات جديدة.

2–الأدبية

كان مصطلح الأدبية أحد أبرز منتجات النقد الأدبي الحديث عند الغربيين وتحديدا في روسيا، تشير الدراسات أنه مصطلح أطلقه رومان ياكبسون Roman Jakobson حوالى العام 1921

م وأراد به الدلالة على كل الوسائل الفنية التي بها يتحول الكلام من خطاب عادي إلى ممارسة فنية إبداعية (المسدي، 1982).

إذا كانت الأدبية بهذا المفهوم هي الخصائص الفنية التي ترقى بالاستخدام اللغوي الإنساني من مستوى التواصل العادي إلى مستوى الجمال والإثارة فإن عبد الملك مرتاض لا يتردد هذه المرة في معالجة هذه النظرية الياكبسونية معالجة تأصيلية مرة أخرى، حيث يجد لهذه الأدبية أصولا في النقد العربي القديم كما يُظهر ذلك قوله: «ولقد كان النقاد العرب، فيما نرى أومأوا إلى ما يعادل هذه النظرية الأدبية» (مرتاض، نظرية النص الأدبي ، 2010). وفي سبيل تأصيل هذه الأدبية الياكبسونية في التراث النقدي العربي يبين مرتاض أن المصطلحين العربيين: حسن الديباجة، والرونق يمثلان الاصطلاح العربي الذي يقترب من معنى الأدبية المعاصرة (مرتاض، نظرية النص الأدبي ، 2010).

قبل مناقشة ما ذهب إليه مرتاض في إمكان اعتبار حسن الديباجة والرونق يمثلان أصولا عربية للأدبية المعاصرة تجدر الإشارة إلى أن كثيرا من النقاد والدارسين العرب المعاصرين تطرقوا بالتفصيل لمظاهر معالجة النقد العربي القديم لفكرة الأدبية وإحاطته بها، من هؤلاء: الناقد المغربي أحمد بيكيس الذي خص هذا الموضوع بدراسة واسعة في كتاب مستقل (بيكيس، 2010)، ومما يعبر عن هذا التوجه أيضا ما يقوله الباحث محمد الواسطي: «إذا راجعنا الخطاب النقدي عند العرب فإننا نجد النقاد قد أسهموا في الكلام على عناصر الأدب ومكوناته وإن لم يستعملوا فيما أعلم مصطلح الأدبية بمعناه الحديث» (الواسطي، 2007).

إن قراءة ما اعتبره مرتاض من تعبير النقد العربي القديم عن الأدبية المعاصرة بحسن الديباجة والرونق تستدعي وتقتضي الآن عودة إلى مواضع ورود المصطلحين في المتن النقدي العربي القديم، فقد ورد المصطلحان عند محمد بن سلَّام الجمحي وهو يعدد محاسن شعر النابغة الذبياني: «كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام» (الجمحي، د ت)، وكان المرزوقي هو الآخر قد استخدم مصطلح الرونق ليعبر به عن سمات العبقرية في القول الشعري العربي بقوله: «يموج في حواشيه رونق الصفاء لفظا وتركيبا» (المرزوقي، 1991).

من الملاحظ فيما سبق أن المصطلحين: حسن الديباجة والرونق في متن المدونة النقدية العربية القديمة قد وردا في موضع الدلالة على الكلام الأدبي الجيد المؤثر في المتلقي الفائق حسنا وجمالا، وهذا ما دفع مرتاض إلى طرح تساؤل مثير وهو يقرأ مثل هذه المصطلحات: «فهذا الرونق الذي ردده ابن سلام، والمرزوقي، ألا يكون القصد منه هذه الأدبية الياكبسونية الغامضة» (مرتاض، نظرية النص الأدبي ، 2010)، ولم يتردد مرتاض في تقديم إجابته: «مع إقرارنا بأن أدبية ياكبسون ليست هي أدبية ابن سلام أو ابن طباطبا أو المرزوقي إلا أنه كان لهؤلاء حتما أدبيتهم؛ وإذن فالفكرة قد طرقت في النقد العربي ومورست» (مرتاض، نظرية النص الأدبي ، 2010).

لقد اعترف مرتاض أن طبيعة الأدبية الياكبسونية ومقوماتها تختلف عن طبيعة ومقومات الأدبية في فكر النقاد العرب القدماء، لكن هذا الاختلاف في نظره لا يلغي أبدا ولا يمكن له أن يقلل من نسبة وجود أصول لفكرة الأدبية عامة في النقد العربي القديم، ولعل هذا الاجتهاد والإقرار من مرتاض لأصول فكرة الأدبية عند العرب يعزى إلى شدة إلمامه بمضامين الخطاب النقدي العربي القديم، هذا الخطاب الذي خص جزءا كبيرا من مباحثه لدراسة أدبية الكلام العربي تنظيرا وتطبيقا يكفي ذلك أن العلامة عبد الرحمن بن خلدون تحدث عن اجتهاد الأدباء والنقاد العرب قبله في هذا المجال الذي أطلق عليه اصطلاح: علم الأدب وقصد به: «الإجادة في فني المنظوم والمنثور» (ابن خلدون، 2004).

وبهذا فالقول الذي ذهب إليه مرتاض بوجود أصول للأدبية في النقد العربي القديم أمر يمكن الأخذ به إلى حد بعيد جدا، ذلك أنه بين هذه الأصول من جهة معترفا باختلاف تفاصيل وتصورات العرب للأدبية عن تصوراتها لدى الغربيين مبينا جملة المصطلحات التي عبر بها النقاد العرب القدماء عن مضمون الأدبية الحديثة، وبهذا فقد فتح مرتاض الباب عريضا هنا أمام الدارسين والباحثين لمزيد من الكشف عن تصورات النقد العربي القديم للأدبية في إطار ذوق عربي أصيل.

3–الانزياح

يعكس ما أطلق عليه الانزياح في الخطاب النقدي الحديث والمعاصر ذروة اجتهاد الباحثين في تحديد بعض سمات اللغة الأدبية واللغة الشعرية وكان ذلك يعني: «الابتعاد بنظام اللغة

من الاستعمال المألوف والخروج بأسلوب الخطاب من السنن اللغوية الشائعة فيحدث في الخطاب تباعدا (انزياحا) يتيح للشاعر التمكن من محتوى تجربته، وصياغتها بالكيفية التي يراها كما يحقق للمتلقي متعة وفائدة» (متولي، 2014).

إن الانزياح بهذا المفهوم؛ هو استخدام إبداعي خاص من طرف الأديب للغة لغرض جمالي تاثيري لم يكن غريبا عن النقد والبلاغة العربيين في طورهما الذهبي حسب عبد الملك مرتاض الذي يرى فيه: « المفهوم الذي كان ربما اصطلح عليه في البلاغة العربية العدول» (مرتاض، نظرية النص الأدبي ، 2010).

إذا كان العدول قد مثل بالنسبة لمرتاض أصولا نقدية عربية لما سماه الحداثيون الانزياح، فإلى أي مدى يتحقق هذا؟

إن التحري العلمي لمدى إمكان اعتبار مضمون مصطلح العدول المتداول في التراث النقدي والبلاغي عند العرب أصولا للانزياح الحديث لابد له من تشغيل البحث داخل المدونة النقدية والبلاغية العربية القديمة، وهو ما يوجد في جهود ضياء بن الأثير حين كان يضبط قواعد وأسس البلاغة العربية فيقول: «واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان، أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارهما» (ابن الأثير، 1939).

لقد دل مصطلح العدول كما ورد عند ابن الأثير على مخالفة المعيار اللغوي السائد إلى خرق جائز للغة وهو نفسه مدلول الانزياح بالاصطلاح الحديث، ومن هنا فقد توفر لمرتاض سندا قويا ليقول بأن للانزياح أصولا في التراث النقدي والبلاغي عند العرب تحت مسمى العدول.

لم يكن عبد الملك مرتاض وحده من النقاد العرب المعاصرين الذين اجتهدوا في تأصيل الظاهرة الانزياحية لدى النقاد والبلاغيين العرب القدماء، فقد ذهب هذا المذهب عبد السلام المسدي حين يقول: «عبارة انزياح ترجمة حرفية للفظة Ecart على أن المفهوم ذاته قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز، أو أن نحيي له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدد وهي عبارة العدول» (المسدي، 1982)، فالمسدي يرى تطابقا وتوافقا تاما بين الانزياح والأصل العربي المقابل له الذي يمثله العدول، وفي السياق نفسه يؤكد الناقد الجزائري عبد الملك بومنجل بأن الانزياح «مألوف جدا في الذاكرة النقدية العربية» (بومنجل، 2015)، وأما حسن طبل فقد أحصى أسرة مصطلحات تحمل مفهوم الانزياح في الموروث العربي مثل: «الصرف، والعدول، والانصراف، والتلون، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية» (طبل، 1998). كل هذا يعزز قيمة الجهد النقدي الذي يقدمه عبد الملك مرتاض في تأصيله الانزياح في التراث النقدي والبلاغي العربي تحت مسمى وباب العدول، فهو تأصيل مؤسس على وعي بالمفاهيم والنظريات الحداثية وتمكن بجدية في إزاحة الغبار عن مناطق تراثية ذات طاقة معرفية تحتمل العصر.

4–التناص

مثل التناص أحد أكبر منتجات النقد الأدبي الحداثي رواجا وتداولا وإقبالا عليه من طرف النقاد والأدباء، واستقر الأمر أن التناص كان نتاج جهود ورؤية نقدية لجوليا كريستيفا Julia Kristeva عام 1958 م، وقد طرحت مفهومها له على أنه: «ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات مقتطعة من نصوص أخرى» (كريستيفا، 1991).

يشير مدلول التناص لدى جوليا كريستيفا إلى علاقة الاشتراك التي تحصل بين أعمال الأدباء في المعاني والألفاظ والأساليب والأفكار، وكان النقد العربي الحديث قد استقبل التناص باستحداث مصطلحات كثيرة أشهرها: النص الغائب، وهجرة النصوص، والتداخل النصي، والتناصية (الأحمد، 2000)، بيد أن المصطلح الذي شاع وغلب على تداول المفهوم في النقد العربي الحديث هو مصطلح التناص.

لم تكن إشكالية المصطلح وحدها المشكلة التي أثير حولها النقاش في النقد العربي بشأن التناص، فكانت مشكلة تقاطع هذا الطرح النقدي الحداثي مع قضية معروفة في النقد العربي القديم بقضية السرقات الشعرية أو الأدبية مثار جدل نقدي واسع وكثيف، فقد نفى كثير من النقاد العرب المعاصرين ومنهم جابر عصفور أن تكون السرقات الشعرية والتناص يحتوي كل منهما الآخر وهذا كان مرتاض قد سمعه عنه في لقاء جمعهما (مرتاض، نظرية النص الأدبي ، 2010)، ويجيب مصطفى السعدني هو الآخر بالنفي حين عرض له سؤال هل السرقات هي التناص (السعدني، 1991)، وأما الناقد المغربي عبد القادر بقشي فبعد بحث موازنة عميق بين

السرقات الأدبية لدى النقاد العرب القدماء وجزئيات التناص في النقد الأدبي المعاصر فقد توصل لاختلافات جوهرية قائمة بينهما أبرزها اتسام السرقات بالجزئية وأما التناص فيتسم بالشمولية في معالجة ظاهرة تداخل النصوص (بقشي، 2007).

في مقابل ذلك ركز فريق واسع من النقاد العرب المعاصرين ومنهم: محمد مفتاح (مفتاح، 1992)، وكاظم جهاد (جهاد، 1993)، وعبد الله الغذامي (الغذامي، 1998) على رصد مظاهر التقارب والتوافق بين مباحث السرقات قديما وظاهرة التناص حديثا مؤكدين أن مصطلحات تداولها النقاد العرب القدماء مثل: السرقة، والتضمين، والمعارضة، وحسن المأخذ والاحتذاء، تستوعب التناص بشدة.

وكان عبد الملك مرتاض أحد أكثر النقاد العرب المعاصرين الذين أثروا هذا الجدل الدائر في موضوع السرقات والتناص فهو هنا بالذات صاحب توجه ومنهج واضح في الطرح والمعالجة، حيث يؤمن بأن للتناص أصولا كاملة في التراث النقدي العربي لا تحتاج سوى لإزاحة الغبار عنها حين يقول: «قدماء النقاد العرب كانوا خاضوا في هذه المسألة، من حيث ما نرى نحن على الأقل، خوضا كثيرا، فعالجوها من جميع مناحيها بتأسيس أسسها، وتأصيل أصولها، وكل ما في الأمر أنهم لم يطلقوا عليها مصطلح التناص، وإن ظلوا يعالجونها تحت مفهوم السرقات، وهم لا يدرون أن السرقات، أو أخذ الأديب من غيره: أفكارا أو ألفاظا، عن قصد أو دون قصد: هي نفسها التناص بالاصطلاح الحداثي لهذا المفهوم» (مرتاض، نظرية النص الأدبي، 2010).

لم يجد مرتاض في هذا النص أي حرج أن يجعل من السرقات الشعرية في جهود القدماء هي نفسها التناص في الفكر النقدي الحديث، ويعد هذا الموقف من الأكثر جرأة في مواقف النقاد المعاصرين الذي عالجوا المسألة ذلك أنه يرى الخلاف مجرد اصطلاح لا يمس المفهومين المتطابقين على مستوى التنظير.

والمتتبع لتأصيل التناص في النقد العربي القديم عند مرتاض يجد أن ذلك تم بعد قراءته لنصوص نقدية رآها جديرة بهذا التأصيل فهو قد توقف عند قول الجاحظ: «ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام، أو في معنى غريب، عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه» (الجاحظ، 1965)، وقد علق مرتاض على هذا الكلام قائلا: «هذا النص لأبي عثمان الجاحظ يتحدث فيه عن صميم مفهوم التناص» (مرتاض، نظرية النص الأدبي ، 2010)

لم يتراجع مرتاض ولو قليلا وهو يؤصل ظاهرة التناص في المتن النقدي العربي القديم، وهنا يعتبر النص السابق للجاحظ في صميم مفهوم التناص، والحق أن كلام الجاحظ يتقاطع كثيرا مع فكرة التناص الحديثة، إذ يدور كلامه على إقبال الشعراء المتأخرين على الأشعار الخالدة لمن سبقهم للإفادة من أساليبهم ومعانيهم فيحصل في العمل الشعري الجديد تداخل بين نص سابق ونص لاحق وهذه هي الفكرة الكبرى للتناص عند الحداثيين.

ابن طباطبا العلوي هو الآخر أحد أهم الأصوات الناقدة التي يمكن أن تُؤصل فكرة التناص لديها في اعتقاد مرتاض حيث استند على بعض نصوصه النقدية في هذا السياق، والتي منها: «إذا تناول الشاعر المعاني التي قد سُبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعب بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه» (ابن طباطبا، 1982)، ولم يتوقف ابن طباطبا في حديثه عند علاقة النص الحاضر بالنص الغائب بل راح يبين للشاعر طرائق خلق جمالية وإخفاء هذه العلاقة إذ يقول: «فإذا وجد معنى لطيفا في تشبيب أو غزل استعمله في المديح، وإن وجده في المديح استعمله في الهجاء... وإن وجد المعنى اللطيف في المنثور من الكلام، أو في الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعرا كان أخفى وأحسن» (ابن طباطبا، 1982).

هذه الرؤية النقدية لدى ابن طباطبا جعلت عبد الملك مرتاض يتحمس أكثر لتأصيل فكرة التناص في النقد العربي القديم حين يقول: «وأما ابن طباطبا العلوي فإنا نحسبه عالج هذه المسألة من كل أطرافها، وذهب فيها إلى أبعد غايتها الممكنة؛ فقدم مشروعا نظريا متكاملا لنظرية التناص» (مرتاض، نظرية النص الأدبي ، 2010).

لقد بلغ مرتاض في وصف النصوص النقدية التي عالج فيها ابن طباطبا مسألة السرقات الشعرية حد المشروع المتكامل للتناص، وما يمكن أن يقال هنا هو أن جهود ابن طباطبا كانت بالفعل توازي كثيرا من مقولات التناص، فقد وقف

صاحب عيار الشعر يبين للشعراء سبيل تهجير النصوص من أغراضها الأصلية إلى أغراض جديدة، ومن جنسها الأول إلى جنس ثان، مع مطالبة الشاعر الآخذ بضرورة التحسين والتلطيف، وهو ما يعتبر جوهر عملية التناص التي تقوم على مبدأ تداخل نصوص كثيرة لمؤلفين مختلفين في نص مؤلف جديد.

وتوقف أيضا عبد الملك مرتاض عند جهود القاضي الجرجاني وهو يبحث في مشكلة السرقات الشعرية ولاسيما في نصه الشهير الذي يقول فيه: «والسرق ـ أيدك الله ـ داء قديم، وعيب عتيق، ومازال الشاعر يستعين بخاطر الآخر، ويستمد من قريحته، ويعتمد على معناه ولفظه؛ ...ومتى أنصفت علمت أن اهل عصرنا، ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة وأبعد من المذمة؛ لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها ...ولهذا السبب أحظر على نفسي ولا أرى لغيري بت الحكم على شاعر بالسرقة» (القاضي الجرجاني، 2006)، وهي أحكام نقدية لم تمر دون ان يستثمرها مرتاض لتأصيل التناص بناء على أفكاره وتأملاته النقدية، فتحدث عن ذلك بصراحة قائلا: «نلاحظ أن علي بن عبد العزيز تحدث في هذه المقولة عن نظرية التناص، وذلك برفضه الحكم على أي شاعر بالسرقة، مما يعني أنه كان يفكر في التناص وإن لم يهتد السبيل إلى تدبير اصطلاح له» (مرتاض، نظرية النص الأدبي ، 2010).

يبين مرتاض هنا أن أفكار القاضي الجرجاني المتمثلة في عراقة سلوك استعانة الشاعر اللاحق بألفاظ الشاعر السابق داء قديم مع التماس العذر للشعراء اللاحقين في ذلك على اعتبار ضيق أفق اختراع المعاني الجديدة والأساليب البديعة ما ينفي عنهم في نظره تهمة السرقة، هذه الأفكار اعتبرها مرتاض فكرا تناصيا خان القاضي الجرجاني فيه إطلاق المصطلح الحداثي للفكرة فقط، ويبدو ما ذهب إليه مرتاض منطقيا وفي غاية المنطق من وجهة نظر نقدية ذلك أن استعانة الشعراء بالنتاج الشعري لبعضهم يعني عند الحداثيين التناص أو تداخل النصوص، كما أن نفي تهمة السرقة التي ذهب إليها الجرجاني بمعناها الأخلاقي الهجين يفسر وعيا عميقا لدى هذا الناقد وإدراكا واسعا منه لطبيعة النتاج الشعري أو الأدبي الذي يرتبط عضويا أو معنويا بإبداعات أخرى سابقة والذي يعني اليوم التناص.

خاتمة

تتلخص حوصلة هذا البحث فيما يلي:

يقف عبد الملك مرتاض موقف انتماء وتقدير شديد كبير لتراث الحضارة العربية الإسلامية حيث يراه بنكا فكريا ومعرفيا لابد أن تستثمر فيه عقول الأمة حتى تحقق نهضتها وتبعث حضارتها وتفرض وجودها.

تبدو قراءة مرتاض للمنجز النقدي العربي القديم قراءة استشرافية، فهو ينقل هذا المنجز من بيئته التراثية ليفككه في الحاضر معيدا إنتاج خطاب جديد يتضمن مقولات نقدية عصرية.

كان تحول معيار الممارسة النقدية في النقد العربي القديم من معيار الزمن إلى معيار جودة وحسن النتاج الشعري الذي فرضه ابن قتيبة منطلقا يؤسس للقول بأصول شكلانية في التراث النقدي العربي لدى مرتاض.

يرى مرتاض في تعابير القدماء عن جودة الكلام البشري وتفرده بسمات معينة كقولهم: حسن الديباجة والرونق، أصولا نقدية تقابل مفهوم الأدبية ومقوماتها عند الحداثيين.

استثمر مرتاض الخبرات الأسلوبية للبلاغيين والنقاد العرب في تأصيل مفهوم الانزياح في أعمالهم من خلال ما اصطلحوا عليه بالعدول.

جعل مرتاض من أبحاث النقاد العرب القدماء في مسألة السرقات الشعرية أصولا متكاملة لنظرية التناص الحديثة معتبرا الاختلاف بين المنجزين لا يتجاوز حدود الاصطلاح.

يتطلع هذا البحث ويوصي بالسير جديا في مسار قراءة التراث النقدي العربي قراءات تنفتح على الواقع الراهن، وقد تبين مدى ما يحمله هذا التراث من استعداد لهذه العملية الواعية.

المراجع

1. ابن خلدون: المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار يعرب، دمشق، سوريا، 2004.
2. ابن سلّام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، د(ط)، مطبعة القاهرة، مصر، د(ت).
3. ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982.

4. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تح: محمود محمد شاكر، د(ط)، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2006.
5. أحمد بيكيس: الأدبية في النقد العربي القديم من القرن الخامس حتى الثامن للهجرة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010.
6. الأصمعي؛ عبد الملك بن قريب: فحولة الشعراء، تح: ش: توري، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1980.
7. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، مصر، 1965.
8. جوليا كريستيفا Julia Kristeva: علم النص، تر: فريد الزاهي، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1991.
9. حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، د(ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998.
10. ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محي الدين صبحي، د(ط)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1939.
11. عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، تونس، 1982.
12. عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، الكويت، ع272، أغسطس، 2001.
13. عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، د(ط)، أفريقيا للشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2007.
14. عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، مصر، ط4، 1998.
15. عبد الملك بومنجل: المصطلحات المحورية في النقد العربي بين جاذبية المعنى وإغراء الحداثة، د(ط)، منشورات مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر، 2015.
16. عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، د(ط)، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2002.
17. عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
18. فكتور إيرليخ Victor Erlich: الشكلانية الروسية، تر: الولي محمد، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2000.
19. القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2006.
20. كاظم جهاد: أدونيس منتحلا دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها ما هو التناص؟ مكتبة مدبولي، د(ب)، 1993.
21. محمد الواسطي: مفهوم الأدبية في الخطاب النقدي، مجلة آفاق أدبية، المغرب، ع1، 2007.
22. محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري استرتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1992.
23. المرزوقي؛ أحمد بن محمد بن الحسن: شرح ديوان الحماسة، تح: أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991، ص6.
24. مصطفى السعدني: التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات الشعرية، د(ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر. 1991
25. نعمان عبد السميع متولي: الانزياح اللغوي أصوله أثره في بنية النص، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، مصر، 2014.
26. نهلة فيصل الأحمد: التفاعل النصي التناصية النظرية والمنهج، ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 2000.

The rooting of modern critical theories in the ancient Arab criticism of Abdulmalik Murtadh

Abstract

This research follows one of critic conviction dimensions of Abdul Malik Mortadh in his demarche to create equilibrium between patrimony and modernity, his efforts were presented and authenticated some of modern critic theories in ancient arab critic those are formality, literature, ecart and intersexuality. the researche has concluded by knowing and cognition of the sprawl knowledge of arab critic patrimony and its capacity in dissociation and reformulate it modernistic.

Keywords
Rooting
modernity
critic
ancient
Abdul Malik Mortadh

L'enracinement des théories critiques modernistes dans l'ancienne critique arabe chez d'AbdulMalik Murtadh

Résumé

Cette recherche suit l'une des dimensions de la conviction critique d'Abdul Malik Mortadh dans sa quête d'un équilibre entre le patrimoine et la modernité. Il a été présenté ici et a présenté ses efforts pour ancrer certaines des théories modernistes critiques dans la critique arabe antique, à savoir: la formalité, la littérature, le glissement et l'Intertextualité. L'étude a conclu à la compréhension de la connaissance du patrimoine critique arabe et de sa capacité à le démanteler et à le reformuler de manière moderne.

Mots clés
Enracinement
modernisme
critique
le vieux
Abdul Malik Mortadh

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

شعرية الانزياح في الشّعر الجزائري المعاصر، ديوان رجل من غبار لعاشور فنّي أنموذجا

The poetry of the deviation in contemporary Algerian poetry, Dewan is a man of dust for Ashur Fenni-model

د. رابح محمد حساين[1]
Dr. Hassaine Rabah mohammed
جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس الجزائر
rabah.hassaine@univ-sba.dz

أ.د سعاد بن سنوسي
Pr. Souad Bensenouci
جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس الجزائر
bensenoucisouad@hotmail.fr

ملخص

تتّخذ ظاهرة الانزياح في الشّعر الجزائري المعاصر سمة بارزة لافتة للنّظر، وقد عرفت هذه الظاهرة حضورا كبيرا في قصائد ديوان الشّاعر الجزائري عاشور فنّي»رجل من غبار»، نظرا لما تحمله هذه الظّاهرة من ميزات وسمات جمالية، حيث يعمد الشّاعر إلى العبارة الفنيّة في شعره إلى انتهاك نظامها، وخرق نسقها، إذ يأخذ في ممارسة الخروج عليها من المعيار إلى اللّامعيار في تعبيره، فيجذب إليه القارئ المتلقي بهذا الانزياح الجميل، والعدول الآخذ والعبارة الفتّانة، وهذا ما تحاول الدّراسة الوقوف عندها برصد بعض مظاهر هذا الانزياح وجمالياته لدى شاعرنا.

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2020-06-13
تاريخ القبول 2024-04-16

الكلمات المفتاحية
انزياح
انحراف
الشّعر الجزائري
عاشور فنّي
رجل من غبار

مقدمة

لقد سعى الدّرس النّقدي الحديث إلى التّعامل مع الخطاب الشّعري باعتباره خطابا نوعيا ذا خاصية متميّزة، أي كونه يحوي على جملة من الانزياحات مقارنة مع المعيار النّمطي الثابت والمتّفق عليه بغية ترك أثرٍ مَا عند متلقي الخطاب، وهذه الممارسة كانت تهدف لتجاوز الفهم السّائد والتّقليدي حول طبيعة الشّعر ووظيفته، أي إنّ الشعر هو»ذلك الكلام الموزون والمقفى الّذي له معنى» (جعفر، 0000، صفحة 64) أي يهدف إلى الإخبار، وفي المقابل يكون القارئ في حاجة إلى التّركيز على آلياته اللّغوية وطرائق اشتغاله والوقوف عند منظوماته البلاغية التي تكوّن شعريته وتؤسّس خصوصيته، وتبعده عن الابتذال.

والانزياح الأسلوبي أو الانحراف أو العدول وإن كانت المسميات على اختلاف المصطلح ظاهرة أسلوبية ونقدية جمالية اهتم بها النّقد الحديث، مقارنة بوجودها في نقدنا العربي القديم من خلال الاستعارة والمجاز بمسمّيات أخرى كالتّوسّع والاتّساع وغير ذلك، و عليه تأتي هذه الورقة لإبراز تمظهرات وتجليّات هذا الظّاهرة الفنيّة في شعر عاشور فنّي هذه الشّخصية التي لطالما بدأت تشقّ حجبها نحو الشّهرة والتّميز، منطلقين بذبلك من تساؤلات عدّة أهمها: ما مفهوم الانزياح؟ ما هي أشكاله؟ وما طبيعته؟ ما هي تمظراته في الشعر الجزائري المعاصر، وفي قصائد الشّاعر عاشور فني على وجه التّحديد؟ أي كيف تشكّل صور الانزياح لدى الشّاعر؟.

وعلى إثر هذا يجدُر بنا ذكر الدّراسات السّابقة التي تعرّضت لهذه الشّخصية وأعمالها الفنّية بالنّقد والشّرح والتّحليل: مثلَ: (بنية الإيقاع في الشّعر المعاصر وكان الشّاعر أنموذجا) فيها وأُعِدّت هذه الدّراسة في ملتقى وطني حول النّقد والأدب الجزائري عام2006 من طرف الأستاذة الباحثة صبيرة ملوك، وأيضًا دراسة بعنوان (أدبية الخِطاب الشّعري الجزائري المعاصر) وهي رسالة ماجيستير أيضا كان فيها شَاعرنا أنمُوذجا حيّا في هذه الدّراسة والّتي أعدّت من طرف البَاحثِ هامل لخضر، وبرغم ثراء هذه الدّراسات في مضامينها بالشّرح والتّحليل، إلّا أنّها لم تركّز على الجانب البلاغي ولاسيما التّركيز على طبيعة لغته الّتي عرفت ما يمكن تسميته ثراءً انزياحيّا، هذا الإجراء الذّي بدأ يدبّ في الأعمال الإبداعية الجديدة، وجعل النّقاد والقرّاء يولّون وجوههم شطره، وفي مقام آخر يسعنا لتبيان الأهداف الّتي من أجلها سطّرت فقرات هذا البحث والّتي دفعت بي لدراسة مدوّنة هذا الشّاعر ألا وهي: أنّ قصائد عاشور فنّي تمثّل قمة

1 المؤلف المراسل

النّضج الفنيّ لديه، إذ تتعمّق تجربته وتثرى صوره الشّعرية، إضافة إلى سموّ استعاراته ومجازاته نحو عالم جديد من التّركيب اللّغوي، وأيضا محاولة التّعمق أكثر و استِكناه قدرات الشّاعر الإبداعية، وكذلك لما تميّزت به لغة عاشور من انحراف عن المألوف وبروز هذه الظّاهرة وتجلّيها بقوة على غرار الانزياح الاستبدالي، الانزياح التّركيبي والانزياح الإيقاعي وغيرها من المبرّرات الّتي دفعت بي إلى دراسته.

1–الانزياح ونحو تحديد المصطلح

إنّه من المؤكد أنْ لا وجود لقواعد وآليات أسلوبية محدّدة ومضبوطة ينتهجها المحلّل الأسلوبي في مقاربته للنّص الشّعري، ومحاولة القبض على النّبض الجمالي للنّص، وهذا ما يفسّر بأنّ المادة النّصية في صورتها النّقية تمارس سحرها اللّامحدود أمام المادة النّقدية. وهذه الفكرة لا تبعدنا كثيرا عمّا كان سائدا في زمن البلاغة القديمة وهوسِها بالخطاب التي كانت تسعى محاولةً نسجَ قواعدَ وقوانينَ له-للخطاب- بغية الإقناع والإمتاع وإظهار روح الجمال للخطاب، ولكن مع مدار الزّمن ومجيء الأسلوبية المعاصرة لانكبابها وشغفها بالبيان، سعت هذه الأخيرة للبحث في طرائق صياغة الخطاب الجميل وهذا أساسا كان مرجعه إلى الجوهر ألا وهو اللّغة الشّعرية وتميّزها الخاص في حركية النّص الشّعري تحت لواء ما يسمى بالانزياح.

1–1–المفهوم النّظري

الانزياح لغة: «من فعل زاح الشّيء يزيح زيْحا وزيوحا وزيحَانا، وانزاح: ذهب وتباعد أوزحته وأزاحه غيّرهُ (ابن منظور، 1993، صفحة 52)» ،

وأيضا مرادفه الذي ذكره ابن منظور «زحح»، زحزحة وفي الذّكر الحكيم قوله تعالى: «فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» (القرآن الكريم آل عمران، 2008، الآية 185) بمعنى: أبعده ونحّاه عن ومنْ مكان إلى مكان آخر.

وصاحب المعجم الوسيط هو الآخر لا يختلف عن القاموس المحيط ولسان العرب في اتّفاقهم على أنّ معنى «البُعد»، وفي المقابل الانزياح هو «حركة عدول عن الطّريق أو خطا سيرا، وإحداث الانزياح هو وضع مسافة، فاصل، حاجز، واختلاف» (rousse, 1997, p. 464)

1–2–الدّلالة الاصطلاحية

الانزياح هو «استعمال المبدع للّغةِ مفردات وتراكيبَ وصورٍ استعمالا يخرج به عمّا هو معتاد ومألوف بحيث يؤدّي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرّد وإبداع وقوة جذب وأسر» (ويس، 2003، صفحة 08)، وهو بذلك خاصية فردية لدى المبدع يتميّز بها في طريقة استخدامه للغته في عمله الإبداعي. وفي مقام آخر نجد جون ديبوا يعرّف الانزياح بأنّه «حدث أسلوبي ذو قيمة جمالية يصدر عن قرار للذّات المتكلّمة بفعل كلاميّ يبدو خارقا Transgressant لإحدى قواعد الاستعمال التي تسمّى معيارا Norme » (rousse, dictionnaire de linguistique, 1973, p. 172). والانزياح في عمقه يتجسّد في «خرق قوانين اللّغة» (كوهن، الولي، و العمري، 1986، صفحة 42) ، والخروج عن الاستخدام المعروف والمألوف، وعموما يرى صاحب كتاب بنية اللغة الشّعرية أنّ «جوهر الانزياح عنده هو الشّعر» (كوهن، الولي، و العمري، 1986، صفحة 06) ، باعتباره –الشّعر- انزياحًا عن المعيار الّذي في نظره القانون الأسمى للّغة، ويقابل هذا المصطلح باللّغة الأجنبية الفرنسية لفظ Ecart.

2–مصطلح الانزياح وزئبقية المفهوم

2–1–في الدّرس العربي

عُرف مصطلح (الانزياح) بهذه التّسمية لدى طائفة من النّقاد المعاصرين أمثال: «عبد الملك مرتاض» (الملك، 1994، صفحة 129) ، «عدنان بن ذريل» (ذريل، 2006، الصفحات 142-143-148) ، «حميد لحمداني» (لحمداني، صفحة 87) ، «محمد عزّام» (عزام، صفحة 31) ، «حسين خمري» (خمري، 2001، صفحة 241) وجمهور الدّارسين في بلاد المغرب العربي خصوصا، وفي المقابل شاع مصطلح (الانحراف) في عامة وثنايا الكتب النّقدية المشرقية خاصة المصرية منها لدى فئة معيّنة من الباحثين ومنهم: «شكري عيّاد» (عياد، 1982، الصفحات 36-37-45) ، و»صلاح فضل» (فضل، 1992، صفحة 57) ، و»محمد عنّاني» (عناني، 1996، صفحة 16) ، و»سعيد حسين بحيري» (بحيري، 1997، الصفحات 59-60-61) ، و»سعد مصلوح» (مصلوح، الصفحات 43-152) ، و»عزّت محمد جاد» (جاد، 2002، الصفحات 372-374) . إضافة إلى ذلك هناك تسميات ابتكرها نقاد عرب آخرون لأنفسهم فنجد تسمية (العدول) لدى «التّهامي الرّاجي الهاشمي» (الهاشمي، 1985، صفحة 165)، و»عبد الله صولة» (صولة، 1984، صفحة 86) ، وتسمية (الفارق) عند

كل من «مبارك مبارك» (مبارك، 1995، صفحة 92) ، و»سعيد علّوش» (علوش، 1984، صفحة 93) و»جوزيف شريم» (شريم، 1984، صفحة 155) ، بينما نجد تسمية (البعد) عند «محمد بنّيس» (بنيس، 1979، صفحة 517) و»شكري مبخوت» (مبخوت و رجاء، 1990، صفحة 89) و»رجاء بن سلامة» ، ولفظة (التّبعيد) عند «يمنى العيد» (العيد، 1994، صفحة 60)، و(الشّذوذ) عند «مجدي وهبة» (وهبة، 1974، الصفحات 106-107) ، و»كامل المهندس» (المهندس، 1984، صفحة 209) ، ومصطلح (التّجاوز) عند «المنصف عاشور» (عاشور، 1982، صفحة 313) ، و(الاتّساع) عند «توفيق الزّيدي» (الزيدي، 1984، صفحة 86) ، و(المجاوزة) عند أحمد درويش.

2-2-في الدّرس الغربي

لقد تعدّدت مدلولات مفهوم الانزياح في النّقد الغربي وتوسّع على آفاقٍ وتسميات مختلفة، فقد برز نقاد غربيون معاصرون كلٌّ ينادي بتسميةٍ خاصة يصطلحها لنفسه، ونجد في هذا المقام: «بول فاليري يسميه (تجاوزا L'abus)، ورولان بارت يسميه (فضيحة Scandale)، وشارل بالي (خطأ L'incorrection)، وتودوروف يسميه (شذوذا)، وجان كوهن (انتهاك Viol)، وثيري (كسرا)، وسبيتزر (انحرافا Déviation)» (الزيدي، 1984، صفحة 57).

3-مبادئ الانزياح

إنّ ترجمة لغة الشّعر كونها لغة خاصة ومتميّزة تنزاح عن غيرها من اللّغات الأخرى: يومية كانت أو عالمية..إلخ مما يحدّد استنادها على دعامات ومبادئ ثلاث وهي كالآتي:

أ-»المبدأ الأول: في اللّغة الشّعرية نجد النّبر ينتقل من الخطاب الذّي نرغب في توصيله إلى مادة الخطاب، بمعنى أنّه ينتقل من المدلول إلى الدّليل.

ب-المبدأ الثّاني: ويتحدّد في الإيقاع الذي ينظّم حركية النّص الشّعري، والذي تساهم فيه مجموعة من التّشكلات الصّوتية التي تحاول بعث نسق من التّعادلات الصّوتية (التّوازي الصّوتي الذي يمكن أن يتجاوز ما هو صوتي إلى الصّرف والتّركيب.

ج-المبدأ الثّالث: هناك خاصية نوعية للغة الشّعرية تتبيّن في نبرها لما يسمى بعنصري التّنازع والإفساد، أي الانتقال من اللّغة العادية إلى اللّغة الشّعرية التي تعتبر قطعا أو تقاطعا للّغة المألوفة». (أبطي، 2004، الصفحات 459-460)

4-الصّورة البلاغية وبلاغة الانزيـــاح

لمَّا كانت الصّورة البلاغية إحدى أنماط إحداث الفعل الجمالي في النّص والكشف عن الصّيغ المناسبة من أجل أداء المعنى من قبل المبدع، فإنّ ذلك لا ينفي أنّها» تمثّل الوحدة اللّسانية التي تشكل انزياحا» (بليث، 0000، صفحة 66) ، وهذا ما جعل الجملة على وجه الخصوص تتخذُ فنّا فريدا لنفسها وعبارة élocution متميّزة في طابعها النّسقي المكوّن من الانزياحات اللّسانية، والّتي قسّمها شارل موريس إلى الأصناف الآتية:

-انزياح في التّركيب المتمثل في العلاقة بين الدّلائل.

-انزياح في التّداول والذي يتمظهر في الرّبط بين الدّليل والمرسل والمتلقي.

-انزياح في الدّلالة البادي في العلاقة بين الدّليل والواقع (بليث، 0000، صفحة 66).

5-الانـزياح والأداء الشّعري

إنّ النّصوص الأدبية برغم اختلاف ميادينها وتنوّع موضوعاتها، إلّا أنّها تتّخذ من اللّغة أساسا للبناء وتشييد صرح المبنى النّصي، وبهذا تعتبرُ اللّغة منطلقا رئيسا في مساءلة النّصوص على اختلافها من حيث المضمون والميدان، وهذه النّصوص الأدبية يعتريها الكثير من التّشعب والتّعرض لتعدّد القراءة وقابليتها، لكون لغتها تحمل في طيّاتها القابلية المثلى للتّأويل عبر ما تتمتّع به من قدرة على الانزياح عن الدّلالات التّداولية للّغة.

ولقد ذهبت جلّ الدراسات النّقدية إلى أنّ اللّغة في وعي كثير من العلماء والدّارسين تقوم على ركيزتين اثنتين: إحداهما المستوى العادي أو النّمطي، والأخرى متمثلة في المستوى الفنّي، فالمستوى الأول العادي المعروف أو النّمطي المثالي قام على العناية به النّحويون واللّغويون فهو يتّخذ من النّحو قاعدة أساسية في تشكيل عناصره، كما يعتمد اللّغة في تنسيق هذه العناصر، وثمرة التّرابط بين ما يقول به النّحاة وما يقول به اللّغويون ظهور مثالية اللغة ونمذجتها في استخدامها المألوف» (عبد المطلب، 1994، صفحة 268) ، بينما المستوى الثّاني الفنّي والجمالي فيظهر في «استعمال المبدع للّغةِ مفرداتٍ وتراكيبَ وصورٍ استعمالا يخرج به عن المعتاد والمألوف بحيث يؤدّي ما ينبغي له أن يتّصف به من

تفرّد وإبداع وقوّة وجذب وأسر» (ويس، 2003، صفحة 8) وفي ذلك خروج عن النّمطية المثالية التي تجسّدت في المستوى الأول.

إلّا أنّ المعيار الذي يؤخذ كمقياس يقاس عليه الانزياح يتنوّع بتنوع النّظرية التي تقارب النّص، فمثلا ذهبت ميادة إسبر إلى أنّ «جون كوهن يقيم تقابلا بين لغة الشّعر ولغة النّثر العلمي» (إسبر، 2011، صفحة 91)، مع أنّ كليهما ينطويان تحت لواء الأدب، أمّا كمال أبو ديب فقد ألغى معيارية النّثر، إذ إنّ نمط الانحراف عنده ما كان مصدرا للشّعرية والذي يسمّيه بالانحراف الدّاخلي، أي ذلك الحاصل في بنية النّص فعلا على مستويات متنوّعة دلالية وتصويرية وتركيبية، وهذا الإنحراف قريب إلى حدّ بعيد ممّا أسماه ريفاتير بـ «لا نحوية النّص» (أبو ديب، 1987، صفحة 141) ، وبعد أن كان الهم الأساسي للبلاغة القديمة هو تحديد الفاعلية الشّعرية الخاصة، فإنّه في المقابل تسعى نظرية الشّعرية لأن تضع نفسها في مستوى أعلى من التّكوين ببحثها عن الفاعلية الشّعرية لجميع الأشكال الأدبية الفنية فعلا وقوّة وأداءً.

ومن أجل ذلك كان النّص الأدبي الجزائري المعاصر يحمل في لغته شحنة إضافية يزيد بها عن النّصوص الأخرى المشرقية والعربية المجاورة أداءً وكثافة، وتزداد هذه الشّحنة قوّةً مع النّص الشّعري الذي يكثّف هذه اللّغة التي تشكّله ليتجاوز بها حدود التّأويل بمسافات شاسعة مقدّما فضاءً دلاليا خصبا يمنح المتلقي إمكانات تأويلية كثيرة.

ويعدّ عاشور فنّي* واحد من الشّعراء الجزائريين الذين خاضوا تجربة جديدة تستفيد من التّراث ومحاورة النّص الجديد من أجل الخروج بنص أكثر حداثة ويتماشى مع تطلّعات المتلقي و»ليس برافض للنّص التّقليدي وإنّما مستفيدٌ وآخذٌ ما يناسبه ليتشكّل بذلك مولد النَّص الجزائري المختلف والّذي يعرف بنص التّجاوز» (بوقرورة، 2004، صفحة 88) ، حيث جاءت لغته مختلفة ومتفرّدة وذات تراكيب جديدة وموضوعات تجاوزت الإيديولوجية في مضامينها الشّاملة.

وهذا ما يجعل لغة النّص الشّعري الجزائري لدى عاشور فنّي «لغة شعرية أرقى من اللّغة اليومية، ترتبط وظيفتها بعلاقتها بعناصر التّواصل السّتة (السّياق والمرسل والخبر والمتلقي والشّفرة)» (علوش، 1984، صفحة 232)، وهي لا تكون موجّهة للقارئ العادي وتقف عنده، بل تكون مرتبطة بخصائصها المتمثّلة أساسا في خرقها لِنظام اللّغة العادية من خلال المساس بالمكوّنات اللّسانية المعروفة كالمكوّن الصّوتي، والنّحوي والدّلالي، وهذا يعود بنا لطرح التّساؤل والّذي مفاده: ما الّذي يجعل الخطاب الأدبي يؤدّي وظيفة جمالية تأثيرية إلى جانب وظيفة التّوصيل والإبلاغ؟ حيث ترددّت الآراء بخصوص الأمر الّذي يجعل الخطاب الأدبي يؤدِّي تلك الجمالية المرجوة واستقر الأمر بالشّكلانيين الرّوس حين جعلوا «التّشكل عنصرا من عناصر البنية الأدبية وأحد وسائل اللّغة الشّعرية» **(تودوروف، 1982، صفحة 42)** ، وهذا التّشكل يتجسّد بالانزياح وخرق نظام اللّغة في ظل هذا التّوجه الذي يظهر لنا النّص الأدبي كخطاب مغاير للخطاب العادي من حيث انبناء الكلام فيه على مبدإ الانزياح عن النّمط المألوف للّغة صياغةً ووظيفةً، فهو من حيث الصّياغة إعادة تشكيل للّغة ينبني على خرق النّظام والإخلال بالعلاقات وتجاوز المواضعات فضلا عن كونه «ذلك المستوى الأعلى من اللّغة الّتي تهجسُ وتثور وتطغى، وكونه يحمل كل هذه التّشظيات فذلك دليل على المحتمل الدّلالي والجمالي المضمَّن فيه. « (فيدوح، 1999، صفحة 139)

6–بلاغة الانزياح وفتنة العبارة في قصيدة رجل من غبار عند عاشور فنّي

إنّ الانزياح يعدّ شرطا ضروريا في الشّعر أو بالأحرى في كل عمل إبداعي فنّي، ولذلك فعملية تحديدهِ تستوجب الوقوف عند أشكاله المعروفة كالانزياح الدّلالي أو الاستدلالي* المتمظهرِ في الاستعارة والتّشبيه والمجاز عموما والكناية، والانزياح التّركيبي أو النّحوي والمجسّد في التّقديم والتأخير والحذف... الخ، وسنحاول استجلاء هذه المظاهر في قصيدة رجل من غبار لعاشور فنّي لتبيين فاعلية الانزياح في شعر عاشور من خلال خرقه لقانون اللغة بواسطة الصّور ذات الظّلال الإيحائية الكثيفة وتشكيلاته اللّغوية المتميّزة على الصّعيدين الدّلالي واللّفظي معا.

6–1–الانزياح الاستدلالي أو الدّلالي

écart paradigmatique ou sémantique

إنّ هذا النّوع من الانزياح يعنى بالانتقال من المعنى الأساسي أو المعجمي للكلمة إلى المعنى السّياقي الذي تأخذه الكلمة حينما توضع في سياق معيّن يحدّده معنى الجملة بأكملها، حيث» تنزاح الدّوال عن مدلولاتها فتختفي نتيجة لذلك الدّلالات

المألوفة للألفاظ، لتحلّ مكانها دلالات جديدة معهودة يسعى إليها المتكلّم» (كوهن، الولي، و العمري، 1986، صفحة 205) ، ويضفي الانزياح الدّلالي قيمة جمالية للنّص، وتساعده على ذلك استخدام الوحدات اللّغوية ضمن النّسيج الدّلالي بطريقة مميزة أثناء اختياره للألفاظ وتوزيعها وتشكيلها، فتتلقّانا هذه الشّعرية بدءًا من عنوان القصيدة «رجل من غبار» التّركيبة الدّلالية إذ يصف ويخبر عن هذا الرّجل الّذي هو من غبار، فقد يكون الرّجل مسلما محاربا مجاهدا وما غير ذلك، أمّا أن يكون من غبار فهذا انحراف عن الأصل المتعارف، والانزياح يحتاج إلى دليل في غير الشّعر، أي على مستوى العقل والمنطق، أمّا على مستوى الإبداع فإنّ سبل التّصرف والإبداع في الاستعمال تسمح بذلك. و لفظة رجل التي هي من الرّجولة صفة جامعة لمفاهيم متعدّدة كالمروءة والشّجاعة وغيرها، والغبار ذلك الكمّ من الجسيمات الصّغيرة المتطايرة في الهواء جراء الانفجارات أو تلوّث الهواء من قبيل الأتربة وغبارها، ولكن يتبادر السّؤال الوارد عن ماهي العلاقة بين الرّجل والغبار؟ فالبعد الدّلالي الّذي انزاح به الشاعر أن المقصود بالرّجل هو من يمثل مجموع القيم والمبادئ والأخلاق الحميدة المفقودة في المجتمع، فهو بدل أن يموت ويتلاشى ويضمحل صار غبارا متناثرا هنا وهناك، والرّجولة بلا قيم غبار متطاير لا نفع منه بل ضرر هالك، وعليه، يأخذ الانزياح الاستبدالي في شعر عاشور فنّي أشكالا وصورا متنوّعة أبرزها: الانزياح التّشبيهي، والاستعاري والكنائي.

6-1-1-**الانزياح التّشبيهيّ** écart analogique

إنّ التّشبيه كان أول الأمر عند النقاد والبلاغيين هو «عقد علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتّحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصّفات والأحوال» (عصفور، 1992، صفحة 172) ، وشاعرُنا استثمر هذه الفنّية لاصطناع تراكيب انزياحية بغية إحداث أثر جمالي لدى المتلقي، ومن أمثلة ذلك قوله:

أنَا المتيَّمُ

والنّسيانُ يصلُبنِي قيسًا على البابِ منذُ

البدءِ يبْتَهِلُ (فني، 2003، صفحة 30)

يظهر هذا المقطع انزياحا جماليا عن التّركيب المألوف، إذ سعى عاشور لرسم علاقة مماثلة بينه وبين قيس الشّاعر الأموي الملقّب المجنون والمعروف بعشقه وهيامه بليلى، وبذلك استطاع تكوين هذه الصّورة التّشبيهية بين شخص شاعرنا وشخص قيس بن الملوّح بهدف استحضار هذا الرّمز التّاريخي لإنشاء هذا التّركيب الجمالي الّذي يأخذ بالقارئ إلى إثارة الاستغراب والتّعجيب، ودعوته لاستجلاء المعنى الدّلالي من البنية السّطحية لهذا التّشبيه للوصول إلى البنية العميقة (موسى، 2000، صفحة 125) للمعنى ...

--الاتجاه الدّلالي --

النّص الشّعري ⟵ المتلقّي "البنية السّطحية"

قيس (المشبّه به المجازي)

النّص الشّعري ⟵ المتلقّي "البنية العميقة"

الحب، الهوى، العشق، ... (مشبّه به حقيقي)

ويقول أيضا:

أَنَا لنْ أدخلَ الحَرْبَ

ولَنْ أدْخلَ السِّلمَ

إنْ كَانَتْ الحَرْبُ كَارِثَة

فَالسَّلَامُ جَرِيمَة (فني، 2003، صفحة 46)

يظهر منْ هذا التّركِيب أنّ عاشور يحاول أن يصنع فضاءً متخيّلا مستلهما إياه من الواقع ويختلف عنه، وهذه محاولة أي شاعر حقيقي يسعى إلى ذلك بالشّعر، ويظهر الانزياح التّشبيهي الدّلالي في رسم تلك الصّورة البشعة للحرب ومقابلتها بالمعنى العقلي المجرّد ‹كارثة›، وفي المقابل السّلام انزاح به إلى معنى مجرّد آخر وهو ‹جريمة›، ولعلّ هذا ما سعى إليه عاشور لأن يفعله، إذْ تجلّت عنده هنا هذه المفارقة التّشبيهية (حرب--كارثة/ سلام---جريمة) مشكّلا في الآن نفسه ما يسمّى بالتّضاد الّذي يعيد من خلاله الشّاعر تشكيل الأشياء على عكس ما تبدو عليه في الواقع من التآلف والانسجام والمحمولة على معان جديدة، منزاحا بذلك عن المألوف والتّعبير العادي (السّلام أمان، هوادة، سكون، استقرار.. الخ) إلى شناعة وجرم هذا السّلام بين رحلة البحث عن الممكن من وراءِ اللّاممكن، ولذلك إذا «ظهر التّباعد بين الشّيئين كلّما كان أشدّ ،كانت إلى النّفوس أعجب وكانت النّفوس لها أطرب» (الجرجاني ومحمد ، 0000، صفحة 130) ، وهذا ما يستدعي إعمال عقل القارئ بتداعي الأخيلة والأفكار واستحضار الدّلالات الخفية والّتي تقف خلف جمالية هذا التّعبير الانزياحي.

6–1–2–**الانزياح الاستعاري** écart métaphorique

من التّراكيب الانزياحية الاستعارية الواردة في ديوان رجل من غبار والتي أحدثت جمالية في إخراج المعاني في حللٍ قشيبة لدى الشّاعر، نذكر منها بعض النّماذج، والتي يقول فيها:

رَجلٌ من غبارْ

كَانَ يأتي إلى حينًا

يزْرَعُ الحُلمَ في الشّرفاتْ (فني، 2003، صفحة 39)

في هذه العبارات انزاح الشّاعر بالدّلالة الشّعرية عن التّركيب المعروف والمرتبط أساسا بكلمة ‹غبار› والّتي في معناها أنّها لا تأتي بشيء، سوى أنّها دليل على انقراض وزوال الحياة والفناء، ولكن استطاع الشاعر أن ينزاح به إلى بعث الرّوح والأمل والحياة من جديد، فقد قام بإلصاق تجدّد الروح والحياة بهذا الرجل الذي هو من غبار سعى من خلاله إلى إثارة الحيرة والاستغراب لدى المتلقي الذي كان يتوقّع نتيجة غير تلك الّتي ذكر الشّاعر، «يزرع الحلم في الشّرفات» فأسند إليه زرع الأحلام، والأحلام لا تزرع، فلو استبدلنا كلمة ‹غبار› بكلمة أخرى مثلا :متفائل، مبتهج، فرح لَفقدت الجملة شعريتها ولَأصبحت مألوفة، ولكن بذلك التّركيب المنزاح فإنه يوحي بحالة نفسية تستشعر القتم والحلك والتّمزق والانسحاق والضّياع وعبثية الأشياء. أمّا لو استشرنا أية نظرية لغوية لما سمحت بإسناد زرع الأحلام للوهم بل يسند للعاقل، أمَا وقد أسندت لغير العاقل فهذه البنية التي تكسب الأبيات جمالا وشاعرية، ويقول أيضا :

قَالَ لِي:

هَذهِ شَمْعَتي، سَيّدِي

وَأَنَا مُطْفَأٌ فِي المُقامْ

أَنَا أسَّسْتُ أنْدَلُسي بِيَدِي

وَأَضَأْتُ دَمِي كَوْكبًا فِي الظّلامْ

ثُمّ خرّبْت أنْدَلُسِي بِيَدِي (فني، 2003، صفحة 24)

فالشّاعر يوحي بخطابه هذا عن حالة نفسيّة غريبة، تحمل تناقضات شعرية في رسم الدّلالة، خاصة في قوله: (أنا مُطفأ و أضأت دمي كوكبا)، فعاشور انزاح بهذا التّركيب لأنْ جعل من ذاته نورا وسراجا يضيء الفضاء، وهذا النّور يختفي في الظّلماء ويتجلّى في وضح النّهار ، وانزياح الشّاعر لمثل هذا التّعبير جعل منه «يسمّي الشّيء باسم غيره إذا قام مقامه» (الجاحظ، 0000، صفحة 753) وهذا ما اصطلح عليه حديثا بـ»النّظرية الاستبدالية» (كوهن، الولي، و العمري، 1986، صفحة 205)،أو الاستعارة الإبدالية (مفتاح، 1992، صفحة 82)L'éternelle métaphore والّتي هي أساسًا «علاقة لغوية تقوم على المقارنة واستبدال الشّيء فيها بشيء أو لفظ بلفظ لعلاقة محدّدة وهي دائما المشابهة، يكون هدفها نقل الدّلالة الثّابتة للكلمات المختلفة بحيث أن المعنى لا يقدّم فيها بطريقة مباشرة، بل يقارن ويستبدل بغيره على أساس من التّشابه» (يوسف، 1997، الصفحات 162-163) ، وهذا ما قام به عاشور فنّي من خلال انزياحه الجمالي هذا الّذي يرسله للمتلقي والّذي يقوم بدوره باستجلاء المعنى البلاغي المراد من هذا التّركيب ورسم العلاقة بين ذات الشّاعر والنّور والإحالة بذاك الانزياح إلى التّراث التّاريخي وما قام به العرب في عز قوتهم من نشر «نور الإسلام من خلال الفتح الإسلامي في بلاد الأندلس» (مكي، 1987، الصفحات 09-24-25) إلى أن سقطت على يد الخليفة أبي عبد الله الصّغير في عهد بني الأحمر عام897هـ/1492م حين سلّم مفاتيح الحمراء بيده للمِلك الإسباني، وبالتّالي فعاشور فنّي تمكّن من استحضار هذا التّاريخ ببراعته الفنّية وجسّده في صورة منزاحة ليشبّه ذاته العربية والمسلمة وكأنّه هو الذي قام بتأسيس الأندلس وهو الذي خرّبها بنفسه في نهاية المطاف.

يقول في موضع آخر:

كَتمَ القَلبُ أوجَاعَه زمنًا

الأمَانِي منكَسِرَه

خِلْسَة أَتزوّج فِي المَقْبَرَة (فني، 2003، صفحة 41)

إنّ الصّورة الشّعرية في هذا المقام تشكّل انزياحا وخرقا للمألوف، إذ يشبّه الشّاعر القلب بالإنسان الكتوم للدّلالة بذلك على عمق الجراح، والأوجاع هنا لا تكون إلى الهموم والأحزان، ثمّ بعد ذلك يجمع بين الأماني والانكسار دلالة على تحطّم الآمال وصعوبة تحقيقها، مشبّها إياها بالشّيء القابل للكسر إذا تحطّم يستحيل إرجاعه وإحياؤه فكذلك الأماني بالنّسبة للشّاعر بين أنْ يصلَ لمراده وإمّا لا، إذ برع في رسم صورة انزياحية تجمع بين النّفي والإثبات بين التحقيق واللّاتحقق (أماني و انكسار).

6–1–3–**الانزياح الكنائي** écart métonymie

إنّ الانزياح الكنائي نوع من الصّور التي يتم بها تغير المعنى عبر تماس فكري، ليشار إلى موضوع آخر بالإشارة والتّلميح إليه،

أي أنّ هذا التّلميح هو في حد ذاته انزياح عن المألوف لغرض جمالي، ولقد استطاع عاشور فنّي ببراعته الفنّية الإبداعية التّنويع في تشكيل الانزياح خاصة الدّلالي منه في أشعاره لما يمتاز به من حيوية يسعى من خلالها لإيصال المعاني في قالب جمالي ذي طراز فنّي يبعث على اللّعب بمشاعر القارئ الّتي يرى فيها الاستفزاز والتّحريك لمشاعره ومخيّلته، ونجده يلجأ إلى هذا الانزياح بالتّكني حيث يقول في ذلك:

لم تخِفْنِي البَشَاعَه

ولم أتّبعْ مَا ترَكتْهُ الجمَاعَه

وقدْ كنتُ فيكُم وَحِيدًا شريدًا طريدًا (فني، 2003، صفحة 43)

إنّ عاشور فنّي استطاع رسم صوره الانزياحية من خلال مقاطعه ذات المستوى الجمالي العالي، حيث جاءت هذه الصّور تمتاز بالحيوية والخرق اللّغوي محدثةً أثرا نفسيا لدى القارئ، فالمراد من قوله «كنت فيكم وحيدا شريدا طريدا» تلك الحقيقة في تصدي الشّاعر لشدّة الفساد والابتعاد عن المفسدين، ومعاناته التي تدفع به بشدّة للوقوف في وجه الظّلم والجور، كون هذا الأخير رافد ومظهر من مظاهر الفساد، فذكر التّابع أو الأصل ليدلّ بها على المتبوع، فارتفع كلامه إلى مرتبة البلاغة، وهنا يجد السّامع في نفسه روعة واستحسانا، ما لا يجده في لفظة المكنى عنه(العزلة والحياد)، وفضلا عن ذلك تمظهرت هنا أيضا ثنائية الحضور والغياب* التي سيطرت على صيغة الأبيات الشّعرية، فالمكنّى عنه (التّصدي للفساد والعزلة والهروب من الواقع) غائب، والمعنى الحقيقي الظّاهر(الوحدة والطّراد والتّشريد) حاضر.

6–2–**الانزياح التّركيبي** écart syntagmatique

يعدّ الانزياح التّركيبي خروجا عن النّظام النّحوي المألوف وخرقا لأصوله، إذ به تحدّد شعرية النّص وذلك بكسر النّمط الشّائع من التّراكيب، فتنتج عنه تراكيب جديدة منزاحة، كما أنّه مظهر من مظاهر الأسلوب لأنّه يشكّل وجها من وجوه الظّاهرة الأسلوبية والبلاغية وميزة خاصة للشّعرية العربية الحديثة، ويظهر الانزياح بمظاهره المتعددة في قصيدة رجل من غبار على النّحو الآتي:

6–2–1–**التّقديم والتّأخير**anastrophe

إنّ اللّغة بطبيعتها خاضعة لنحو معيّن ونظام ذي خصوصية معيّنة، واللّغة العربية تتّسِم ب»حرية النّظم، فالكلمة فيها تغيّر موقعها مع بقائها محافظة على معناها النّحوي» (يحياوي، 2013، صفحة 46) ، إلّا أنّ ذلك لا يمنعها من تأدية المعنى المراد إيصاله على وجه مخصوص. ولنا في قصيدة عاشور فنّي نماذج واضحة عن التّقديم والتّأخير يقول:

بَعْدَ خَمْسِين أَلفِ سنةٍ

عَادَ يومِي إلى نفسِهِ (فني، 2003، صفحة 39)

نلاحظ تقديم شبه الجملة الظّرفية على المسند والمسند عليه (الفعل والفاعل: عاد يومي)، والتّقدير: (عاد يومي بعد خمسين ألف سنة) إذْ عمد عاشور فنّي لهذا الانزياح بغرض تقوية الحكم وتقريره والاهتمام بأمر المتقدَّم (بعد خمسين ألف سنة) الّتي في معناها توحي بطول المّدة الزمنية الّتي يتلقّفها المتلقي وتثيرُ فيه حيرة التّساؤل عمّا سيحدث بعد خمسين ألف سنة هذه؟، وكذلك في قوله:

كَانَ مُحْتفِلاً وَحْدَه بِالرَّمَادْ

حِينَما فَاجَأتْهُ وُجُوهُ الأَحِبَة (فني، 2003، صفحة 40)

نرى تقديم الشّاعر للمفعول به ضمير (الهاء) على الفاعل (وجوه) من خلال حركية الذّهن العائدة لخلجات الشّاعر النّفسية المتجلّية في مسألة الاحتفال والمفاجأة، فانزاح بذلك عن التّرتيب المألوفِ بغرض التّشويق للمتأخّر وهو الفاعل (وجوه الأحبة)، حيث استطاع بذلك كسر أفق التّوقع لدى القارئ وإيقاظ المشاعر لديه من جهة وإحساسه بالمتعة من جهة أخرى.

6–2–2–**الحذف** Ellipse

سمة وظاهرة لغوية ذات قيمة فنّية كبيرة حظيت بعناية بالغة من طرف النّحويين والبلاغيين لأنّ»من جماليات اللّغة العربية خاصية الحذف، إذ تكون بلاغة القول بحذف أحد ركنيْ الجملة» (الشّراج، 1982، صفحة 363)، وهذه ميزة قديمة في التّراث النّقدي العربي القديم، حيث كان من طبيعة البلغاء والمتكلّمين أن يحذفوا من كلامهم ما يرون المتلقي قادرا له وعلى إدراكه بيسر وسهولة بحيث يجب أنْ «يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوفات فإن لم يكن فهو لغو من الحديث» (منظور، 1993، صفحة 240)، والحذف باعتباره إسقاطًا لأحد عناصر التّركيب اللّغوي فإنّ له أهمّيةً في النّظام التّركيبي للّغة، حيث يعطي قيمته التّعبيرية ويبعث على و إلى دلالات جديدة بإشراك القارئ في عملية التّواصل من خلال إعطائه مساحة للتّأويل والتّقدير.

ويظهر الانزياح بالحذف في قول عاشور:

إِنّ العَصَافيرَ ذاهبةٌ

وَالأَغَارِيدُ تَمْلأُ قلبِي...

أَيُّهَا الرَّاحِلُونَ

اتْركُوا أثرًا للنُّجُومِ لتعْرِفَكُم (فني، 2003، صفحة 41)

في هذا المقطع يظهر الانزياح بحذف الفاعل، فالشّاعر لم يذكره وإنّما جعله مستترا مضمرا وذلك بهدف ترك المجال واسعا للمتلقّي حتى يتوقّع الفاعل كما شاء ويوسّع من تأويلاته، ولكن برغم ذلك بقي دليل على ذاك الإضمار في الفعلين(تملأ و تعرفكم) التّاء المؤنّثة الموافقة لجمع التّكسير المؤّنث (الأغاريدُ والنّجومُ)، و يمكن تمثيل ذلك بالمخطّط

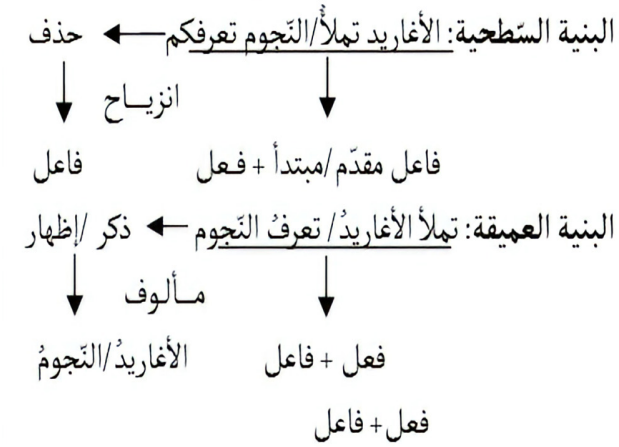

ويقول أيضا:

كَانَ محْتفِلا وحده بالرّمَادْ

حِينَمَا فَاجَأْتُهُ وُجُوهُ الأَحِبَه

ظلَّ يمْحُو وجوهَ أحِبَّتهِ

وهِيَ تَطفُو عَلَى المَاءِ

حَتَى مَحَى نِصْفَ وَجهِ البِلَاد (فني، 2003، صفحة 40)

في هذا النّموذج أيضا تجلّت ظاهرة الحذف، حيث أضمِر المسند إليه(اسم كان، واسم ظلّ) بتقدير بلاغي:كان الرّجل محتفلا، وظلّ الرجل يمحو..، والغرض من ذلك هو «الاقتصاد في التّعبير، وإرادة تحريك نفس المتلقي بالإبهام الذي يتبعه البيان حتى يكون ذلك أوقع وأثبت في النّفس» . (الميداني، 1996، صفحة 41)

والحذف Ellipse واحد من متضمنات الخطاب والّذي اصطلح عليه بـ»الأقوال المضمرة» خاصة عند أوريكيوني* التي تعرّفه بقولها: «القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث.» (صحراوي، 2005، صفحة 32) وهذا لا يبتعد عن رأي الجرجاني اتجاه الحذف بقوله:»باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذّكر والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما يكون بيانًا إذا لمْ تبِنْ» (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1978، صفحة 170)، ويأخذنا هذا القول إلى الوقوف عند تجلّي انزياح بالحذف بذكر الشّاعر عاشور فنّي جملةً من البياض والنّقاط في نهاية المقطع الشّعري، يقول:

إنّ العَصَافيرَ ذاهبةٌ

وَالأَغَارِيدُ تَمْلأُ قلبِي... (فني، 2003، صفحة 41)

ويقول أيضا:

مَلَكٌ فِي عَبَاءةِ خَائنْ

نَسِيَتْه عروسُهُ مرة واحدَة

فِي المنامْ...

فطلَّق كُلَّ المدَائِنْ... (فني، 2003، صفحة 05)

ويقول:

كَانَ يَجِيءُ الظَّلَامْ

يَفْتَحُ نَافِذَةً لِلحَمَامْ

فَيُغَنِّي... (فني، 2003، صفحة 29)

ومن خلال هذه المقاطع نلاحظ كيف أنّ عاشور اكتفى بذكر النّقاط عقِب كل مقطعٍ بدل التّصريح وهذا ما يبعث للتّساؤل من قِبل القارئ، حيث أنّ هذا الحذف أضحى جمالية وتقنية من تقنيات التّأثير الفنّي فيسوغ الدّلالة من خلال التّأويل الّذي يقوم على عاتق المتلقي فيصبح التّأويل من هذه النّاحية ذا دلالات متعدّدة تزيد من شاعرية العمل الأدبي.

6–3–الانزياح الإيقاعي

إنّ الإيقاع لا يتوقّف عند الوزن والقافية فحسب، وإنّما يتجاوزهما إلى مجموعة من العناصر التي تتآزر على المستوى الصّوتي واللّغوي والبلاغي لتنتج لحنا موسيقيا ونغما جديدا متميّزا، ولا يختلف الإيقاع كونه حالة التّواتر المتتابع ما بين التّوقّف وحالة الصّمت، أو الإبطاء والإسراع، أو الحركة والسّكون، وبما أنّ هذا «الانزياح الإيقاعي الخارجي والّذي هو العروضي فإنّه يشتمل على الرّكنين الأساسين المعروفين بالوزن والقافية» (عوض، 2018، صفحة 950)، وهذان

الرّكنان ينتجان شعرية مميّزة تريح نفس السّامع لها وتطرب سمعه، كما أنّها تُكسِب موسيقى الشّعر المزيد من العذوبة والجمال، و هناك في المقابل «انزياح الإيقاع الداخلي الصّوتي والّذي يعتمدُ على ما في النّص من قوافٍ داخلية، كالتّكرار، التّدوير، التّصريع، التّجنيس والتّصدير» (عوض، 2018، صفحة 950) ، وهذا لا يمنع تأسيس علاقة بين الإيقاع والمعنى لأنّ «الإيقاع الدّاخلي هو النّغم الّذي يجمع بين الألفاظ والصّور وبين وقع الكلام والحالة النّفسية للشّاعر إنّه مزاوجة بين المعنى والشّكل وبين الشّاعر والمتلقي» (قاسي، 2014، صفحة 129)، وهذا ما يتمظهر في ديوان عاشور فنّي (رجل من غبار) وإنْ كان لابد من الإشارة إلّا أنّ الانزياح الايقاعي الخارجي بمكوّناته لا يكون حاضرا بقوة خاصة ونحن نحلّل قصيدة من قصائد النّثر الجديدة وجدنا التّراكيب الآتية: «زبائِن، خائن، مدائن»، «ضِفَاف، كَفَاف، مَطَاف» (فني، 2003، صفحة 06) ، و»ضائعه، رائعه، فاجعه» (فني، 2003، صفحة 27) ذاكرة، آسرة، دائرة، آخرة» «قزحْ، فرحْ» «فاسدة، مائدة»، حيث أنّ كلّ هذه البنيات اللّغوية جاءت متجانسة وفق نمط صرفي خاص فـ: زبائن/خائن/مدائن أتت على وزن فعائل وفاعل، وضفاف/كفاف/مطاف أتت هي الأخرى على نمط صرفي ثابت (فَعال ومرة فِعال) هذا بغض النّظر عن التّفعيلة التي وضعت إزاءها في المقاطع، وهذه اللّغة المحمّلة بالأسرار تأخذنا رغما عنّا إلى عالم فسيح من التّوافق بين المفردات وصياغتها، وتوحي بالمزيد من الطّاقات الموسيقية المتجانسة، وبالمقدرة على والتّوصيل.

خاتمة

استطعنا من خلال هذه الدّراسة تسجيل أبرز النّقاط والتي نوجزها كالآتي:

- إنّ الانزياح في معناه السّهل هو الخروج عن المألوف، وهو مفهوم متشعّب ومتعدّد المشارب ويلتقي مع مصطلحات عديدة تقترب من نفس المعنى كالخرق، الكسر، المخالفة، الانتهاك، الاختلال ...، وهذا ما شكّل متاهة مصطلحاتية جعلت معظم النّقاد لا يتّفقون على مصطلح واضح بيّن سواء نقاد عرب أم غربيين.

- من فوائد الانزياح إمتاع القارئ، وشحذ ذهن المتلقي، وبه أيضا تتميّز اللّغة الشّعرية عن لغة الخطاب العادي، إذ يجعل منها لغة حيوية تنتقل من الوضوح إلى الغموض ومشحونة بتكثيفات دلالية تتطلّب قارئا متمرّسا في سبيل الوقوف على جماليات وتحديدات هذا الانزياح.

- انكبّت الدّراسات العربية المعاصرة على دراسة الانزياح في الأعمال الإبداعية الشّعرية، ونحن آثرنا اختيار ديوان الشّاعر عاشور فني واستجلاء مواطن الانزياح والتّراكيب الخارجة عن المألوف في ديوانه.

- إنّ ديوان -رجل من غبار- لعاشور فنّي يظهر مدى براعة الشّاعر، حيث يمتلك مقدرة فائقة على تغريب اللّغة والانزياحات العظيمة، بدءًا من العنوان إلى آخر مفردة فيه، فالمتلقّي يجد نفسه من خلال دلالاته النّصية وجها لوجه أمام لغة صادمة، حقّقت جماليتها الشّكلية والمعرفية والتّعبيرية، وخروجا عن قواعد اللّغة والمعتادة وخرقا لهذه القواعد.

- اِمتاز أسلوب عاشور فنّي بالتّفرد في الأداء والبناء اللّغوي، وهذا ما جعله يعتلي منصّة الشّعراء الجزائريين ذوي المواهب، ممّا يثبت بأنّ شعره يكتسب خاصية فريدة هو استعمال الشّاعر الخاص للغته واشتماله على أنواع الانزياحات كالانزياح الدّلالي والتّركيبي وحتى الإيقاعي، و هذه الإطلالة حاولنا من خلالها إثبات قيمة الانزياحات اللّغوية في الشّعر، وأنّ الشّعر العظيم لا يكون عظيما إلّا بها.

ومن التّوصيات:

أولا: أنّه يجب الإطلاع على دواوين شعراء جزائريين معاصرين بتأمّل ورويّة لاستنباط ما فيها من بلاغة وتراكيب فريدة، وكلّما بَحثْنَا أكثر وجدنا المزيد من الأفكار وكشفنا عن الغامض من الأسرار.

ثانيا: إلقاء الضّوء على دواوين وقصائد الشّاعر عاشور فنّي بما تحوي عليه من جماليات لغوية وفنّية مختلفة، ففيها من الفرادة والتّميز ما يروق السّامع ويُبهر المتلقي.

المراجع

1. القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.
2. أبو العدوس يوسف، الاستعارة في النّقد الأدبي الحديث، ط1، الأهلية للنّشر والتّوزيع، المملكة الأردنية ، عمان، 1997.
3. أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبية، ط1، مؤسّسة اليمامة الصحفية، الرّياض، 2003.
4. أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبية، ط1، مؤسّسة اليمامة الصحفية، الرّياض، 2003.
5. إيمان شعبان محمد عوض، الانزياح في شعر أبي نواس، المجلة العلمية، كلّية اللغة العربية، أسيوط، 2018، ع37.
6. تزفطان تودوروف، نظرية المنهج الشّكلي، نصوص الشّكلانيين الرّوس، تر: إبراهيم الخطيب، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1982.
7. توفيق الزّيدي، أثر اللّسانيات في النّقد العربي الحديث، الدّار العربية للكتاب، تونس، 1984.
8. التّهامي الرّاجي الهاشمي، معجم الدّلائلية، اللّسان العربي، ع24، 1985.
9. جابر عصفور، الصّورة الفنية في التّراث النّقدي والبلاغي عند العرب، ط3، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، 1992.
10. الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، مؤسسة الخانجي، القاهرة، د ت، د ط.
11. الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، صحّحه وضبطه: محمد رضا رشيد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1978.
12. الجرجاني، أسرار البلاغة، علّق عليه محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
13. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، المكتب الثّقافي لتحقيق الكتب إشراف علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، 1993مادة(زيح).
14. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج1، المكتب الثّقافي لتحقيق الكتب إشراف علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993.
15. جوزيف شريم، دليل الدّارسات الأسلوبية، المؤسسّة الجامعية للدّراسات، بيروت، 1984.
16. جون كوهن، بنية اللّغة الشّعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، ط1، دار توبقال للنّشر، الدر البيضاء، المغرب، 1986.
71. حسين خمري، شعرية الانزياح، ضمن كتاب سلطة النّص في ديوان البرزخ والسّكين، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2001.
18. حميد لحمداني، معايير تحليل الأسلوب، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، 1993.
19. خليل موسى، قراءات في الشّعر العربي الحديث والمعاصر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.
20. سعيد حسين بحيري، علم لغة النّص، الشّركة المصرية العالمية للنّشر، 1997.
21. سعيد علّوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات مكتبة الجامعية، الدّار البيضاء، 1984.
22. شكري عيّاد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم، الرّياض، 1982.
23. شكري مبخوت ورجاء بن سلامة، الشّعرية، دار توبقال، الدّار البيضاء، ط2، 1990.
24. صبيرة قاسي، عناصر بلاغية لدراسة الإيقاع الشّعري، مجلة معارف، جامعة البويرة، جوان 2014، ع14.
25. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992.
26. الطّاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتّاريخ والفلسفة، ط3، دار المعارف، 1987.
27. عاشور فنّي، رجل من غبار، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 2003.
28. عبد الرّحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنّها، دار العلم، دمشق، 1996.
29. عبد الرّحيم أبطي، الانزياح واللّغة الشّعرية، علامات، جدة، ج 54، م 14، ديسمبر 2004.
30. عبد السّلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ط3، الدّار العربية للكتاب، د ت.

31. عبد القادر فيدوح، شعرية الانزياح في الشّعر البحريني الحديث، مجلة البحرين الثّقافية، المنامة، ع 20، جوان1999.
32. عبد الله صولة، الأسلوبية الذاتية أو النشوئية، فصول نقدية، القاهرة، م5، ع1، 1984.
33. عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، دار المنتخب العربي، بيروت، 1994.
34. عدنان بن ذريل، اللّغة والأسلوب، ط2، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006.
35. عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشّعر الجزائري المعاصر(الشّعر وسياق المتغيّر الحضاري)، دار الهدى، عين مليلة، 2004.
36. قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.
37. كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
38. مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللّبناني، بيروت، 1995.
39. محمد عزّام، الأسلوبية منجها نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1989.
40. محمد عزّت جاد، نظرية المصطلح النّقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002.
41. محمد علي الشّراج، اللّباب في قواعد اللّغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللّغة والمثل،ط1، دمشق، 1982.
42. محمد عنّاني، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنّشر، 1996.
43. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري استراتيجية التّناص، ط3، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، 1992.
44. مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنّشر، بيروت، ط1، 2005.
45. المنصف عاشور، التّركيب عند ابن المقفع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
46. ميادة كامل إسبر، شعرية أبي تمام، منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، دمشق، 2011.
47. مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974.
48. محمد بنيس، ظاهرة الشّعر المعاصر في المغرب، دار العودة، بيروت، 1979.
49. محمد عبد المطّلب، البلاغة والأسلوبية، ط1، الشّركة المصرية العالمية للنّشر، 1994.
50. هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النّص، تر: محمد العمري، أفريقيا الشّرق، بيروت لبنان.
51. يمنى العيد، الآداب، س 42، ع8-9، 1994.
52. يوسف يحياوي، الجوانب التّركيبية للجملة العربية في ديواني محمد العيد آل خليفة وأحمد سحنون، منشورات مخبر الدّراسات اللّغوية في الجزائر،د ط، تيزي وزو، الجزائر، 2013.
53. Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, 1973.
54. Dictionnaire Encyclopédique Larousse, Paris, France 1997.

The poetry of the deviation in contemporary Algerian poetry, Dewan is a man of dust for Ashur Fenni-model

Abstract

The phenomenon of displacement in contemporary Algerian poetry is a remarkable feature of the look, in this regard, we are interrupted by the poems of the Algerian poet Ashour's art, 'Man of Dust', and what it contained from this aesthetic phenomenon, where the poet uses the artistic phrase in his poetry, it violates its system, it violates its pattern, where he takes in practice that she has to go from the standard to the standard in his expression, the receiving reader is attracted to him by this beautiful and beautiful displacement, and the taking phrase, In this context, this study monitors some of the manifestations and aesthetics of this displacement in our poet.

Keywords
displacement
perversion
Algerian poetry
Ashur Fenni
a man of dust

La Poésie de la déviation dans la poésie algérienne contemporaine, Dewan est un homme de poussière pour Ashur Fenni-modèle

Résumé

Le phénomène de déviation dans la poésie algérienne contemporaine est une caractéristique remarquable, a cet égard, nous sommes arrêtés par les poèmes du poète algérien Ashour Fenni dans ses poèmes : « un homme de poussière », et ce qu'il contenait dans ce phénomène esthétique, où le poète a utilisé l'expression artistique dans ses poèmes, Il a violé son système, Il casse son modèle, où il faut de la pratique pour passer du standard au non-standard dans son expression, le lecteur est attiré par cet exode remarquable et magnifique, et la prise et la phrase séduisante. Dans ce contexte, cette étude surveille certaines des manifestations et de la beauté de cette dépravation chez notre poète.

Mots clés
Écart
déviation
algérien poésie
Ashur Fenni
un homme de la poussière

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

طبيعة الاستهلال في رواية «حضرة الجنرال» لكمال قرور

The nature of the beginning in Kamal Karour's novel "Hazrat the General"

د. نجمة قرواز
Dr. Nedjma kerouaz
مخبر الدراسات الاجتماعية اللغوية والاجتماعية التعليمية
والاجتماعية الأدبية جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، الجزائر
n.kerouaz@univ-jijel.dz

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2019-07-24
تاريخ القبول 2024-02-20

الكلمات المفتاحية
الاستهلال الروائي
التأثير
القارئ
الحوارية الداخلية
الحوارية الخارجية

ملخص

يعد الاستهلال في الرواية من أهم العتبات التي يستخدمها الروائي للانتقال بالقارئ من العالم الواقعي إلى العالم التخييلي، لذلك نجده يراهن عليه كثيرا للتأثير في القارئ، وذلك من خلال عملية انتقاء دقيقة لنصوص أو عبارات مركزة ومشحونة، يرى بأنها كفيلة بممارسة الضغط على القارئ بغرض ضمان قراءة النص الروائي قراءة جيدة. ونظرا للأهمية الكبيرة للاستهلال في الرواية، تهدف هذه الورقة البحثية للكشف عن طبيعة الاستهلال في رواية «حضرة الجنرال» لكمال قرور، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما هو الاستهلال الروائي؟ وما هي أنواعه؟ وما هي أشكال الاستهلال في رواية «حضرة الجنرال»؟

مقدمة

لقد حظي الاستهلال بقسط كبير من الدراسات النقدية العربية القديمة، وبخاصة فيما يتعلق بالنصوص الشعرية، وذلك حينما تحدثوا عن حسن المطلع في القصيدة، حيث تفطنوا إلى مدى قيمة هذه العتبة في بناء القصائد التي نظمت من دون عناوين، وكأن هذا الأمر ضروري، وبالتالي كان لزاما على الشعر أن يتقيد به، كما أولته الدراسات الحديثة الغربية والعربية العناية الكبيرة سواء تعلق الأمر بالنصوص الشعرية أم النصوص النثرية، ولعل دراسات «جيرار جنيت» من أهم الدراسات الحديثة الرائدة في هذا المجال، حيث تحدث فيها عن العتبات النصية بمختلف أنواعها، فكانت دراساته الشاملة تلك بمثابة المنبه للباحثين للكتابة حول هذه القضية، ويعد البحث في مجال الاستهلال الروائي/ العتبات النصية الروائية من أهم المجالات التي نالت حظا وافرا من هذه الدراسات، حيث شملت العتبات النصية مختلف النصوص الموازية والمتعالية، وما ساعدها على ذلك كون الرواية حقلا فسيحا يستوعب مختلف الأجناس ويقبل الانفتاح والتجدد، وله القدرة على التفاعل، ويعتبر الاستهلال أحد المنافذ التي يحقق من خلالها النص الروائي هذا التفاعل، وعليه ستقوم هذه الدراسة بالتطرق إلى أشكال الاستهلال في رواية «حضرة الجنرال» للروائي كمال قرور، لما لهذه الأشكال من دور كبير في التأثير على المتلقي من جهة، والمساهمة في تحقيق الحوارية الداخلية والخارجية لها من جهة أخرى، ولكن قبل ذلك سنعرج أولا على ما يعنيه الاستهلال عموما، والاستهلال الروائي خصوصا.

1-في ماهية الاستهلال

لقد ورد في لساننا العربي لـ«ابن منظور» عن الاستهلال ما يأتي: «يقال استهلت السّماء وذلك في أول مطرها، ويقال: هو صوت وقعه، واستهل الصبي بالبكاء: رفع صوته وصاح عند الولادة، وكل شيء ارتفع صوته فقد استهل. والإهلال بالحج: رفع الصوت بالتلبية، وكل متكلم رفع صوته أو خفضه فقد أهلّ واستهلّ»(ابن منظور، 1984، ص701).

إن الملاحظ لهذا القول يستشف أن من معاني الاستهلال بداية الشيء، وذلك انطلاقا من أول مطر السماء، وأول بكاء الصبي عند الولادة على الرغم من وجود معاني أخرى من مثل: رفع الصوت عند التلبية أو الكلام، وحتى رفع الصوت عند التلبية يعني إعلان الحاج عن بدء تأديته لمناسك الحج، والأمر نفسه عن رؤية الهلال؛ لأنها تكون في بداية الشهر

الهجري، وعلى هذا الأساس أطلق على بداية الشهر، ومن هنا يمكن أن يدخل الاستهلال إلى الميدان الاصطلاحي باعتباره بداية الخطاب مكتوبا كان أو شفويا، شعرا كان أو نثرا، وهذا ما أكده»المدني» حين قال: «وكل من هذه المعاني مناسب للنقل منه إلى المعنى الاصطلاحي وإن خصه بعضهم بالنقل من المعنى الثاني وإنما سمي هذا النوع الاستهلال لأن المتكلم يُفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به»(أحمد مطلوب، 1989).

للاستهلال أهمية كبيرة، لذلك أولاه المتقدمون عناية بالغة حين تحدثوا عن براعة الاستهلال، وهو «أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه بيِّنة أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده، والكاتب أشد ضرورة إلى ذلك من غيره ليبني كلامه على نسق واحد دل عليه من أول وهلة علم بها مقصده»(أحمد مطلوب، 1983)، وهذا يعني أن للاستهلال علاقة وطيدة بما يليه من كلام، فهو الممهد لما بعده نظرا لما يحتويه من إشارات مركزة دالة على المعاني اللاحقة، لذلك اشترطوا فيه البراعة والتفوق لضمان معرفة مراد الناظم أو الناثر.

كما تحدثت المعاجم العربية المعاصرة أيضا عن الاستهلال وعن براعته بما يوافق رؤية القدامى، فقد ورد في «معجم اللغة العربية المعاصرة»: «حسن الابتداء، أن يقدم المتحدث أو الكاتب في ديباجة حديثة أو في أول موضوعه جملة من الألفاظ والعبارات، يمهد بها لموضوعه الأساسي»(أحمد مختار عمر، 2008)، وهنا أيضا نرى مدى ارتباط الاستهلال بما يليه وذلك عبر الإشارات التي يحتويها والتي تكون تمهيدا للموضوع من جهة، وجذب الانتباه من جهة أخرى.

كما أولى الدرس النقدي الغربي المعاصر أهمية عظمى لبداية العمل ونهايته في مختلف الأجناس الأدبية، وفي هذا الشأن يقول «رولان بارث»: «إنّ الافتتاح منطقة خطرة في الخطاب، فابتداء الخطاب فعل عسير، إنّه الخروج من الصمت... فدراسة مفتتحات السرد إذن هامة جدّا، وهذه الدراسة لم تحصل بعد..»(رولان بارث، 2001)، وفي هذا الصدد يصرح أنه كان يجد صعوبة كبيرة في إقناع طلبته بأن يختاروا كموضوع لأطروحاتهم دراسة الجمل الأولى من النصوص الروائية معتبرا هذا الموضوع موضوعا عظيما وطريفا في الآن نفسه(ينظر، عبد المالك أشهبون، 2013)، وهذا يعني أن للاستهلال أهمية كبيرة في الخطابات، على الرغم من أنه لم يلقَ الاهتمام اللازم من قبل الدارسين، لذلك كان يصر على إقناع طلبته باختيار أطروحاتهم في هذا المجال من الدراسات التي لم تستوف حقها بالنظر إلى أهميتها.

أما «جيرار جنيت» فقد أسهب في الحديث عن الاستهلال، وذلك إثر حديثه عن العتبات النصية، كما أنه قد وسع من مجال الاستهلال؛ حيث يرى أن الاستهلال هو كل ذلك الفضاء من النص الافتتاحي/Liminaire بدئيا Préliminaire كان، أو ختميا/ Post liminaire ، والذي يعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص، لاحقا به أو سابقا له، لهذا يكون الاستهلال البعدي أو الخاتمة (Post Face) مؤكدة لطبيعة الاستهلال، غير أن أكثر الاستهلالات دورانا واستعمالا نجد المقدمة/ المدخل (Introduction)، التمهيد (Avant-Propos)، الديباجة (Prologue)، توطئة (Avis)، حاشية (Note)، عرض/تقديم (Présentation)، مطلع (Prélude)، خطاب بدئي (Discours Préliminaire) وغيرها، وهناك ما يعرف بالاستهلال البعدي (Post Face) والذي يتمثل غالبا في الخاتمة، ويضم كل الملاحق (Annexe)، والذيول (Apres-Propos)، بعد القول/ أما بعد (Apres-dire)، الكتابة البعدية/ما بعد الكتابة (Post-scriptum)، ولكل هذه الاستهلالات والتذييلات خصائصها ووظائفها، خاصة الكتب ذات الطابع التعليمي، والتي تمتاز بوظيفتها البروتوكولية، والأكثر ظرفية بارتباطها بما يقوله النص(ينظر، عبد الحق بلعابد، 2008).

ويتخذ الاستهلال عند «جيرار جنيت» عدة أشكال، فهو من حيث موقعه نجده في بدايات النصوص، وفي بعض الأحيان نجده في نهاياتها أي في آخر أسطره، أما عن تاريخ ظهوره (Apparition) فيكون في أوّل طبعة للكتاب/النص، أما عن نظامه الشكلي (Statut Formel) فيتخذ نظام نصّه، أما إذا أتينا على نظامه الشكلي والنموذجي المتداول، فنجده يتخذ شكل الخطاب النثري (Un discoure en prose) في صيغ سردية أو درامية، كما يمكن أن يتخذ شكلا شعريا (Poétique)، وإذا نظرنا إلى حدوده وأطرافه فنجد المرسل، الذي هو الكاتب الحقيقي أو المفترض للنص والمرسل إليه وهو المتلقي أو القارئ الحقيقي أو المفترض، ومن ثم يتخذ الاستهلال موقعين مهمين يمكن الاختيار بينهما إما قبل البدء أو ما بعده (Pré-ou post liminaire)، ولكل خصائصه التي تبدي وظائفه، كما يمكن أن

يتموقع الاستهلال داخل الكتاب، وهو ما يعرف بالاستهلال الداخلي (Préfaces internes) والذي يتصدّر مباحث الكتاب ومداخله مبررا تقسيماته، أو أن يكون هذا الاستهلال مندرجا بين المباحث، يعمل كنص واصف وشارع للنص الأصلي، غير أن الاستهلال يمكن أن يحدث عليه تغيير بإعادة موقعه بفعل إعادة الطبع، فمثلا يمكن لاستهلال افتتاحي/بدئي أن يصبح استهلالا داخليا لمبحث من الكتاب، إلى غير ذلك مما تستدعيه الحاجة الطباعية، أو ما يقترحه الكاتب نفسه على الناشر(ينظر، المرجع نفسه، ص ص 114-115).

وعليه نجد أن «جيرار جنيت» قد تحدث عن الاستهلال في الكتب عموما ولم يختص بذلك نوعا منها، والرواية واحدة من هذه الكتب، إلا أن نظرته للاستهلال كانت واسعة شملت كل ما تقدم وما تأخر عن المتن في الكتب، لأنها غالبا ما تكون لها علاقة بما يحتويه المتن، إلا أنه يؤكد أن أكثر الاستهلالات انتشارا ما يكون في بداية النصوص.

كما قسم الاستهلال من حيث ارتباطه بالمستهل إلى قسمين: استهلال واقعي، واستهلال تخييلي، فالاستهلال الواقعي هو الذي يكون فيه المستهل شخصا واقعيا مثل كاتب العمل، ويسمى الاستهلال التأليفي (Préface auctorial)، أو من طرف أصدقاء الكاتب فيكون استهلالا حقيقيا(Préface authentique)، أما الاستهلال التخييلي(Préface fictive) فهو الذي تقوم به شخصية تخييلية يسند لها الكاتب وضع الاستهلال، ولقد وضع «جيرار جنيت» فارقا بين الاستهلال التخييلي والاستهلال المزيف (Préface apocryphe)، وكان مترددا نوعا ما في هذا التحديد، فالاستهلال التخييلي هو الذي ينسب وضعه لشخصية تخييلية في العمل مثل السارد، أما الاستهلال المزيف فهو الذي ينسب بالخطأ إلى شخص واقعي، ونظرا لأهمية الاستهلال وللوظائف التي يؤديها سعى «جنيت» لوضع نمذجة جديدة لوظائف الاستهلال، محددا أنماط المستهلين، ومركّزا بالأساس على الاستهلال الأصلي أو ما يعرف بالاستهلال التأليفي؛ أي استهلال المؤلف (P. auctorial) مع تحذيره من مغبّة التداخل الموجود بين وظائف الاستهلالات (الأصلي، اللاّحق، المتأخر)؛ لأن نظام الاستهلال خاضع لحركية الاستهلال نفسه،فرأى أن للاستهلال الأصلي وظيفة مركزية هي وظيفة ضمان القراءة الجيدة للنص (d'assure au texte une bonne lecture)، ويتضح من هذه الوظيفة شرطان: الأول يحمل الضمانة، أي حائز على قراءة (obtenir une lecture)، والثاني ضروري لكن غير كاف، بأن تكون هذه القراءة التي حاز عليها النص جيدة، وللاستهلال القدرة الإقناعية على قراءة الكتاب، وكأنه دعوة من المؤلف إلى القراء لقبول أسلوبه، أو قبول مهارته التركيبية، لأنّ الاستهلال مفتاح إجرائي وتوجيهي لتقييم الكتاب عامة وفهم النص وتقييمه من طرف القارئ على وجه الخصوص(ينظر، المرجع نفسه، ص ص 116-119).

لكن كيف سيتمكن الكاتب بواسطة الاستهلال من إقناع القارئ بقراءة محتوى الكتاب، وكذلك بقراءته قراءة جيدة؟ كل ذلك يعود إلى طبيعة الاستهلال، ومدى تعبئته وتركيزه، واحتوائه على تراكيب مشحونة تمارس الضغط على القارئ. وعليه يمكن القول أن «جيرار جنيت» من الباحثين الذين فصلوا كثيرا في قضية الاستهلال، وذلك بالنظر إلى ما تناوله عنه من حيث مفهومه، وموقعه، وأشكاله وأنواعه، ووظائفه، إلا أن ما يعطي المكانة العظيمة للاستهلال ليست الأنواع وإنما الوظيفة التأثيرية الإقناعية لمواصلة القراءة، لكونه أول ما يفتتح به المتلقي الخطاب، سواء كان هذا الخطاب مسموعا أو مكتوبا، وعليه فإن الاستهلال الحقيقي هو ما يكون في البداية، هذا بالنسبة للاستهلال عموما، فماذا عن الاستهلال الروائي؟

2–مفهومالاستهلال الروائي

لقد تعددت تسميات «البداية» الروائية لدى النقاد العرب بتعدد وجهات نظرهم في الموضوع؛ ف»رشيد بنحدو» يفضل توظيف تسمية «المطلع»، في حين يؤثر «ياسين النصير» و»عبد العالي بوطيب» استعمال لفظة «الاستهلال»، أما «جليلة الطريطر» فتسمي البداية «فاتحة»، بينما أجمع باقي النقاد على مصطلح «البداية» ونذكر منهم: «صبري حافظ»، و»شعيب حليفي» و»صدوق نور الدين»(ينظر، عبد المالك أشهبون، المرجع السابق، ص 28)، لكننا في دراستنا هذه سنعتمد مصطلح «الاستهلال» نظرا لامتداد جذوره في تراثنا العربي الأصيل.

يعد الاستهلال من الوسائل (الآليات) الفنية التي يستخدمها المؤلف للانتقال بالقارئ من خارج النص إلى داخله، أي من العالم الواقعي إلى العالم المتخيل، وبالتالي عليه إيلاء الاهتمام الكافي لصياغته صياغة جيدة أو لانتقاء نصوصه انتقاء صائبا، لأنّ الروائي يراهن على أمر ما يريد إيصاله إلى

المتلقي، أو يراهن على التأثير فيه، لذلك فهو يختار طريقة ما ينظم بها الأحداث في بداية روايته، وهذه الطريقة هي ما يسمى بالبرهان (Enjeu)، وذلك من منطلق ما يراهن عليه الروائي وهو يستحضر صورة القارئ المفترض، فطريقة الكتابة هي التي توجه حبكة الرواية نحو وجهة ما لكونها تبحث دائما عن أثر تخلفه لدى المتلقي(ينظر، المرجع نفسه، ص 28)، لذلك فإن الرهانات الفنية للبداية الروائية متعددة ومعقدة في الآن ذاته ويمكن تلخيص خطوطها العريضة فيما يأتي(ينظر، المرجع نفسه، ص ص 30-32):

- افتتاح النص (Commencer le texte)، ومن هنا تكتسي الجملة الأولى باعتبارها النواة (Phrase-noyau) وموقع الانطلاق في المحكى الروائي أهمية مزدوجة، فهي تمثل جسرا نصيا يتم فيه الانتقال ذهنيا من عالم الأشياء إلى عالم الكلمات، وغالبا ما يترافق هذا الانتقال لدى القارئ بإحساس غامض من مغبة الإقدام على ولوج عالم النص، هذا التردد والحيرة قد تثني القارئ عن مواصلة القراءة قبل الأوان، والسبب في تلك الحيرة يرجع إلى أن القارئ لحظة بداية اقتحامه للنص يكون مشدوها إلى عالم حياته اليومية، وأن مبارحته له باعتباره تخطيا لهوية وجودية حقيقية لن يكون إجراء عاديا ولا بسيطا من جهة ثانية.

- جذب اهتمام القارئ (Intéresser le lecteur)، وذلك بتحفيز وتنشيط رغبة القراءة لديه، ويتجسّد هذا الرهان بالدرجة الأولى في الوظيفة الإغرائية (F. Séduction)، ذلك أن نظير هذه البداية تسعى بكل إمكاناتها الفنية لوضع قارئها في حالة ترقب قصوى في انتظار ما سيحدث، بحيث تحثه البداية (الاستهلال) على الانغماس في تتبع التفاصيل لمعرفة ما يثوي خلف سطوره من أحداث ووقائع، وعليه فإن جذب القارئ وجعله أسير النص يعتبر إستراتيجية حاسمة من استراتيجيات البداية، ذلك أن عنصر البداية يعتبر عنصرا جارفا للقراء لمعرفة ما سيقع لإشباع فضولهم، بيد أن العنصر الإغرائي يكون متنوعا؛ عجائبيا أو استهاميا أو غريبا...

- وضع الخيال على مسرح الأحداث (Mettre en scène la fiction)، وبالتالي بناء عالم الخيال من خلال الإحالات المتنوعة المقتضبة، التي يمكن اعتبارها معالم أساسية يتعرّف عليها القارئ، الذي يشرع في الدخول إلى هذه الأفضية المجهولة في بداية عالم الرواية، وتجدر الاشارة إلى أن تلك الإحالات عادة ما تختلط في بدايات التخييل السردي لتتزاوج بين ما هو واقعي وما هو متخيّل، وعليه فالقارئ الذي بدأ رحلة القراءة بالفعل لا يدري أين يوجد، هل هو في العالم الواقعي أم العالم الخيالي؟ وشيئا فشيئا ومن خلال بعض الإحالات المرجعية يتعرّف هذا القارئ على الخطوط العريضة لمسرح الأحداث، وينتقل بواسطتها من عالم الخيال إلى العالم الواقعي وهكذا دواليك.

- تحريك القصة (Mettre en scène) والشروع في إضفاء الحركية على الأحداث التي تبدو وكأنها تتحرّك بارتفاع متثاقل وبطيء، هذا الرهان بالضبط تضطلع به عادة البداية من الصّنف السردي التي تبدأ بإشارة مكانية دقيقة، أو زمنية محددة، أو بتقديم الشخصية من خلال مقاطع الوصف التي تضم مجموعة من المواصفات (الجسدية، والنفسية، والطبقية...).

أما على مستوى القراءة فإنه لا مناص للروائي- وهو يفكر في بداية الرواية ونهايتها- من استحضار القارئ المفترض الذي سيتواصل ويتفاعل معه؛ إذ أن هناك أكثر من إمكانية لاجتلاب القراء أو تنفيرهم، سواء من خلال سحر البداية التي تنصب أحابيلها وفخخها منذ الوهلة الأولى لكل راغب في الاطلاع على هذه الرواية أو تلك، أو بواسطة النهاية الروائية التي تستجيب لأفق الانتظار أو تخيّبه، وذلك ما ذهب إليه القدماء حين اعتبروا أنّ «حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح، ولطافة الخروج إلى المديح سبب ارتياح الممدوح، وخاتمة الكلام أبقى في السمع، وألصق بالنفس، لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح، والأعمال بخواتمها»(ينظر، المرجع نفسه، ص ص 7-8).

3-أنواع الاستهلال الروائي

إن ما يميز الاستهلال في الفن الروائي هو السعة والتنوع، حيث أنه قد يشمل الفصل الأول، ذلك لأنه قد يضع أهم لبنات العالم الروائي، التي يتم التفصيل فيها، ويعد الباحث «ياسين النصير» من أهم الذين فصّلوا في الاستهلال عموما والاستهلال الروائي على وجه الخصوص، وقد ذكر أنواعا عدة للاستهلال الروائي وهي:

3-1-الاستهلال الروائي الموسع

في هذا النوع من الاستهلال يقدم الراوي كل الشخصيات التي ستأخذ دورها لاحقا في الرواية، إلاّ الشخصيات الثانوية التي

تظهر ملحقة بالشخصيات الأساسية، وفي الاستهلال لا يظهر إلا صوت الراوي حتى ولو كانت الشخوص هي المتكلمة، وقيمة الاستهلال تكمن في أنّ الروائي يبتدئ بتقديم العالم الخاص بحركة وأفكار ومسارات الشخوص، إنه يولّد فكرة البيضة المخصبة التي ستنضج خلال السرد اللاحق، وعليه أن يراقب من الداخل خصائص كل جزء فيه، وهكذا يعرّفنا الاستهلال على الزمن الخارجي للرواية، وعلى المكان وعلى نوعية الأحداث المركزية التي ستجري لاحقا، كل ذلك بصورة مكثفة ومركزة، وعليه فالاستهلال هو حضانة لأفكار وبنى الفصول اللاّحقة، لذلك يعد الاستهلال من أصعب الصفحات في أي عمل فنّي يراد له أن يكون جيّدا، ويتطلب بناؤه عناية خاصة، كما أن الميزة الجوهرية لهذا النوع من الاستهلال الروائي هي أنه لا يكتفي بحجم الفصل الذي يحتويه، بل يمتد على شكل خيوط متشعبة إلى مداخل الفصول الأخرى(ينظر، ياسين النصير، المرجع السابق، ص 147)، وبالتالي يحتل هذا النوع من الاستهلال مساحة كبيرة من الرواية مقارنة بأنواع الاستهلال الأخرى.

3–2–الاستهلال الروائي متعدد الأصوات

ويخص هذا اللّون من الاستهلالات الأعمال الروائية التي تتوازى فيها الشخصيات أو الأحداث فتصبح روايتها هي الكيفية البنائية لها، كل شخصية تروي كل الأحداث من وجهة نظرها، كما يصحب هذا الاستهلال الأعمال الروائية التي تتعدد محاورها الفكرية عندما يصبح التداخل بين الخطوط الفكرية تعددا لمستويات القص ومستويات الزمان والمكان، فيأتي الماضي ليتداخل مع الحاضر ويتقاطع معه، كما يصبح هذا الاستهلال لروايات الحقب التاريخية حيث تداخلتها تنوعات الفن القصصي وكشوفات متعددة لزوايا الرؤية فمثل هذه الروايات مطالبة أن تقدّم للقارئ من خلال استهلالها مختصرا عن محاورها الكلية، وعن العمق النفسي والاجتماعي لأبطالها والتواريخ المتداخلة والمتناقضة في لحمة السياق الفنيّ، بيد أن الأساس الجوهري في مثل هذا اللّون من الروايات هو الكاتب نفسه، فإذا كانت الرواية حقيقية وقف الكاتب خارج إطارها العام وجعل الشخوص والأحداث تسرد ذاتها من خلال حجم المعلومات المتوفرة لديه، أما إذا كانت الرواية حقيقية في زمن الحاضر يكون الروائي أحد أبطالها فتقل حياديته، ويظهر كما لو كان العلم بكل تفاصيلها وقد تحمل شخوصها سمة خصوصية استقلالية داخلية إلا أنها خاضعة لقوة وسلطان المؤلف المشارك، كما أنّ البنية الأساس لهذا اللّون من الاستهلال لا تختص بالفصل الأول فقط، بل تكون موزعة على الفصول التي تبتدئ بها الأحداث أو الشخوص، فما دام بيت الرواية موزعا إلى أحداث، وشخوصه متكافئة أيضا وتنتمي إلى محور مركزي واحد يجمع الأحداث والشخوص، فالاستهلال لا يظهر دفعة متكاملا، بل يتجزّأ على فصول الرواية وإن كان الفصل الأول منها له حصة الأسد، وأن البنية العامة لهذا النوع من الاستهلال ليست إلاّ بنية الاستهلال الموسع وقد جرى تشتيتها وتوزيعها على فصول الرواية، وبذلك فقدت صفة البنية الداخلية الخاصة بالاستهلال الموسع، وحافظت على البنية العامة باعتبارها حاملة لنوى العمل(ينظر، المرجع نفسه، ص ص 149-150).

3–3–الاستهلال الروائي محوري البنية

ويتحدّد معنى هذا اللّون من الاستهلال بأنه ثمة فكرة أو محورا واحدا يتكرّر داخل الصفحات الأولى من العمل، فهو أما أن يكون حال معيّنة، أو مكان، أو موقف، أو زمن ما، ويتضمن الاستهلال إشارة مركزّة وقوية لهذه البنية المحورية، ثم تتكرّر في مقاطع عدة من الرواية، تتعدى مفاصل الرواية وتمدها بتصورات كلية لاحقة، وغالبا ما يحيط الغموض والإبهام، والتعمية المقصودة، هذه البنية المحورية كجزء من زيادة التأكيد عليها، والروائي المتمرس لا يفصح في الفصول الأولى بالكثير عن جوانب هذه البنية، وإنّما يقدم أجزاء منها بالتتابع معتمدا البعدين المكاني والتاريخي، وغالبا ما تكون هذه البنية محلية التكوين، أو من الأفكار العامة التي عندما يجري التعامل معها يجد الروائي أن الكثيرين منا قد اشتركوا في صياغتها أو على معرفة واضحة بها، ولم يقف الاستهلال عند تأكيد هذه البنية في نقطة مركزّة أو جملة واضحة وإنما في محاولة اقتناص لحظة تاريخية مهمة تمر بها هذه البنية، وتكمن قيمة هذا اللّون من الاستهلالات في بعدها الاجتماعي والنفسي، فعلى الصعيد الاجتماعي غالبا ما تكون موضوعات الروايات ذات بعد تاريخي صنعته أيادي شعوب وعاملين توارثوا العمل والبناء فيه، فخلقوا تاريخية المكان من خلال شواهد وآثار ومخلفات وعلى هذا الصعيد تختفي الفردية والآنية، ويبرز بدلا منها الممارس الفعال والجماعي، وهذا لا يعني ضياع الأفراد المهرة وأصحاب القرارات وإنما

يتم حضورهم من خلال البعد الجماعي للصياغة والفعل العامين(ينظر، المرجع نفسه، ص 144).

3-4-الاستهلال الروائي الحديث

ويعني هذا النوع من الاستهلالات تلك التي رافقت موجة التحديث في الرواية، فرواية الواقعية السحرية في أدب أمريكا اللاتينية مثلا تعتمد العمق الميثولوجي للشعب، والحكاية الأسطورية وقد أضفت عليها سمة المعاصرة، والرواية الواقعية الاشتراكية مثلا تعتمد قوة الفعل الإنساني المعاصر، مستثمرة الإرث الروحي والمادي لحياة الشعب العامل وهو ينشئ كيانه الاجتماعي الفكري، معمقة إنجازاتها برؤية شاملة للعالم، والرواية الحديثة في أوروبا تعتمد قوة الأشياء كجزء من مخيّلة كاتب فقد الإيمان بالإنسان وبلغات العصر، وكإفراز واقعي لضخامة الحضور التكنولوجي في حياة المجتمعات بحيث بدت الرغبات الصغيرة مغرية أمام الإنتاج السلعي الاستهلاكي وتعتمد الرواية الحديثة العربية خاصة، على إمكانية حركة الواقع السياسي والاجتماعي مستثمرة الإرث الأدبي الحكائي منه والموروث اللّغوي والتراث وقد أشبعت بمناخ رمزي واقعي، ومن مقومات الاستهلال في الرواية الحديثة : قوة الأشياء وحضورها الفاعل، والعمق الميثولوجي للشعب، البعد الأسطوري للحياة المعاصرة، والشاعرية الغامضة في الأسلوب، ووحدة الزمن الإنساني، واعتماد الحس التطوري في صياغة مشروعات الغد، والرؤيا الشاملة للعالم، العمق الرمزي والكثافة الواقعية، حيث تعكس طبيعة هذه الاستهلالات تعقيدات العصر وتنوع ثقافاته والإمكانات الهائلة التي وفرتها حركة الشعوب الناهضة والطرق النضالية للطبقات الاجتماعية المختلفة وهي تجد نفسها في خضم حرب هائلة وغير معلنة، ذلك أن حركة الواقع العالمي تفرض سماتها وخصائصها على الأبعاد المحلية فتجد صوتك اليومي البسيط وقد حمل انعكاسات تلك الحركة ودلالاتها، وعبثا حصر النفس في زاوية معينة فأحداث العالم وحركة الواقع السريعة تفرض ثقلها الشامل على كل أبعاد الحياة المعاصرة(ينظر، المرجع نفسه، ص ص 157 158).

بعد إلقاء الضوء على مفهوم الاستهلال عند العرب والغربيين، والتطرق لأهم أشكاله وأنواعه عموما وأنواعه في النص السردي الروائي على وجه الخصوص، وعرفنا أهم وظائفه سنعرج الآن إلى بيان طبيعة الاستهلال في رواية «حضرة الجنرال» لكمال قرور، وعليه فما هي أنواع الاستهلال في هذه الرواية؟

4-أشكال الاستهلال في رواية «حضرة الجنرال» لكمال قرور

إن المُطَّلِع على الرواية يميز ثلاثة أنواع للاستهلال وهي: الاستهلال البدئي، والاستهلال المقطعي، والاستهلال الموسع، إلا أن المتأمل في هذه الاستهلالات يجدها تتميز بالحوارية وتعددية الأصوات، ذلك أن مضمون الاستهلالات الواردة في بداية الرواية يحمل أفكارا وأحداثا تحاور مضمون الرواية ككل، وأن الاستهلالات المتموضعة في بداية المقاطع تحاور مضمون تلك المقاطع، كما تتسم هذه الاستهلالات بالتنوع لكونها منسوبة لعدة شخصيات آتية من أزمنة مختلفة، ونابعة من أوساط متباينة، لذلك فإننا نسمع من خلالها أصواتا مختلفة، وإن كانت تدور حول فكرة واحدة.

4-1-الاستهلال البدئي

إن أول ما تقع عليه عين القارئ عند فتح الرواية وبالضبط بعد الصفحة التعريفية بالرواية، هي مجموعة من المقاطع تعود لأقوال بعض الفلاسفة والكتاب المشهورين عَبر التاريخ، الذين تميزوا بنظرتهم الثاقبة للأمور والأوضاع، فكانت أقوالهم تحمل دلالات وعِبر عميقة كأنها حكم.

كان المقطع الأول من الاستهلال البدئي للفيلسوف اليوناني «أفلاطون»(427ق م - 347 ق م) الذي يقول فيه: «إذا انحرفت الأرستقراطية وتحول أبناؤها إلى إيثار الثروة على الشرف تحولت إلى الأوليغارشية oligarchie (حكم القلة) التي لبابها جعل الثروة أساس الجدارة وهو إثم فظيع»(كمال قرور، 2015).

ويعود المقطع الثاني للفيلسوف اليوناني «أرسطو»(384 ق م – 322 ق م) أحد تلامذة أفلاطون الذي يقول فيه: «الأرستقراطية حكومة الأقلية الفاضلة العادلة، إلا أن الأوليغارشيا فساد طبيعي لها»(المصدر نفسه، ص 5).

أما المقطع الثالث فيعود للكاتب الفارسي العربي المسلم «ابن المقفع» (724م- 759م) الذي قال فيه: «وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر»(المصدر نفسه، ص 5).

إن المتأمل في هذه الأقوال التي استهل بها الكاتب روايته يجد أنها أصوات قادمة من عصرين مختلفين؛ عصر ما قبل التاريخ،

والعصر الأموي والعباسي، ولكن على الرغم من الاختلاف في العصر، نلاحظ أن هؤلاء الفلاسفة والكتاب قد تحدثوا عن القضية نفسها وهي قضية الحكم الأوليغارشي، وهو الحكم الذي تستحوذ عليه الأقلية التي تكون السلطة بيدها، سواء أكانت هذه السلطة عسكرية أو مالية، وهذه الفئة تمجد المال على الشرف، وتحاول الحصول عليه بشتى الطرق دون إعطاء أي اعتبار للمبادئ والأخلاق، وهذا الأمر له علاقة كبيرة بمضمون الرواية، الذي يتحدث عن شخصية «ذياب الزغبي» أحد فرسان بني زغبة، حيث ناضل كثيرا من أجل الحصول على المال والسلطة بمختلف السبل؛ وذلك عندما تعرض للتهميش من بني عمومته الهلاليين (الجازية، وحسن بن سرحان، وأبي زيد) الذين نفوه إلى «وادي الغباين» لرعاية القطيع بدلا من البقاء معهم للدفاع عن القبيلة من الأعداء، وبحكم أنه كان من أقوى الفرسان المعول عليهم في الحروب، فعندما أحس بالظلم أقسم على أن يكون هو الحاكم الوحيد الأعظم ولا حاكم عليه، ولا من بعده، وأن يكون باقي الحكام في قبضته، وهذا بالفعل ما تحقق، ففي الوقت الذي عجز فيه الهلاليون عن قتل «الزناتي خليفة» والاستحواذ على تونس تمكن هو من قتله، واستولى عليها وشكل إمبراطورية عظيمة أساسها القوة والطغيان، خضعت لها الخلائق كلها، فأصبح الناس جميعهم يهابونه ويحسبون ألف حساب قبل فعل أي شيء، بل صاروا ينادون بحياته فقط من فرط خوفهم من بطشه وجبروته، وعلى هذا الأساس استبد بالحكم لمدة قرن كامل دون بروز أي نوع من المعارضة، حتى سئم من الوضع الروتيني وخرج باحثا بين شعبه عن المعارضة لكن دون جدوى، حتى الشخصية الكرتونية «ميكي ماوس» التي أغراها بالكثير من أجل لعب دور المعارضة قد رفضت هذا الدور المخزي، وقررت أن تضع حدا لحياتها في حالة إرغامها على ذلك.

وعلى هذا الأساس انتقل الحكم من القادة الهلاليين الأرستقراطيين إلى القائد الزغبي حضرة الجنرال «ذياب الزغبي» الأوليغارشي، الذي صاحب حكمه دمارا واسعا وشاملا لمدة طويلة، وطمع أن يزيد لولا ظهور «الجازية» قائدة اليتامى الهلاليين الذين اتقدوا انتقاما من أجل الثأر لآبائهم الذين لقوا مصرعهم على يده، وعليه يمكن القول أن تلك المقاطع الاستهلالية تحمل بين طياتها النويات الصغيرة لمتن الرواية، وهي بمثابة إشارات وممهدات تساهم في تحضير القارئ لتلقي المضمون الروائي، وتحفزه على مواصلة القراءة. هذا بالنسبة للاستهلال البدئي للرواية، فماذا عن الاستهلال المقطعي؟

4-2-الاستهلال المقطعي

لم يكتف الروائي بالتمهيد لروايته عن طريق الاستهلال البدئي، بل قد جعل لبعض المقاطع استهلالات خاصة بها، ولعل هذا الأمر له من الأهمية بمكان للتشجيع على مواصلة القراءة، ففي الوقت الذي ربما يشعر فيه القارئ بالتعب أو الملل الذي قد يثنيه عن القراءة، يجد أمامه محفزا جديدا يجذبه لمعرفة أغوار المقطع التالي.

من المقاطع التي تصدرت بنصوص استهلالية بالإضافة إلى العنوان، نجد المقطع الأول، والثاني، والحادي عشر، والثالث عشر.

لقد استهل المقطع الأول بنص للكاتب الفيلسوف والمحامي الفرنسي «أتين دي لابويسي» (1530م- 1562م)، هذا الصوت القادم من عصر النهضة، حيث اقتطف من مقال له موسوم بـ«مقال في العبودية المختارة» يقول فيه: «... أي قوة والطاغية واحد بينما محتملوه على كره بالملايين؟ أنقول إنه الجبن؟ قد يخشى اثنان واحد وقد يخشاه عشرة... أما ألف مدينة! إن هي لم تنهض دفاعا عن نفسها في وجه واحد فما هذا الجبن، لأن الجبن لم يذهب إلى هذا المدى كما أن الشجاعة لا تعني أن يتسلق امرؤ وحده حصنا أو أن يهاجم جيشا أو يغزو مملكة. فأي مسخ من مسوخ الرذيلة هذا الذي لا يستحق حتى اسم الجبن ولا يجد كلمة تكفي قبحه والذي تنكر الطبيعة صنعه وتأبى اللغة تسميته...»(المصدر نفسه، ص 6).

فمن خلال هذا القول يكتشف القارئ أن هناك طاغية واحدا قد استبد ملايين الناس وخشيته ألف مدينة، فوصفوا إثرها بالجبن نتيجة لرضوخهم وانقيادهم، وهذا الأمر يدعو للدهشة والاستغراب، فكيف لشخص واحد أن يستطيع فعل هذا؟!لكن عند الولوج إلى متن المقطع نجد بالفعل أن هناك شخصية قد تمكنت من فعل ذلك وهي شخصية «ذياب الزغبي» الذي حكم الملايين من الناس، وبث فيهم الرعب دون أن يرفع رأسه واحد منهم، كأنهم قطيع من الأغنام همه الوحيد الأكل والشرب والنوم لا غير حتى سماهم بـ«قطيع الغاشي».

أما المقطع الثاني فقد استهل بالعنوان الآتي: «يتامى الحقد

السياسي على باب القصر الإمبراطهوري»، بالإضافة إلى هذا المقطع المقتطف من قصيدة الشاعر الجزائري «عادل صياد» الموسوم بـ: «أنا لست بخير»، الذي يقول:

«أما لست بخير
كنت أظن بأن الأرض ستحفظ من كان عليها
وأن الحاكم يحكم بالعدل
وأن الوقت سيحتاج لبعض الوقت فقط
كان يقيني في غير محله»(المصدر نفسه، ص 15).

فمن خلال العنوان يتضح أن أبناء يتامى الهلاليين الذين لقوا حتفهم على يد «ذياب الزغبي»، قد كبروا، وصاروا أقوياء حتى يتجرؤوا على اقتحام قصر الإمبراطور الذي يهابه الجميع ويرتعدون لسماع اسمه، كما أن بدء المقطع الثاني بهذا المقتطف الشعري يؤكد ما جاء في العنوان، إذ يشير إلى أن هناك خيبة أمل كبيرة - مثلما كانت خيبة أمل الشاعر «عادل صياد» من الأوضاع السيئة الراهنة للبلاد العربية عموما والجزائر خصوصا- قد أصابت «ذياب الزغبي»، فبعدما حكم قرنا كاملا، وبعدما ظن أنه ثابت في الحكم غير مزحزح عنه، يأتي اليتامى الهلاليون بقيادة «الجازية» ويضربونه ضربة رجل واحد أصبح بعدها متهالكا جليس كرسي متحرك ينتظر أجله .

أما المقطع الحادي عشر فقد استهله بهذا العنوان: «لن تستقيم السلطة إلا بتصفية آخر الخصوم»، بالإضافة إلى مقتطف من «مقال في العبودية المختارة» لـ«دي لا بويسي» الذي يقول: «ما هذا ياربي؟ كيف نسمي ذلك؟ أي تعس هذا؟ أي رذيلة بالأصدق أي رذيلة تعسة؟ أن نرى عددا لا حصر له من الناس لا أقول يطيعون بل يخدمون، ولا أقول يُحكمون بل يُستبد بهم، لا ملك لهم ولا نساء ولا أطفال بل حياتهم نفسها ليست لهم! أن نراهم يحتملون السلب والنهب وضروب القسوة لا من جيش ولا من عسكر أجنبي.. بل من واحد لا هو هرقل ولا شمشون..» (المصدر نفسه، ص 161).

فالعنوان يوحي بأن هناك عملية قتل مزمع عليها بسبق الإصرار والترصد لإزاحة جميع الخصوم حتى آخر واحد منهم، من أجل أن تكون السلطة بأتم معنى الكلمة، لا يهددها أي خطر، وهذا بالفعل ما يوجد بمتن المقطع الحادي عشر فبعدما قتل «ذياب الزغبي» زعيمَ الهلاليين «حسن بن سرحان» وقضى خمس سنوات منفيا في الحبشة فارّا من جيش «حسن»، قرر العودة لتصفية بقية الخصوم؛ «أبي زيد» و«الجازية»، على الرغم من أن الأول كان صديقه المقرب وشريكه في الحروب، والثانية كانت ولا زالت حبه الأول الذي طالما حلم بالظفر به، إلا أن تحالفهما و«حسن بن سرحان» وموافقتهما على عزله من قبل بوادي الغباين لحماية القطيع كراع بدلا من حماية القبيلة كفارس، أجج في قلبه نار الانتقام لشرفه المنتهك، فقام إثرها بقتل صديقه المقرب -الذي سهل له العودة إلى الديار- بعدما استدرجه إلى رحلة صيد، ثم قام بالتنكيل بجثته أمام الناس، وبعدها استولى على القصر الإمبراطوري، وأعلن نفسه حاكما، وجنرالا، ورئيسا لكل المراتب الحكومية.

أما النص الاستهلالي لهذا المقطع فيحتوي على نويات تشير إلى حالة الرضوخ والاستسلام للأمر الواقع التي كانت تخيم على الناس داخل الإمبراطورية، فبعدما رأوا ما فعله بـ«أبي زيد»، وبعدما بين لهم عاقبة من يخرج عن طاعته، أخرست ألسنتهم، وصفدت أيديهم، وخضعت قلوبهم لهذا الجنرال الطاغي، فلم يحتجوا على القرارات التي أقرها، ولا على الدستور الذي سنّه وجعله في كتاب سماه بـ«الكتاب الأبيض»، والذي جعل جميع السلطة بيده في كل الشؤون والمجالات.

واستهل المقطع الثالث عشر بعنوان: «الزنديق ابن المقفع والدكتور عاشور فني والبروفيسور بوطاجين والروائي الموريسكي خوان خويتيصلو يفسدون مشروع الاستمرارية ويحبطون عرس التوريث»، بالإضافة إلى هذا القطعة الشعري للشاعر «ناصر معماش» التي تقول:

«ماذا سنفعل بالرعية إن بدا
-منها الردى، أو كثرة التفكير؟
أو قام فيها قائم متحمل
عبء الحقيقة، يبتغي تكسيري؟»(المصدر نفسه، ص 203)

فمن العنوان يتضح وجود معارضة على استمرارية الحكم أو توريثه للأبناء، أما المقطع الشعري فيشير إلى انبثاق معارضة كلفت نفسها بحمل عبء المسؤولية الكبيرة على عاتقها، وهذا فعلا ما يتضمنه متن هذا المقطع الروائي، فالكاتب «ابن المقفع» والدكتور «عاشور فني» و«البروفيسور بوطاجين» والروائي الموريسكي «خوان خويتيصلو» قد عرضوا كتابة سيرته بطريقة ساخرة؛ فالأول اقترح أن يكتبها على لسان بغل أحول، والثاني على لسان حشرة عمياء، والثالث قال له: من أنت؟...، وكتابة سيرته بالكيفية التي اقترحوها لا تساعد على استمراريته في الحكم، كما لا تساعد على توريث الحكم لابنه،

لذلك كان أكبر شيء يخاف منه هو سماع كلمة مثقف؛ لأن هذه الكلمة تهدد مكانته، لاعتقاده أن أقوى الضربات الموجهة للديكتاتوريات الأوليغارشية وأكثرها إيلاما تأتي دائما من المثقفين، لذلك نجد المقطع الاستهلالي لهذا المقطع الروائي يشير إلى الأمر نفسه، وهو ظهور فئة من الرعية تحمل على عاتقها مسؤولية الوقوف في وجه الطغيان ومحاولة قطع أوصاله وهي فئة المثقفين.

وقد استهل المقطع الرابع عشر بهذا العنوان: «ربيع «الإمبراطهورية».. اليتامى «الثوارجية».. رأس الحية» متبوع بمقطع للكاتب الفيلسوف «دي لابويسي» يقول فيه: «... كذلك هي حال الطغاة، فكلما نهبوا وكلما ازداد الإغداق عليهم، تشتد سطوتهم.. أما إن لم يعطوا شيئا، ولم تقدم لهم عروض الطاعة، فإنهم، ومن غير قتال أو توجيه ضربات، سيلبثون مجردين مسحوقين ولا يبقى لهم من كيان، فحالهم كحال الغصن حين تنقطع عنه العصارة التي تغذيه من جذوره، فيجف ويموت»(المصدر نفسه، ص 208).

يتضح من العنوان أن الإمبراطورية ستشهد تغيرا إلى الأحسن، كما يبدو أيضا أن اليتامى قد ثاروا على الحاكم، وأن هناك من يقودهم وقد شبه بمثابة الرأس للحية، وحقيقةً، هذا ما يتضمنه المقطع، فقد ثار اليتامى الهلاليون بقيادة «الجازية» على الحاكم «ذياب الزغبي»، والمقطع الاستهلالي يؤكد ذلك، فقد خرجت «الجازية» واليتامى عن طاعة الحاكم وأعلنوا التمرد عليه؛ ورفضوا مبايعته لعهدة أخرى تسمح له بالحكم لقرن آخر، وقد فروا من الإمبراطورية واحتموا ب»شمشون» سلطان الجمهورية المتاخمة لإمبراطورية «ذياب»، ثم استجمعوا قواهم واستعدوا للهجوم على «ذياب الزغبي» في إمبراطوريته، لكنه تمكن من قتل «الجازية» بالرصاصة الوحيدة التي ادخرها لفترة طويلة، أما هو فقد اخترقت جسده سيوف اليتامى الهلاليين.

أما بقية المقاطع فقد استهلت بعناوين فقط، كل عنوان يحتوي على إشارات إلى مضمون ذلك المقطع، فمثلا المقطع الثالث معنون ب»وادي الغباين : الفارس الزغبي راعي القطيع»، فمن خلال هذا العنوان نستشف أن أحداث هذا المقطع تجري في مكان يسمى «وادي الغباين»، وأن الشخصية المحورية في هذا المقطع هي شخصية «ذياب الزغبي»، كما يبرز من العنوان أن الحدث المهم هو رعي هذا الفارس للقطيع، وهنا تكمن المفارقة ويأتي عنصر التشويق لمواصلة القراءة ومعرفة سبب رعي الفارس للقطيع بدلا من المشاركة في الحروب مع أقرانه الفرسان.

والمقطع الرابع: «الأميرة الخائنة سحرتني»، وهنا إشارة إلى وجود أميرة منعوتة بالخيانة، إلا أنها قد سحرت الراوي بجمالها، وحقا عندما نلج إلى متن المقطع نجده يتحدث عن ابنة «الزناتي خليفة» وهي الأميرة «سعدى» التي خانت والدها وأعانت «ذياب الزغبي» من أجل تحرير الهلاليين من قبضته، لكن «ذياب» عندما انتصر وظفر بالقصر الإمبراطوري بتونس أراد أن يتملك الأميرة التي كانت تحب ابن أخته «مرعي»، لكنها رفضت على الرغم من كل أشكال التعذيب التي تلقتها منه، ثم قتلها في النهاية.

والأمر نفسه مع بقية المقاطع فكل عنوان يحمل النويات الأساسية لمضمون المقاطع، وقد عنونت كما يأتي:

المقطع الخامس: «لا تتردد لحظة.. اقتل بدم بارد «من الأفضل أن يخشاك الناس على أن يحبوك».

المقطع السادس: «ست الغرب احرق زروعهم جوعهم...».

المقطع السابع: «السادة يعرسون.. وأنا أتهرس «ليست الحكمة بل السلطة هي ما يصنع القانون».

المقطع الثامن: «الأقدار التي نلومها تتوجنا «القوة والزيف هما الفضيلتان الأساسيتان في الحرب».

المقطع التاسع: «الكتاب الأبيض في شؤون الحكم والرعية».

المقطع العاشر: «السلطة شر لا بد منه «تمسكن حتى تتمكن» » .

المقطع الثاني عشر: « «إمبراطهورية» «ميكي ماوس» كرنفال الديموقراطية وفرجة الحكم الراشد».

كما يمكن أن ندخل ضمن الاستهلال المقطعي بداية معظم مقاطع الرواية بالجملة نفسها، وإن طرأ عليه تغيير طفيف في البنية من مقطع إلى آخر، وهي جملة إنشائية طلبية، حيث كان في كل مرة يخاطب بها «ذياب الزغبي» كاتب سيرته «غارسيا ماركيز» أو العكس، وهذه الجملة هي: «إيه..غارسيا ماركيز!»، «إيه يا حضرة الجنرال ذياب الزغبي! «اكتب يا ماركيز!»، «سجل يا ماركيز!»، «اكتب يا ماركيز! اكتب الحقيقة..»، «اكتب يا ماركيز اكتب!، سجل يا ماركيز! ... سجل»، «ما أصعب التيه يا ماركيز! ...، إيه ... يا ماركيز! هرمنا...، نعم يا ماركيز! ...، اكتب يا ماركيز! ...

وهذه الجملة تبين أن الرواية قد قدمت في شكل محاورة بين شخصيتين رئيسيتين، تكون الأولى ساردة والثانية مستمعة، ما دامت الرواية أتت في شكل سرد لسيرة ذاتية لـ«ذياب الزغبي»، وأن «غارسيا ماركيز» هو المكلف بكتابة هذه السيرة، وإن تم بين الحين والآخر ترك زمام الحكي لبقية الشخصيات لتقديم العالم الروائي عن طريق تقنية العرض.

4–3–الاستهلال الموسّع

إن المتأمل في رواية «حضرة الجنرال» لـ«كمال قرور» يجد أنها بالإضافة إلى اشتمالها على استهلالات بدئية، واستهلالات مقطعية عديدة ومتنوعة، فإنها كذلك تشتمل على استهلال آخر وهو الاستهلال الموسع، ومن اسمه يتضح حجمه، فهو يشمل مقطعين كاملين من الرواية؛ المقطع الأول(من ص 6 إلى ص 14)، والمقطع الثاني(من ص 15 إلى ص 41)، حيث نجد ضمن هذين المقطعين سردالأهم أحداث الرواية بطريقة ملخصة، كما قام الراوي بتقديم الشخصيات الأساسية المشاركة في الرواية، ففي أول صفحة من الرواية قد عرّف ببطل الرواية -الجنرال «ذياب الزغبي»- وذكر أهم ألقابه، وصفاته وأحواله، كما عرّف بكاتب سيرته العطرة «غارسيا ماركيز» وعرج كذلك على أهم صفاته، وهذا المقطع يؤكد ذلك:

«إيه غارسيا ماركيز!

كاتب شهير

ومتألق أنت ...!

ومهوس بكتابة سير أشهر ديكتاتوريات أمريكا اللاتينية ...

وأنا فارس وجنرال وديكتاتور «أوليغارشي» محلي، منسي، يبحث عن قلم يمنحه أضواء الشهرة(...)

يا لسخرية الأيام! أنت على فراش المرض والشيخوخة والخرف، ووراءك ملايين القراء المعجبين والمحبين، يطلبون لك الرحمة.

وأنا متهالك على كرسي متحرك، أعاني مثلك الخرف و«الزهايمر» والقرف واللعنات وطعنات قاتلة، وجهها إلى جسدي النحيف المرتعش، في لحظة واحدة، يتامى الحقد السياسي الأعمى...» (المصدر نفسه، ص 7).

بالإضافة إلى هاتين الشخصيتين البارزتين نجده قد عرف أيضا بشخصيات أخرى لها وزنها في هذه الرواية وهي: «أحمد قاسم الحجري» الملقب بـ«أفوقاي» الذي أتى الجنرال بمشروع تطوير البارود والمدافع والسفن الحربية والتجارية، و«الجازية»، و«حسن بن سرحان» و«أبي زيد» وأبنائهم اليتامى، و«ابن المقفع»، والبروفيسور «السعيد بوطاجين، والدكتور «عاشور فني»، والشاعر «عادل صياد».

كما قام الاستهلال الموسع بالإشارة إلى أهم أحداث الرواية، بداية برعي «ذياب الزغبي» للقطيع بـ«وادي الغباين»، ثم قيامه بحملات هجومية على أعدائه، واعتلائه كرسي الحكم، وانتهاء بإسقاط حكمه على يد اليتامى الهلاليين.

كما تمت الإشارة في هذين المقطعين الاستهلاليين إلى أهم الأماكن التي كان لها تأثير في سيرورة الأحداث وتطور الشخصيات منها: «المشفى» وهو مكان لقاء «ذياب الزغبي» بكاتب سيرته «غارسيا ماركيز»: «لقاؤنا هنا في هذا المشفى ليس صدفة. هو موعد من مواعيد القدر التي كثيرا ما فاجأني بها، والأكيد أن هذا آخر المواعيد غير الرسمية»(المصدر نفسه، ص 7)، و«وادي الغباين» المكان الذي عزل فيه «ذياب الزغبي» لحماية قطيع القبيلة والذي كان فرصة له لتعلّم كيفية حكم البشر، حيث يقول: «لم أرع القطيع مجانا في «وادي الغباين»، كانت فرصة سانحة وثمينة لأخذ أبجديات أولية لفن حكم البشر. الراعي الناجح لقطيع الظأن راع ناجح وقائد ملهم لقطيع الشعب»(المصدر نفسه، ص 17)، والقصر الإمبراطوري الذي استولى عليه «ذياب الزغبي» بعدما قتل «الزناتي خليفة»، وأصبح حينها جنرالا وإمبراطورا طاغيا لمدة قرن من الزمن حتى شب اليتامى الهلاليون وانقلبوا عليه، وحصروا قصره الرئاسي الإمبراطوري مثلما هو وارد في هذا المقطع السردي: «ها هم مصطفون خطا واحدا يحاصرون قصري الرئاسي «الإمبراطهوري» متأهبون يلهثون ويكشرون عن أنيابهم مثل الضباع الجائعة تروم الانقضاض على فريستها»(المصدر نفسه، ص 16).

خاتمة

في الختام يمكن القول:

إن الاستهلال من أهم القضايا النقدية العربية القديمة الخاصة بالشعر.

إن النقد الحديث وسّع من مجال الاستهلال فشمل كلا من الشعر والنثر.

للاستهلالأهمية عظمى في التأثير في المتلقي، ودعوته لمواصلة القراءة، لذلك يولي له الكتاب عناية كبيرة من حيث جودة

تركيبه وشحنه بطاقة تعبيرية مؤثرة ومحفزة على مواصلة القراءة، وهذا يعني أن القارئ الضمني حاضر بالقوة أثناء تحرير الاستهلال.

تتنوع الاستهلالات الروائية حسب طبيعة النصوص الروائية وتركيبها؛ فمثلا الاستهلال الموسع مرتبط بمدى كبر المساحة التي يحتلها في الرواية، أما الاستهلال متعدد الأصوات فمرتبط بتعدد الشخصيات الساردة، وكذا تعدد المحاور الفكرية، أما الاستهلال محوري البنية فمرتبط بوحدة الفكرة، وإذا نظرنا للاستهلال الحديث فنجده متعلقا بموجة التحديث والتقنيات المستخدمة.

جاء الاستهلال في رواية «حضرة الجنرال» لكمال قرور متنوعا؛ حيث أتى استهلالا بدئيا، ومقطعيا، وموسعا، ومن حيث نصوصه؛ إذ أتت نصوصه فلسفية، وأدبية؛ نثرية وشعرية، وقد أضفى هذا التنوع على الرواية نوعا من التعددية اللغوية والصوتية، مما يجعلها رواية حوارية، سواء أكانت هذه الحوارية داخلية أو خارجية، وبوليفونية حيث كانت استهلالاتها قادمة من أصوات مختلفة، وبالتالي فهي معبرة عن إيديولوجيات مختلفة، لذلك يمكن القول إن رواية «حضرة الجنرال» رواية بوليفونية بامتياز.

المراجع

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، المجلد 11، بيروت.
2. أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، الجزء الأول (أ،د)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م.
3. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الجزء الأول (أ،ب)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، 1983م.
4. أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، ط1، 2008م، عالم الكتب، القاهرة.
5. رولان بارث، التحليل النصي، تر: عبد الكبير الشرقاوي، منشورات الزمن، الرباط، 2001، ص37، نقلا عن: ياسين النصير، الاستهلال فن البدايات والنهايات.
6. ينظر، عبد المالك أشهبون، البداية والنهاية في الرواية العربية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013م.
7. ينظر، عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جينات من النص إلى المناص)، الدار العربية للعرب ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، الجزائر.
8. كمال قرور، حضرة الجنرال (التخريبة الرسمية للزعيم المفدى ذياب الزغبي كما رواها غارسيا ماركيز)، منشورات الوطن اليوم، ط1، 2015م.

The nature of the beginning in Kamal Karour's novel "Hazrat the General"

Abstract

The novel beginning is one of the most important thresholds used by the novelist to move the reader from the real world to the imaginary world, so we find him betting on him a lot to influent the reader. Through the process of careful selection of texts or phrases concentrated and charged, which is considered able to put pressure on the reader to ensure reading. The text is a good read novelist. In view of the great importance of the beginning of the novel, this paper aims to reveal the nature of the beginning of the novel "The General" by Kamal Qarour, by answering the following questions: What is the beginning of the novel? Which types? What is the forms of the beginning of the novel "The General"?

Keywords
The influence
The reader
The novel beginning
The internal dialogism
the external dialogism

La nature de l'éditorial dans le roman de Kamal Qarour «Son Honneur le général »

Résumé

Le début du roman est l'un des seuils les plus importants utilisés par le romancier pour faire passer le lecteur du monde réel au monde imaginaire. Nous le voyons donc parier beaucoup sur lui pour l'influencer, par le processus de sélection minutieuse de textes ou de phrases concentrés et chargés, considérés comme capables de faire pression sur le lecteur pour en assurer la lecture du texte est une bonne lecture. Compte tenu de la grande importance du début du roman, cet article a pour objectif de révéler la nature du début du roman «Le Général» de Kamal Qarour en répondant aux questions suivantes: Qu'est-ce que le début du roman? Quels types? Quelle est la nature du début du roman «Le général»?

Mots clés
Le début du roman
Le dialogisme interne
Le dialogisme externe

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

فنيّة الكناية في الشعر العباسي

L'art de la Métonymie dans la poésie Abbasside

د. مسعودة صابة
Dr. Messaouda Sabba
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر
ahlembeno2008@gmail.com

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 14-12-2020
تاريخ القبول 06-02-2024

الكلمات المفتاحية
الكناية
فنيّة
الشّعر العباسي
النقاد القدامى
أغراض

ملخص

تشكل الكناية الطاقة المولدة لشعرية النّص، بحيث تأخذ دورا حاسما في اغناء الدلالة الأسلوبية في النّص الإبداعي، مما تجعل هذه الدلالات في لغته وتراكيبه قابلة للتفسير، مما يمنح النّص خصوصيته الفنيّة وخلوده عبر الزمن. وعلى هذا الأساس تحاول الباحثة الخوض في فنيّة الكناية من خلال تناولها عند النقاد القدامى، ثم من خلال الشرح والوقوف على صورها في شعر بعض الشعراء العباسيين، منتهجة المنهج الوصفي التحليلي. وتسعى الدراسة إلى تفسير خصائص الكناية في شعر العباسيين وهل هي محفوظة من الآثار التي اطلعوا عليها أم مبتكرة؟

مقدمة

ممّا لا يخفى على أحد أنّ العصر العباسي يعرف بالعصر الذهبي للأدب العربي، لما جدّ فيه من موضوعات لم تكن مألوفة من قبل، كانت نتاج الزخم الحضاري، والامتزاج الثقافي، والتحرر الفكري والاجتماعي. فلجأ الشعراء العباسيون إلى تطوير أساليب التعبير، فنقلوا إلى القارئ الانفعالات القوية والأحاسيس المختلفة، من خلال مجموعة من الصور التي استمدوها من مختلف المنابع: الطبيعية، التراثية والذاتية النابعة من عواطفهم الجيّاشة.

وقد تعاضدت الصور بمختلف أنواعها لتصنع التوتر داخل النّص، بعد أن أزاح الشعراء اللغة العادية، وبعثوها من جديد، قدموا من خلال طريقتهم تلك صياغة جديدة للواقع والأشياء، حيث أقاموا علاقات غير مألوفة ليصلوا إلى نتائج غير معروفة، أحسّوا بها وتخيّلوها وتذوقوها، وهذا كله ليكشفوا قدراتهم على الصياغة والتشكيل، وهم الذين امتلكوا ناصية اللغة فأثروا الفن وأفادوا العلم ونموا الفكر وذوق المتلقين.

رأى النقاد القدامى أنّ الشعراء العباسيين بانزياحاتهم في صورهم المختلفة باعدوا إلى حد كبير بين الصيغة الفنيّة لهذا الشعر وشعر العصور السابقة، ممّا رعّبهم وخافوا أن يكون هذا التجديد مؤديا إلى الانقطاع التام من الخيال البدوي وطبعه وصياغة الصورة باللغة العربية القديمة فمنهم من استحسن ومنهم من استقبح ذلك.

والكناية فن من فنون التّعبير البياني، يلجأ إليها الشعراء لما تحققه من غايات بلاغية وأسرار فنيّة، من هذا المنطلق جاء عنوان الدراسة موسوما بـ « فنيّة الكناية في الشعر العباسي» تحاول من خلاله الباحثة الخوض في مجموعة من العناصر تراها ضرورية قبل أن تتناول نماذج الكناية في شعر بعض الشعراء العباسيين منها: التعريف بالكناية، الكناية في اصطلاح النقاد، أغراض الكناية.

1-تعريف الكناية

ورد في كتاب الفيروز أبادي أنّ الكناية من « كنى به عن كذا يكنى ويكنو كناية: تكلم بما يستدل به عليه أو أن يتكلم بشيء وأنت تريد غيره أو بلفظ يراد به جانبا أو حقيقة أو مجازا، وزيد أبا عمرو وبه كنية بالكسر والضم: سماه به وكناه وأبو فلان كنيته وكنوته ويكسران: وهو كنية أي كنيته، ويكنى بالضم إمرأة». (آبادي، دس ن)

كما ورد في لسان العرب: الكنية على ثلاثة أوجه: أحدهما، أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني: أن يكنّى الرجل باسم توقيراً وتعظيماً، والثالث: أن تقوم الكنية مقام

الاسم، فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب اسمه عبد العُزَّى، عرف بكنيته فسماه الله بها. (منظور، د س ن) الكناية إذن تعني عدول عن لفظ إلى آخر دال عليه.

2–الكناية في اصطلاح النقاد

لقد أولى النقاد اهتماما للكناية وخاضوا فيها، فقد عرفها صاحب الطراز على أنّها « اللفظ الدال على معنيين مختلفين، حقيقة ومجاز من غير واسطة» (العلوي، د س ن)، فالكناية عنده ليست نوعا مستقلا من المجاز، وإنّما هي جزء من الاستعارة. (طبانة، 1981)

وهي حسب الجاحظ» سلوك لغوي وتصرف في التعبير تلجأ إليه المجموعة اللغوية لستر بعض المعاني وتلطيفها بواسطة ألفاظ تعبر عنها بشكل غير مباشر، وكأنّ أفراد هذه المجموعة يتحاشون ما من شأنه أن يجرح الذوق الأخلاقي الذي تقتضيه المعاملات الإنسانية» (بلملبح، 1984)، وفي ذلك يقول الجاحظ:» وقد يستعمل النّاس الكناية، وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة، يريدون أن يظهروا المعنى بألين اللفظ إما تنزيها وإما تفضيلا، كما سموا المعزول عن ولايته مصروفا، والمنهزم عن عدوه منحازا، نعم حتى سمي بعضهم البخيل مقتصدا ومصلحا». (الجاحظ، د س ن)

ووجه الشاهد في حديث الجاحظ عن الكناية يكمن في أن استعمال الألفاظ من قبل الأديب وهو يريد بها معنى معناها، لا معناها الذاتي المباشر، فالألفاظ تحتمل أن تكون حقيقة من جهة أنّها استعمال حقيقي للفظ، ومجازا من حيث تعبيرها عن معنى آخر قريب من هذا اللفظ وذي علاقة دلالية به. فضلا عن هذا أحس الجاحظ أنّ هناك نوعا من الكناية يحتاج إلى تأمل دقيق وهو أبعد في التخييل وهذا ما أسماه المتأخرون بالكناية البعيدة. (السكاكي، د س ن)

ومن صور الكناية عنده ما أورده من كلام لقتيبة بن مسلم، حين خطب في النّاس عندما عزله سليمان بن عبد الملك عن ولاية خراسان قال: « يا أهل خراسان، أتدرون من وليكم؟ إنّما وليكم يزيد بن ثروان» (الجاحظ أ.) ويزيد هذا هو (هنبقة) الذي اشتهر بإحسانه إلى السمان من إبله وإهماله للهزيلة منها، زاعما أنّه يكرم من أكرم الله ويهين من أهان الله. (قتيبة، د س ن) ومعناه أنّ سليمان بن عبد الملك يتصرف التصرف نفسه، إذ يعطي الأغنياء ويحرم الفقراء قائلا: « أصلح ما أصلح الله وأفسد ما أفسد الله». (الجاحظ أ.، المصدر السابق)

فمعنى المعنى عند الجاحظ يمثل جوهر التعبير اللغوي وماهيته الروحية، إلاّ أنّ هذا المعنى لم يبلغ قيمته إلاّ بمغادرته كينونته الفكرية، الأولى إلى عالم شعوري آخر ينتقل بالمعاني من الوجود بالفعل إلى الوجود بالقوة، ليصبح المعنى حدثا لغويا مخصوصا تحدده الدلالات البيانيّة لأنّ هذه الدلالات تتفاوت حسب قدرتها على احتواء المعنى وإيصاله والكشف عنه. (ناصف، 1981) من هنا كانت الكناية المعنى الذي يومئ إليه تركيب لغوي مخصوص.

«وفاعلية الكناية البلاغيّة تأتي من كونها نمطا من أنماط التّصوير البياني، وتتجلى جدواها في توضيح معاني الشعر وتقويتها وتجميلها، وتحسين وقعها في النّفوس في نتيجة هذا الوضوح، وهذا الجمال» (اللوي، د س ن) ولها أغراض مختلفة منها الإيهام على السامعين أو نحو ذلك، وقد تكون عن صفة أو موصوف أو نسبة صفة لموصوف. (عمر، 2008)

لم تكن الكناية في بداية الأمر تمثل قضيّة فنيّة ذات خطورة في تشكيل البناء اللّغوي، ولكن الرّغبة في تفتيت كل شيء والدوران حوله، ثم التفنن فيما لا فن فيه، كان لا بد أن يشمل ما اصطلح عليه باسم «الكناية».

تحدّث قدامة بن جعفر عن معنى المعنى لما أشار إلى الكناية التي سمّاها (الإرداف) قال: «هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني، فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع». (جعفر، دت) وقد عرض لذلك قول عمر ابن أبي ربيعة: (ربيعة، 1994)

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقِرْطِ إِمَّا أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ

ذكر قدامة أنّ عمر بن أبي ربيعة إنّما أراد أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص به. بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد وهو بعد مهوى القرط، (جعفر، مصدر سابق) وابن أبي ربيعة وصف امرأة بأنها طويلة، فعدل عن اللفظ الصريح وجاء بالكناية ودلّ ببعد مهوى القرط على طول الجيد مع المبالغة. وتعليق قدامة بن جعفر على بيت عمر ينم عن فهم جيد له. يقع في التعبير الكنائي من المبالغة في الوصف ما لا يكون في نفس اللفظ المخصوص بذلك المعنى وهذا ظاهر في البيت.

كما أن في هذا البيت تتمثل المرأة في أجمل ما ينبغي أن تكون عليه، يصف الشاعر جمالها الذي يتمثل في جمال عنقها وعراقة نسبها وأصالتها، فهي إلى جانب كونها جميلة تنتسب إلى

قوم لهم شرف ولهم عزة ومتعة يتضح ذلك من ذكر نوفل، وعبد شمس، وهاشم، فهذه الأسماء لها شرف ومكانة عظيمة عند العرب قاطبة وهذا الطول في العنق يشير إلى علو قدر هذه المرأة ومكانتها عند قومها. (سعيد، 2000)

جعل قدامة بن جعفر الصّورة الكنائية نوعا من أنواع» ائتلاف اللفظ والمعنى» فيما سمّاه بالإرداف والذي تحول فيها إلى «كناية» أي أنّه لاحظ هذا النّمط اللغوي ظاهرة خطيرة تتحول إلى أن تصبح أحد الأقسام الثلاثة لما عرف بالبيان من استعارة وتشبيه وكناية، وهو يقول:» ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى الإرداف وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني، فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع.» (جعفر، المصدر السابق)

والملاحظ أنّ قدامة عدّ من الكناية ما هو من صورة الاستعارة، ومنها ما هو من صورة التشبيه. ولمّا جعل قدامة الكناية أو ما يسميه بالإرداف « نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى» هنا تفارق الكناية دلالتها الجزائية لترتبط بالنسيج العام، وهنا نظر للأداء جميعه وإلى تشابك الدلالة الجزئية مع دلالات المعنى المنبث في التركيب ويتضح ذلك في تعليقه على بيت امرئ القيس الذي يقول فيه:

وَيُضْحِي فَتِيتُ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا

نَؤومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

(القيس، 2004)

«أراد امرؤ القيس أن يذكر ترفه هذه المرأة وأنّ لها من يكفيها، فقال:» نؤوم الضحى»، وأن فتيت المسك يبقى إلى الضحى فوق فراشها، وكذلك سائر البيت، أي هي لا تنتطق لتخدم، ولكنّها في بيتها متفضلة». (جعفر، المصدر السابق) وصف الشاعر المرأة بأنّها منعمة مترفهة مخدومة، لكنّه لم يأت بالألفاظ الدالة على ذلك مباشرة بل لجأ إلى لازمها، عدل عن التصريح بهذه الصفات إلى الكناية عنها، فالنّوم إلى وقت الضحى يستلزم تنعّم هذه المرأة وترفها ووجود خدم يكفونها مؤونة السعي في أمر المعاش عند العرب «وقت الضحى».

فالكناية إذن أن تذكر الشيء وتريد لازمه أو ما يفضي إليه ويدل عليه،» فنؤوم الضحى» تعبير يدل على الترف والتنعّم. يبحث قدامة بن جعفر عن الصّورة الواضحة في المعنى الشّعري، لهذا نراه يفضل أن تكون الكناية قريبة المعنى، أي أنّ المتلقي لا يحتاج إلى جهد كبير في سبيل الوقوف على معنى المعنى، ومن هذا المنطلق عدّ الكناية البعيدة مذمومة، ويراها عيبا من عيوب الشعر وهو الانغلاق في اللفظ وتعذر العلم بمعناه إذ قال: « وذلك إذا ذكر الردف وحده، وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر أو كانت بينه وبين أرداف أخر كأنّها وسائط، وكثرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة، وهذا الباب إذا غمض، و لم يكن داخلا في جملة ما ينسب إلى جيد الشعر». (جعفر، المصدر السابق)

فما يريده قدامة بن جعفر هو أن تكون الوسائط بين المعنى الأول والمعنى الثاني قريبة، لأنّ البعد في هذه الوسائط يؤدي إلى الغموض واللّبس ممّا يؤثر سلبا على فهم النّص الشعري، ولهذا يرى الدكتور جابر عصفور أنّ» غاية الشعر هو التأثير». (عصفور، 1986)وهذا الأخير يعني تغيرا في الاتجاه وتحولا في السلوك ولا يتم ذلك إلا بضرب بارع من الصياغة تنطوي على قدر من التمويه، تتخذ معه الحقائق أشكالا تسحر العقول. والشاعر إن أراد الانتقال من مرحلة التخيل إلى مرحلة عليا من مراحل الفكر والعقل يلجأ إلى أسلوب الكناية الذي يدلّ دلالة يخالطها شك على ذكاء الأديب يستلزم متلقيا فطنا يستطيع أن يصل إلى ما قصده الشاعر بكنايته.

أما المبرد فقد جعل الكناية على أضرب قائلا: الكناية تقع على ثلاثة أضرب، أحدها: التعمية والتغطية، والثاني وذاك أحسنها الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، قال تعالى: «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم» (القرآن الكريم برواية ورش لقراءة الإمام نافع، 2014) ، والضرب الثالث من الكناية التفخيم والتعظيم ومنها اشتقت الكنية، وهو أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه ووقعت في الكلام على ضربين: في الصبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد، ويدعى بولده كناية عن اسمه، وفي الكبير بأن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه. (المبرد، 1985)

فالكناية تحمل في طياتها معاني وصفات مختلفة هي وليدة الموقف الذي تقال فيه، فقد تحمل لصاحبها حسن أدب وكريم خلق، أو خوفا من ظالم أو تعظيما لعظيم، أو تعريضا بحقير، وذلك حين يتعرض الشاعر لمعنى مستهجن فيكني عنه أو يتعرض لتهديد فيلجأ إلى التكنية عمّا في صدره (عصفور، المرجع السابق)، وإذا أراد مدح شخص فيكني عن ذلك بصفة حسنة كالكرم والإقدام ويترك التصريح بذلك طلبا للإيجاز والمبالغة، بالإضافة إلى ما تقيس الكناية في المبدع من براعة

لغوية وجدة عقلية، فإنها بنت البيئة وسمة العصر الذي يعيش فيه الشاعر، ولذلك فإنّ أسلوب الكناية يختلف باختلاف البيئات والعصور.

أما ابن رشيق القيرواني فقد تناول الكناية تحت باب الإشارة، وهي عنده من غرائب الشعر، وفيها بلاغة عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والحاذق الماهر، وهي في كل نوع لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد عن ظاهر لفظه ومن أنواعها التفخيم والحذف والتورية والتتبيع». والعرب تجعل المهاة شاة لأنها عندهم ظائنة الظباء، لذلك يسمونها نعجة، وعلى هذا المتعارف في الكناية جاء قول الله تعالى في إخباره عن خصم داوود عليه السلام» إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة «كناية بالنعجة عن المرأة.» (رشيق، 1981)

إنّ ما نلاحظه أنّ ابن رشيق كانت لديه نظرة شمولية ممتعة في تجميع الفنون البلاغيّة التي ذكرها، والتي تختلف فيها نسبة البعد عن التصريح والمباشرة مجمعا إياها تحت باب الإشارة، ومع ذلك فإنه لم يترك تعريفا محددا للكناية مع إعجابه بأسلوبها.

أما ابن سنان الخفاجي فقد تناول الكناية تحت تأليف الكلام وجريانه على العرف العربي الصحيح يقول: « ومن هذا الجنس حسن الكناية عمّا يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح» (الخفاجي، 1969)، وتحدث عن الإرداف الذي هو لون من ألوان الكناية عند المتأخرين فيقول:» ومن نعوت البلاغة والفصاحة أن تراد الدلالة على المعنى، فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة، بل يؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة، فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع، وهذا يسمى» الإرداف» و»التتبيع» لأنه يؤتى فيه بلفظ هو ردف اللفظ المخصوص بذلك المعنى وتابعه.» (الخفاجي، المصدر السابق)

إنّ ابن سنان الخفاجي في كلامه يذهب إلى أنّ الكناية والإرداف مترادفان ولم يفرق بينهما، تأسيا بمن سبقه من النقاد أمثال ابن المعتز وأبو هلال العسكري. وقد نبه إلى أنّ أصحاب صناعة البلاغة يذكرون هذا اللون البلاغي ولا يشرحون العلة في سببه وحسنه وما فيه من المبالغة، يقول:» ومنه في النثر: قول أعرابية وصفت رجلا فقالت: « لقد كان فيهم عمارٌ طلابٌ بأوتار، لم تُخمد له قط نار» كثرة إطعامه الطعام، فلم تأت بذلك اللفظ بعينه، بل بلفظ هو أبلغ في المقصود، لأن كثيراً ممن يطعم الطعام تخمد ناره في الوقت.» (الخفاجي ا.)

وابن سنان في دراسته للكناية مع تحليله للنصوص الأدبية وبيان موضعها فيها كشف عن محاسنها وبلاغتها، والقبيح منها والمستحسن، ويعد حسنها أصلا من أصول الفصاحة، لذا عرض لها في مقامين: المقام الأول في إطار وضع الألفاظ موضعها، والمقام الثاني عندما جعلها نعتا من نعوت البلاغة والفصاحة.

كانت الكناية المعنى الذي يومئ إليه تركيب لغوي مخصوص، باعتبارها إحدى وسائل تكوين الصورة الفنية في الشعر، لما تحمله من معان بديعة، وإشارات خفية تلوح بالمعنى من بعد وتومئ به دون أن تفصح عنه، يلجأ إليها الشاعر حين تعجز الأساليب الأخرى عن التعبير عن أحاسيسه ومشاعره تجاه موقف من مواقف الحياة. (سعيد، المرجع السابق)

ومن جهة قيمتها الفنية يرى الجرجاني أنّه يتأكد بواسطتها ما يود صاحبها من تأكيد وزيادة إثبات وذلك «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه.» (الجرجاني، 2000)

فالجرجاني لم يجعل المزية في المعنى المكنى عنه، بل في إثباته للذي ثبت له، والكناية وإن كانت من القسم الذي تعزى المزية فيه إلى اللفظ، إلا أننا لا نعرف المعنى إلا عن طريق المعقول، وتأويل المشار إليه، و لها القدرة على إعطاء إشارة رامزة بجانب الدلالة الإشارية التي تبعد التركيب اللغوي عن المباشرة و «قد أجمع الجميع على أنّ الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح». (الجرجاني، المصدر السابق)

وليس معنى ذلك أنك إذا كنيت عن المعنى زدت في ذاته « بل المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وأكد وأشد» (الجرجاني، المصدر السابق)، ودلّل عبد القاهر الجرجاني على صحة كلامه بأمثلة مشهورة في كتب البلاغة كقولهم: طويل النجاد وكثير الرماد، ونؤوم الضحى، يكنون بذلك عن الطول، وكثرة القرى، والترف، ولذلك فالكناية هي إحدى وسائل تكوين الصّورة الفنيّة في الشّعر، لما تحمله من معان بديعة، وإشارات خفية تلوح بالمعنى من بعد وتومئ به دون أن تفصح عنه، يلجأ إليها الشّاعر حين تعجز الأساليب الأخرى عن التعبير عن أحاسيسه ومشاعره تجاه موقف من مواقف الحياة. كما أنها تأخذ طابعا توصيليا لإثبات المفاهيم دون جرح العواطف أو خدش المشاعر أو اشمئزاز النّفوس، بما

لها من قدرة على التعبير الموحي والمهذب في الوقت نفسه.

تعد الكناية نتاج مشاعر خاصة تجاه الأشياء، والشاعر قد يصنع كناياته أو رموزه اللغوية حتى توسع الدائرة الوجدانية لدى المتلقي الذي يستطيع استشفافها من خلال السياق الفني، وقد تتداخل الصور الكنائية في بناء تجسيدي لتفجر دلالات رامزة، يكون في دلالاتها المتآزرة مكونة وشائج متداخلة معبرة عن مواقف متكاملة المشاعر.

3- أغراض الكناية

إنّ توظيف الشاعر للكناية يسعى لتحقيق أغراض تتمثل في:

-تصوير المعنى تصويرا واضحا مصحوبا بما يؤيده، ويكون كالحجة له.

-تحسين المعنى وتجميله مع تعمية الأمر على السامعين وإيهامهم.

-تهجين الشيء والتنفير منه وأمثلة كثيرة في ذلك موجودة في القرآن الكريم.

-العدول عن ذكر شيء بلفظه الدال عليه لهجنته إلى لفظ آخر يدل عليها من غير استكراه ولا نفور منه مثل الكناية عن الصمم لنقل السمع مثلا. (السكاكي، المصدر السابق، 1987)

-للكناية أثر في نفس المتلقي من خلال إحداثها انفعالا تعجز اللغة العادية عن تصويره، وذلك لأنّها تضع المعاني في شكل محسوسات.

-عدولها عن إفادة المعنى المراد مباشرة إلى إفادته عن طريق لازم من لوازمه، فللكناية معنيين أحدهما قريب يتعلق بالمعنى المادي للعبارة لا يريده الشاعر غالبا، والثاني بعيد يحتاج إلى الذكاء والقراءة بين السطور، للوصول إلى المعنى الذي يريده الشاعر، أو ما يسمى بدلالة العبارة، (وآخرون، 2002) فالمعنى المقصود غير مصرح به مباشرة، بحيث يؤدي ذلك التوظيف بالمتلقي إلى تشغيل فكره للوصول إلى المعنى الباطني المقصود.

اعتمد الشعراء العباسيون على الكناية ووظفوها توظيفا فريدا للتغني بمثلهم العليا، وكانوا يسعون إلى تحقيق المثالية في الصفات المحمودة.

والكناية القديمة في التصاقها ببيئتها وتمازجها بمجتمع له ثقافة معينة، تصبح جمالياتها منطوية في إطار تلك الزمنية المحددة. من هنا كانت كنايات الشعراء المحدثين في العصر العباسي التي باعدوا فيها عن معايير جمالية الكناية في تصور النقاد المحافظين تطلق عليها الصيحة القديمة « إن كان هذا شعرا فكلام العرب باطل» ولا نريد من هذا التهوين من شأن القدماء أو التقليل من جهد البلغاء وإنّما نعني ضرورة تجاوز ما يستدعي التجاوز حتى يتجدد النظر البلاغي. فالإيحاءات الرامزة تتداخل في العمل الفني جميعه وتتآزر هذه الجزئيات لينمو من خلالها حصاد فني جديد.

4- صور الكناية عند بعض الشعراء العباسيين

إذا كانت الكناية هي استبدال المعنى الأصلي بدليل ينوب عنه، فإنّ النّداء الصادر من الفنان الشاعر يعبر عن شعوره أو موقفه من هذا الدّليل، من هذا المعنى المولّد، وكأنّه يكمل به الصورة التي يريدها.

فقول أبي تمام في مدح مالك بن طوق التغلبي من الكامل:

يَا خَاطِبًا مَدْحِي إِلَيْهِ بِجُودِهِ

وَلَقَدْ خَطَبْتَ قَلِيلَةَ الْخُطَّابِ

(التبريزي، 2007)

فالكناية في قوله» قليلة الخطاب» والمعنى الأصلي أنّ قصائده رائعة، يعجز كثير من الممدوحين عن التصدي للمدح بها لغلاء مكافأتها، فهي صعبة المنال، ومتلقي الكناية ينتقل من المعنى المولّد إلى المعنى الأصلي، ويضفي عليه تصوره، وتذوقه، والكناية هنا خاصة لأنّ المعنى المولّد هنا ليس معنى عاما سريع الورود إلى أي ذهن، بل معنى خاصا أحسّ به أبو تمام تجاه شعره وقيمته، ومن هنا لن تفهم الكناية إلاّ في إطار كون القائل أبا تمام، ثم يضاف إليه نداء التقدير للممدوح، والإعجاب بكرمه وسخائه.

وقوله يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر من الطويل:

فَيَا أَيُّهَا السَّارِي اسْرِ غَيْرَ مُحَاذِرٍ

جَنَانَ ظَلَامٍ أَوْ رَدىً أَنْتَ هَائِبُهْ

(التبريزي، المرجع نفسه)

فالكناية هنا لا تعنينا أن تكون كناية عن صفة أو موصوف أو نسبة، في قوله «أسر غير محاذر جنان ظلام أو ردى أنت هائبه»، المعنى الأصلي « الأمن المستتب» وله علامات وظواهر، وتتولد عنه أحوال ومشاهد في الليل والنّهار، في المدينة والقرية، داخل البلاد أو خارجها، التعامل بين النّاس والطمأنينة في نفوسهم... لكنّ أبا تمام يختار « سرى الليل» ويعدّه من أقوى الأدلة على استتباب الأمن، واستقرار النظام. يختار أبو تمام الأدلة وأبلغها على وجود الأمن وكأنّه يدور على النّاس في الأسواق والمجالس مناديا: لا خوف، لا فزع فيد عبد

الله حديد وبطشه مبيد.

ويقول في مدح خالد بن يزيد الشيباني من الكامل: (التبريزي، المرجع نفسه)

يَا مُوضِعَ الشَّدَنيَّةِ الوَجْنَاءِ وَمُصَارِعَ الإدلاجِ وَالإِسْرَاءِ

الناقة اليمنية الأصيلة الغليظة الوجناء، أنت يا خالد جعلتها تسرع متجهة إليك، لأنك كريم وكرمك حبب الشعراء إليك، وحبّهم دفع بهم إلى نوقهن، إلى الإسراع إلى بابك وعطائك وأنت شجاع، لا تقف أمامك عقبات، ولا يصدك الليل عن اقتحام العقبات، فوجد الليل فيك من يصارعه ويصرعه.

فجمال الكناية هنا أن نستمتع بالمعنى مرتين، مرة مصورًا في شكل المعنى المولّد، ومرة أخرى حين يربط المعنى المولّد بالمعنى الأصلي الذي اختفى وراء ستار ولكن ظله يكشفه. يعرض أبو تمام المعنى المولّد ثم ينادي خالد الشيباني به، وكأنّه لا وجود للمعنى الأصلي. فكرم خالد الشيباني دفع بالمعتقين إلى دفع نوقهم إليه، وقد يكون في الأمر مبالغة، ولكنّها لا تنفي أنّها حقيقة، و أنّها حدثت بشكل من الأشكال أو يمكن وقوعها بصورة من الصور. فالمعنى المولّد حادث واقع نائب عن المعنى الأصلي، جانب من جوانبه أو نتيجة من نتائجه، مظهر من مظاهره أو أثر من آثاره منبثق منه منسوب إليه.

ويقول أبو تمام في مدح أبا دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلي من الطويل: (التبريزي، المرجع نفسه)

إذا العِيسُ لَاقَتْ بي أَبَا دُلَفٍ فقد

تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ

هُنَالِكَ تَلْقَى الجُودَ حَيْثُ تَقَطَّعَتْ

تَمَائِمُهُ وَالمَجْدَ مُرخَى الذَّوَائِبِ

أراد الشاعر أن يثبت صفتي الكرم والمجد خلالا للممدوح، لكنّه لم يصح بذلك فيقول: إنّهما مجموعتان فيه أو مقصورتان عليه ونحو ذلك، بل عدل إلى ما أنت تراه، فجعلهما في مجلسه ليمكنّه أن يثبتهما للممدوح بطريق الكناية، لأنّه إذا ثبت الأمر في مكان الرّجل وحيّزه فقد أثبت له. والكناية تتمثل في العدول عن نسبة الصفة إلى الموصوف مباشرة ونسبتها إلى ما له اتصال به.

ويقول أبو تمام للمأمون من البسيط:

يَا وَارِثَ الْمُلْكِ إِنَّ الْمُلْكَ مُحْتَبِسٌ

وَقْفٌ عَلَيْكَ إِلَى أَنْ تُنْشَرَ الصُّوَرُ

(التبريزي، المرجع نفسه)

«إلى أن تنشر الصّور» كناية تصور ثقة الشاعر بطول حكم العباسيين من الأدلة التي يراها ماثلة أمام عينيه، فيها مبالغة، ولكنها اعتقاد يكاد يكون راسخا.

ويقول في هجاء مقران المباركي من المتقارب: (التبريزي، المرجع نفسه)

فَقُولاَ لِمُقْرَانَ فِيمَ الْمُقَامُ بِعِ السَّيْفَ ثُمَّ اسْتَجِدْ مِنْجَلاً

وَهَذَا حَصَادُكُمُ قَدْ حَضَرْ وَأَبْدِلْ بِسَوْطِكَ رَفْشًا وَسِرْ

إنّ الكناية التي تطورت مع الزمن واختلفت نظرة المجتمع إليها جعلت أبا تمام يوظفها في شعره، وهو هنا يقدم لنا صورة مهينة بحيث يصنع فيها مقرانا، وهذه الصورة هي أن يترك شأن الفروسية والبطولات والمعارك ويتحول إلى مزارع، وقد كان العرب يترفعون عن ممارسة التجارة والزراعة ويتركونها للموالي، ولا يشتري المنجل بل يستجديه لأنه عاجز عن شرائه، وأن يستبدل بالسّوط رفشا، ثم يأمره بأن «يسير» أي ينضم إلى صفوف أجراء الأرض لعله يوفق ويجد من يستأجره وهي كناية عن هوان قدره وقدراته وفقده لخصال الفروسية والعروبة. ولم ينس أبو تمام أن يستخدم كلمة « الحصاد الذي حضر» وهو ليس حصاد الرؤوس الأبطال في المعركة، بل حصاد رءوس العيدان من الغيطان.

وقوله في رثاء هاشم بن عبد الله الخزاعي من الطويل: (التبريزي، المرجع نفسه)

فَلاَ تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ فِي جُفُونِهَا

فَقَدْ أُسْكِنَتْ بَيْنَ الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ

قدم أبو تمام الفكرة القديمة في ثوب جديد في الكناية، فالمتداول بين الشعراء أنّ السيوف هجرت أغمادها وسكنت الأعناق، ويأتي أبو تمام بأن يبدأها بالنهي المفيد للاستبعاد، وفي الوقت نفسه يكشف الحاجة الملحة لهذه الأسياف فهي لم تغب عن أغمادها لجبن فيها، ولكنها في مهمة مقدسة تنتزع رءوس الأعداء من رقابهم، ويكون هذا هو التعليل، واختياره الفعل « سكن يسكن سكنا» موحيّا براحة السيوف وسط الرقاب، وقلتها وسط الأجفان، مع أنّ الجفن ستر ووقاية ودفء، وما ذلك إلاّ لأنّها في يد الأبطال من خزاعة.

وقال يمدح أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد من الخفيف: (التبريزي، المرجع نفسه)

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّأْ

سِ إلاَّ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الفُؤَادِ

« شيب الفؤاد» كناية عن الهموم، أي أنه شاب ليس لكبره في السن، وإنما لكثرة همومه، فالصورة جاءت وفقا لحالته

النفسية الحزينة.

وقال من مخلّع البسيط: (التبريزي، المرجع نفسه)

يَا سَقِمَ الجَفْنِ مِنْ حَبِيبِي أَلْبَسَنِي حُلَّةَ السَّقَامِ
كَمْ قَتَلَتْ لَحْظَتَاكَ ظُلْما مِنْ عَاشِقِ القَلْبِ مُسْتَهَامِ
قَدْ رَوَيْتَ مِنْ دَمِي فَحَسْبِي مِنْ صَائِبِ النَّبْلِ وَالسِّهَامِ

فالملاحظ في هذه الأبيات الحرقة والحزن والعذاب الذي يعمها، فحالة الشاعر كانت موافقة لها قال «ألبيني حلة السقام» كناية عن حزنه الشديد وألمه وأوجاعه، وقوله « رويت من دمي» كناية تدل على الألم والحزن.

وفي نفس السياق قال أبو تمام من الطويل:

رُقَادُكَ يَا طَرْفِي عَلَيْكَ حَرَامُ
فَخَلَّ دُمُوعًا فَيْضُهُنَّ سِجَامُ
فَفِي الدَّمْعِ إِطْفَاءٌ لِنَارِ صَبَابَةٍ
لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الضُّلُوعِ ضِرَامُ
وَيَا كَبِدِي الحَرَّى التِي قَدْ تَصَدَّعَتْ
مِنَ الوَجْدِ ذُوبِي مَا عَلَيْكِ مَلاَمُ (التبريزي، المرجع نفسه)

كل هذه الأبيات تقطر حزنا وشغفا للقاء المحبوب، فقوله» رقادك يا طرفي عليك حرام» كناية عن شدة الألم وطول سهر الليالي. وقوله « إطفاء لنار صبابة» كناية عن شدة التلهف والشوق للمحبوبة، فهو يجد في الدمع تصبيرا له على لوعة الفراق والاشتياق لها. وقوله» تصدعت متن الوجد» كناية عن اللوعة والاشتياق أيضا، فجميع هذه الكنايات تدور في فلك التلهف والشوق والاشتياق.

وقال من الرمل: (التبريزي، المرجع نفسه)

أَنْتَ فِي حِلٍّ فَزِدْنِي سَقَمَا أَفْنِ صَبْرِي وَاجْعَلِ الدَّمْعَ دَمَا

» أفن صبري» كناية عن شدة الألم لفراق الحبيب، فهو لم يعد يجد حلا لوصال محبوبته فاستسلم لدموعه وعذابه.

وقوله في عبد الله الكاتب من المنسرح: (التبريزي ا.)

إِذَا رَأَيْتَ الغُلَامَ قَدْ طَلَعَتْ بِخَدِّهِ شَعْرَةٌ فَقَدْ هَلَكَا

»بخده شعرة» كناية عن الحزن والهم، لأن هذا الغلام لا يزال غلاما كما يقول، فإذا كانت شعرة بخده فهي دلالة على القلق أو الحزن وهي تصادف نفسية الشاعر.

وقال من مجزوء الرمل: (التبريزي ا.، المرجع نفسه)

بُؤْسَ قَلْبِي كَيْفَ ذَلاّ صَارَ لِلسُّقْمِ مَحَلاّ

فقوله» السقم محلا» كناية عن شدة الحزن دائما، ومثل هذه الصور هي ما تعبر عن حالته النفسية الهادئة حينا والمضطربة حينا آخر.

والكناية تساعد على التعبير عن أمور لا يستطيع القائل التصريح بها مباشرة، وإنّما يترك فهمها لمن له القدرة على فهم الصور الخفيّة، والتمييز بين الأساليب البلاغية. ومثل ذلك قول البحتري يرثي المتوكل من الطويل: (البحتري، 2005)

فَلاَ مُلِّيَ الْبَاقِي تُرَاثَ الَّذِي مَضَى
وَلاَ حَمَلَتْ ذَاكَ الدُّعَاءَ مَنَابِرُه
وَلاَ وَأَلَ المَشْكُوكُ فِيهِ وَلاَ نَجَا
مِنَ السَّيْفِ نَاضِي السَّيْفِ غَدْراً وَشَاهِرُهْ

دعا البحتري على الخليفة المنتصر حين اشترك في مؤامرة اغتيال والده المتوكّل بتحريض من القواد الأتراك. «فلا ملّي الباقي» و» لا وأل المشكوك فيه» كنايتان تتضمنان الدعاء على المنتصر، وقد كنى عن المنتصر بقوله» الباقي» كما كنى عن الخليفة الراحل المتوكّل بقوله:» الذي مضى» وأما قوله «ولا نجا من السيف ناضي السّيف عذرا وشاهره» فيتضمن الإشارة إلى قاتل الخليفة دون التصريح باسمه، وهو باعر التركي كما تذكر المصادر التاريخية.

وقوله يمدح محمد بن علي بن عيسى القمّيّ الكاتب من الكامل: (البحتري أ.)

أَوَ مَا رَأَيْتَ المَجْدَ أَلْقَى رِحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

أراد الشاعر أنّ المجد حلّ وأقام في خيام آل طلحة أسرة الممدوح ولم يرحل عنهم بعدها. كنى بإثبات المجد لخيام آل طلحة عن إثبات المجد لهم، فالمجد صفة، أي معنى قائم بغيره، والخيام لا تصلح محلا لها واللزوم واضح.

وقال يمدح الفتح بن خاقان من الطويل: (البحتري أ.، المصدر نفسه)

يَغُضُّونَ فَضْلَ اللَّحْظِ مِنْ حَيْثُ مَا بَدَا
لَهُمْ عَنْ مَهِيبٍ فِي الصُّدُورِ مُحَبَّبِ
إِذَا عَرَّضُوا فِي جِدِّهِ نَفَرَتْ بِهِمْ
بَسَالَةُ مَشْبُوحِ الذِّرَاعَيْنِ أَغْلَبِ

كنى الشاعر عن إكبار النّاس للممدوح وهيبتهم إيّاه بغض الأبصار، الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال. كما كنى عن قوة الممدوح بقوله» مشبوح الذراعين أغلب».

وقال في موضع آخر يمدح الفتح بن خاقان من الطويل: (البحتري أ.، المصدر نفسه)

دَنَوْتُ فَقَبَّلْتُ النَّدَى فِي يَدِ امرِئٍ جَمِيلٍ مُحَيَّاهُ سِبَاطٍ أَنَامِلُهْ

أعطى البحتري لممدوحه صفة الكرم والجود والقرينة الدالة هي «سباط أنامله» أي منبسط كفه كناية عن سخاء الممدوح.

وقال في موضع آخر يمدح ابن ثوابة من الطويل: (البحتري أ.، المصدر نفسه)

إِلَى أَبْيَضِ الأَخْلَاقِ مَا مَرَّ أَبْيَضٌ

مِنَ الدَّهْرِ إِلاَّ عَنْ جَدَى مِنْهُ أَوْ رِفْدِ

«أبيض الأخلاق» كناية عن حسن أخلاق الممدوح، فأخلاقه مهذبة ورفيعة ذكر الصفة وقصده الموصوف الذي هو الممدوح.

وقال يمدح محمد بن علي بن عيسى القمّي الكاتب من الكامل: (البحتري أ.، المصدر نفسه)

أَوَ مَا رَأَيْتَ المَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

وصف الشاعر مجد بني طلحة، ذكر الصفة والموصوف، لكنه أراد النسبة أي نسبة المجد إليهم، كأن المجد حلّ في آل طلحة ولم ينتقل عنهم بعدها.

وقال في قصيدته المشهورة في وصف إيوان كسرى بالمدائن ويتعزّى به من الخفيف: (البحتري أ.، المصدر نفسه)

لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَمًا بَعْدَ عُرْس

من يرى إيوان كسرى يوحي بأن الأيام والليالي جعلت الحزن سمة له بعد أن كانت الأفراح لا تفارق كناية عن الحزن.

وقال في القصيدة نفسها: (البحتري أ.، المصدر نفسه)

يُتَظَنَّى مِنَ الكَآبَةِ إِذْ يَبْـ ـدُو لِعَيْنَيْ مُصَبَّحٍ أَوْ مُمَسِّي

فالشاعر حزين ويعاني من الألم المستمر وقد كنى عن هذه المعاناة بقوله» مصبح وممسّي».

وقوله: عُمِّرَتْ لِلسُّرُورِ دَهْرًا فَصَارَتْ لِلتَّعَزِّي رِبَاعُهُمْ وَالتَّأَسِّي (البحتري أ.، المصدر نفسه)

قال شارح الديوان محمد التونجي «سكن بها أهلها مسرورين زمنا، وصار النّاس اليوم يتأسون ويتعزون بمصائبهم بما أصابها، والشاعر هنا كنى عن الحزن وضياع السعادة والفرحة التي كان يعيشها.

وقال البحتري يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي من الكامل: (البحتري أ.، المصدر نفسه)

فَأَثْلَجَ بِبَرْدِ الدَّمْعِ صَدْرًا وَاغِرًا

وَجَوَانِحًا مَسْحُورَةَ الرَّمْضَاءِ

قَصَرَ الفِرَاقُ عَنِ السُّلوِّ عَزِيمَتِي

وَأَطَالَ فِي تِلْكَ الرُّسُومِ بُكَائِي

»فأثلج ببرد الدّمع صدرا واغرا» بردت دموع الشاعر وأصبح صدره مرتاحا كناية عن الراحة والطمأنينة.

«قصر الفراق عن السّلوّ عزيمتي» يعاني الشاعر من الفراق وهذا جعله يفقد عزيمته، وزاد بكاءه من فراق الأحبة، كناية عن الحزن والمعاناة.

وقوله في نفس السياق:

تَشْكُو الفِرَاقَ إِلَى قَتِيلِ صَبَابَةٍ شَرْقَ المَدَامِعِ بِالفِرَاقِ مُعَذَّبِ

(البحتري أ.، المصدر نفسه)

يشكو الشاعر من الفراق الذي قتله وأصبحت عيناه تسيلان بالدموع، فجعله حزينا ومعذبا، كناية عن الحزن والمعاناة من الفراق.

وقال يصف الذئب من الطويل:

تَسَرْبَلَتُهُ وَالذِّئْبُ وَسْنَانُ هَاجِعٌ

بِعَيْنِ ابْنِ لَيْلٍ مَا لَهُ بِالْكَرَى عَهْدُ (البحتري أ.)

«بعين ابن ليل» كناية عن اللّص، لفظة الليل جاءت خادمة للمعنى العام للنص، حاول البحتري إبراز شجاعته وجرأته، والليل بما يرمز إليه من خوف ووحشية، اتخذ منه الشاعر وسيلة للاعتداد بالنفس والفخر بالذات، وتتضافر الصور الكنائية في هذا الشطر لتسعف السياق بأمثلة تشحن المعنى بدلالات قوية في قوله «ما له بالكرى عهد»، فقد ساهمت الكناية في بناء الصورة الشعرية، وحملت بعض هذه الصور دلالات حسيّة تجسد المعنى وتنقله إلى المتلقي بوضوح.

وظف ابن الرومي كغيره من الشعراء الكناية في شعره مسخرا إياها في التعبير عن تجربته الشعورية ومواقفه من الحياة ومن أمثلتها قوله في مدح سليمان بن عبد الله من الطويل: (الرومي، 2002)

وَلِي وَطَنٌ آلَيْتُ أَلّا أَبِيعَهُ

وَأَلّا أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرَ مَالِكَا

عَهِدْتُ بِهِ شَرْخَ الشَّبَابِ وَنِعْمَةً

كَنِعْمَةِ قَوْمٍ أَصْبَحُوا فِي ظِلَالِكَا

وَأَحْدَثَ أَحْدَاثًا أَضَرَّتْ بِمَنْزِلِي

يَرِيغُ إِلَى بَيْعَيْهِ مِنْهُ المَسَالِكَا

وَرَاغَمَنِي فِيمَا أَتَى مِنْ ظَلَامَتِي

وَقَالَ لِي اجْهُدْ فِيَّ جُهْدَ احْتِيَالِكَا

مِنَ القَوْمِ لَا يَرْعَوْنَ حَقًّا لِشَاعِرٍ

وَلاَ تَقْتَدِي أَفْعَالُهُمْ بِفِعَالِكَا

الأبيات من قصيدته» لي وطن» كنى عن شدة حبه للوطن والتمسك الشديد به لما قال» لي وطن آليت ألا أبيعه» ولم يكتف بهذا بل قال» ولا أرى غيري له مالكا» كناية عن حبه الشديد واعتزازه وارتباطه بوطنه على مدى الدّهر.

وقوله» عهدت به شرخ الشباب» كناية عن سعادته بذكريات الشباب وراحته النفسية في منزله.

«وها أنا منه معصم بحبالكا» كناية عن الضعف والالتجاء إلى الأمير وتفويض الأمر له، وقد أتى بمعنى مصحوبا بالدليل وهذا سر جمال الكناية.

«يريغ إلى بيعه منه المسالك» كناية عن كثرة محاولة الجار لإجبار الشاعر على بيع بيته وسوء نيته.

«وراغمني فيما» كناية عن سوء أخلاق الجار وسوء معاملته للشاعر.

«أجهد في جهد احتيالك» كناية عن استصغاره لأمر الشاعر وعدم اهتمامه به.

«لا تقتدي أفعالهم بفعالكا» كناية عن حسن معاملة الأمير للشعراء.

وقال في الحسن بن عبيد الله بن سليمان من الخفيف:

مَلِكٌ يَقْدَحُ الحَيَاةَ مِنَ المَوْ تَى وَيَكْفِي بِفَضْلِهِ الأَحْيَاءَ

(الرومي أ.)

«ملك يقدح الحياة من الموتى» كناية عن الجود وبذل المال في سبيل إعانة المحتاج، فالشاعر هنا أتى بالمعنى مصحوبا بالدليل عليه وهذا ما جعل الكناية جميلة بديعة.

وقال يرثي ابنه الأوسط محمد من الطويل: (الرومي أ.، المصدر نفسه)

أَلَامُ لِمَا أُبْدِي عَلَيْكَ مِنَ الأَسَى
وَإِنِّي لَأُخْفِي مِنْكَ أَضْعَافَ مَا أُبْدِي
مُحَمَّدُ مَا شَيْءٌ تُوَهِّمَ سَلْوَةً
لِقَلْبِي إِلاَّ زَادَ قَلْبِي مِنَ الوُجْدِ
وَأَنْتَ وَإِنْ أَفْرَدْتَ فِي دَارِ وَحْشَةٍ
فَإِنِي بِدَارِ الأُنْسِ فِي وَحْشَةِ الفَرْدِ

البيت الأول كناية عن شدة الحزن الذي يعاني منه الشاعر لفقدانه لابنه، ويكني في البيت الثاني عن عدم نسيانه وشدة حزنه عليه والألم الذي انجر على فقدانه.

«دار وحشة» كناية عن القبر وقوله «دار الأنس» كناية عن الدنيا والآخرة.

ووظف الشاعر أبو الطيب المتنبي الكناية في شعره ومنها قوله في مدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي المنبجي:

وَضَاقَتِ الأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلاً

(المتنبي، 1983)

صور المتنبي في هذا البيت مقدار الفزع والذعر الذي انتاب الأعداء من رؤية خيل الممدوح مقبلة عليهم حتى لا متنفس ولا مهرب، وهي كناية عن قوة هذا الممدوح وشدة سطوته عليهم وإطاحته بهم، وقد بلغ بهم الذعر والخوف والهلع أنّ الهارب منهم يشعر في قرارة نفسه أنه قد أحيط به حتى لا مفر، ويجعل ذلك في نفسه في حكم اليقين أو شبه اليقين، فتراه يتخيل كل ما يراه، وهو يمعن في الهروب، رجلا يطارده ويوشك أن يقبض عليه، بل يتوهم العدم وجودا ويحدث له خياله أوهاما وأشباحا تطارده وكل ذلك كناية عن مقدار الفزع الذي ينتاب الأعداء من قوة الممدوح وسطوته الهائلة.

ويقول في موضع آخر يمدح سيف الدولة الحمداني في وقيعته بني كلاب:

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرِيرُ وَصبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمْ تُرَابُ
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ لِمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ

(المتنبي، الديوان)

صور الشاعر ما وقع في الأعداء من الهزيمة السريعة التي حولت أوضاعهم من حال إلى حال، فبينما هم يفترشون الحرير ويرفلون في النعمة يدركهم الممدوح بجنده فيهربون تاركين منازلهم وما كانوا به ينعمون، يؤول أمرهم إلى التشرد في العراء يفترشون التراب، وأفدح من ذلك ما أصاب كيانهم النفسي، فقد اهتز اهتزازا كبيرا حتى صار الرجل منهم لا يختلف عن المرأة في شدة الهلع وقلة الثبات، وقد كنى عن الرجل والمرأة تكنية ولم يذكرهما: كناية الرجل القناة التي يحملها، وكناية المرأة الخضاب التي تتزين به، وكلاهما في الكف، وهو ما سهل على الشاعر إجراء هذا الأسلوب الكنائي البديع.

وقوله في قصيدة الملك الاستاذ:

لَا تُحْزِنِي بِضَنِى بِي بَعْدَهَا بَقَرٌ
تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوباً بِمَسْكُوبِ

(المتنبي، الديوان)

حتى لا يقول أنّ دموعه تنهمر غزيرة من عينيه لشدة حزنه،

جعله كالماء الذي ينسكب من الدلاء موصولا غير منقطع وهي كناية عن كثرة الدموع.

وقوله في نفس القصيدة: (المتنبي، الديوان)

قَدْ وَافَقُوا الوَحْشَ فِي سُكْنِي مَرَاتِعِهَا

وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبِ

إنّ هؤلاء القوم بلغ من شجاعتهم وقوتهم وبأسهم، أن نازعوا الوحش هلكا وزاحموها في مكان سكناها غير مبالين بها أنهم خالفوها بأنهم متحقرون وعبر عن ذلك «خالفوها بتقويض وتطنيب» كناية عن القوم وصفة مساكنهم.

وقال أيضا: (المتنبي، المصدر نفسه)

جِيرَانُهَا وَهُمُ شَرُّ الجَوَارِ لَهَا

وَصَحْبُهَا وَهُمْ شَرُّ الأَصَاحِبِ

حدد الشاعر صفة الشر بالجيران وكذا الأصحاب، كناية عن الشر والخبث.

وقال في قصيدته «كفى بك داء»: (المتنبي، المصدر نفسه)

خُلِقْتُ أُلُوفًا لَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصِّبَى

لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ القَلْبِ بَاكِيَا

ينسب الشاعر حاضره إلى طفولته ويتمنى الرجوع إليها مهما كانت فهذه الطفولة مليئة بالأحزان تبكي القلب والعين معا كناية عن نسبة.

وقوله أيضا: (المتنبي، المصدر نفسه)

لَقِيتُ المَرَوْرَى وَالشَّنَاخِيبَ دُونَهُ

وَجُبْتُ هَجِيرًا يَتْرُكُ المَاءَ صَادِيَا

فالشاعر من أجل الوصول إلى الممدوح، ر كب وخاض كل الصعاب والمخاطر، سره في المروى والتي هي الصحارى والقفار، وصعد الشناخيب وهي الأماكن العالية رؤوس الجبال، واهتل الهجير أي القيظ والحر الذي يدع كل إنسان صاديا أي عطشانا. كناية عن المتاعب والشقاء.

خاتمة

هذه بعض صور الكناية وغيرها كثير في شعر شعراء العصر العباسي بوصفها أسلوبا من أساليبه المتميّزة، لها خصائصها الفنيّة في التعبير والتصوير والتأثير. فالكناية لم تأت لتشرح انفعالات الشعراء بالموقف، وإنما جاءت لتعبر عن هذا الانفعال وتمثله، فصور الشعراء هي الشعراء بعمق إحساسهم، وسعة تجربتهم، ورحابة تفكيرهم وما يمازجهم من حزن وفرح، وألم وأمل، وسخط ورضا، لذا تأتي لتكون متنفسا لرغباتهم وتمثيلا لشعورهم. وقيمة الكناية عند الشعراء العباسيين تنبع من رؤيتهم لها رؤية شاملة مع جاراتها، ودراستها في إطار مجموعة العلاقات التي تربط الكلام بعضه ببعض وتجعل له هيئة خاصة.

وخلصت الباحثة في نهاية المقال إلى النتائج التالية:

-تمثل الكناية عند الشعراء العباسيين القدرة الفنية على استخدام الألفاظ والألغاز في التعبير عن المعاني الكثيرة والتصرف فيها، خصوصا في استخدام المشترك اللفظي الذي اختزنت حافظته الكثير منه، مما مكنه من التعبير عن الأشياء التي لم يستطع التصريح عنها مباشرة.

-جاءت الكناية عند الشعراء العباسيين مستوحاة من الزخم الحضاري والامتزاج الثقافي والتحرر الفكري الذي كان في ذلك العصر.

-تعكس الكناية عند الشعراء العباسيين رؤيتهم اللغوية وإحساسهم بالأشياء من حولهم، فالشاعر العباسي يطيل التفكير والتمحيص يطيل صورته تارة ويقصرها أخرى، حتى يستنفذ طاقته التعبيرية فيها، وهو في عمله هذا لم يخرج عن البيئة المحيطة به، فأبدع في وصف ما حوله من الأشياء الحسية الذهنية، فجاءت كناياته معبرة عن المعادل الحسي للصور العقلية المجردة، وقد بناها على لوازم الألفاظ، ونقل المعنى بأسلوب غير مباشر، فبعضها غامض يحتاج إلى إعمال العقل وبعد النظر، وبعضها واضح لا تقعر فيه.

تنوعت صيغ الشعراء بين الكنايات المحفوظة من الآثار والمعارف التي اطلعوا عليها، والكنايات المبتكرة النابعة من قريحتهم وذهنهم داعية فيها المتلقي إلى إعمال عقله والتدبر للوصول إلى معناها.

المراجع

1. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، 1969، ص192.
2. أبو الحسن بن علي ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، ط5، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1981، ص312.
3. أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ابن الرومي، الديوان، ج3، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص14.
4. أبو الطيب المتنبي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص18.
5. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح محمد أبو الفضل، نهضة مصر بالفجالة، مصر، 1985، ص100.
6. أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.س.ن، مادة «كنى»، ص233.
7. أبو عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري، الديوان، ج1، شرح وتعليق محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، ص524.
8. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.س.ن، ص263.
9. أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.س.ن، ص242-243.
10. أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.س.ن، ص171،170
11. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص98.
12. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج2، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص156.
13. ادريس بلملبح، الرؤية البيانية عند الجاحظ، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984، ص222.
14. امرؤ القيس، الديوان، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص116.
15. بدوي طبانة، علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، دار الثقافة، بيروت، 1981، ص47.
16. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص63.
17. حمزة يحيى بن علي بن ابراهيم العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج1، مطبعة المقتطف، مصر، ص373.
18. الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 2007، ص58.
19. رواية ورش لقراءة الإمام نافع، القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 187، بيت القرآن للطباعة والنشر، سوريا، 2014.
20. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص105.
21. عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، ط1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، دمشق- بيروت، 1994، ص186.
22. فاطمة حمدان أحمد سعيد، مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، 2000، ص357.
23. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص157.
24. مجيد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.س.ن، مادة كنى، ص349.
25. محمد عبد الغني المصري وآخر، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، دار الوراق، الأردن، 2002، ص40.
26. مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، د.ب.ن، 1981، ص42.
27. إلهام السويسي العبد اللوي،» العناصر البلاغية والنقدية في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي»، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج 79، ج3، ص500.

The art of Metonymy in Abbasid poetry

Abstract

Metonymy forms the energy that generates poetic verses from the text, so it plays a decisive role in enriching the stylistic meaning in the creative text, which makes these connotations in its language and its compositions subject to interpretation. This gives the text its artistic specificity and its immortality over time. On this basis, the researcher approaches the art of metonymy through the ancient critics, then by explaining and examining his images in the poetry of certain Abbasid poets, using the descriptive analytical method. The study seeks to explain the characteristics of metonymy in the poetry of the Abbasids and is it preserved from the effects they have seen or innovated?

Keywords
metonymy
artistic
abbasid poetry
the ancient critics
objects

L'art de la Métonymie dans la poésie Abbasside

Résumé

La Métonymie forme l'énergie qui génère des vers poétiques du texte, de sorte qu'elle joue un rôle décisif dans l'enrichissement de la signification stylistique dans le texte créatif, ce qui rend ces connotations dans son langage et ses compositions sujettes à interprétation, ce qui donne au texte sa spécificité artistique et son immortalité dans le temps. Sur cette base, le chercheur aborde l'art de la métonymie à travers les anciens critiqueurs, puis en expliquant et en examinant ses images dans la poésie de certains poètes abbassides, en utilisant la méthode analytique descriptive. L'étude cherche à expliquer les caractéristiques de la métonymie dans la poésie des Abbassides et est-elle préservée des effets qu'ils ont vus ou innovants ?

Mots clés
métonymie
artistique
poésie abbasside
anciens critiqueurs
objectifs

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

دراسة تحليلية للبحوث العلمية التي تناولت أثر العصف الذهني على تعلم بعض المهارات الحركية الرياضية حسب بعض المتغيرات

An analytical study of scientific research that dealt with the impact of brainstorming on learning some motor skills according to some variables

مسعود بدة [1]
Messaoud Bedda
مخبر جودة البرامج في التربية الخاصة والتعليم المكيف
جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر
yacinebedda86@gmail.com

د. إسماعيل بكاي
Dr. Ismail Bekai
جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر
bekaiismail@gmail.com

د. مراد عايدي
Dr. Mourad Aidi
جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر
aidimourad17@gmail.com

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2022-05-27
تاريخ القبول 2024-02-06

الكلمات المفتاحية
دراسات علمية
استراتيجية العصف الذهني
مهارات حركية رياضية

ملخص

تهدف الدراسة إلى استعراض ومناقشة بعض الدراسات العلمية التي تناولت أثر استراتيجية العصف الذهني على تعلم بعض المهارات الحركية الرياضية لبعض الرياضات من خلال بعض المتغيرات (الجنس، المستوى الدراسي، نوع الرياضة، حجم العينة، مدة البرنامج المطبق). ولتحقيق هذا الهدف قمنا بجمع مجموعة من الدراسات العلمية التي لها علاقة بموضوع الدراسة، ولقد تم استخدم منهج تحليل المحتوى، حيث تم الاعتماد في جمع المعلومات على المنصات الرقمية والمكتبات، والعينة المختارة تكونت من 01 دراسات علمية منشورة ما بين 5102 و0202 في كل من مصر والعراق، إذ قمنا بعرضها بالطريقة العلمية ومناقشتها ومقارنتها ببعضها البعض. تم التوصل إلى أن استراتيجية العصف الذهني استراتيجية تعليمية ذات نجاعة في تعليم المهارات الحركية الرياضية في أغلب الرياضات جماعية أو فردية ولكلا الجنسين الذكور أو الإناث ومهما كان المستوى الدراسي من الابتدائي إلى الجامعي. في الأخير قدمت الدراسة بعض التوصيات وهي: الاستفادة من هذه الاستراتيجية في تعليم واتقان المهارات الرياضية على كل المستويات والأطوار التعليمية للوصول إلى أعلى مستوى في الأداء المهارى، تشجيع الأساتذة والمعلمين على استخدام أساليب التعليم الحديثة منها استراتيجية العصف الذهني في المجال الرياضي، إجراء المزيد من البحوث والدراسات العلمية المرتبطة بالعصف الذهني خاصة في المجال الرياضي.

مقدمة

تضع الدول المتقدمة التعليم من أهم أولوياتها، ولهذا تجدها تضع لها ميزانيات ضخمة لوضع خطط وبرامج لتكوين المدرسين وتطوير طرق وأساليب التدريس بما يتماشى مع متطلبات المرحلة.

إذ اهتم الباحثون بالتعليم النشط الذي يجعل المتعلم هو المبادر والمساهم في العملية التعليمية وإعطائه قوة الاقتراح وترك المجال لإبداعاته الفكرية بالمساهمة في إعطاء الحلول لعدة مواضيع بطرق مختلفة عن المعهود.

ومن بين هذه الأساليب والطرق استراتيجية العصف الذهني التي ساهمت وبشكل ملحوظ في إعطاء دور كبير للمتعلم في المشاركة في العملية التعلمية التعليمية، وأعطت نوع من الحرية للمتعلم للإبداع والبناء على أفكار الآخرين من خلال ابتكار حلول لمواضيع كثيرة في كل المجالات العلمية كالتسيير، الرياضيات، الجغرافيا، الأدب العربي وحتى في مجال الرياضة، ولقد اثبتت بعض الدراسات أن لهذه الاستراتيجية دور كبير في تعليم وتنمية بعض المهارات الحركية الرياضية لدى الناشئة.

ولهذا قمنا باختبار هذه الدراسة التي تسلط الضوء على أهمية هذه الاستراتيجية التي استعملت في الكثير من الميادين في الجزائر إلا في مجال الرياضة لم تجد لها مكان لحد الآن سواء في المؤسسات التعليمية أو في الملاعب والقاعات

1 المؤلف المراسل

الرياضية أي في مجال التدريب الرياضي.

من خلال دراستنا هذه سنسعى لإظهار تجارب بعض الدول العربية في استعمال هذه الاستراتيجية وكيفية تطبيقها في ميدان النشاط البدني الرياضي وما هي النتائج المتحصل عليها مقارنة ببعض الأساليب الأخرى في بعض الرياضات الفردية كالجمباز والقفز الثلاثي والجماعية ككرة القدم، كرة اليد، كرة السلة والكرة الطائرة وفي مختلف الأطوار التعليمية، الابتدائي، المتوسط، الثانوي والجامعي ولكلا الجنسين.

1–الجانب التمهيدي

1–1–الإشكالية

تناولت عدة دراسات عربية استراتيجية العصف الذهني في تعلم بعض المهارات الحركية الرياضية، حيث اختلفت هذه الدراسات في طريقة تناولها حسب نوع الرياضة أو المهارة أو حجم العينة أو البرنامج التعليمي المطبق أو نوع الجنس أو المستوى الدراسي لمجتمع الدراسة أو المعالجة الإحصائية ومن حيث النتائج المتحصل عليها في نهاية كل دراسة.

استنادا إلى ما سبق وعليه تتجسد إشكالية الدراسة في:

ما هي نتائج الدراسات العلمية حول استخدام استراتيجية العصف الذهني وأثرها على تعلم بعض المهارات الحركية الرياضية وكيف تم تناولت هذه الدراسات منهجيا؟

1–2–التساؤلات الفرعية

كيف تناولت الدراسات العلمية استخدام استراتيجية العصف الذهني في تعلم بعض المهارات الحركية الرياضية من حيث المنهج، نوع الجنس، نوع الرياضة، حجم العينة، المستوى الدراسي لمجتمع الدراسة، البرنامج المطبق ومدته.

ما هي النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسات العلمية في تطبيقها لاستراتيجية العصف الذهني؟

1–3–الفرضيات

تناولت كل الدراسات العلمية التي جمعناها المنهج التجريبي في دراستها لأثر استخدام العصف الذهني على تعلم بعض المهارات الحركية الرياضية لكن اختلفت في المتغيرات الأخرى (نوع الجنس، نوع الرياضة، حجم العينة، المستوى الدراسي لمجتمع الدراسة، البرنامج المطبق ومدته).

توصلت هذه الدراسات العلمية إلى نتائج تؤكد أن هناك تأثير في استخدام العصف الذهني على تعلم بعض المهارات الحركية الرياضية.

1–4–أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في إظهار أثر العصف الذهني في تعلم بعض المهارات الحركية الرياضية في بعض الرياضات وفي مختلف المستويات الدراسية من خلال تجارب بعض الدول العربية، وهذا بتحليل الدراسات العلمية التي تناولت هذا الموضوع في هذه الدول.

1–5–أهداف الدراسة

اخترنا هذه الدراسة لتحقيق مجموعة من الأهداف التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

مقارنة استراتيجية العصف الذهني مع بعض الاستراتيجيات الأخرى في تعلم بعض المهارات الحركية الرياضية.

نجاعة استراتيجية العصف الذهني في تعلم بعض المهارات الحركية الرياضية مهما كان المستوى الدراسي أو نوع الرياضة.

المنهج المناسب لتطبيق استراتيجية العصف الذهني في ميدان النشاط البدني الرياضي.

النتائج المتحصل عليها من خلال تطبيق هذه الاستراتيجية التعليمية.

2–الجانب النظري

2–1–مصطلحات الدراسة

2–1–1–البحث العلمي

هو استخدام الأساليب العلمية للوصول إلى حقائق جديدة والتحقق منها والإسهام في نمو المعرفة الإنسانية (أحمد، 2009، صفحة 35).

هو الإستقصاء الذي يتميز بالتنظيم الدقيق لمحاولة التوصل إلى معلومات أو معارف أو علاقات جديدة، والتحقق من المعلومات والمعارف والعلاقات الموجودة وتطويرها باستخدام طرائق أو مناهج موثوق في مصداقيتها (مروان، د.س.ن، صفحة 11).

البحث هو وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة وذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها والتي تتصل بمشكلة محددة (مروان، د.س.ن، صفحة 11).

2–1–2–التعريف الإجرائي

هي الدراسات العلمية التي تناولت استراتيجية العصف الذهني كاستراتيجية تدريس نشطة في مجال النشاط البدني

الرياضي والمنشورة بين سنوات 2015 و2020

2-1-3-**التعريف الاصطلاحي للمهارات الحركية**

وتعد المهارات الحركية الأساسية متطلباً رئيسياً وقبلياً لأغلب المهارات المتعلقة بالألعاب الرياضية، وان الفشل في الوصول إلى التطور والإتقان لهذه المهارات يعمل كحاجز لتطور المهارات الحركية التي يتم استخدامها في الألعاب الرياضية (برقوق، 2016/2015، صفحة 6).

القدرة على أداء عمل حركي بصورة تتميز بالسهولة والدقة والرشاقة والاقتصاد في بذل الجهد (نوري، د.س.ن، صفحة 4).

2-1-4-**التعريف الإجرائي للمهارات الحركية الرياضية**

هي الحركات الرياضية التي يمارس المتعلم أثناء الحصة الرياضية في نوع من أنواع الرياضات الفردية أو الجماعية.

2-1-5-**تعريف استراتيجية العصف الذهني**

تعد طريقة العصف الذهني من الطرق الحديثة التي تشجع على التفكير الإبداعي وتطلق الطاقات الكامنة عند المتعلمين في جو من الحرية والأمان وذلك خلال جلسة قصيرة، تسمح هذه الطريقة بظهور كل الآراء والأفكار حيث يكون المتعلم في قمة التفاعل مع الموقف، وتصلح في القضايا والموضوعات المفتوحة (رضوان، د.س.ن، صفحة 11).

2-1-6-**التعريف الإجرائي لاستراتيجية العصف الذهني**

هي استراتيجية تدريس تجعل مجموعة من التلاميذ أو الطلبة تبحث عن حلول لكيفية تنفيذ مهارة حركية رياضية عن طريق وضع المخ في حالة من الإثارة والجاهزية للتفكير في كل الاتجاهات بحيث يرحب بكل الأفكار مهما كانت ويقوم قائد المجموعة بتسجيل كل الأفكار على أن لا يسمح بنقد وتقويم هذه الأفكار إلا في نهاية الحصة بواسطة المعلم والطلاب.

2-1-7-**أهداف استراتيجية العصف الذهني**

تهدف جلسات العصف الذهني إلى تحقيق الآتي:

حل المشكلات حلا إبداعيا.

كسر الجمود لإيجاد البدائل.

توليد الأفكار وتحدي العقول.

التدريب على سرعة التفكير.

التهيئة الذهنية وجذب الإنتباه (عبدالعظيم، 2015، صفحة 47).

2-1-8-**القواعد الأساسية لاستراتيجية العصف الذهني**

-ضرورة تجنب النقد للأفكار مهما كان نوعها.

-حرية التفكير والترحيب بكل الأفكار مهما كان نوعها أو مستواها.

-التأكد من زيادة كمية الأفكار المطروحة

-البناء على أفكار الآخرين وتطويرها (مركز-نون-للتأليف-والترجمة، 2011، صفحة 141).

2-1-9-**خصائص العصف الذهني**

تتميز استراتيجية العصف الذهني بعدة خصائص محددة وهي:

-الأصالة: هي قدرة الطالب على إنتاج الأفكار، وحل مشكلات مألوفة بطريقة غير مألوفة

-المثابرة: هي أن يعمل الشخص النشط ساعات، ويبدي استعدادا وتصميما على مواجهة الاخفاق، وأن تدفعه النتائج غير المرضية إلى مضاعفة الجهد.

الاستقلال: على أن يلاحظ الفرد ما لا يلاحظه الآخرون، ويبحث عما هو غير مألوف، فيقلب الأفكار، ويخمن الحلول.

-الاقتراب والابتعاد: يقرأ الشخص النشط ويدون الملاحظات، ويتقمص الحلول، ويطلع على ما أنجزه الآخرون، ثم يبتعد عن الفكرة التي يراها بكامل أبعادها.

- التأجيل والمباشرة: لا يصدر الفرد الأحكام إصدارا سريعا، بل يحاول التفكير في حلول أخرى، غير تلك التي يبدو له لأول مرة.

-إشراقة الفكر: يترك الفرد الفكرة في ذهنه لتتخمر بعد محاولات خائبة.

-التحقق من صحة الحل: ويتم ذلك بالطرق الموضوعية.

-دمج الأفكار المعروضة مع أفكار أخرى: وصولا إلى نتيجة جديدة (داود أ.، 2014، الصفحات 294-295).

2-1-10-**أركان العصف الذهني**

منظم: يتبع خطوات تنفيذية محددة وفق قواعد ومراحل وأساليب معينة.

إبداعي: يخرجنا من ذاكرة الأفكار النمطية المحدودة إلى الأفكار الإبداعية الواسعة.

جماعي: تعتمد نتائجه على جهد جماعي.

استمطاري: تسارع طرح الأفكار ... واستدرارها.

كمي: التركيز على تجميع أكبر كم من الأفكار.

تفاعلي: بعض الأفكار تثير انتباه الآخرين لتوليد أفكار إبداعية جديدة (البارودي، 2015، الصفحات 39-40)

ولنجاح عملية العصف الذهني فلا بد من التأكد من توافر العناصر التالية:

-وضوح المشكلة لدى المشاركين وقائد الجلسة قبل البدء فيها.

-وضوح مباديء وقواعد العمل والإلتزام بها من قبل الجميع بحيث يأخذ كل مشارك دوره في طرح الأفكار دون تعقيب من أحد.

خبرة قائد النشاط وقناعته بقيمة أسلوب العصف الذهني كأحد الاتجاهات المعرفية في حفز الإبداع وتوليد الأفكار. (البارودي، 2015، صفحة 40)

2-1-11-**تعريف الرياضات الجماعية**

هي نشاط رياضي ذو طابع جماعي يشترك فيه أكثر من شخص واحد في جو تنافسي لتحقيق هدف جماعي مشترك، ويحصل فيها تفاعل كبير بين الرياضيين، وهذا التفاعل ينتج عنه ما نسميه بالديناميكية الجماعية، حيث يتحقق فيها تنظيم علاقة الفرد الواحد بالفريق الذي ينتمي إليه، وتنظيم دقيق لعلاقة الفرد بالخصم (بوجليدة، 2011، صفحة 13).

وتتميز الرياضات الجماعية عن باقي النشاطات الرياضية الأخرى بطابعها الجماعي والتنافسي الذي يكون في شكل مقابلة بين فريقين متجانسين يغلب عليها الجانب الترفيهي أو الترويحي، وبقوانين تضبطها وتحدد صفة الاتصال المسموح به مع الزملاء، والاحتكاك بالخصم.

وهي كوسيلة تربوية مهمة تساهم في التطوير الإيجابي للعديد من الجوانب عند الفرد سواء كانت جسميه نفسيه اجتماعية أو تربوية(سلوكية).

3-عرض الدراسات العلمية التي تناولت استراتيجية العصف الذهني في تعلم بعض المهارات الحركية الرياضية والمنشورة بين سنوات 2015 و2020

هناك العديد الدراسات التي تطرقت إلى موضوع العصف الذهني كاستراتيجية تعليمية في جميع المجالات ولكن في بحثنا هذا سنتطرق للأبحاث التي تناولت العصف الذهني وأثره في تعلم بعض المهارات الحركية في عدة أنواع من الرياضات الجماعية والفردية.

دراسة نورا عبد المجيد نبوى أبو دنيا بعنوان: «**تأثير إستخدام أسلوب العصف الذهني على تعلم بعض مهارات كرة اليد لطالبات الفرقه الثانيه كلية التربيه الرياضيه جامعه السادات**» هدفت الدراسة إلى التعرف على تأثير استخدام استراتيجية العصف الذهني على التحصيل المعرفي وتعلم بعض المهارات الأساسية لكرة اليد لطلاب كلية التربية الرياضية حيث استخدم المنهج التجريبي وذلك من خلال التصميم التجريبي الذي يعتمد على القياس القبلي والبعدي لمجموعتين إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة، وشمل مجتمع الدراسة 108 طالبة اختيرت منهم عينة بطريقة عشوائية مكونة من 60 طالبة قسمت إلى مجموعتين من 30 طالبة واحد تجريبية والثانية ضابطة، ولقد اسفرت النتائج على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسين القبلي والبعدي ولو بفارق طفيف في تحسن الأداء المهاري للمجموعة التجريبية الثانية (باستخدام استراتيجية العصف الذهني) لصالح القياس البعدي ووجود فروق ذات دلالة إحصائية في القياسات البعدية في التحصيل المعرفي في كرة اليد بين المجموعتين التجريبية الأولى والتجريبية الثانية لصالح المجموعة التجريبية الثانية (استخدام استراتيجية العصف الذهني) (أبودنيا، د.س.ن، صفحة 401) .

دراسة اوديد عوديشو اسي ومؤيد كمال الدين عز الدين وسعدي عمر يوسف بعنوان: «**اثر استخدام استراتيجية العصف الذهني في اكتساب بعض المهارات الهجومية بكرة اليد**» هدفت الدراسة إلى الكشف عن اثر التدريس باستخدام استراتيجية العصف الذهني في اكتساب بعض المهارات الهجومية بكرة اليد واستخدم الباحثون المنهج التجريبي وذلك من خلال التصميم التجريبي على مجموعتين احداهما تجريبية واخرى ضابطة مستخدما القياس البعدي لكلا المجموعتين وتكونت عينة البحث من(36) طالبا تم اختيارهم من بين طلبة السنة الدراسية الثانية كلية التربية الرياضية بجامعة دكوك، وقد قسموا إلى مجموعتين بواقع(18) طالب لكل مجموعة تم اختيارهم عشوائيا عن طريق القرعة وقد تم توزيع استراتيجية التدريس العصف الذهني والطريقة المتبعة (طريقة القرعة) على مجموعتي البحث، وقد توصلت الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية ومتوسط درجات المجموعة الضابطة في اكتساب مهارات (تمريرة الدفع للجانب، التمرير من فوق مستوى الكتف، التنطيط، التصويب من القفز أماما،

التصويب من السقوط الأمامي) ولصالح المجموعة التجريبية التي تدرس وفق استراتيجية العصف الذهني (يوسف، 2018، صفحة 371).

دراسة رانيا محمد حسن سعيد الهواري، عمرو مصطفى السايح محمد ومحمود محمد محمود عبد العال بعنوان: **«أثر استخدام أسلوب العصف الذهني على تعلم المهارات الأساسية في الكرة الطائرة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية»** حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على تأثير استراتيجية العصف الذهني في تعلم المهارات الأساسية للكرة الطائرة الاستعداد – الإرسال – الدفاع عن الإرسال – الإعداد) لدى تلاميذ الصاف السادس ابتدائي ، ولقد استخدم المنهج التجريبي وذلك بتصميم المجموعتين الأولى ضابطة والثانية تجريبية، إذ كان مجتمع الدراسة عدده 50 تلميذ وتم اختيار عينة من 30 تلميذ تم تقسيمهم إلى مجموعتين من 15 تلميذ ونتج عن ذلك فاعلية استخدام إستراتيجيتي العصف الذهني والمحاضرة في رفع مستوى الأداء المهاري إذ تفوق أفراد المجموعة التجريبية التي درست وفق استراتيجية العصف الذهني على أفراد المجموعة الضابطة التي درست وفق طريقة التلقين في مستوى الأداء المهاري وان تأثير استراتيجية العصف الذهني كانت الأفضل من استراتيجية التلقين في تنمية التفكير العلمي لدى عينة الدراسة (العال، 2015، صفحة 33).

دراسة سوار صلاح محي الدين بعنوان :» **أثر استخدام برنامج تعليمي بأسلوب العصف الذهني في تعلم النواحي الفنية للوثبة الثلاثية»** هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن تأثير استخدم استراتيجية العصف الذهني على تعلم النواحي الفنية للوثبة الثلاثية ، وقد استخدمت الباحثة المنهج التجريبي باستخدام التصميم التجريبي ذو القياسات القبلية والبعدية لمجموعتين واحدة تجريبية والثانية ضابطة وذلك لملائمته لطبيعة هذا البحث، يبلغ مجتمع الدراسة 40 طالب وطالبة من طلبة المرحلة الدراسية الأولى للعام الدراسي 2019/2018 في كلية التربية البدنية والرياضية، جامعة كرميان وتم اختيار عينة البحث مكونة من 30 طالب وطالبة بطريقة عشوائية وبعد التجريب والمعالجة الإحصائية للمعلومات المتحصل عليها توصلوا إلى أن استخدام استراتيجية العصف الذهني يؤثر إيجابيا على تعلم النواحي الفنية للوثبة الثلاثية (محي-الدين، د.س.ن، صفحة 159) .

دراسة سعيد غني نور و اسراء عبد الزهرة ارخيص بعنوان: **«تأثير استراتيجية العصف الذهني في تعلم مهارة الارسال الموجه من الاعلى للعبة الكرة الطائرة لدى طلاب الصف الرابع الاعدادي»** حيث كان هدف البحث استعمال استراتيجية العصف الذهني في تعلم مهارة الإرسال الموجه من الأعلى الأمامي للعبة الكرة الطائرة لدى طلبة الصف الرابع إعدادي، استخدم الباحثتين المنهج التجريبي ذو تصميم المجموعتين المتكافئتين ذات الإختبار القبلي والبعد، وقد تم اختيار 12 طالب كعينة من أصل 158 طالب قسموا لمجموعتين 06 ضابطة و06 تجريبية ولقد توصلوا إلى أن لاستراتيجية العصف الذهني تأثير ايجابي وفعال في تعلم الأداء الفني ودقة الارسال بالكرة الطائرة لدى المجموعة التجريبية بالاختبارات البعدية وان المنهج التجريبي الذي وضعه الباحثان كان له التأثير الواضح لملامته مع مستويات الطلبة وقدراتهم وامكانياتهم ومراعيا للفروقات الفردية وعند ادخال الوسائل المتنوعة داخل الوحدة التعليمية للعصف الذهني جعلت عملية التعلم تساهم في تنمية ادراك المشاهدات في الخيال وتثبيت عملية التعلم والابداع (ارخيص، 2015، صفحة 111).

6.4. دراسة صفوت مبروك حشيش بعنوان: **«تأثير استخدام أسلوب العصف الذهني على مستوى تعلم بعض المهارات الأساسية في كرة القدم لطلاب الفرقة الأولى بكلية التربية الرياضية جامعة الأزهر»** حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على تأثير استخدام أسلوب العصف الذهني على تعلم بعض المهارات الأساسية في كرة القدم لطلاب الفرقة الأولى بكلية التربية الرياضية جامعة الازهر، استخدم الباحث المنهج التجريبي لتصميم المجموعتين ضابطة وتجريبية، واختيار العينة بالطريقة العشوائية عددها 120 طالب مقسمين على مجموعتين عدد كل منها 60 طالب من مجتمع به 1300 طالب ولقد توصل الباحث إلى أن التعلم بواسطة استراتيجية العصف الذهني قد أدت إلى الحصول على نتائج إيجابية وفعالة وبنسب تقدم أفضل من الأسلوب المتبع للمهارات الأساسية في كرة القدم وأسهم البرنامج التعليمي المقترح في توفير الوقت والجهد وكان له دور إيجابي في عملية التوجيه والإرشاد وكذا تصحيح الأخطاء أثناء تطبيق البرنامج كما

أسهم البرنامج التعليمي المقترح في زيادة وعي الطلاب، وأزالة الخوف من نفوسهم نحو استخدام الأساليب التدريسية الحديثة وأن البرنامج المقترح باستخدام استراتيجية العصف الذهني له تأثير إيجابي عن البرنامج التقليدي المستخدم ، وكان هذا الأثر واضح على تحسن مستوى الأداء في المهارات الأساسية في كرة القدم قيد البحث (حشيش، 2020).

دراسة محمد محمود الصغير ومحمد أحمد راضي بعنوان: **«فاعلية استراتيجية العصف الذهني على دافعية التعلم ودرجة أداء الجملة الحركية على جهاز العقلة»** وهدفت الدراسة إلى التعرف على تأثير استخدام استراتيجية العصف الذهني على دافعية التعلم ودرجة أداء الجملة الحركية على جهاز العقلة لدى طلاب الفرقة الثانية بكلية التربية الرياضية بنين بجامعة الزقازيق، حيث استخدم المنهج التجريبي وذلك من خلال التصميم التجريبي الذي يعتمد على القياس القبلي والبعدي لمجموعتين إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة، وشمل مجتمع الدراسة 440 طالب اختيرت منهم عينة عمدية مكونة من 50 طالب قسم إلى مجموعتين من 25 طالب واحد تجريبية والثانية ضابطة، ولقد اسفرت على .تأثير استرتيجية العصف الذهني تأثيرا إيجابيا على درجة أداء مهارات الجملة الحركية على جهاز العقلة (مهارة طلوع الكب من المرجحة الأمامية – دورة الحوض الخلفية الصغرى – التلويح مع ربع لفة للهبوط)، ودافعية التعلم كما يؤثر أسلوب التعلم بالأوامر (الطريقة التقليدية) تأثيرا إيجابيا على درجة أداء الجملة الحركية على جهاز العقلة (مهارة طلوع الكب من المرجحة الأمامية – دورة الحوض الخلفية الصغرى – التلويح مع ربع لفة للهبوط)، في حين لا يؤثر إيجابيا على دافعية التعلم وتفوق أفراد المجموعة التجريبية بدلالة إحصائية على أفراد المجموعة الضابطة في القياسات البعدية في درجة أداء الجملة الحركية على جهاز العقلة (مهارة طلوع الكب من المرجحة الأمامية – دورة الحوض الخلفية الصغرى – التلويح مع ربع لفة للهبوط)، ودافعية التعلم - تفوق أفراد المجموعة التجريبية على أفراد المجموعة الضابطة في نسب تحسن القياس البعدي عن القبلي في درجة أداء الجملة الحركية على جهاز العقلة (مهارة طلوع الكب من المرجحة الأمامية – دورة الحوض الخلفية الصغرى – التلويح مع ربع لفة للهبوط)، ودافعية التعلم (راضي، 2019، صفحة 114).

دراسة شادي محمد عبد المنعم بعنوان: **«فاعلية برنامج تعليمي باستخدام أسلوب العصف الذهني على تعلم بعض مهارات الجمباز وبعض المتغيرات البدنية»** هدفت الدراسة إلى تصميم برنامج تعليمي باستخدام استراتيجية العصف الذهني لتعلم بعض المهارات الجمباز وذلك للتعرف على تأثيره على تعلم بعض مهارات الجمباز (الدحرجة الأمامية المكورة، الدحرجة الخلفية المكورة، الوقوف على اليدين، الوقوف على الرأس، القلبة الجانبية على اليدين) وكذلك على المتغيرات البدنية المرتبطة بالمهارات (تحمل القوة، الرشاقة، المرونة، السرعة الانتقالية والتوافق)، إذ تم اختيار عينة البحث بالطريقة عشوائية من طلاب الفصل الدراسي الثاني والبالغ عددهم 90 طالب من أصل مجتمع بالغ 114 طالب وتوصلوا إلى أن المنهج الذي اعتمده الباحثون وباستخدام أسلوب العصف الذهني في تطبيقه على الطلاب له أثر واضح في تطوير الأداء المهاري وبعض المتغيرات البدنية (عبدالمنعم، 2016، صفحة 85).

دراسة كريم عبد الغني عبد جاسم وهجوم إسماعيل جمعة بعنوان :»**أثر أسلوب العصف الذهني في تعلم بعض المهارات الأساسية بكرة القدم لطلاب الصف الثاني متوسط**» هدفت الدراسة إلى التعرف على تأثير أسلوب العصف الذهني في تعلم بعض المهارات الأساسية بكرة القدم لطلاب الصف الثاني متوسط، ولهذا الغرض استعانت الدراسة بالمنهج التجريبي، إذ تم اختيار عينة البحث بالطريقة العشوائية من طلاب الصف الثاني متوسط والبالغ عددهم 78 طالب من أصل مجتمع بالغ 108 طالب وتوصلت الدراسة إلى تفوق أفراد المجموعة التجريبية التي درست وفق استراتيجية العصف الذهني على المحموعة الضابطة التي درست بالطريقة الأمرية (جمعة، 2017، صفحة 446).

دراسة إياد صالح سلمان وسوزان سليم داود بعنوان: **«أثر استراتيجيتي الرؤوس المرقمة والعصف الذهني في تعلم مهارة قفزة اليدين الأمامية على منصة القفز في المناستك الفني للرجال»** هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر استراتيجيتي الرؤوس المرقمة والعصف الذهني في تعلم مهارة قفزة اليدين الأمامية على منصة القفز لدى طلبة الصف الثالث في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة. ولقد استخدم المنهج التجريبي، إذ تم اختيار عينة البحث بالطريقة

العشوائية من الطلبة والبالغ عددهم 36 طالب من أصل مجتمع بالغ 167 طالب وتوصلت إلى النتائج التالية: تفوق المجموعة التي استعملت الرؤوس المرقمة على مجموعتي العصف الذهني والأسلوب التقليدي تعلم مهارة قفزة اليدين الأمامية على منصة القفز (داود إ.، 2019، صفحة 179). [2]

4–الجانب التطبيقي

4–1–المنهج المتبع

اعتمد الباحثون في هذه الدراسة على منهج تحليل المحتوى الذي هو أسلوب يقوم بوصف منظم ودقيق لنصوص مكتوبة أو مسموعة من خلال تحديد موضوع الدراسة وهدفها وتعريف مجتمع الدراسة الذي سيتم اختيار الحالات الخاصة منه لدراسة مضمونها وتحليله (المحمودي، 2019، صفحة 60).

حيث أن هذا المنهج يلائم طبيعة الدراسة من أجل معرف كيف تناولت هذه الدراسات أثر استراتيجية العصف الذهني في تعلم بعض المهارات الحركية وما هي النتائج المتوصل إليها

4–2–أدوات المستخدمة في الدراسة

تم الاعتماد على البوابة الإلكترونية للمجلات والمواقع الإلكترونية وبعض قاعدات المعطيات لجمع هذه الدراسات

4–3–مجتمع الدراسة

الدراسات العملية التي تناولت استراتيجية العصف الذهني في تعلم بعض المهارات الحركية في الرياضات الجماعية والفردية والمجتمع غير معلوم الحدود

4–4–عينة الدراسة

تم اختيار عينة قصدية مكونة من 10 دراسات علمية تناولت أثر العصف الذهني على تعلم بعض المهارات الحركية

4–4–1–عرض عينة الدراسة

يتمثل مجتمع الدراسة في الدراسات العلمية التي تناولت في متغيرها المستقل استراتيجية العصف الذهني وفي متغيرها التابع المهارات الحركية الرياضية في مجموعة من أنواع الرياضات الجماعية والفردية حيث شملت العينة على 10 دراسات عملية الجدول رقم (1) الموالي يوضح مجموعة من خصائص وصفات أفراد العينة.

جدول (01): توزيع افراد عينة الدراسة.

متغيرات الدراسة	العدد	النسبة	الرتبة
قبل 2018	04	40	2
بعد 2018	06	60	1
سنة النشر	10	100	/
ابتدائي	01	10	2
متوسط	01	10	2
ثانوي	01	10	2
جامعي	07	70	1
المستوى الدراسي	10	100	/
رياضة جماعية	06	60	1
رياضة فردية	04	40	2
نوع الرياضة	10	100	/
ذكور	06	60	1
إناث	01	10	3
مختلط	03	30	2
الجنس	10	100	/
مصر	05	50	
العراق	05	50	
البلد	10	100	/

4–4–2– خصائص عينة الدراسة

من خلال الجدول رقم (01) الخاص بموصفات العينة، نلاحظ بأن نسبة الأبحاث المعروضة للدراسة كانت كلها جديدة لا يتعدى مدة نشرها 10 سنوات حيث التي نشرت سنة 2018 فما بعد بلغت نسبة 60% والتي تعتبر أكبر نسبة، هذه الفئة تتمتع بأنها أبحاث جديدة لم يمر على نشرها 5 سنوات وهذا مؤشر على حداثة الأبحاث، والأبحاث المتبقية نشرت ما بين 2015 و2017 بنسبة 40 % ، وهي دلالة على أن استعمال استراتيجية العصف الذهني في المجال الرياضي ليس جديد، كما أن أغلب الأبحاث اختارت المستوى الجامعي في عينة دراستها حيث بلغت النسبة 70% وهذا نظرا لنضجهم العقلي ومستواهم الدراسي الذي يسمح بتطبيق تقنيات حديثة وإشراكهم في العملية التعليمية، من جهة أخرى اختارت بعض الدراسات الفئات الأخرى بنسبة 30% لكل من (الثانوي، المتوسط والإبتدائي)، أي 10% لكل مستوى وهذا للتجريب والتأكد من إمكانية تطبيقه على الفئات الصغرى، أما بالنسبة للجنس فقد تنوعت إلا أن نسبة الذكور كانت كبيرة إذ بلغت 60% باعتبار النسبة الكبيرة الممارسة

للأنشطة الرياضية خاصة في الوطن العربي باعتبار أن كل الدراسات عربية تليها الجنس المختلط أي الذكور والإناث معا (مختلط) نسبة 30% ثم في الأخير الإناث بدراسة واحدة أي بنسبة 10% باعتبار الخصوصية عند البلدان العربية حيث ممارسة الإناث محدودة مقارنة بالذكور، أما من حيث أنواع الرياضيات فالرياضات الجماعية مثلت بنسبة 60% فهي أكثر انتشارا وشعبية وتستقطب الكثير من الشباب لممارستها مقارنة بالرياضات الفردية التي نسبتها 40% وهي أقل ممارسة، وجدير بالذكر أن كل هذه الدراسات أجريت في كل من مصر والعراق بالتساوي وغير متوفرة على المستوى المحلي (الجزائر).

4–5–مناقشة وتفسير الفرضية

الفرضية: للعصف الذهني أثر في تعلم بعض المهارات الحركية في البحوث العلمية حسب بعض المتغيرات (الجنس، المستوى الدراسي، نوع الرياضة، حجم العينة، مدة البرنامج المطبق)

جدول (02): تحليل الدراسات

الرياضة	البلد	المجتمع	العينة المستهدفة	العينة	المدة (ساعة)	الجنس
كرة اليد	مصر	108	جامعي	60	24	إناث
كرة اليد	العراق	140	جامعي	36	30	مختلط
الكرة الطائرة	مصر	53	إبتدائي	30	حوالي 10 ساعات	ذكور
الكرة الطائرة	العراق	158	ثانوي	12	7,5	ذكور
كرة القدم	مصر	1300	جامعي	120	16	مختلط
كرة القدم	العراق	108	متوسط	78	27	ذكور
الجمباز	مصر	114	جامعي	90	22.5	ذكور
الجمباز	مصر	440	جامعي	50	15	ذكور
الوثب الثلاثي	العراق	40	جامعي	30	18	مختلط
الجمباز	العراق	167	جامعي	36	6	ذكور

من خلال الجدول رقم (02) نلاحظ أن الدراسات التي تناولت كرة اليد تمثل نسبة (33,33%) من الرياضات الجماعية و(20%) من مجموع الدراسات نذكر منها دراسة نورا ودراسة أويدي عوديشو أسي حيث أن إحداهما طبقت على جنس الإناث والأخرى طبقت على الجنسين الذكور والإناث معا، أما المستوى الدراسي فكان الجامعي لعينة الدراسة، أما حجم العينة فتراوحت بين 36 و60 فرد، كما كان مدة تنفيذ البرنامج الكلية تراوحت بين 24 إلى 30 ساعة، أما الكرة الطائرة فتمثل نسبة (33,33%) من الرياضات الجماعية و(20%) من مجموع الدراسات التي تام عرضها للدراسة منها دراسة رانيا محمد حسن ودراسة سعيد غني نوري اللتين استعملتا جنس الذكور لكن الأولى كان مستوى العينة إبتدائي أما الثانية ثانوي، بالنسبة لحجم العينة تراوحت بين 12 إلى 30 فرد، أما مدة البرنامج المطبق فكانت متقاربة بين 7.5 و 10 ساعات إجمالا، وتأتي رياضة كرة القدم مثلت نسبة (33,33%) من الرياضات الجماعية و(20%) من مجموع الدراسات منها دراسة صفوت مبروك حشيش، ودراسة كريم عبد الغني وآخرون فطبقوا في دراستهم على عينة جنس مختلط بالنسبة لدراسة صفوت وجنس الذكور لدراسة كريم وآخرون، وتم تطبق الدراسة على المستوى الجامعي للدراسة الأولى ومستوى المتوسط للدراسة الثانية، أما حجم العينة فتراوحت بين 78 و120 وهذا ما يعكس شعبية هذه الرياضة والكم الكبير من الممارسين لها، حيث تم تطبيق البرنامج المعد بين 16 إلى 27 ساعة أما رياضة الجمباز التي تمثل (30%) من مجموع الدراسات و(75%) من الرياضات الفردية في دراسة محمد محمود وآخرون ودراسة إياد صالح وآخرون ودراسة شادي محمد عبد المنعم، إذ كان التطبيق على جنس الذكور في الدراستين والجنسين معا في الدراسة الثالثة لعينة الدراسة أما المستوى الدراسي فلقد تم اختيار المستوى الجامعي لعينة الدراسة لكل الدراسات المعروضة في هذا النوع من الرياضة أما عن حجم العينة فتراواح بين 36 و90 فرد أما مدة البرنامج المطبق فكان بين 6 إلى 22.5 ساعة إجمالا وتأتي

دراسة واحد عن رياضة الوثب الثلاثي وهي دراسة سوار ممثلة (10%) من مجموع الدراسات المعروضة و(25%) من مجموع الرياضات الفردية التي استعانت بالجنسين لتنفيذ دراستها وتم تطبيقها على مستوى الجامعة على طلبة وطالبات الجامعة بعينة قوامها 30 فرد وبرنامج مدته 18 ساعة

اتفقت كل هذه الدراسات في استعمال المنهج التجريبي ذو المجموعات المتكافئة، وهذا ما يتناسب وطبيعة الدراسات إذ كان هدفها معرفة أثر تطبيق استراتيجية العصف الذهني على تعلم بعض المهارات الحركية لمجموعة من الرياضات الفردية والجماعية، حيث تم قياس المستوى المهاري للعينة في بداية الأمر (القياس القبلي)، ثم إجراء التجارب أو التعلم عن طريق حصص تعليمية بالنسبة للمجموعات الضابطة يتم تعليمها بالطريقة العادية (التقليدية) لكن المجموعات التجريبية فيطبق عليها استراتيجية العصف الذهني في مدة زمنية يحددها كل باحث حسب نوع الرياضة، حجم العينة، المستوى الدراسي والجنس مع العلم أن كل الدراسات اختارت عينتها بطريقة عشوائية بالنسبة للمستوى وعمدية بالنسبة للأفراد لضبط المتغيرات وتكافؤ المجموعات الضابطة والتجريبية للحصول على نتائج دقيقة وموضوعية رغم اختلاف الرياضات، حجم العينة، جنس العينة، المستوى الدراسي لأفراد العينة وكذلك مدة البرامج المطبقة.

واختلف هذه الدراسات في حجم العينة إذ كانت أقل عينة تتكون من 12 فرد من مجتمع مكون من 158 حيث كان الجنس المستهدف ذكور من المستوى الثانوي، و مدة التطبيق لم تتجاوز 7,5 ساعة في المجموع وهي مدة قليلة ولكن بما أن العينة صغيرة فيمكن أن تكون كافية كدراسة سعيد غني نوري وآخرون، أما أغلبية الدراسات كان حجم العينة يتراوح بين 30 و50 فرد أي في كل مجموعة بين 15 إلى 25 فرد وهذا طبيعي خاصة في الرياضات الجماعية كدراسة رانيا وآخرون في رياضة كرة الطائرة وإياد وأخرون زدراسة أويد وأخرون في رياضة كرة اليد ودراسة محمد وآخرون في رياضة الجمباز ودراسة سوار في رياضة الوثب الثلاثي، وكانت أكبر عينة في رياضة كرة القدم بـ120 فرد في دراسة صفوت مبروك حشيش إذ كانت العينة مختلطة ذكور وإناث ومستوى العينة جامعي وقد استعان الباحث ببعض الأساتذة للمساعدة في التطبيق نظرا للعدد الكبير في العينة، كما اختلفت كذلك في المستوى الدراسي رغم أن أغلبها اختار المستوى الجامعي حيث 70% من الدراسات استعانت بالطلبة الجامعيين منها مثلا دراسة إياد وآخرون في رياضة الجمباز ودراسة كريم وآخرون في رياضة كرة القدم ودراسة نورا في كرة اليد ودراسة سعيد وآخرون في رياضة الكرة الطائرة ودراسة سوار في رياضة الوثب الثلاثي وكانت دراسة واحدة طبقت على المستوى الإبتدائي وهي دراسة رانيا وآخرون ودراسة طبقت على المستوى المتوسط دراسة كريم وآخرون في رياضة كرة القدم وأخرى المستوى الثانوي ممثلة في دراسة سعيد وآخرون في رياضة كرة الطائرة، واختلفت ايضا في الجنس، باختيار 50% من الدراسات جنس الذكور في عينتها كدراسة رانيا وآخرون في رياضة الكرة الطائرة ودراسة إياد وآخرون في رياضة الجمباز ودراسة كريم وآخرون في رياضة كرة القدم كما اختارت 30% من الدراسات الجنسين معا (ذكور وإناث)، وذلك في كل من دراسة سوار في رياضة الوثب الثلاثي ودراسة أوديد وآخرون في رياضة كرة اليد ودراسة صفوت مبروك حشيش في كرة القدم أي في الرياضات الجماعية، وفي الأخير 10% من الدراسات أي دراسة واحدة استعانت بجنس الإناث وهي دراسة نورا في رياضة كرة اليد، الإختلاف كذلك كان في مدة البرنامج المطبق حيث وافقت الدراستين إياد وآخرون ودراسة سعيد وآخرون أقل وقت في التطبيق تراوح بين 6 و7,5 ساعة الوقت الكلي للتطبيق أي ما نسبته 20% من الدراسات وتقاربت مجموعة الدراسات 40% في وقت التطبيق حيث تراوحت بين 15 إلى 18 ساعة مثل دراسة محمد وآخرون في رياضة الجمباز ودراسة أوديد وآخرون في رياضة كرة اليد والنسبة الباقية من الدراسات فكانت 40% تراوحت مدة الإنجاز بين 20 إلى 30 ساعة كدراسة كريم وآخرون في رياضة كرة القدم جنس الذكور، ودراسة أويد وأخرون ودراسة نورا في رياضة كرة اليد ودراسة شادي في رياضة الجمباز إلا أنها أتفقت في مجملها على أن تكون عدد حصص التطبيق حصتين في الأسبوع.

خاتمة

وفي الأخير بعد عرض هذه الدراسات ومناقشتها وتحليلها من حيث مجموعة من المتغيرات (الجنس، المستوى الدراسي، نوع الرياضة، حجم العينة، مدة البرنامج المطبق)، خلصت الدراسة الحالية إلى أن هذه الدراسات اتفقت جميعها على أن استراتيجية العصف الذهني من استراتيجيات التدريس

النشطة وهي فعالة حيث أثبتت نجاعتها في تعلم المهارات الحركية مقارنة بعدة طرق وأساليب تدريس أخرى.

ومن خلال اختيارنا لمجموعة من الدراسات المنشورة في السنوات من 2015 إلى 2020 وكانت كل النتائج تؤكد تأثير هذه الاستراتيجية في العملية التعليمية، ولم تتغير النتائج سواء عند تطبيقها على الرياضات الجماعية ككرة القدم، كرة اليد، والكرة الطائرة أو في الرياضات الفردية خاصة الجمباز والوثب الثلاثي، إذ لم يكن لا لحجم العينة ولا للمستوى الدراسي ولا الجنس ولا مدة البرنامج التعليمي المطبق تأثير سلبي في تطبيقها ونجاحها، أي لم تؤثر في النتائج ومنه فإن استراتيجية العصف الذهني استراتيجية ناجحة.

ومن خلال هذه الدراسات التي كانت كلها إقليمية (عربية) خاصة من العراق ومصر فلقد لاحظ الباحثون غياب هذا النوع من الدراسات التي تناولت استراتيجية العصف الذهني كاستراتيجية للتدريس في حصة التربية البدنية والرياضية على المستوى المحلي (الجزائر)، رغم سعي الدولة إلى تطوير أساليب التدريس والإنتقال إلى الأساليب الحديثة والنشطة إلا أن هذا النوع مطبق في بعض المواد الدراسية الأخرى كعلم النفس، الأدب العربي وغيرها في الجامعة فقط وهناك دراسات علمية في هذا الموضوع، ولكن في حصة التربية البدنية والرياضية لم يطبق بعد على كل المستويات.

وحسب تحليلنا لهذه الإستراتيجية وطريقة تطبيقها في هذه الدراسات المعروضة تم تنفيذها بمعدل ساعتين في الحصة الواحدة نشاط واحد وهذا غير متوفر في مدارسنا إذ أن الحصة في المستويات الأساسية (المتوسط والثانوي) مدتها أقل من ساعتين مقسمة ساعة نشاط رياضي فردي وساعة نشاط رياضي جماعي ناهيك عن عدد التلاميذ في الحصة (يصل إلى 40 طالب أو يتعدى) وجلسات العصف الذهني تتطلب مشاركة كل الطلبة وإعطاء أكثر من فرصة لكل طالب، ناهيك عن عدم توفر العتاد اللازم للتطبيق ففي بعض الحصص يشترك أستاذين في ساحة اللعب واحدة، بالإضافة إلى غياب حصة التربية البدنية والرياضية في الطور الإبتدائي.

ومنه فتطبيق استراتيجية العصف الذهني في الجزائر في حصة التربية البدنية والرياضية نجدها شبه مستحيلة في ظل هذه الظروف.

ومنه توصي الدراسة على ما يلي:

-الاستفادة من هذه الاستراتيجية في تعليم واتقان المهارات الحركية الرياضية على كل المستويات والأطوار التعليمية (الإبتدائي، المتوسط، الثانوي والدارسات العليا) للوصول إلى أعلى مستوى في الأداء المهاري.

- استعمال هذه الاستراتيجية في التدريب الرياضي في رياضة النخب للإرتقاء بمستوى الرياضيين.

-تشجيع الأساتذة والمعلمين على استخدام أساليب التعليم الحديثة منها استراتيجية العصف الذهني في مجال النشاط البدني الرياضي.

- إجراء المزيد من البحوث والدراسات العلمية المرتبطة بالعصف الذهني خاصة في مجال النشاط البدني الرياضي.

-إدراج هذه الاستراتيجية في المناهج والندوات الدراسية.

-برمجة أيام تكوينية للمدرسين والأساتذة في استراتيجية العصف الذهني.

- توفير الظروف الملائمة في المدارس والجامعات لتطبيق هذه الإستراتيجية.

المراجع

1. أحمد عيسى، **أصول التدريس النظري والعلمي**، ار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014.
2. أوديد عوديشو اسي، مؤيد كمال الدين عز الدين وسعدي عمر يوسف يوسف، **أثر استخدام استراتيجية العصف الذهني في اكتساب بعض المهارات الهجومية بكرة اليد**، مجلة جامعة دهوك، المجلد الواحد والعشرون، العدد الأول، 2018.
3. إياد صالح سلمان وسوزان سليم داود، **أثر استراتيجيتي الرؤوس المرقمة والعصف الذهني في تعلم مهارة قفزة اليدين الأمامية على منصة القفز في المناستك الفني للرجال**، مجلة المستنصرة لعلوم الرياضة، العدد الرابع، مجلد 1، 2019.
4. بوداود عبد اليمين وعطاء الله أحمد، **المرشد في البحث العلمي لطلبة التربية البدنية والرياضية**، ديوان المطبوعات

الجامعية، الجزائر، 2009.

5. حسان بوجليدة، دور **ممارسة نشاطات الرياضات الجماعية في تقويم بعض المشكلات السلوكية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي**، مجلة الإبداع الرياضي، جامعة المسيلة، العدد الثالث، 2011.
6. خبراء المجموعة العربية للتدريب والنشر، **تنمية مهارات العصف الذهني**، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ط1، 2013.
7. رانيا محمد حسن سعيد الهواري، عمرو مصطفى السايح محمد، محمود محمد عبد العال، **أثر استخدام أسلوب العصف الذهني على تعلم المهارات الأساسية في الكرة الطائرة لدي تلاميذ المرحلة الابتدائية**، مجلة بني سويف لعلوم التربية البدنية والرياضية، المجلد 5 ج 1، 2015
8. سعيد غني نوري، إسراء عبد الزهرة أرخيص، **تأثير استراتيجية العصف الذهني في تعلم مهارة الارسال الموجه من الاعلى للعبة الكرة الطائرة لدى طلاب الصف الرابع الاعدادي**، مجلة ميسان لعلوم التربية، 2015
9. سوار صلاح محي الدين، **استخدام برنامج تعليمي بأسلوب العصف الذهني في تعلم النواحي الفنية للوثبة الثلاثية**. مجلة علوم الرياضة المجلد الثاني عشر العدد 41، (د.س.ن).
10. شادي محمد عبد المنعم، **فاعلية برنامج تعليمي باستخدام أسلوب العصف الذهني على تعلم بعض مهارات الجمباز وبعض المتغيرات البدنية**، مجلة جامعة مدينة السادات للتربية البدنية والرياضية، العدد 26، المجلد 1، 2016
11. صفوت مبروك حشيش، **تأثير استخدام وت أسلوب العصف الذهني على مستوى تعلم بعض المهارات الأساسية في كرة القدم لطلاب الفرقة الأولى بكلية التربية الرياضية جامعةالأزهر**، مجلة التربية البدنية والرياضية، جامعة بنها، المجلد السادس والعشرون ج12، 2020
12. عبد العظيم صبري عبد العظيم، **استراتيجيات طرق التدريس العامة والإلكترونية**، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ط1، 2015.
13. عبد القادر برقوق، **محاضرات علم الحركة الحيوي**، معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، ورقلة الجزائر. 2016/2015.
14. كريم عبد الغني عبد جاسم، وهجوم إسماعيل جمعة، **أثر أسلوب العصف الذهني في تعلم بعض المهارات الأساسية بكرة القدم لطلاب الصف الثاني**. مجلة الفتح، العدد 71، 2017
15. محمد محمود الصغير ومحمد أحمد راضي، **فاعلية استراتيجية العصف الذهني على دافعية التعلم ودرجة أداء الجملة الحركية على جهاز العقلة**، مجلة بحوث التربية الشاملة، جامعة الزقازيق، المجلد 1، 2019.
16. مركز نون للتأليف والترجمة، **التدريس طرائق واستراتيجيات**، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط1، 2011.
17. مروان عبد المجيد، **البحث العلمي في التربية الرياضية**، قسم المناهج والمقررات، كلية التربية الرياضية، الجامعة الهولندية (د.س.ن).
18. منال أحمد البارودي، **العصف الذهني وفن صناعة الأفكار**، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ط1، 2015.
19. نورا عبد المجيد نبوي أبو دنيا، **تأثير إستخدام أسلوب العصف الذهني على تعلم بعض مهارات كرة اليد لطالبات الفرقه الثانيه كلية التربيه الرياضيه جامعه السادات**، مجلة أسيوط لعلوم وفنون التربية الرياضية، (د.س.ن)
20. نوري سعيد غني، **تصنيف المهارات الحركية**. بغداد، كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة ميسان، العراق، (د.س.ن).

Medical care in the primary treatment and prevention of obesity through sports and physical activity

Abstract

Obesity or overweightisconsidered one of the most important factorsleading to diseases of the cardiovascular system, which has a direct impact on public health, as itischaracterized by an excessive increase in the energy components stored on all lipids in the fat tissue.

Wewanted, throughthis intervention, to clarify the relationshipbetweenphysicalactivity and health and the extent to whichthisactivitycontributes to sustainableeconomicdevelopment, and ourconcern has been focused on demonstrating the negativeeffectsresultingfrom a currentlifestyle of movement and resultingfromtechnologicaldevelopment, cultural growth, unbalancedfood ...) And the effect of this pattern in the emergence and widespread of chronicdiseasesthat have become a threat to people'shealth, whichrequires real awareness of the effect of physicalactivityadapted for a preventive and therapeuticpurposethatcontributes to maintaininghealth

Keywords
Physical activity
obesity
health
chronic diseases
prevent

Prise en charge médicale en traitement et en prévention primaire de l'obésité par l'activité physique

Résumé

L'obésité ou l'excès de poids est l'un des facteurs les plus importants conduisant à des maladies du système cardiovasculaire, qui a un impact direct sur la santé publique, car il se caractérise par une augmentation excessive des composants énergétiques stockés sur tous les lipides du tissu adipeux. Nous avons voulu, par cette intervention, clarifier la relation entre l'activité physique et la santé et la mesure dans laquelle cette activité contribue au développement économique durable. Et l'effet de ce schéma dans l'émergence et la diffusion de maladies chroniques devenues dangereuses pour la santé des personnes, ce qui nécessite une réelle prise de conscience de l'impact d'une activité physique adaptée dans un but préventif et curatif qui contribue au maintien de la santé

Mots clés
Activité physique
obésité
santé
maladies chroniques
prévention

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

اندماج مستويات الإبداع في إشهار الواقع دراسة لأسلوب بناء العلاقة مع الزبائن

Integration of creativity levels in reality advertising -Study of the construction of the customer relationship through the digital space- Intégration des niveaux de créativité dans la publicité réalité

د. بديعة حنون [1]
Dr. Badia Hanoune
مخبر دراسات وأبحاث في الاتصال
جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر
badia.hanoune@univ-annaba.org

د. لبنى أحمان
Dr. Loubna Ahmane
مخبر دراسات وأبحاث في الاتصال
جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر
aidimourad17@gmail.com

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى فحص اندماج مستويات الإبداع في إشهار الواقع وتأثيره في أساليب بناء علاقات تفاعلية وتشاركية متينة مع الزبون عبر الفضاء الرقمي. لقد أوجدت الإمكانيات الفنية والفكرية المتاحة للتكنولوجيا الرقمية ممارسات غير نمطية فتحت آفاقا جديدة في مجال الاتصال وتحديدا في استراتيجيات الإبداع الإشهاري. وعززت الأبعاد التفاعلية والوعي الإدراكي للزبائن واشراكهم في بناء الرسالة الاشهارية واستهلاكها. وعليه اتجهت هذه الدراسة لتحليل أنموذج البيع المنزلي باعتباره أحد التطبيقات الميدانية العملية التي تبرز بوضوح التفاعل الموجود بين أشكال التفاعل ومستويات الإبداع في إشهار الواقع ضمن سيرورة تبادل المنافع واشباع الحاجات.

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2022-09-07
تاريخ القبول 2024-02-06

الكلمات المفتاحية
الإبداع
الإبداع في الإشهار
اشهار الواقع
الفضاء الرقمي
العلاقات مع الزبون

مقدمة

يعتبر الإبداع في إشهار الواقع أحد أهم مخرجات الاندماج الحاصل في مجال الإبداع الاشهاري والتكنولوجي والتواصلي والفكري، الأمر الذي نتج عنه شكل جديد من التسويق بأبعاد وتجليات تتعايش مع الديناميكية التطورية الحاصلة في مجال إدارة العلاقات مع الزبائن، التي تتطلب بناء علاقات ناجحة وتفاعلية، باعتماد الفضاء الرقمي الذي يساهم في رفع الكفاءة التواصلية والتفاعلية في خضم المستجدات التكنولوجية والتواصلية والإنتاجية، والدور التكاملي بينهم الذي يعد نتاج العمليات الفكرية والمنطقية للعقل البشري الفردي والجمعي والاستثمار الأمثل لمختلف خصائصه وقدراته الفطرية والمكتسبة، وكذا العوامل والإمكانات المحيطة والفرص المتاحة التي تساهم في توجيه الفكر الإنساني إلى توليد أفكار إبداعية غير مألوفة وحبكها بطريقة إبداعية قابلة للتجسيد الفعلي، من خلال استراتيجيات إبداعية رقمية كإحدى أهم الركائز والأساليب الأساسية المساعدة في بناء علاقات تفاعلية وتشاركية مع الزبائن في ظل المنافسة السوقية، حيث يجد المنتجين أنفسهم أمام رهانين: الرهان الأول يتعلق بتحسين جودة المنتج ،أما الرهان الثاني فيتمثل في بناء علاقات جيدة مع الزبائن أساسها الثقة والوفاء المتبادل، وذلك بإشراكهم في اتخاد القرار من منطلق اشباع حاجاتهم ورغباتهم للتكيف مع مختلف التغيرات المتسارعة وتحقيق الريادة والتميز القائم على الإبداع في ادارت المعارف والأفكار بالموارد والقدرات المتاحة بأسلوب يتماشى ومتطلبات العصر الراهن ومتغيراته وتصوراته المستقبلية، وضمن هذه السياقات المتسارعة التطور والمتداخلة بنائيا ووظيفيا ارتأينا إبراز طبيعة العلاقة الناتجة بين مختلف متغيرات وسمات العصر الراهن من إبداع في الاشهار الرقمي واعتماده للواقع كاستراتيجية في بناء علاقات مع الزبائن عبر الفضاء الرقمي التفاعلي.

1-الإطار المنهجي للدراسة

1-1-الإشكالية

رافق تطور كل من قطاعي الاشهار والتسويق الإلكتروني اليوم تحولات جوهرية في التواصل والتفاعل التشاركي بين المنتجين والزبائن التي أخذت أبعادا وأحجاما مختلفة تجاوزت بها حدود الرقعة الجغرافية التي ينشط فيها المنتجين عبر

1 المؤلف المراسل

الفضاء الرقمي الذي تعاظمت أشكال التحديات التي تواجهه نتيجة التغيرات التي نعيشها اليوم على المستوي الإنتاجي والتسويقي والتكنولوجي والتواصلي والتفاعلي، تفرض علينا الاستجابة لهذه التغيرات البيئية المحيطة وتأثيراتها وسياقاتها المختلفة عن طريق الإبداع بأشكاله وتحولاته ومظاهره المختلفة، ومع استمرار تعاظم أشكال الاشهار عبر الفضاء الرقمي، وتعدد أساليب التأثير ظهرت الحاجة الضرورية والملحة لخلق استراتيجيات ابداعية تواصلية وتفاعلية مع الزبائن في ظل الفضاء الرقمي اللامتناهي والمنافسة المتزايدة، التي باتت تحكمها العلاقة بين المنتجين والزبائن من خلال الإبداع في استغلال الفرص المتاحة لخلق أسواق جديدة ومنتجات مبتكرة تشبع حاجات الزبون ومتطلباته، واستغلال العوامل والأسباب التي تساهم في تحقيق الأهداف المرجوة، في ظل الديناميكية الحاصلة في خارطة التطور التكنو- اجتماعي والاقتصادي التي أفرزت عن أنماط جديدة من آليات التسويق والإشهار، التي تعددت وتنوعت أساليب وطرق تصميمه نتيجة التأثير والتأثر المتبادل والتفاعلي والذي أتاح فرص للتجريب دون ضوابط، أدت إلى بروز اشكال جديدة ومتعددة من الإبداع في الإشهار ومن بينها إشهار الواقع بأبعاده وتجلياه اللامتناهية، التي تجلت وبرزت على شكل محتوى إبداع اشهاري رقمي تحكمه العلاقة التفاعلية والتشاركية بين المنتج والزبون، وتصميم رسائل اشهارية أصبح منتج الرسالة فيها هو الزبون، الأمر الذي جعلنا أمام تحدي اشهاري جديد يكون فيه الزبون شريك في العملية الإنتاجية بأفكاره وقراراته الاستهلاكية وخصائصه.

وانطلاقا مما سبق يمكن حصر إشكالية الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي:

كيف يساهم اندماج الأشكال الإبداعية لإشهار الواقع والفضاء الرقمي في بناء علاقات تفاعلية رقمية مع الزبائن؟

وللإجابة عنه نتطرق للعناصر التالية

- اشهار الواقع المفهوم والخصائص
-أهمية الإبداع في الاشهار
-استراتيجيات الإبداع في الإشهار الرقمي
-أهمية الإبداع في بناء مع الزبائن عبر الفضاء الرقمي

1–2–أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء بشكل جوهري على بروز شكل جديد من الإشهار ألا وهو إشهار الواقع الذي برز وتميز عبر الفضاء الرقمي نتيجة الاندماج الإبداعي العلمي والتكنولوجي والفني الحاصل.

معرفة أهم استراتيجيات الإبداع في الاشهار الرقمي

ومعرفة أهمية الإبداع في بناء علاقات مع الزبائن عبر الفضاء الرقمي.

1–3–أهمية الدراسة

يكتسي الموضوع أهمية بالغة انطلاقا من موضوع الاشهار في الفضاء الرقمي والتفاعلات القائمة على أساس بناء علاقات مع الزبائن، وكذا من أهمية الفضاء الرقمي في بناء الثقة والولاء بين المنتج والزبون في سياق اتصالي تحكمه التكنولوجيا والابداع قصد فهم مستويات الإبداع على المستوى الرقمي.

1–4–حدود الدراسة

1–4–1–المجال المكاني

بما أن موضوع دراستنا مرتبط بالمجتمعات الإفتراضية فإنه لم يحدد المجال المكاني لهذه الدراسة بمنطقة جغرافية معينة لأنها اعتمدت الفضاء الرقمي بمختلف وسائطه الاتصالية المتمثلة في الفيسبوك، الأنستغرام، اليوتيوب... أين يتم التواصل مع مفردات عينة الدراسة إلكترونيا دون تحديد مكان الإقامة الشمال، الشرق، الغرب، الجنوب.

1–4–2–المجال البشري

أجريت الدراسة مع مجموعة من السيدات اللواتي يقمن بالصنع والإنتاج المنزلي لمختلف المنتجات، والتسويق والترويج لها عبر الفضاء الرقمي.

1–4–3–المجال الزمني

أجريت الدراسة في شهر مارس 2022

2–الإطار النظري للدراسة

2–1–ضبط المفاهيم

2–1–1–مفهوم الإبداع

للإبداع مفاهيم عديدة نذكر منها ما يلي:

يعريفه سيمسون Sempson: بأنه المبادرة التي يبديها الشخص بقدرته على الانشقاق من التسلسل العادي في التفكير إلى تفكير مخالف كليا. **(بنكاسي، 2003، ص 266)**

عُد الإبداع بأنه القيام بالتفكير العقلي والفعلي غير المألوف بالنسبة للفرد أو الجماعات أو المؤسسات، يُبرز من خلاله بعض القدرات والمهارات الكامنة والتي لم تتح لها الفرصة للتجسيد سابقا أو جسدت في سياقات مغايرة (مكانيا وزمانيا)، وهو مرتبط بمختلف المجالات والتخصصات.

2-1-2-مفهوم الإشهار

يمثل الإشهار أحد أهم عناصر المزيج الاتصالي الذي يندرج بدوره في المزيج الترويجي للمؤسسة، وتكمن أهميته في كونه وسيلة فعّالة لتقريب السلع والخدمات من المستهلك، فهو يقوم بالترويج لها للتعريف بها وبجذب انتباه المستهلكين إليها وجلب الاهتمام للمؤسسة، وبالتالي دفع المستهلكين إلى تبني سلوك ايجابي اتجاهها، وهذا لزيادة مبيعاتها ورفع رقم أعمالها بطريقة سريعة.

وقد تعددت مفاهيم الإشهار نذكر منها ما يلي:

يعرفه أكسيتفلد Axtfield: بأنه عملية اتصال تهدف إلى التأثير من بائع إلى مشتري على أساس غير شخصي حيث يفصح المعلن عن شخصيته ويتم الاتصال من خلال وسائل الاتصال العامة، فهو لا يقتصر على عروض ترويج السلع فقط وإنما يشمل الأفكار والخدمات، **(الفار، 2014، ص 33)** ويتم ذلك باعتماد وسائل الإعلام والاتصال المتاحة والتي يتم اختيارها حسب طبيعة المضمون والجمهور المستهدف وخصائصه الاتصالية.

تعرفه دائرة المعارف الأمريكية بأنه مجموعة من الوسائل المستخدمة لتعريف الجمهور بمنشأة تجارية أو صناعية وإقناعه بامتياز منتجاتها والإيعاز إليه بطريقة ما بحاجته إليها.

تعرفه جمعية التسويق الأمريكية بأنه عملية اتصال غير شخصي مدفوع الثمن تتبعها منشآت الأعمال والمؤسسات التي تهدف إلى الربح، بقصد تقديم السلع والخدمات والأفكار لمجموعة من المستهلكين أو المشتركين الصناعيين وإقناعهم بها. **(عابد، 2014، ص23-26)**

هو علم وفن ومهارة في الوقت ذاته لأنه نشاط مرتبط بمختلف الوظائف، في حين يعتبره البعض سلطة هادئة لأهميته الكبيرة والفاعلة في نمو وتطور أي مؤسسة أو مشروع(فردي / جماعي).

2-1-3-مفهوم الإبداع الإشهاري

يعتبر الإبداع من أهم مواضيع الدراسات الإشهارية، فهو يمثل القدرة على إنتاج أفكار أصيلة أو طرق جديدة ومختلفة للنظر إلى الأشياء القائمة بالفعل كما ينظر للإبداع بوصفه القدرة على خلق روابط بين الأشياء والأفكار غير المترابطة ببعضها البعض.

وهو القدرة على إيجاد أفكار فريدة وملائمة ومقبولة اجتماعيا قابلة للتطبيق كحلول لمشكلات إشهارية، وهو يحدث نتيجة عمليات عقلية ونفسية متداخلة، مستندا لمجموعة من المتغيرات الاجتماعية والسمات الشخصية والقدرات العقلية للمبدع المبتكر. **(الشطري، 2013، ص 44)**

كما أنه يعتبر تلك اللمسة الفنية التي تخاطب العاطفة من أجل بلوغ العقل، فهو ليس غاية في حد ذاته مثلما هو الشأن بالنسبة للفنون الجميلة وإنما هو وسيلة توظّف بشكل بلاغي من أجل الرفع من الميزة التنافسية للمنتج.

وهنا لا بد من التعقيب أنه هناك فرق بين الابتكار والإبداع وهو:

الإبداع: يركز على تصوير الحقيقة بمضامين غير مألوفة

الابتكار: يستند إلى الجانب الشكلي في عملية الاختراع وهو في الإشهار يعني القدرة على إنتاج أشكال فريدة يراد من خلالها التعبير بطريقة مختلفة عن دلالة بعض القيم الإشهارية المعهودة مثل الفعالية، الراحة، القوة، النجاح، الإغراء...إلخ. **(يخلف، 2005/2004، ص 109)**

وعليه إذا كان دور الإشهار يتمحور حول توصيل رسائل بسيطة ومقنعة ومنطقية، قد تؤدي بدورها إلى تغيير مفاهيمنا وتدفعنا إلى شراء المنتج، فإن دور الإبداع يكمن في دفعنا إلى الانتباه إلى تلك الرسائل، حيث يؤدي ارتفاع درجة الانتباه إلى نسبة تذكّر أكبر، كما يرتبط الإبداع أيضًا بوضع شيء بارعٍ أو استثنائي في الإشهار، لأن هذا الأمر سيؤدي إلى زيادة فُرَص التذكر ولو جزءًا واحدًا منه، وقد تصبح هذه الأفكار الإبداعية حديث الناس، **(هيت، 2016، ص 36)** فهو يُعنى بكافة الجوانب الفنية من تحرير وإخراج وتصميم الرسالة الإشهارية. وهو فعل قادر علي إنتاج مفاجأة فعّالة.

ويعد الإبداع في الإشهار بمثابة نتاج اندماج الصوت والصورة والألوان والحركة والموسيقى...إلخ، خاصة في ظل التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال التي فرضت نفسها

عبر جملة الطرق والأساليب الجديدة، التي دمجت شبكات الكمبيوتر بوسائط الإعلام التقليدية الأمر أدى إلى توليد غير مسبق للأفكار وربطها، مما أوجد العديد من الاستخدامات الجديدة ومكّن من وصولها إلى مستفيدين جدد، بمزيد من التفنن والإبداع في إنتاج رسائل اشهارية تحمل في ثناياها أفكار غير مألوفة من أجل لفت انتباه الجمهور، هذا ما جعل من جمالية وجودة الإشهار بديلا عن جودة المنتج في حد ذاته.

2–1–4–**الفضاء الرقمي**

يعرف بأنه مجال تفاعلي كوني وديناميكي، يتميز بالاستخدام المشترك للإلكترونيات والطيف الكهرومغناطيسي الذي يسمح بإنشاء وتخزين وتعديل وتبادل واستخراج المعلومات داخل منظومة فائقة التطور، ويعرفه pierre lévy في كتابه « L`intelligence collective pour une anthropologie de cyberespace» بأنه مفهوم جديد يحيل إلى الفضاء الذي نتج عن ظهور الشبكات الرقمية، وهو فضاء محموم بالتفاعلات والرهانات والتجاذبات الثقافية والاقتصادية، كما يحيل من الناحية التكنو اجتماعية إلى وسائط الاتصال الجديد وما سنحت به من تبادل وتدوير للمعلومات وإنتاج للمعرفة وبناء العلاقات الاجتماعية.**(بن عمرة بلقاسم،2018/2017، ص45)**

2–1–5–**المفهوم الإجرائي**

يعتبر الفضاء الرقمي بمثابة الفضاء الموازي أو البديل الذي فرض نفسه في عصرنا الراهن، نتيجة للتطورات التكنولوجية المستمرة، وكفضاء تفاعلي وتشاركي يخلق نوع من السلاسة في التواصل والنقاش والتعبير عن الرأي (فضاء تدويني حر)، حيث أصبح يُعتمد كوسيلة اتصالية فعّالة بشكل فردي أو جماعي لإيصال أفكار أو الترويج لمنتجات، كما يمكن اعتباره كفضاء استثماراتي جديد الذي يعد بمثابة الوسيط الذي يجمع بين مختلف الوحدات البنائية وأنظمة المجتمع والعلاقة التكاملية من حيث الاستخدام بينها.

2–1–6–**مفهوم العلاقات مع الزبون**

نقول أنه توجد علاقة حقيقية مع الزبائن عندما يتم تبادل معلومات في الاتجاهين بين الزبون والمؤسسة، حيث تتم معالجة معنوية لمحتوى التبادل، وبالتالي فإنه تقديم سلعة أو خدمة مقابل صك أو حقيبة نقود لا يشكل علاقة فذلك يعتبر صفقة تجارية فقط، لذلك يجب التأكد من خاصيتين هما: المعلومة يجب أن تتحرك في الاتجاهين، ويجب أن تتم معالجتها من الشريكين، بمعنى آخر ارسال رسالة معلومات شهريا لا يكفي لإنشاء علاقة، وكذلك وضع موزع صوتي تفاعلي يقوم بتقديم إجابات آلية لا تكفى، لأنه في الحالتين المعلومات تتحرك فقط في الاتجاه: مورد .....زبون والذي يسمى بالاتجاه النازل، لذلك فجمع المعلومات حول الزبائن، بإشعارهم أو بدون اشعارهم من أجل التعرف على عاداتهم الاستهلاكية لا يشكل جزء من علاقة، لأنه في هذه الحالة المعلومة تتحرك في الاتجاه الصاعد من الزبون إلى المورد. **(صديقي، 2020، ص614)**

يعتبر الزبائن أكثر المشاركين تأثيرا في العلاقات اليومية مع الشركة (المنتجين)، حيث يتعاقدون أو يشترون السلع أو الخدمات، وهذا ما يتطلب على الشركات اتباع منهجية واضحة في التعامل مع كل وكيل، إذ يجب عليها ومن الضروري الانتباه للقضايا التالية: هيكلة وتكوين قاعدة العملاء، تحديد العمليات العلائقية مع العملاء، وكذلك تحليل نتائج هذه العمليات وتنطوي على دراسة المخاطر في هذه العلاقات. **(بن حميود، بوخمخم، 2022، ص 408)**

3–مفهوم إشهار الواقع وخصائصه

يعدّ إشهار الواقع بمثابة تصحيح للرسالة الإشهارية التقليدية المبنية على المبالغة المفرطة في الخيال والتصنع التي كانت تُصوّر للمتلقي، بأسلوب يتوافق وعصرنا الراهن.

فهو اتصال اشهاري عبر الفضاء الرقمي يعتمد فيه المعلن على العفوية والارتجالية والبساطة والصدق، وتزامنية التأثير، في إنتاج أفكار جديدة مغايرة ومخالفة لما هو معهود من طرف شخصيات عادية من عامة الناس يخضون تجارب حياتية في مجال صناعة منتجات معينة ضمن سياق يحاكي واقعهم المعاش دون أي تغيير أو تجميل، الأمر الذي يجعله أقرب لمعرفة خصائص الجمهور المستهدف وشخصنة احتياجاته الحقيقية أكثر، دون كتابة السيناريو بشكل مسبق أو الاستعانة بالمختصين في الإشهار أو الوكالات الإشهارية الذين يعتمدون على المشاهير والنجوم.

ومن بين أهم خصائصه:

اشهار الواقع تميزه العفوية في سرد الأحداث دون كتابة نص أو سيناريو بشكل مسبق وانما يعتمد أسلوب السرد والشرح بلغة قريبة من لغة المشاهدين أو المتابعين مما يجعل الأسلوب

بسيط وجذاب في نفس الوقت حتى أنه تتخلله بعض الفكاهة والمزح أحيانا لعفوية الشخصية التي تقدمه أو حدوث بعض المواقف

اشهار الواقع في الفضاء الرقمي فعل اتصالي ونشاط تسويقي وترويجي مستقل وقائما بذاته، فالتعبير عن المعاني بقيمتها ووظيفتها الدلالية والرمزية يضفي على الإشهار واقعية أكثر في عصرنا الراهن يصعب عزل الإبداع عن الفضاء الرقمي نتيجة التأثير المتبادل بينهما والاندماج الحاصل، الذي ساهم بشكل كبير أن يكون الفضاء الرقمي السوق الموازي والبديل للسوق الواقعي،

اشهار الواقع مرآة للواقع الحقيقي والباطني أو الخفي عن أنظار الكثير من الناس حول العالم، كما أن الوظيفة الإنتباهية الجذابة لسياق المعلن أو الفاعل في الواقع يؤدي دور ابداعي كبير في التأثير على المتابعين وهذا ما يقضي على أهمية سلطة المظهر والمكانة الاجتماعية التي كانت تسيّر الاشهار كاستراتيجية إبداعية محفوفة بالمبالغة والخيال والمثالية.

اشهار الواقع عبارة اتصال اشهاري يعتمد بالدرجة الأولى على الإبداع في إبراز المهارات الفردية الفكرية والعملية في التسويق لمنتجات ذات الصنع المنزلي عبر وسائل التواصل الاجتماعي المتاحة لهم عبر الفضاء الرقمي.

تكون الشخصية بمثابة المنتج والوجه الإشهاري لمختلف منتجاتها الأمر الذي يجعل منهم طاقة إنتاجية كامنة.

يستخدم الفضاء الرقمي كفضاء للتعبير الحر عن الأفكار والمشاريع الإبداعية وكفضاء موازي للفضاء الواقعي وامتدادا له.

يعد الفضاء الرقمي كبيئة حاضنة لإشهار الواقع، أي التمثل الافتراضي لأنشطة واقعية بمختلف أبعادها وتعقيداتها.

الفضاء الرقمي كوسيط تفاعلي بين المرسل المبدع، والمتلقي المتفاعل والشريك في الابداع، بفضل هامش الحرية المتاح عند استخدامه من طرف الجميع.

المعلنين المبدعين الذين يستخدمون اشهار الواقع يمتازون بقربهم من الحياة الواقعية للجمهور المستهدف ومقوماته وخصوصياته المجتمعية مما يخلق لهم فرص لتحقيق قبول مجتمعي كبير.

المعنين الذين يوظفون الواقع في اشهارهم لمنتجاتهم يعتمدون على التطوير الذاتي لأنفسهم في التعامل مع التكنولوجيات الرقمية والبرمجيات المعتمدة في المعالجة، وأساليب ومهارات التواصل، وتعلم فنون الطبخ والتجميل، الديكور والتزويق... الإشهارات التي يتم تصميمها من قبل العامة من الناس تنقل معظم التفاصيل بإيجابياتها وسلبياتها.

أصبح اشهار الواقع يعتمد كاستراتيجية للتأثير في الجمهور المستهدف وإقناعه برسائله المختلفة، وبالمقابل نجد الجمهور المستهدف يتقبل ويتأثر برسائل الشخصيات الواقعية أكثر من غيرها لأنها تشعره بأنها تنقل تفاصيل تحاكي واقعه المعاش، وتحمل في ثناياها الكثير من الصدق والواقعية.

4–أهمية الإبداع في الإشهار

للإشهار أهمية بالغة باعتباره قوة مؤثرة في بالنسبة لمختلف المؤسسات والتي تزداد مع كل تطور يحصل، ففي بداياته الأولى كانت عن طريق المناداة في الأسواق، حيث كان أسلوبهم الإبداعي يظهر من خلال التفنن في إرسال النغمات الصوتية، لتزداد فعاليته مع ظهور المطبعة التي جعلته أوسع وأكثر تأثيرا مع ازدياد المنافسة، حيث أصبح التركيز على الإغراء، وبعد الحرب العالمية الأولى عرف الإشهار أشكالا جديدة أكثر فعالية وأسرع مع ظهور اللوحات الإشهارية الخارجية، و تزايد الاهتمام بمجال الإبداع في الإشهار في أواسط القرن العشرين من خلال الاعتماد على الصورة نظرًا للفعالية التي تؤديها، والتالي فرضت نفسها استنادًا للسلطة التي أصبحَت تمارسها على المتلقي، بدلا من الاقتصار على الخطاب اللَّفظي الذي أصبح توظيفه ثانويا ونسبيًّا في ظل عصر الصورة، وإن كان «رولان بارث **Roland barth**» في مقاله المعنون بـ «**بلاغة الصورة أقرَّ بأننا مازلنا و أكثر من أي وقت مضى نعيش ضمن حضارة الكتابة**»، والحل حسبه أننا نجد إشهارات توظف فيها صور بدون نص مكتوب، لكن هذا لا يلغي أهمية العناصر الأخرى المكونة له باعتبارها تكمل بعضها البعض، ومع تطورات المستمرة في الإشهار والإبداع أصبح التركيز ليس على الصورة فقط وإنما امتد ليشمل العناصر الأخرى كالموسيقى الألوان والحركات...،وكل هذا يتوقف على الجانب أو العنصر الذي يراه مصمم الرسالة الإشهارية مناسبا للتأثير في الجمهور.

يمكن القول أن أهميته الحقيقية تكمن في جلب بعد إضافي للرسالة الإشهارية الذي من شأنه أن يجنّبها الوقوع في الزنزانة التي وعد بها، فالمستهلك يتعرض يوميا لحوالي 90٪ من

الرسائل هذا البعد يمكن أن يتخذ أشكال مختلفة: **الأصالة، والتعاطف، والجمال، والحلم، مضحك، سحر، فكاهة، شعر، الألوان، الموسيقى شخصيات... (العيماري، 2016)**، حيث تبرز هذه الأهمية في مجال التسويق حيث يكون له هدف محدد واضح وفعاليته تكمن توفر خاصيتين وهما:

الاختلاف: وهو سمة يتميز بها من خلال احتوائه على رواية غير عادية، فرغم تعقيده إلا أنه أمر ضروري وحتمي لتحقيق الإبداع، ولابد أن يكون المضمون الإشهاري ذات معزى وقيمة لدى الجمهور المستهدف فيصبح كخاصة تحفيزية من خلال معرفته لخصائص الجمهور والمنتج.

الفعالية: تعتبر من أهم السمات الإبداعية، فبعض الباحثين يعرفون الإبداع في الإشهار بأنه تلك الفعالية في تحقيق الأهداف، وهي المؤشر الأساسي لنجاح أي نشاط أو وظيفة وأي فرد أو مؤسسة. **(JOANNIS, 2005, p. 12)**

فإذا سألت أصحاب المهن والأعمال التجارية الكبرى ما السر في النجاح فسيخبرونك بأنه الإشهار، وعلى الأرجح ستحصل على الجواب الذي يردد شعار «**ستيفان فوغل** Stefan Vogel « المسؤول الإبداعي الرئيسي في ألمانيا: **لا شيء أكثر فعالية من الإشهار لأنه يبقي محفورا في الذكريات، ويستمر تأثيره حتى يتحقق الهدف من خلال التعامل مع وسائل الإعلام والمجتمع ، فهي أكثر فعالية في دفع المستهلك للقيام بشراء المنتجات مقارنة مع إشهارات الكتالوجات التي تركز على سمات وفوائد المنتج** ,Maniua, 2014 (p. 7 ; Andreea Ioana) ، وقد أثبتت الكثير من التجارب أن الرسائل الإشهارية الإبداعية تحصل على الكثير من الاهتمام والقبول في تسويق المنتجات، رغم غياب الأدلة الدامغة التي تبين كيف تأثر تلك الرسائل على السلوك الشرائي، خاصة في ظل غياب منهجية واضحة لتقييم هذه الرسائل الإشهارية وحدة المنافسة.

ونظرا لأهميته الكبيرة فإنه استفاد من الحماية القانونية باعتباره إنتاج فكري مقترنا بشرطي التعبير الشكلي والأصالة حيث يعطي لمالكه الحق من منع أي مؤسسة من إعادة إنتاج أو تمثيل أعماله ويكون ذلك إذا ما أثبت أولوية الامتلاك **(Werner Reinartz, 2013, p. 3)**، ليضيف **بيرنار كاتولا** Bernard Cattola في كتابه الإشهار والمجتمع: أن الإشهار ليس فقط مدرسة للتكيف مع الأزمنة أو الأوضاع والمتغيرات، وأنه ليس مصدرا كبيرا للإبداع الفني فقط وبالإضافة إلى ذلك أساسا هو ظاهرة اجتماعية ومصنع لأساليب الحياة والقيم الجديدة وقد أصبح الإشهاريون ممثلين لبيداغوجيا اجتماعية ومنشطين متحمسين لحيوية الحياة الثقافية. **(زمال، 2016)**

فأهميته أصبحت تساوي أهمية المنتوج أو تفوقها في عصرنا الراهن، وقد أصبح يمثل عنوانا للنجاح من خلال الترويج للمنتج عبر مختلف وسائل الاتصال والإعلام المتاحة التي جعلته موّجه لكل الفئات وفي كل الأماكن والأوقات، وهذا ما جعله حدثا هاما كونه يستخدم في كل التظاهرات وتزيد من أهميته التغيرات السوسيو - ثقافية المتزايدة.

5–إستراتجية الإبداع في الإشهار الرقمي

لقد فرضت الرقمنة نمطا جديدا لمعالجة ونقل وتخزين المعلومات خارج مظلة الخبراء والمؤسسات ومكنت من دمج وتزاوج التطبيقات التكنولوجية الكبرى للإعلام والاتصال، كما سمحت للمؤسسات بأن تتوجه لجماهيرها وتتعامل معهم بصورة مباشرة ومستمرة لتصبح أقرب من المستهلك، وتعمل على بث معلومات في ظل مقاربة حوارية تتعامل مع الجمهور كفاعل متدخل في العملية الاتصالية تجعلها تتفاعل حسب خصوصية جماهيرها بشكل أحسن والتوجه إلى المؤثرين الجدد كأصحاب المنتديات وخبراء الرقمنة لتسيير تموقعها داخل هذا الانفجار في الأرضيات الرقمية المتوفرة لنقل رسائل اشهارية متأقلمة مع الحقيقة الافتراضية الجديدة ليستفيد منها الواقع المادي للمؤسسات، فقد غدت رقمنة الإشهار ضرورية وحتمية للوصول إلى الزبائن وتسيير العلاقة معهم وضمان القرب السيكولوجي.

تُعريف الاستراتيجية الرقمية بأنها عبارة عن جملة العناصر الضرورية لاستخدام مواد الإعلام الآلي والانترنت وشبكاته كأداة للخلق والإبداع لإعطاء حياة وحركية لاستخدامات وأشكال لمواد افتراضية باستخدام تقنيات النمذّجة الهندسية وبرامج معينة في خدمة علامة، مؤسسة أو منتج بهدف التعريف أو الترغيب أو الدفع إلى الفعل، مع الأخذ بعين الاعتبار العوائق المؤسساتية لذا يتطلب التصميم الرقمي التحكم في كفاءات في استراتيجية الاتصال، التصميم وتسيير المشاريع على الانترنت(بوابات معلومات، مواقع تجارية...)، بالإضافة إلى فهم وتحديد العوامل المهنية والاجتماعية والتسويقية للاتصال على دعامة رقمية وتتمثل في:

-الإعلام والخدمات على الخط.

-استراتيجية التسويق التفاعلي.

-استخدامات الانترنت في المنظمات

ومن ثم فإن استراتيجية الإبداع الاشهاري الرقمي تندرج في إطار استراتيجية المؤسسة لتخدم التموقع وزيادة الفعاليات التسويقية عبر الواب.

ولتصميم استراتيجية إبداع رقمية يجب معرفة أين نحن من الاستراتيجية الرقمية؟ وما الهدف من استخدامها؟ (زيادة الشهرة، المبيعات، استهداف...) وعليه يتطلب الأمر المراحل التالية:

تحديد فائدة رقمنة الإشهار في تحقيق أهداف المؤسسة: فهل هي ضرورية للوصول إلى الزبائن؟ أم تضمن تسيير العلاقة معهم واعلامهم.

تفصيل الاستراتيجية حسب حاجات حقيقية للمؤسسة:

ماذا يصمم المنافسون

تحديد الجزء السوقي أو الجمهور المستهدف والتموقع المرغوب

تحديد القيم التي يجب نقلها

تحديد الدعائم

الغرافيزم (ألوان، شعار...)

الميزانية: حسب ما يتطلبه ذلك من موارد بشرية ومادية ومالية

تحديد الشكل الذي سنتبناه في الفضاء الرقمي:

تحديد اللهجة في الأرضية الرقمية.

ميثاق التعبير في الشبكات الاجتماعية (مبادئ، قيم، أخلاقيات) أي ما الذي سنقبله للتقرب من الزبائن.

الميثاق الشكلي كيف تنقل هوية المؤسسة (الهوية البصرية).

الدعائم الاشهارية التي تتلاءم مع المؤسسة والجمهور المستهدف.

القنوات المستخدمة (موقع، شبكة تواصل، مدونة، منتدى).

الميزانية (تحددها الدعائم والقنوات).

ولرقمنه الإبداع الاشهاري إيجابيات:

لقد قدمت التقنيات الرقمية وتطبيقاتها إسهامات نوعية في مجال الإبداع لما تتسم به من حركيه وتنوع واستغراق في توفير الوقت والجهد ودقة في معالجة البيانات، بالإضافة إلى الرؤية الواسعة والبث الشامل اللذان تضمنهما والقدرة العالية في التحكم والتعديل والقياس والنقل التي توفرها للمصمم، فهي عامل أساسي في تطوير كل من المحتوى، التوزيع والتلقي والاستجابة ويمكن اختصار ايجابياتها فيما يلي:

-إعادة الإنتاج.

-تصميم سهل.

-حفظ ومعالجة الإشارات بسهولة ودون فقدان الدقة.

-المرونة والعملياتية.

-القضاء على المشاكل الرياضية ومشاكل الإشارة.

-حل العديد من المشاكل التركيب.

-إمكانية تحسين وأقلمة دقة النظام مع المشكل المطروح.

-الإطار التبادلي.

-إعادة تشكيل وصياغة الأفكار ونقلها في الواقع الافتراضي من الصياغة إلى التنفيذ ووضع شكل لهذا الواقع. **(Mercanti-Guérin, 2016)**

فمن مميزات الرقمنة أنها مكنت مصمموا الاشهار من استخدامها وتوظيفها في تصميم الإشهار بشكل جذاب يترسخ في ذاكرة الفرد، باعتماد استراتيجيات إبداعية أحدثت ثورة في تصميمه، وقد أتاحت برامج الجرافيك المتطورة فرصا لا حصر لها لتصميم إشهار مبهر وجذاب يدعوا المستخدم إلى تجوال بصره في إشهارات الصحف.

6-أهمية الإبداع في بناء علاقات مع الزبائن عبر الفضاء الرقمي

إن ولادة المنصات الرقمية كمنصات إبداعية عقلية تنتمي إلى بيئة تقنية المعلومات وتشمل: برامج الحاسوب، برنامج المصدر، برنامج الآلة، الخوارزميات، الابداعات، قابله ظهور إشكالية حقوق الملكية الفكرية وسرقة الإبداع والتخريب من طرف القراصنة الإلكترونيين للحسابات والمواقع والحواسيب، **(ضربان، 2020، ص 14)**

إلا أن الاندماج الحاصل بين هذه البرامج الإلكترونية والأفكار الإبداعية في مجال الاشهار والتواصل والمنافسة يدفع الأشخاص المبدعين إلى البحث عن حلول لهذه المشاكل والبحث عن بدائل بأفكار إبداعية تتماشى ومتطلبات العصر فالإبداع يعود بالنفع على الفرد المبتكر من حيث رفع المعنويات، وزيادة الثقة بالنفس، كما أنه يقود إلى التجديد والتطور المستمر بما يساعد على مواكبة التطورات والتغيرات العصرية، بل يتعداها للمساهمة في قيادة تلك التغيرات

والتطورات العلمية والتكنولوجية. **(دراجي، 2016، ص 201)** وعن أهمية الإبداع في عصرنا الراهن وفي حياتنا الواقعية قال كل من» **نيلسون زاجالو N. Zagalo و بيدرو بر انكو p. branco**»، في مقالة لهما بعنوان «**الثورة الإبداعية التي تغير العالم** « لطالما كانت التقنيات الإبداعية أساسا للتغيير البشري للحفاظ على الإدراك الذاتي، وزيادة الروابط والعلاقات المجتمعية، وخلق مجتمع أفضل، كما أن فهم التكنولوجيا على أنها شيء مفيد اخترعه العقل البشري يشمل فكرة أن الإنسانية لا تنفصل عن التكنولوجيا التي تقوم بإيجاد حلول للمشاكل، والرفع من قدرة الانسان على التّكيّف باعتبارها مجموعة أفكار متسلسلة وممتدة» **(Zagalo & Branco, 2015, p. 3)**، في عصرنا الراهن يصعب عزل الإبداع عن الفضاء الرقمي نتيجة التأثير المتبادل بينهما والاندماج الحاصل، وعليه إن فهم فلسفة بناء علاقة فعالة وناجحة مع الزبون في إطار المفهوم الحديث للتسويق تنطلق من الإجابة عن السؤال التالي:

على ماذا تستند هذه العلاقة من اتصال والتزام ومنفعة متبادلة؟

وعليه إن إدارة الزبائن والتسويق (قواعد البيانات التسويقية) ما هي إلا عملية بناء علاقات مربحة مع الزبائن، والتي تعمل على تحويل المبيعات والحصة السوقية والأرباح والاستثمار إلى أهداف تتعلق بجعل الزبون في المقام الأول، وهي عملية تتطلب الكثير من الجهد والتي تربط بين المسوق والزبون ويعني الإستماع للزبون، واستخدام قاعدة البيانات لتتبع العلاقة القائمة على الاحترام والتقدير للزبون والاتصال معه دون هوادة، **(نويل، 1998، ص 535)**، كل هذا ساهم في بروز الزبون الرقمي الذي يعتمد على التعاملات الرقمية والاتصال التفاعلي الرقمي من خلال قنوات اتصال جديدة على غرار الواب وتطبيقات الهواتف الذكية. **(نعومي، 2020، ص 564)**، أي عبر مواقع التواصل الاجتماعي ومختلف التطبيقات والمواقع عبر الفضاء الرقمي، الأمر الذي جعل العلاقة بين المنتجين والزبائن كبديل استراتيجي فعال وتوجه تسويقي واشهاري ناجح في عصر الاتصال التفاعلي والرقمي، لأن العلاقات مع الزبائن تعتبر جوهر التغيير ونموذج للتحول نحو علاقات ضمن سياق تفاعلي وتبادلي وتشاركي، واشهار الواقع يسعي إلى بناء علاقات مباشرة ووطيدة مع الزبائن لتلبية احتياجاتهم بصورة مميزة يسودها الوفاء، واجراء اتصالات شخصية معهم ووضع أفكار وحلول مخصصة بدرجة كبيرة تناسب احتياجاتهم.

وبالتالي بناء العلاقات مع الزبائن تقوم على مبدأ ضمان الحوار والتواصل المستمر بينهم باعتماد الوسائل المتاحة والأكثر اشباعا لهده الخدمة والحاجة التواصلية الفردية، باعتبار الزبون الدائم والوفي المورد الأساسي للمنتج والذي يساهم في رفع الحصة السوقية للمنتجين في عصر المنافسة والسوق العالمية.

7–الإطار التطبيقي

7–1–مجتمع الدراسة وعينته

وبما أن دراستنا عبر الفضاء الافتراضي، ومجتمع دراستنا الأشخاص اللذين يعتمدون على أنفسهم في صناعة منتجاتهم في المنازل والترويج والإشهار لها عبر الفضاء الرقمي لتسويقها، وهو نشاط يعرف رواجا كبيرا في الآونة الأخيرة فيما يتعلق بالمشاريع الصغيرة والمتناهية الصغر عبر مختلف أنحاء العالم والجزائر بوجه الخصوص كمجتمع للدراسة. فإننا اعتمدنا أسلوب المسح بالعينة الذي يتم اللجوء إليه في حالة مجتمعات الدراسة الكبيرة، أين يتم اختيار عينة من المجتمع المدروس باستخدام الطرق العلمية التي تمكنه من اختيار عينة ممثلة عنه، وهو الأسلوب الأكثر شيوعا واستعمالا في مجال العلوم الاجتماعية والإعلامية، فقد ارتأينا اعتماد العينة المتاحة نظرا لعدم القدرة على معرفة الفئة المستهدفة بالدراسة في معالم هذا الفضاء الافتراضي اللامتناهي، بحيث تكون العينة المتاحة تتوفر على الدلائل والمعلومات الضرورية حول المجتمع الأصلي للدراسة.

7–2–منهج الدراسة وأدوات جمع البيانات

منهج المسح بالعينة يتم اعتماده لصعوبة إجراء مسح شامل لجميع مفردات مجتمع الدراسة، ارتأينا اعتماد العينة المتاحة نظرا لعدم القدرة على معرفة الفئة المستهدفة بالدراسة بدقة في معالم هذا الفضاء الافتراضي اللامتناهي، بحيث تكون **العينة المتاحة** تتوفر على الدلائل والمعلومات الضرورية حول المجتمع الأصلي للدراسة، والتي قدرت ب45 مفردة في المرحلة التجريبية.

7–3–أدوات جمع البيانات

الملاحظة: وهي المحرك الذي دفعنا لتحويل الملاحظات السطحية

إلى ملاحظات قائمة على أساس علمي تجيب على تساؤلاتنا

2.3.7. الاستمارة الالكترونية: المكونة من المحاور التالية

المحور الأول: عادات وأنماط استخدام السيدات المنتجات لإشهار الواقع في الفضاء الرقمي

المحور الثاني: دوافع وحاجات تبني السيدات المنتجات لإشهار الواقع كمفهوما للإبداع في الفضاء الرقمي

المحور الثالث: الاشباعات المحققة من استخدام إشهار الواقع في الفضاء الرقمي

المحور الرابع: الاستراتيجيات الإبداعية المستخدمة في اشهار الواقع في الفضاء الرقمي

المحور الخامس: مرتكزات فحص اشهار الواقع ضمن سياق أنموذج البيع المنزلي

وقد تم تصميمها باستخدام «Google Forms» لبناء الرابط الإلكتروني الخاص بها والذي تم نشره عبر المجموعات والصفحات التي تشترك مع عينة الدراسة في نفس مجال الاهتمام ليتم الإعتماد على برنامج spss statistical Package for the Social Sciences الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية، للحصول على نتائج قائمة على أساس علمي، وكانت نتيجته 0.811 كما هي مبينة في الصورة أسفله

Echelle : TOUTES LES VARIABLES

Récapitulatif de traitement des observations

		N	%
Observations	Valide	3	12,0
	Exclus[a]	22	88,0
	Total	25	100,0

a. Suppression par liste basée sur toutes les variables de la procédure.

ليتم بعدها توزيعها على مجموعات أوسع على الفيس بوك ولفترة أطول للحصول على العينة المعتمدة في الدراسة النهائية.

7-4-استنتاجات أولية من عناصر الدراسة الميدانية

ومن خلال توزيعنا للعينة التجريبية واسترجاعها تبينت لنا من الاستطلاعات الأولية النتائج التالية:

7-4-1-المحور الأول المتعلق بعادات وأنماط استخدام الواقع كاستراتيجية إبداعية للاشهار عبر الفضاء الرقمي

-تبين لنا أن أكثر المنتجات استهلاكا من طرف الزبائن وطلبا في السوق عبر الفضاء الرقمي فيما يتعلق بهذا النوع من الإنتاج والتسويق هي الحلويات والأطباق التقليدية والعصرية، لتليها المنتجات المتعلقة بالديكور والتزيين بمختلف الأنواع. وربطنا لهذه المنتجات بالحياة الواقعية للأشخاص تبين لنا أنها أكثر المنتجات قابلية للتصنيع والإنتاج الفردي والجماعي ضمن سياق حياتي واقعي.

-بروز الفيس بوك والأنستغرام واليوتيوب كأكثر وسائل التواصل الاجتماعي استخداما من قبل المنتجين في التواصل مع الزبائن وإيصال رسائلهم الاشهارية والترويج لمنتجاتهم عبر الفضاء الرقمي. وهي وسائل متاحة للغالبة القصوى في المجتمع كوسائل تواصلية الأمر الذي يسهل التواصل بين المنتجين والزبائن ويعزز الحوار والتفاعل بينهم.

-اعتماد الفيديوهات المسجلة والصور كأكثر القوالب الفنية استخداما في إيصال الرسالة الاشهارية عبر الفضاء الرقمي، ليليها الفيديو لايف والمنشورات، وهذا ما يرتبط ارتباط وثيق بالقدرة على إيصال الرسالة الاشهارية بشكل واضح ومرئي من جهة، والفائدة المادية المتعلقة بتكاليف المشاهدات من جهة أخرى، وهي المحتويات التي يتعرض لها رواد الفضاءات الرقمية بقصد أو بدون قصد.

-بروز أهمية خاصة فيما يتعلق بالانضمام للمجموعات والصفحات المتخصصة عبر مواقع التواصل الاجتماعي كفضاءات اشهارية يستعان بها في التعريف بالمنتجات والاستفادة من خبرات الأخرين المتاحة عبر الفضاء الرقمي. الأمر الذي يساهم في التعرف على زبائن جدد وخلق علاقات جديدة.

-تبين لنا أن الكثير من المنتجين يتطلب منهم الأمر اقتناء معدات تسهل عليهم صناعة المنتجات ربحا للوقت والجهد، وكذا مختلف مواد التعليب والتزيين التي تساهم بشكل فعال في تحقيق الجدب والإغراء، بالإضافة إلى المواد الأولية الضرورية.

-عملية تسويق المنتجات عبر الفضاء الرقمي تجاوزت حدود الولاية، فاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي كوسائل للتواصل مع الزبائن، والاشهار يجعل المنتج يأخذ بعد عالمي. نمط الدفع المعتمد أكثر هو التسليم باليد، رغم أهمية نمط الدفع البريدي والبكي في ضمان حقوق كلا الطرفين فهو يضمن للمنتج عدم تراجع الزبون عن الطلبية بعد تلبيتها،

وبالمقابل ضمان الزبون استلام طلبيته بالشكل المطلوب وفي التوقيت المطلوب.

7-4-2-المحور الثاني المتعلق بدوافع دوافع وحاجات استخدام الواقع كآلية إبداعية للإشهار الفضاء الرقمي

-بروز أهمية الظهور ضمن سياق الحياة الواقعية كآلية إبداعية للاشهار في الفضاء الرقمي، حيث تبين لنا من خلال الإجابات أن معظم المبحوثين كانت لهديهم موافقة على أن الواقع يساعد على:

-التعريف والإشهار والترويج لهذا النوع من النشاطات الإنتاجية، وتحقيق الربح المادي باعتبارها مشاريع صغيرة قابلة للتطور والتوسع، وأيضا اعتبار الفضاء الرقمي فضاء موازي للفضاء الواقعي والذي يساعد بدوره في بناء علاقات وخلق شبكة زبائن جدد بشكل متزايد

-بروز أهمية الحياة الواقعية ومساهمتها في الرفع من الترويج للمنتجات عبر الفضاء الرقمي، لأنها تشعر الفرد بالانتماء وكأنه يتواصل معه بشكل شخصي ويعبر عن حياته الواقعية الأمر الذي يجعل المتلقي يتقبل الرسالة الإشهارية بشكل أسهل وأسرع، وبالتالي اعتماد الواقع كاستراتيجية تأثير قوية وفعالة.

-تبين لنا أهمية التفاعل مع المتابعين والمشاهدين لبناء علاقات متينة أساسها الصدق والوفاء، والسعي نحو التطور والابداع المستمر.

-استخدام العديد من جوانب الحياة الواقعية والاستثمار فيها كآليات إبداعية في الإشهار ومن أهمها: نقل نمط الحياة الواقعية دون أي تغيير، وذلك من خلال عرض مختلف المضامين والدلالات والقيم الأخلاقية والمجتمعية والثقافية: كالعادات والتقاليد من للباس والمظهر الخارجي.

-بروز أهمية تفاعلات المتابعين والمشاهدين في انتقاء طبيعة مضمون الفيديوهات، وهذا ما يعكس طبيعة العلاقة التفاعلية والتشاركية بين المنتج والزبون.

-المزج بين الجدية والمزح أكثر اعتمادا كأسلوب اتصالي ابداعي في إيصال الرسالة الاشهارية، لأن الجدية تشعر المتلقي يشعل بالملل، والفكاهة المفرطة تفقد الرسالة الاشهارية والتواصلية معناها وقيمتها.

-فاعلية استخدام الكلمات الدالة ذات الصلة بالمنتج كاستراتيجية إبداعية واشهارية للوصول لأكبر قدر من الجمهور المستهدف.

7-4-3-المحور الثالث المتعلق بالإشباعات المحققة من استخدام اشهار الواقع في الفضاء الرقمي

-بروز كل من الثقة والإبداع والرضى والتقدير الذاتي فيما يتعلق بالإشباعات النفسية المحققة من مشاركة صناعة المنتج مع المتابعين والمشاهدين عبر الفضاء الرقمي، وبالتالي تحقيق الإشباع النفسي لطرفي عملية الاتصال الاشهاري (المنتج المعلن، والزبون)، كل هذا ينمي ويحفز الفكر الإبداعي وثقة المنتج، ويعزز ولاء الزبون، الأمر الذي جعله يشبع حاجاته النفسية التي قد تجعله يعتبر نفسه من المؤثرين. معظم المبحوثين يوافقون على أن استخدام حياتهم الواقعية في الاشهار لمنتجاتهم عبر الفضاء الرقمي يشبع احتياجاتهم التواصلية والعلائقية والمادية بشكل كبير جذا وإثبات ذاتي وثقة بالنفس، وبالمقابل يشعر المتلقي بمصداقية المرسل المعلن والتشابه والتماثل في نمط العيش.

-معظم المبحوثين لا يقدمون أي نوع من الاشهارات لمنتجات لا تخص منتجهم.

-بروز أهمية تفاعل المتابعين والمشاهدين في نجاح المنتجين في الترويج لمنتجاتهم عبر الفضاء الرقمي، لأن التفاعل انعكاس ودليل فعال على نجاح الرسالة الاشهارية في التأثير على المتلقي.

-الكثير من المبحوثين اكتسبوا العديد من المهارات نتيجة التواصل مع المتابعين والمشاهدين عبر الفضاء الرقمي كمهارات التعامل مع التكنولوجيا وإدارة الوقت وتعلم مهارات التسويق الشبكي.

-أهم الاشباعات المحققة من التفاعل مع المتابعين والمشاهدين تتمثل في تحقيق عائد مالي، وتكوين زبائن دائمين والذين بدورهم ساهموا في خلق شبكة زبائن جديدة.

7-4-4-المحور الرابع المتعلق بالأساليب الإبداعية المستخدمة في اشهار الواقع في الفضاء الرقمي

-بروز أهمية البعدين الأخلاقي والواقعي للإبداع في بناء رسالة اتصالية في اشهار الواقع.

-بروز أغلبية المبحوثين يعيدون مشاهدة فيديوهاتهم قبل نشرها وهذا ما يفسر أهمية انتقاء المحتوى المنشور بالشكل الذي يتوافق والقيم المجتمعية والأخلاقية واحتياجات الجمهور، والحفاظ على سمعتهم خاصة وأن استخدامهم

لهذا الفضاء في تنمية نشاطهم يساهم في بناء السمعة.

أغلبية المبحوثين يعتمدون الفضاء الرقمي والهدايا والزيارات والمناسبات... كأسلوب اتصالي مساعد لإشهار الواقع للتعريف بالمنتجات، وهي أساليب أكثر فعالية لأن المنتج يكون بشكل ملموس لدى المتلقي الأمر الذي يعزز إمكانية التعريف بمنتجاتهم وكسب زبائن جدد.

اعتماد معظم المبحوثين على عناوين واضحة ومرتبطة بشكل وثيق بمحتوى الفيديوهات أو الصور المنشورة، وهذا ما يساهم في التعرف عليهم بسرعة من قبل المبحوثين خاصة في حال استخدام كلمات دالة خاصة بالمنتج.

المحور الخامس المتعلق بتجليات استشراف اشهار الواقع في ظل تطورات الفضاء الرقمي:

بروز أهمية الخبرة والجمهور والقيم المجتمعية من عادات وتقاليد ... كمعايير تساهم في تحقيق التأثير الإبداعي

أغلبية المبحوثين يعتبرون المصداقية والعفوية والواقعية ومهارات التواصل كخصائص بارزة وذات أهمية في تحقيق التأثير على المتابعين والمشاهدين.

الغالبية القصوى من المبحوثين يتوقعون مستقبل زاهر لإشهار الواقع كنمط اشهاري جديد.

تبرز أهمية الدورات التكوينية والمسابقات على قنوات وصفحات أصحاب المشاريع كاستراتيجية تعريفية بمنتجاتهم وإبراز جودة منتجاتهم وكفاءتهم الإنتاجية والتكوينية الأمر الذي يجعل المتلقي أو الزبون يتخذها كأدلة دامغة عن مصداقية وجودة المنتجات ...

خاتمة

إن بروز اشكال جديدة ومتعددة من الإبداع في الإشهار ومن بينها إشهار الواقع الذي برز وتميز عبر الفضاء الرقمي بأبعاده وتجلياه اللامتناهية، تجلى على شكل محتوى إبداع اشهاري رقمي تحكمه العلاقات بين المنتج والزبون كل هذا يساعد على بناء علاقات نوعية مع الزبائن عبر مختلف أشكال الاتصال الرقمي التفاعلي، من خلال التركيز على القرب السيكولوجي مع الزبائن باعتبارهم فاعلين نشطين متدخلين في العملية الاتصالية الاشهارية، وضبط استراتيجية تواجد رقمي دائم مع الزبائن قائمة على أساس إدراك خصائصهم واحتياجاتهم، نظرا للدور الوظيفي والفعّال للواقع في تحقق الجدب والراحة والقابلية والمتعة، **هذا النمط من الإشهار حقق رواج كبير في العالم وبين مختلف الفئات العمرية، حيث أصبح المتابعين بمثابة عنصر فاعل وجوهري في إنجاح الاتصال الاشهاري خاصة وأن السياق التفاعلي افتراضي رقمي يجعلهم لا يترددون في التعبير عن مشاعرهم وآرائهم وتقديم طلبات معينة. كل هذا يعد بمثابة نوع من التكيف والتعايش مع متطلبات العصر الراهن تكنولوجيا و إبداعيا وفكريا ومتطلبات السوق، والزبون.**

المراجع

1. العمواني مصطفى بنكاسي. (2003). مفاهيم حول الموهبة، العبقرية، الإبداع، الإبتكار، التميز، الذكاء. منشورات. مدرسة تاونزة العلمية.
2. محمد جمال الفار. (2014). معجم المصطلحات الإعلامية. عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
3. زهير عبد اللطيف عابد. (2014). مبادئ الإعلان. عمان، الأردن: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع
4. الشطري حامد مجيد. (2013). الإعلان التلفزيزني ودوره في تكوين الصورة الذهنية. عمان، الأردن: دار أسامة للنشر
5. فايزة يخلف. (2005/2004). خصوصية الإشهار التلفزيوني الجزائري في ظل الإنفتاح الإقتصادي، دراسة تحليلية يسميولوجية لبنية الرسالة الإشهارية. كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال، الجزائر.
6. روبرت هيت. (2016). ترجمة، إغواء العقل الباطن سيكولوجية التأثير العاطفي في الدعاية والإعلان، (محمد عثمان، المترجمون) مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
7. بن عمرة بلقاسم أمين،(2017 /2018) دور الوسائط الاتصالية الجديدة في تشكيل الفضاءات العمومية الهامشية النسائية داخل الحيز الافتراضي-دراسة ميدانية لعينة من المجموعات الفايسبوكية النسائية الجزائرية، أطروحة دكتوراه

علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم الاجتماعية، شعبة علوم الاعلام والاتصال، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم – الجزائر.

8. صديقي نوال، (2020)، قيمة حياة الزبون وعلاقتها بإدارة علاقات الزبائن، مجلة البشائر الاقتصادية، المجلد 6، العدد1، أفريل. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/115464

9. عز الذين بن حميود، عبد الفتاح بوخمخم،رأس المال العلاقاتي كمدخل لتعزيز تنافسية المؤسسات من خلال تدنية التكاليف «دراسة مجموعة من شركات الصناعية الإلكترونية في الجزائر»، مجلة المنتدى للدراسات والأبحاث الاقتصادية، المجلد6، العدد 1، أفريل.https://www.asjp.cerist.dz/en/article/191028

10. سعيد العيماري. (2016). قراءة في كتاب «الإشهاروالصورة،صورة الإشهار» لدافيد فيكتوروف. (ترجمة سعيد بن كراد، المترجمون) تاريخ الاسترداد 14 5, 2020، من https://www.alukah.net/culture/0/102430/#ixzz5hYLomuMv

11. صالح زمال. (2016). حماية الابداعات الإشهارية في ظل قانون الملكية الفكرية ، مجلة منازعات الأعمال ،جامعة العربي التبسي. تاريخ الاسترداد 21 7, 2020، منhttp://frssiwa.blogspot.com/2017/02/blog-post_3.html#.XIHzw9wlfIU

12. Mercanti-Guérin. (2016). Publicité digitale . Paris, France: Dunod

13. مريم ضربان، (2020)، أدب» التغريدة» ورهانات الاستطيقا الرقمية في الفضاء الافتراضي بين «عولمة العرض» والموروث الرمزي «للعبق الفني»، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية ، المجلد 17، العدد 3، سبتمبر.

14. خليفة منية، دراجي عيسى. (ديسمبر, 2016). دور الإبداع والابتكار في عصرنة المصارف وزيادة قدرتها التنافسية. المعيار(16)، ص 201.

15. فريديريك نويل. (1998). أنظمة التسويق الجديدة. (بيت الأفكار الدولية، المترجمون) أمريكا: حقوق الترجمة العربية للنشر والتوزيع.

16. نعومي مريم. (2020). تأثير الثقافة التنظيمية على نجاح التحول الرقمي. مجلة معهد العلوم الاقتصادية، 23(02). تم الاسترداد من https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/258/23/2/140886

17. Henri Virginie de BARNIER JOANNIS. (2005). De la statégie marketing à la création publicitaire. Dunod, Paris: 2 edition, Préface de Philippe Legendre. تم الاسترداد من file:///C:/Users/TOSHIBA/Downloads/56c9d68dcd4cd.pdf

18. Monica Maria Zahariea Andreea Ioana Maniua. (2014). Advertising creativity the right balance between surprise,-medium and message relevance . aBabes Bolyai University Faculty of Economics and Business Administration ، Romania .

19. Peter Saffert Werner Reinartz. (June, 2013). Creativity in Advertising:When It Works and

20. When It Doesn't. harvard business review .

21. Nelson Zagalo و، Pedro Branco. (2015). Creativity in the Digital Age. Springer- verlag london. doi:10.1007 / 978-1-8-6681-4471

Integration of creativity levels in reality advertising -Study of the construction of the customer relationship through the digital space-

Abstract

This study aims to diagnose the integration of levels of creativity in advertising-reality and its influence on the modalities of construction of strong interactive and participative relationships with the client through the digital space. The technical and intellectual possibilities offered by digital technologies have created non-standard practices that have opened new horizons in the field of communication, especially in the strategies of advertising creativity. Moreover, it has strengthened the interactive dimensions and the cognitive awareness of customers through their involvement in the construction and consumption of the advertising message. Consequently, this study has been oriented to the analysis of the home selling model as one of the practical and operational applications that highlights the articulation between the forms of interaction and the levels of creativity in advertising-reality in the process of interest exchange and needs satisfaction.

Keywords
Aadvertising
creativity
Advertising creation
reality advertising
digital space
customer relationship

Intégration des niveaux de créativité dans la publicité réalité-Etude de la construction de la relation client à travers l'espace numérique-

Résumé

Cette étude vise à diagnostiquer l'intégration des niveaux de créativité dans la publicité-réalité et son influence sur les modalités de construction de fortes relations interactives et participatives avec le client à travers l'espace numérique. Les possibilités techniques et intellectuelles offertes par les technologies numériques ont créé des pratiques non standardisées qui ont ouvert de nouveaux horizons dans le domaine de la communication, notamment dans les stratégies de créativité publicitaire. De plus, elle a renforcé les dimensions interactives et la conscience cognitive des clients par leur implication dans la construction et la consommation du message publicitaire. En conséquence, cette étude s'est orientée vers l'analyse du modèle de la vente à domicile comme l'une des applications pratiques et opérationnelles qui met en évidence l'articulation entre les formes d'interaction et les niveaux de créativité dans la publicité-réalité dans le processus d'échange d'intérêts et de satisfaction des besoins

Mots clés
créativité
création publicitaire
publicité-réalité
espace numérique
relation client

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف واذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

التكفل الطبي في العلاج والوقاية الأولية للسمنة عن طريق النشاط البدني الرياضي

Medical care in the primary treatment and prevention of obesity through sports and physical activity

أ.د. سمش الدين زواغي[1]
Pr. Semcheddine Zouaghi
مخبر علوم الأنشطة البدنية الرياضية والصحة العمومية
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2الجزائر
zinozouaghi@yahoo.fr

د. نعيمة بوزغران
Dr. Naima Bouzeghrane
مخبر علوم الأنشطة البدنية الرياضية والصحة العمومية جامعة
محمد لمين دباغين سطيف2الجزائر
bouzeghranestaps@gmail.com

ملخص

تعتبر السمنة او الوزن الزائد من أهم العوامل المؤدية إلى أمراض جهاز القلب والدوران والتي لها اثر مباشر على الصحة العمومية فهي تتميز بزيادة مفرطة في المكونات الطاقوية المخزنة على شكل شحوم في النسيج الدهني. أردنا من خلال هذه المداخلة تسليط الضوء على العلاقة بين النشاط البدني والصحة ومدى مساهمة هذا النشاط في التنمية الاقتصادية المستدامة، وقد انصب اهتمامنا الكبير على إظهار الآثار السلبية الناجمة عن نمط معيشي خالي من الحركة والناتج عن التطور التكنولوجي، النمو الحضاري الغذاء غير المتوازن ...) وإثر هذا النمط في ظهور وتفش كبير للأمراض المزمنة التي باتت تشكل خطرا على صحة الأفراد مما يستوجب وعي حقيقي حول تأثير النشاط البدني المكيف لغرض وقائي وعلاجي يساهم في الحفاظ على الصحة.

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 14-12-2020
تاريخ القبول 06-02-2024

الكلمات المفتاحية
النشاط البدني
السمنة
الصحة
الأمراض المزمنة
الوقاية

مقدمة

منذ فترة طويلة تساءل الإنسان عن الوسائل التي من المحتمل ان تساعده في الحفاظ على صحته وتحسينها مع التقدم الحضاري وخاصة في البلدان الصناعية وحتى في البلدان النامية، ومع ثورة الكومبيوتر والانترنت أصبح الإنسان المعاصر يقضي معظم وقته جالسا إمام شاشة الكومبيوتر الخاصة به، كما هو الحال على طاولة الأكل، كذلك هو الوضع في النقل أو في المساء إمام تلفزيونه، انه الخمول او عدم حركة جسمنا (اين تمثل العضلات أكثر من 50 % من وزن الجسم) فالجسم يحتاج إلى الحركة.

هذا الانخفاض التدريجي في الحركة « النشاط البدني اليومي »، الذي يعتبر عاملا أساسيا في حماية الصحة يؤدي الى حرمان غالبية الأفراد من التحفيز البدني اللازم لتحقيق التوازن السليم والصحة.

من ناحية أخرى نجد ان الجهد العضلي اخذ في التناقص، حيث أصبح الطعام الحديث أكثر ثراءا ووفرة وسهل الحصول عليه. فنمط الحياة المستقر هذا لديه تترتب عليه عواقب وخيمة على الصحة العامة.

فالتقدم التكنولوجي في هذا القرن ساهم في التقليل من درجة الجهد البدني والحركي عند الإنسان عن طريق الاعتماد على الأجهزة والآلات لإنجاز الكثير من الأعمال اليومية. ونتيجة لهذا التقدم التكنولوجي توافر الكثير من الوقت للإنسان. إذ تشير بعض الدراسات إلى انخفاض عدد ساعات العمل الأسبوعي مما أدى الى توفير الكثير من الوقت، ولكن من المؤسف له ان معظم الوقت لا يستغل بالشكل الصحيح، وذلك في ممارسة النشاط البدني لتحسين كفاءة الجسم، ومن هنا انتشرت الأمراض والتي تعرف بأمراض قلة الحركة ومنها مرض السمنة، وجاء هذا كنتيجة حتمية لقلة الحركة والنشاط والأدلة العلمية المتوافرة في وقتنا الحالي تؤكد بان النشاط البدني المنظم والمنتظم عند الأفراد يقلل من عوامل الخطورة المهيأة للإصابة بالأمراض المزمنة، لذا فهناك اتجاه سائد يدعو إلى ضرورة حصول الأفراد على مشاركة منظمة ومنتظمة من الأنشطة الرياضية المعتدلة وعالية الشدة، خاصة وان أفراد هذا العصر ليسوا بذلك المستوى

1 المؤلف المراسل

من النشاط البدني الذي يجب ان يؤدوه مما ادى الى ظهور العديد من الامراض المرتبطة بقلة الحركة.(صلاح بن عبد الحبيب النهدي ،58،2020-59).

فعلى وجه الخصوص في السنوات الأخيرة، أمراض مزمنة مثل مرض القلب والأوعية الدموية والسكري والتهاب المفاصل وهشاشة العظام وغيرها ... قد ارتفعت بشكل كبير في جميع مناطق العالم و زيادة الوزن او السمنة تعتبر العامل الرئيسي في انتشار هذه الأمراض، وفي هذا الصدد اعتبرت منظمة الصحة العالمية السمنة « أول وباء غير معدي في التاريخ وهي مشكلة القرن الرئيسية «كما أكدت على خطورتها وذلك في موضوع القلب العالمي في (2005/09/25) تحت شعار «راقب وزنك راقب قلبك» ويستدعي هذا الشعار الانتباه الى حقيقة ان السمنة من عوامل الخطر الرئيسية المسببة للأمراض فالارتفاع الكبير في انتشارها جعلها مشكلة صحية كبرى وعامة .

و لعل اليوم لم تعد السمنة تعتبر مشكلة صحية فحسب بل أيضا مشكلة اقتصادية فالسمنة في طريقها لتصبح المشكلة الأكثر في الدول الصناعية، حيث تصنف ضمن أهم ثلاث عوامل التي تشكل اثر بشري اقتصادي سلبي عالمي إضافة الى النزاعات المسلحة والتدخين حيث، أصبحت السمنة والأعباء الصحية المرتبطة بها تمثل تكلفة باهظة فهي تفرض تكاليف كبيرة على نظم الرعاية الصحية بمعدل بين (2-7%) من إجمالي الإنفاق على الرعاية الصحية عالميا ترتبط بتدابير لمنع وعلاج البدانة، مع ما يصل الى نسبة 20% من الإنفاق اي ما يعادل 2.8%من مجمل الناتج الاقتصادي العالمي تعزى إلى أمراض ذات الصلة بالسمنة وخاصة داء السكري وأمراض القلب والأوعية الدموية وارتفاع ضغط الدم وانقطاع التنفس ...و علاوة على ذلك فهي تؤثر في الإنتاج الاقتصادي الشامل وأصحاب العمل على حد سواء من خلال ضعف الانتاجية والغياب عن العمل، ومن فاقد راس المال البشري بسبب الوفيات المبكرة مع الضغوط الكبيرة على مالية الحكومات ويجعل من السمنة المسؤول المباشر عن 5%من مجمل الوفيات السنوية، وما يزيد من حجم المشكلة ان التقديرات تشير ان الأثر الاقتصادي العالمي للبدانة اخذ في الارتفاع وان نصف البالغين من البشر سيصابون بزيادة في الوزن او السمنة المفرطة بحلول عام 2030. (زرزار العياشي،185،2011).

وتشير المعلومات حاليا حول معدلات انتشار البدانة والأمراض المرتبطة بها أن ما يقارب من ثلث سكان العالم اليوم يعاني من السمنة، اي ما يعادل أكثر من 2.1 مليار نسمة وتفيد المعلومات بأنه لا يوجد انخفاض في انتشار السمنة في الفترة ما بين سنة 2000 وسنة 2013 وإنما زاد انتشارها بمقدار 0.5 سنويا خلال نفس الفترة هذا ما أدى بنا لطرح التساؤل الأتي: هل يمكن للنشاط البدني ان يكون جزءا من العملية العلاجية والوقائية الأولية للحد من عوامل الخطر المترتبة عن زيادة الوزن والسمنة التي تساعد في انتشار الأمراض المزمنة وبالتالي المساهمة في التنمية الاقتصادية المستدامة؟

1-السمنة: العامل الأول لانتشار الأمراض

1-1-تعريف السمنة

حسب منظمة الصحة العالمية (2003) والتي تعطي للسمنة تعريفين:

-التعريف الكيفي: تعرف السمنة والزيادة في الوزن على أنهما: تجمعات مفرطة وغير عادية للشحوم في الجسم، من شانها ان تضر بالصحة.

-التعريف الكمي: هي زيادة الوزن باعتبارها تتوافق مع مؤشر كتلة جسمية أكبر او تساوي 25كغ/م^2.

كما ان هناك عدة تعاريف للسمنة متداولة بين المختصين منها:

- هي زيادة وزن الجسم بمقدار 25% عن الوزن المثالي، نتيجة تراكم كميات من الدهون في جسم الإنسان.

- السمنة هي زيادة وزن الجسم عن حده الطبيعي، نتيجة تراكم الدهون فيه، وهذا التراكم ناتج عن عدم التوازن بين الطاقة الناتجة بين من تناول الطعام والطاقة المستهلكة في الجسم.(محمد عيسى، بدون سنة،203).

Maigreur	< 18,5
Référence	18,5 - 24,9
Surpoids	25 - 29,9
Obésité	30 - 34,9
sévère	35 - 39,9
massive	≥ 40

شكل (01): معيار الكتلة الجسمية

المصدر: (عبد النور بن سواق،2018)

كثيرا ما يرتبط وباء السمنة بزيادة الإمراض المزمنة

بالصحة العامة. ويتميز بالزيادة في مخزونات الطاقة المخزونة مثل الدهون في الانسجة الدهنية. من الصعب قياس كتلة الدهون سريريا في الممارسة العملية من الممكن استخدام مؤشر كتلة الجسم (BMI او IMC) محسوبا حسب الوزن المقسوم على مربع الارتفاع ($kglm^2$).

يتم تعريف السمنة لمؤشر كتلة الجسم الحادة لمؤشر كتلة الجسم أكبر من35 (كجم/م^2) والسمنة الضخمة لمؤشر كتلة الجسم 40 كجم / م^2.

نمط الحياة المستقر او السلوك المستقر يتم تعريفه على انه حالة تميز بنفقات طاقة اقل من او تساوي نفقات الراحة في وضع الجلوس او المدد (1.6 متر): رحلات سيارة، وضعية الجلوس دون أي نشاط أخر ، أو مشاهدة التلفزيون.

- **نفقات الطاقة للراحة:**

- التمثيل الغذائي 70%

- الحرارة التي يسببها النظام الغذائي 10%

-التحكم في الوضعية 20%

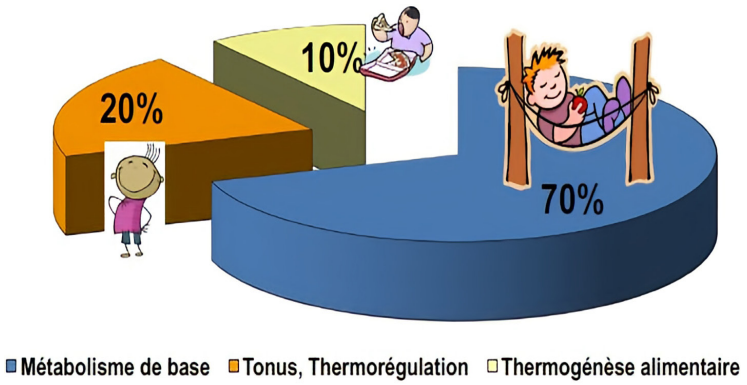

شكل (02): استهلاك الطاقة في حالة الراحة

المصدر: (عبد النور بن سواق،2018)

- **نفقات الطاقة للراحة:**

توازن الطاقة = المخرجات – المدخلات.

توازن الطاقة: كمية الطعام =إنفاق الطاقة.

والا المخزون = المدخلات – المخرجات.

شكل (03): التوازن الطاقوي: القيمة الغذائية = قيمة الاستهلاك الطاقوي

المصدر: (عبد النور بن سواق،2018)

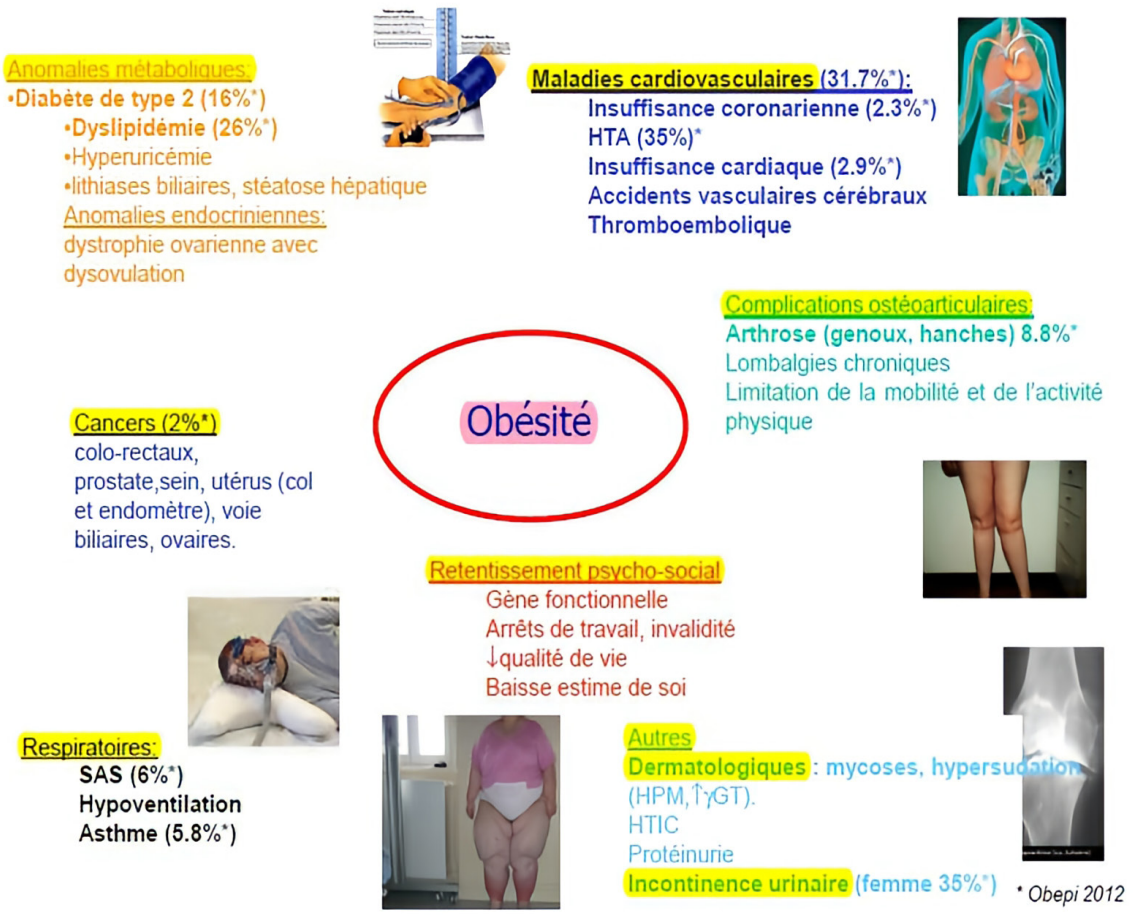

شكل (04): يوضح المخاطر على الصحة المرتبطة بالسمنة

المصدر: (عبد النور بن سواق،2018)

ان وباء السمنة يزداد في جميع البلدان المتقدمة.

على سبيل المثال في الولايات المتحدة، وفقا» لقانون تحسين التغذية والنشاط البدني « المنشور في الكونجرس الأمريكي في فبراير 2003، 61 %من البالغين و13% من الأطفال يعانون من زيادة الوزن (مؤشر كتلة الجسم 25) وحتى السمنة(BMI>30)هذا الانتشار يزيد فقط بالمقارنة مع عام 1974 مع أطفال المراهقين أكثر من مرتين و 3 مرات أكثر من في الحمل الزائد . ويرتبط 300,000 حالة وفاة سنويا مع السمنة، والتي ستكون مسؤولة عن زيادة 50% الى100% في خطر الوفاة المبكرة تبلغ تكلفة البدانة المباشرة وغير المباشرة مليار دولار، وهي أغلى من الأمراض المرتبطة بالتبغ.

في بعض البلدان الأوروبية، في عام2002،8% من البالغين و12% من الأطفال يعانون من السمنة هذا الانتشار، على الرغم من من ارتفاعه الملحوظ ،لا يزال اقل بكثير من ذلك الذي لوحظ في الولايات المتحدة (30 %من البالغين و22%من الأطفال) وفي السنوات الأخيرة اتخذت هذه السمنة الضخمة أبعادا مثيرة للقلق.

1-2-انواع السمنة

-حسب المرحلة العمرية

ا- السمنة البسيطة (البلوغ): تحدث بعد سن البلوغ وتكون نتيجة لزيادة حجم الخلايا الدهنية على حساب عددها.

ب- السمنة المركبة (الطفولة): تحدث في سن الطفولة وتعتبر أكثر خطورة نتيجة لزيادة كل من حجم وعدد الخلايا الدهنية.

-حسب مناطق توزيع الدهن في الجسم:

ا-سمنة الجزء العلوي للجسم: او السمنة الذكرية تتميز بتوزع الدهون بمنطقة البطن والصدر، ويطلق على الجسم في هذه الحالة ذو الشكل التفاحي.

ب- سمنة الجزء السفلي للجسم: او السمنة الانثوية تتميز بتوزع الدهون في مناطق أسفل الجذع (منطقة الحوض،

الفخذين،و الأرداف) ويطلق على الجسم في هذه الحالة بالشكل الكمثري.

-**سمنة كيتشينغ:** تصيب خاصة المراة الشابة، وتتميز بانتفاخ على مستوى الوجه، العنق، الصدر، البطن، والجهة العلوية للجسم مع ارتفاع في ضغط الدم، وسببها ارتفاع في إفرازات الغدة الكظرية أو خلل في الغدة النخامية. (محمد عيسى،بدون سنة،204).

1–3–طرق قياس السمنة

هناك عدة طرق عديدة متوافرة لمعرفة فيما إذا كان الشخص سمينا (بدينا) ام لا، والطرق الأكثر شيوعا واستعمالا هي: مؤشر كتلة الجسم (IMC) حيث يعد مؤشر كتلة الجسم طريقة سهلة لتقييم بدانة الجسم لدى البالغين، وأكثر الطرق شيوعا واستخداما نظرا لدقة النتائج المتحصل عليها مقارنة بالطرق الاخرى، وهو مؤشر يعكس تناسب طول الجسم مع كتلته (وزن الجسم).

-الطريقة المتبعة لحساب معامل الكتلة الجسمية IMC.

لدينا: IMC=الوزن(كغم)/ مربع الطول (م).

وبتطبيق هذا القانون فاذا كانت قيمة IMC:

-اقل من 20: فان الشخص ضعيف الوزن.

-ما بين 20-25: فالشخص عادي.

-ما بين 25-30: فالشخص لديه زيادة في الوزن.

-اما أكثر من 30: فالشخص يعاني من سمنة حقيقية. (محمد الصادق سلامة،2005، ص 23).

ومن طرق قياس السمنة: أيضا قياس سمك طبقة الدهن تحت الجلد، يتم تحديد سمك طبقة الدهون تحت الجلد باستعمال جهاز (الكاليبر)، وذلك في عدة مناطق من الجسم واكثرها استعمالا هي منطقة الصدر، العضلة العضدية الثلاثية الرؤوس، منطقة ما تحت عظم او لوح الكتف، منطقة البطن، فوق عظام المرفقين، منطقة الفخذ...

جميع المناطق المذكورة سابقا لها مواقع تشريحية محددة وطرق متبعة في مسك طية الجلد فيها، فتكون أما طية أفقية او راسية او مائلة مثل منطقة الصدر (تكون ثنية مائلة) او في منطقة البطن(الثنية أفقية).(302-Pollack,2007, 297)

1–4–أسباب السمنة

تتعدد أسباب السمنة وتختلف ولعل أبرزها ما يلي:

-**عوامل غذائية: زيادة** تناول الوجبات السريعة، الوجبات البينية، تخطي وجبة الفطور، قلة تناول الخضراوات والفواكه، ظاهرة تناول الطعام خارج المنزل.

-**عوامل اجتماعية:** تأثير التمدن على ظاهرة البدانة.

-**قلة النشاط البدني:** النشاط البدني يعد من العوامل الرئيسية لصرف الطاقة الزائدة عن حاجة الجسم، ان عدم صرف الطاقة هو العامل الرئيسي للإصابة بالسمنة وليس كثرة الاكل فقط، فهناك العديد من الاشخاص الذين ياكلون كثيرا وفي الوقت نفسه يمارسون انشطة عضلية، وجسمانية معتدلة لهذا لا يصابون بالسمنة. (Grangeard C,2007, 318-323)

-**تكرار الحمل والولادة:** يعتبر الحمل والولادة من بين الأسباب التي تجعل النساء أكثر عرضة للإصابة بالسمنة، وذلك نتيجة قلة النشاط البدني وتناول أغذية خاصة عادة ما تكون غنية بالدهون، وهي أيضا مراحل تتميز باختلال في الهرمونات، بحيث تصبح هذه الأخيرة عاملا محفزا لزيادة الوزن في الجسم.

-**قلة النوم:** تؤدي قلة النوم الى اضطراب في العمليات الايضية (نقص حساسية الخلايا للأنسولين، اختلال مستوى الجلوكوز في الدم وتناقص هرمون اللبتين الذي يؤثر في الإحساس بالشبع لدى الشخص) كما يلاحظ ارتفاع هرمون الجرلين المسؤول عن عامل الجوع مما يؤدي الى زيادة اكل الطعام ذي السعرات الحرارية العالية ليلا.

-**العمر:** تقل الطاقة المبذولة مع تقدم العمر، وقد يكون هذا السبب الرئيس في زيادة الوزن مع تقدم السن وليست الزيادة في الطعام، حيث تبين انهلا يوجد تغير ملحوظ في كمية الطعام الذي يستهلكه الشخص البالغ على مدى عمره، كما ان تناول بعض الادوية والعقاقير والهرمونات يؤدي الى ظهور السمنة.

-**الكورتيزون:** الذي يستعمل بكثرة لعلاج الأمراض المناعية والحساسية والتهاب الجلد، الربو والروماتيزم لمدة طويلة يؤدي إلى تراكم الدهون في منطقة الرقبة، الوجه الصدر والبطن.

- **الادوية المضادة للحساسية:** والتي تؤدي الى تنشيط مركز الأكل على مستوى تحت السرير البصري، مما يزيد من الشهية والقابلية لتناول الطعام مما يؤدي الى السمنة.

-**الأدوية المهدئة والمضادة للاكتئاب والعقاقير:** المستخدمة

في علاج الأمراض النفسية لفترة طويلة تنتسب في زيادة الوزن ذلك ان بعضها ينبه مراكز الاكل في المخ ويفتح الشهية، والبعض الاخر يقلل من صرف الطاقة لما يسببه من كسل وقلة حركة.

-العرق او الجنس: تتصف النساء بأنهن اعلى نسبة من الدهون في الجسم عما هي عند الرجال، وذلك لكون الرجال يختلفون عن النساء في عملية التمثيل الغذائي، حيث تكون عند المرأة أكثر بطئا، كما توجد فروق عرقية، ففي المجتمع الامريكي نجد ان المرأة السوداء والمرأة الامريكية ذات الاصل الميكسيكي أكثر وزنا من المرأة البيضاء، لكن الفروق بين الرجال قليلة نسبيا.) هزاع بن محمد هزاع،2005 ،08).

-اسباب حاثية :(هرمونية)

ا- الغدة الدرقية: ان اتخفاض التيروكسين الذي ينشط عمليات الايض الغذائي (حرق الغذاء) في جسم الإنسان. اما بسب مرض او نتيجة ضعف الاداء، يصاحبه حدوث زيادة في الوزن نتيجة لانخفاض معدل احتراق الأغذية داخل الجسم.

ب- الغدة النخامية: تفرز الغدة النخامية هرمونات تتحكم في معظم الغدد الصماء الموجودة في الجسم، وبالتالي أي خلل في إفرازاتها يتسبب في زيادة الدهون.

ج- حاثة (هرمون) التستوستيرون: يؤدي انعدام إفرازه الى المساعدة على تراكم الدهون في الجسم، والإصابة بالسمنة.

د-حاثة(هرمون)النمو: يساعد هذا الهرمون على هدم الأنسجة الدهنية في الجسم، وفي حال السمنة ينخفض معدل إفرازه مما يؤدي الى زيادة تراكم وبناء الانسجة الدهنية في الجسم.

الغدة الكظرية: يسبب حدوث اضطرابات في افراز هرمونات الغدة الكظرية إلى زيادة في إفراز هرمون الكورتيزون الذي يؤدي الى خلل في عمليات ايض النسيج الدهني في الجسم وزيادة معدل بنائه.

هـ- ارتفاع مستوى الانسولين: يصاحب غالبا إصابة الشخص بالسمنة ارتفاع في معدل الأنسولين والجلوكوز في الدم عند الصيام، ويعزى ذلك الى عدم استجابة العضلات او الخلايا الدهنية للانسولين نتيجة تراكم الدهون في جسم الشخص البدين التي تسبب انخفاضا في عدد مواقع استقبال الأنسولين في أغشية الخلايا الدهنية، وعندما يرتبط الأنسولين بهذه المواقع فانه يصبح فعالا ونشطا بيولوجيا. (محمد عيسى، بدون سنة،206).

-أسباب وراثية: أن بعض المصابين بالسمنة يكون سببه وراثي، فقد أشارت بعض الدراسات الى ان العوامل الوراثية 30-50% من السمنة فوجدو ان 8% من الأبناء يعانون السمنة من اباء عاديين ولكن هذه النسبة كانت 40% إذا كان أحدهما بدين وتتضاعف النسبة إلى 80% إذا كان كلا الأبوين بدينين.

ويقوم بعض العلماء بدراسة العوامل الوراثية في البدانة عن طريق التلاعب بالجينيات المرشحة للسمنة في الحيوانات المعدلة وراثيا، فلوحظ في الفئران التي تم حذف جين مستقبلات ميلانوكورتين-4(MRC-4) او مورثة مستقبلات ميلانوكورتين، انها تعاني من السمنة، ذلك لأنها تخزن المزيد من الدهون أكثر من الفئران العادية، وتعتبر الطفرة في مورثة (MCR4) السبب الأكثر شيوعا للإصابة بالسمنة المفرطة.

- أسباب نفسية: ومن الأسباب النفسية او السيكولوجية في حدوث السمنة هو كثرة تناول الطعام بسبب ما يعرف بالتعويض عن الحب او العطف كان يعوض الأب عن عدم تمكنه من تقديم العطف الكافي لأبنائه، بشراء الحلوى ومختلف الأطعمة وكذا يعبر الأبناء عن حبهم لوالدهم بتناول كل ما يقدمه لهم.

هناك أيضا ما يسمى بالاندفاع القهري والرغبة الملحة في تناول الطعام وفقدان القدرة على التحكم في الأكل، وذلك بسبب الاكتئاب والإحباط والفشل الراجع لأسباب أسرية واجتماعية، يدفع الأشخاص إلى الأكل بكثرة، وذلك كنوع من العزاء الذاتي ومخرج ومتنفس لكل مشاكلهم، فينتج عن ذلك زيادة في الوزن او السمنة كما يتسبب في الضغط والإجهاد العاطفي او الجسماني في حدوث زيادة إفراز هرموني الادرينالين الذين ينشطان انطلاقا وتحرر الجلوكوز والأحماض الامينية، مما يرفع من معدل الطاقة بالجسم التي تتحول الى دهون اذ لم يتم استنزافها. (محمد عيسى، بدون سنة، 207).

2-النشاط البدني كوسيلة للعلاج والوقاية من الأمراض

2-1-نبذة تاريخية

في الدراسات الأجنبية، تم إجراء العديد من التجارب لتعزيز الأنشطة البدنية والرياضية لأغراض صحية في الخارج. في

هذا النوع من النهج، كانت الدول الإسكندنافية ناجحة بشكل خاص. هناك طريقتان للتفكير في العلاقة بين النشاط البدني والصحة. وفقا لأول مرة، النشاط البدني وهو انعكاس للصحة، كما انه مؤشر على الحالة الصحية الايجابية للفرد. في المجموعة الثانية يعتبر النشاط البدني عامل السيطرة على المرض، وبالتالي يكتسب مكانة الطب الوقائي. ومع ذلك فانه مطلوب التمييز بين نوعين من الآثار المترتبة على ممارسة النشاط البدني على الجسم أي أثار بدنية ونفسية

عمل الباحثون الانجلوسكسون خصيصا على النهج

الوبائي: حيث انها تهدف للتحقق من التأثيرات المفيدة من النشاط البدني في الوقاية من أمراض الحضارة المرتبطة بقلة النشاط البدني. كما هو مبين في تقرير INSERM الذي سبق ذكره، فان جميع الدراسات في العالم أكدت جليا الدور الايجابي للنشاط البدني والرياضي كعامل وقائي او كعلاج مساعد لبعض الأمراض مثل أمراض القلب والأوعية الدموية، والسمنة وداء السكري من النوع الثاني وهشاشة العظام « الأم الظهر وسرطان القولون وسرطان الثدي والانهيار العصبي».

أجريت دراسات أخرى بما في ذلك دراسة «دوكduke « , ابن اجر الباحثون دراسة مقارنة بين التمارين الهوائية واللاهوائية ومزيج من الاثنين معا .اكتشفوا أن تمارين التحمل كانت أكثر الطرق فعالية لفقدان دهون البطن التي تسبب مشاكل صحية .

وأظهرت دراسة «دوك duke « ان تدريب التحمل قلل وبشكل كبير من الدهون الحشوية ودهون الكبد، وهو المسؤول عن مرض الكبد الدهني غير الكحولي. كما ان تمرين القلب والأوعية الدموية تقوم بعمل أفضل من تدريب القوة في تحسين مقاومة الأنسولين الصيام، والحد من إنزيمات الكبد ومستويات ثلاثي الجليسريد. جميع هذه العناصر المعروفة بأنها عوامل خطر لمرض السكري وامراض القلب والأوعية الدموية.

«ان تدريب القوة جيد لتحسين القوة وزيادة كتلة العضلات الهزيلة «، ولكن إذا كنت من الوزن الزائد، مثل العديد من الأشخاص في الوقت الحاضر، وتريد ان تفقد الدهون في البطن، التمارين الهوائية هي الخيار الأفضل لأنها تحرق المزيد من السعرات الحرارية «. يحرق تدريب التحمل 67% من السعرات الحرارية مقارنة بتدريب كمال الأجسام.

كما أفادت الدراسة التي دامت ثمانية شهر أن 196 من

البالغين عديمي الحركة الذين يعانون من الوزن الزائد (يتراوح أعمارهم بين 18و70 سنة) والذين تم تعيينهم عشوائيا الى واحدة من ثلاث مجموعات: التدريب على التحمل، تدريب القوة العضلية، او مزيج من الاثنين معا.

تمارس مجموعة التحمل تمارين تعادل 20 كيلومترا

جري في الأسبوع بمعدل 80 %من ضربات القلب القصوى. قامت مجموعة كمال الأجسام بثلاث مجموعات 8- 12 تكرار ثلاث مرات في الأسبوع، تم الإشراف على جميع البرامج وتسجيلها بشكل جدي لضمان أقصى جهد في المشاركة.

ما يهم حقا هو كمية الرياضة التي تقوم بها، وكمعد الكيلومترات التي تمشي فيها وكم عدد السعرات الحرارية التي تحرقها « كما يقول «إذا اخترت العمل بكثافة تحمل منخفضة، فسوف يستغرق الأمر وقتا أطول لحرق نفس الكمية في هذه الدهون الغير صحية «.

2–2–آثار النشاط البدني على الأمراض المزمنة

أولا: أمراض القلب والأوعية الدموية والتأثير على عوامل الخطر المختلفة

في مجال أمراض القلب والأوعية الدموية يكون الدليل على الاهتمام بالنشاط البدني هو الأكثر أهمية. يعني الأمر هنا تأثيرات متنوعة على كل من القدرات الجسدية، والبعد النفسي، والبيئة الفيزيولوجية المرضية، وبالخصوص عوامل الخطر. فالنشاط البدني فعال في الوقاية الأولية والوقاية الثانوية. يمكنه ان يؤثر على عوامل الخطر المختلفة التي ينطوي عليها مرض القلب والأوعية الدموية.

ثانيا: الضغط الشرياني المرتفع

ممارسة منتظمة من النشاط البدني تسمح بالتحكم بشكل افضل في ارتفاع ضغط الدم الشرياني، وفقا لما ذكره المؤلف، وبالتالي أصبح الآن جزءا من التوصيات في إدارة ارتفاع ضغط الدم، بالتعاون مع العلاجات الطبيعية .ظهر هذا التأثير للنشاط البدني على ارتفاع ضغط الدم الشرياني لأول مرة لدى الرجال ثم بعد ذلك عند النساء، فاذا استمر النشاط البدني المنتظم لفترة كافية (لمدة ثلاث سنوات على الاقل)، يتحسن ارتفاع ضغط الدم ويدوم سواء في الراحة او أثناء الجهد (9.2%) انخفاض في ضغط الدم الانقباضي).يكون

تأثيره مشابها أو حتى متفوقا على تأثير الدواء لوحده وبالتالي فان الزيادة التي تزيد عن او تساوي 50 ملم زئبقي من الضغط الانقباضي ،عند مستوى جهد 50 % من ذروة VO_2 يعتبر غير طبيعي ويتم تحسينه عن طريق تدريب التحمل لمدة 8 اسابيع . من المرجح ان يؤخر النشاط البدني او حتى يجعل العلاج الدوائي غير الضروري في موضوع ارتفاع ضغط الدم.

ثالثا: داء السكري

نمط الحياة المستقرة يمثل للبعض الأسباب السلوكية الأولى لانتشار مرض السكري المتزايد، هناك روابط وبائية راسخة بين السكري الغير معتمد على الأنسولين وانعدام النشاط البدني.

ان النشاط البدني (غالبا ما يكون مرتبط بإتباع نظامغذائي) يعتبر عنصرا فعالا في منع ظهور مرض السكري من النوع 2 لدى الأفراد المعرضين للخطر، مع انخفاض نصف معدل حدوثه. وهكذا، في مجموعة من المرضى غير المصابين بالسكري الذين يعانون عدم تحمل الجلوكوز (نسبة الجلوكوز في الدم اقل من 1.25 غم /لتر علة معدة فارغة وبين 1.4 و2غم/لتر بعد ساعتين من اختبار حمل الجلوكوز)، النشاط البدني يقلل من خطر الإصابة بالسكري

بنسبة 58%، في حين يقلل الميتفورمين بنسبة 31 %فقط، وهذا انخفاض مماثل في مخاطر أمراض القلب والأوعية الدموية يمكن ان يصل الحد من الإصابة بمرض السكري الى % 65 إذا كان مستوى النشاط البدني مرتفعا. أظهرت دراسة «فرامنغهام» انه في عدد غير منتقى (عشوائي) من الأشخاص البالغين من العمر 50 عاما، يزداد متوسط العمر المتوقع بدون مرض السكري بمقدار 2.3 عاما بالنسبة الى لافراد النشطة بشكل معتدل، وبنسبة 4 سنوات للأشخاص النشطين لغاية مقارنة مع الأفراد المستقرة (منعدمي النشاط).

لدى مرضى السكري من النوع 2, هناك تحسن في القدرة الهوائية، على وجه الخصوص، زيادة 11.8 % في VO_2 كحد أقصى، ولكن لا يوجد تغيير كبير في وزن الجسم. يتم تحسين توازن نسبة السكر في الدم عن طريق التدريب الهوائي ولكن من دون تاثير الجرعة والاستجابة هو أيضا عم طريق التقوية العضلية المعززة.

لدى المرضى بالسكري غير المعتمد على الأنسولين، يحسن التمرين السيطرة على نسبة السكر في الدم وينتج عنه انخفاض في الهيموجلوبين السكري (HbA1c) بنسبة 0.66%. اثبت هذا التحسن خلال التحليل التلوي، حيث أظهرت ان هناك أهمية كافية لتقليل تكرار المضاعفات التنكسية.

النشاط البدني يقلل من الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية وكذلك معدل الوفيات لدى مرضى السكري بشكل مستقل عن عوامل الخطر الأخرى مثل زيادة الوزن وارتفاع ضغط الدم، ديسليبيدميا والتسمم والتدخين. بالإضافة الى ذلك، غالبا ما ترتبط السمنة بمرض السكري. هذه الآثار من النشاط البدني على مرض السكري متعددة المنشأ:

-تحسين النقل واستخدام الجلوكوز في العضلات.

-انخفاض مقاومة الانسولين مع تبيان كبير في النتائج، اذ تتراوح من(10% الى 60%)،وهذا ربما يرجع الى عدم التجانس الكبير للمجتمع السكاني المدروس.

-يرتبط انخفاض مقاومة الأنسولين بانخفاض في عدم وجود الجلوكوز، وارتفاع السكر في الدم بعد الأكل، وإنتاج الجلوكوز الكبدي. ويرتبط أيضا التحسن في مقاومة الأنسولين مع انخفاض في الدهون في منطقة البطن)، فضلا عن التغييرات في الملف الشحمي.

تنخفض مقاومة الأنسولين لدى المرضى غير المصابين بالسكري من ذوي الوزن الزائد، سواء كان النشاط البدني شديدا او معتدل مع نفس التاثير لدى المراهقين ذوي الوزن الزائد، تم إجراء نفس النتائج على مرضى السكري من النوع 2. ومع ذلك، مع عينة أفراد ذوي مقاومة الأنسولين وبرنامج التدخل المكثف يحتوي برنامج نشاط بدني عالي الشدة (مالا يقل عن 20 دقيقة في اليوم) بين 80-90 % من تقصى معدل ضربات القلب النظري (ضروري لتحقيق معدل تحسن حوالي 26% في حساسية الأنسولين). كما ان للنشاط البدني ميزة تتمثل في السماح بتحكم أفضل في عوامل الخطر الأخرى المرتبطة بكثرة بمرض السكري، سواء كانت زيادة الوزن او ضغط الدم او الدهون، نشاط المشي لمدة 45 دقيقة،3 مرات في الأسبوع يبدو كافيا.

مجمل القول، يقلل النشاط البدني من خطر الإصابة بالنوع 2 من السكري ويحد من الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية عند الإصابة بمرض السكري. لذلك يعتبر النشاط البدني جزءا من توصيات الجمعيات العلمية.

رابعا: الزيادة في الوزن

ينصح النشاط البدني جنبا الى جنب مع النظام الغذائي، للتحكم في زيادة الوزن والحفاظ على المدى المتوسط والطويل على فقدان الوزن، وهو يسمح بتقليل الدهون في منطقة البطن والتي تعتبر العامل التنبؤي لمرض السكري وارتفاع ضغط الدم. المشاركة في سن مبكرة في النشاط البدني المنتظم هي عامل في الحد من بدانة البطن في مرحلة البلوغ.

- طرائق عمل النشاط البدني في الوقاية الأولية:

اعتمادا على تأثيراتها لمؤكدة، فان النشاط البدني يعتبر أحد التوصيات الرئيسية الني قدمتها المجتمعات العلمية في الوقاية الأولية من أمراض القلب والأوعية الدموية، ونتيجة لذلك فقد أطلقت برامج تطوير النشاط البدني لدى السكان بصف عامة وقد تم تنفيذ تدابير عامة لمنع هذه الأمراض، مما أدى الى إطلاق حملات حقيقية لتشجيع ممارسة النشاط البدني، وخاصة المشي، ومع بعض الفعالية في الممارسة. يعد الحفاظ على النشاط البدني على المدى الطويل مشكلة رئيسية لأنه يحد من الفعالية الوقائية، ويمكن لمستوى عال من النشاط البدني أثناء الشباب التنبؤ بنمط حياة يتكيف مع العمر وهذا يمثل حجة إضافية لتعزيز النشاط البدني بين الشباب.

- ما مستوى النشاط البدني؟

ان تحديد مستوى النشاط البدني الفعال من حيث الوقاية الأولية لإمراض القلب والأوعية الدموية هو محل بحث قديم، حيث تؤدي النتائج المتعارضة الى حث البعض على ممارسة تمارين عالية المستوى من حيث الكثافة والتردد وغيرها، والبعض الأخر، اقتراح نشاط بدني معتدل ترجع التوصيات الخاصة بالتدريبات المكثفة الى السبعينات والثمانينيات وأوائل التسعينيات في الآونة الأخيرة نشاط بدني أكثر اعتدالا يوصى به لمد لا تقل عن 30 دقيقة في كل حصة وعدة أيام ممكنة خلال الأسبوع، المثال الأكثر شيوعا هو المشي بسرعة معتدلة، والذي اظهر، مقارنة بالنشاط البدني الأكثر كثافة في عدد كبير من النساء، فعالية وقائية مشابهة من ناحية أخرى فان الآثار السلبية المفيدة للنشاط البدني على الإجهاد والشعور بالرضا تكون أكبر عندما تكون معتدلة وليست شديدة.

ومع ذلك، فان دراسات حديثة أخذت بعين الاعتبار كلا من الأبحاث الوبائية والمستقبلية فعالية اعلى للنشاط البدني المكثف في الوقاية الأولية من أمراض القلب والأوعية الدموية، وهو ما ينفق مع النتائج التي تم التوصل اليها بالفعل من علاقة عكسية بين مستوى السعة القصوى التي تم تقيمها من خلال اختبار الإجهاد ومعدل الوفيات. يبدو ان هناك تأثير للجرعة والاستجابة بين مستوى النشاط البدني والتأثير على الوفيات، وهو الحد الأدنى من التمرين الضروري للتحكم في عوامل الخطر.

تم تثبيت هذا المستوى على أشخاص أصحاء تتراوح أعمارهم بين 30 و50 عاما وإنفاق الطاقة من 1000 الى 1500 سعر حراري في الأسبوع، مع تمارين 4 مرات أسبوعيا تتراوح مدتها من 20 الى 60 دقيقة الى 50 % كحد ادني. القدرات الهوائية يتم تعزيز الفعالية إذا كان هذا النشاط أكبر من 2000 سعرة حرارية/ أسبوع، خاصة فيما يتعلق بالدهون.

تنصح التوصيات العامة للهيئات العلمية بنشاط معتدل الى متوسط الاعتدال إن أمكن يوميا لمدة 30 دقيقة على الأقل يتم التحكم فيها ذاتيا من خال الشعور بالإرهاق و/ أو اخذ النبض، إذا كان النشاط البدني أكثر شد (على سبيل المثال المشي السريع)،يبدو انه يمكن تقليل مدة التمرين من 30 الى 10 دقائق في اليوم ,مع نفس التأثيرات على(الدهون، طول الخصر، الحد الأقصىVO_2و الحالة النفسية).هذا يبدو مثيرا للاهتمام في الممارسة ،لأنه يثير حاجزا معتادا لممارسة النشاط البدني الذي هو ضيق الوقت، ومع ذلك فان تقييما حديثا لتأثيرات المشي السريع 20 دقيقة،3ايام في الأسبوع لم يؤكد هذه النتائج، فقد تم اجراء نفس النتائج للعلاقة العكسية بين النشاط البدني والسكتات الدماغية، الربح أعلى في أكثر المواضيع نشاطا ولكن دون كسب اكبر من نفقات الطاقة 2000kcal أسبوعيا، تم العثور على التأثير الايجابي للنشاط البدني المعتدل حتى عندما يكون هناك تضخم البطين المصاحب.

توصيات خاصة

للتحكم بشكل أفضل في عوامل الخطر القلبية الوعائية، تم اقتراح توصيات محددة:

-الأفراد المرضى بالسكري

بالنسبة لمرض السكر ينصح بالنشاط البدني للوقاية الأولية والثانوية بالنظر الى المخاطر القلبية الوعائية للأشخاص المصابين بالسكري، يوصى بإجراء اختبار أولي للضغط من

اجل الكشف عن هذه المخاطر وتكييف توصية النشاط، تتسق هذه التوصيات مع تلك التي تم الابلاغ عنها بالفعل: على الأقل نفقات طاقة تبلغ 1000 كيلو كالوري /أسبوع، مع أنشطة هوائية وتدريبات مقاومة، على الأقل 3 مرات في الأسبوع، وان أمكن يوميا. ينصح بالبدء بعملية الإحماء والإنهاء مع استعادة فعالة لمدة 5 الى 10 دقائق مدة التمرين (المشي، ركوب الدراجات، السباحة...) يجب ان تزيد تدريجيا من 30 الى 40 دقيقة. التحكم في معدل ضربات القلب يجعل من السهل التحكم في شدة الجهد. يتم تسهيل هذا النهج من خلال استخدام جهاز رصد معدل ضربات القلب. يمكن تقديم معدل ضربات القلب المستهدف بين 60% و80 % من الحد الاقصى للتردد بالنسبة الى الأشخاص الذين لم يتلقوا اختبار الإجهاد وفي غياب التفاعل الدوائي او الاعتلال العصبي، يمكن تقدير الحد الأقصى للتردد بالصيغة التالية: 220 – العمر. سيتم تنفيذ تقوية العضلات ضد المقاومة مرتين على الأقل في الأسبوع اذا تم اختبار الحد الأقصى من القوة العضلية سابقا، فسيقوم المرء بتحديد شدة عمل بنسبة 30% الى 50 % من هذه القيمة سيؤدي هذا الفرد سلسلة من 12 الى 15 تكرارا من خلال استعمال على التوالي لأضخم كتلة عضلية للأعضاء الأربعة، اذا لم يتم إجراء اختبار القوة، فنختار وزنا يمكن تعبئته بسهولة من 10 الى 15 مرة.

تم دعم هذه التوصيات الخاصة بالنشاط البدني

المنتظم (إن أمكن يوميا)، والشدة المعتدلة والحد الأدنى لمدة 30 دقيقة من خلال تحاليل حديثة. وقد سمح ممارسة النشاط البدني الترويحي وفق عوامل السلامة للمرضى المعرضين لخطر الإصابة، بالحد من الإصابة بمرض السكري بنسبة 65% وقد تم التوصل الى هذه النتيجة من خلال العديد من الدراسات التي تستخدم اختبار الإجهاد كوسيلة لتحليل النشاط البدني بدلا من الاستبيانات الأكثر استخداما. ينصح النشاط البدني المعتدل الشدة عندما نريد ان تضل الأحماض الدهنية الحرة مقارنة مع الجلوكوز الذي هو المصدر الوحيد للطاقة خلال أقصى جهد، يجب ان تظل التوصيات مرنة وقابلة للتكيف مع كل فرد وفقا لخصائصه (العمر والجنس والقدرات...) والسياق الاجتماعي والثقافي والمهني. يجب ان يكونوا قادرين على الاندماج حقا مع طريقة الحياة لأنها ضمان لاستمرارهم كما يبدو ان الاثار المفيدة لبرنامج تدخل اسلوب الحياة تستمر مع مرور الوقت.

هذه التعديلات مهمة بشكل خاص للتنفيذ لأنها تخص

افراد قليلي الحركة الى حد ما، وبالتالي ما يقارب 70% من مرضى السكري من النوع 2 ليس لديهم نشاط بدني ترويحي منتظم.

لا يقتصر اثر الزيادة في مستوى النشاط البدني لدى هؤلاء المرضى على جانب القلب والأوعية الدموية، بل انه يعمل ايضا على الحد من إعاقتهم الوظيفية التي تكون متكررة مع وجود قيود على المشي بشكل ملحوظ، ومع ذلك هناك عقبة تتمثل في الدوافع التي توجد غالبا لدى المجموعات المرضى هذه من اجل برامج النشاط البدني المتبعة لهم. أدت التدخلات التوعوية والتعديلات السلوكية وتعليم الإدارة الذاتية مع ردود فعل النشاط على أساس استخدام أجهزة «بودومتر podpmetre» الى زيادة كبيرة في مستوى النشاط البدني، ولكن مع فقدان الفاعلية والدعم التدريجي لتنفيذ الاستراتيجيات الداعمة كإجراء احترازي، ينبغي ان تكون الجهود معتدلة بشكل خاص في حالات اعتلال الشبكية التكاثري. أثناء التمرين ومستويات الجهد المتوسطة في الشدة والمدة، تستوجب إضافة غذائية ضرورية بشكل استثنائي.

-أفراد ذوي الوزن الز ائد

فيما يتعلق بزيادة الوزن، لم يتم تحديد تأثير الاستجابة للجرعة المرتبطة بالنشاط البدني بشكل واضح، ويؤدي التغاير الكبير في المواقف الى استعادة الفعالية في التحكم في الوزن من اجل ممارسة نشاط بدني معتدل لمدة 80 دقيقة في اليوم، ونشاط مكثف لمدة 35 دقيقة في اليوم علاوة على ذلك، يبدو أن النشاط البدني ضعيف الشدة وبأقل انتظاما يمكن أن يقلل من الوزن الزائد، على سبيل المثال ممارسة نشاط المشي اليومي لمدة 15 دقيقة كافية.

وأخيرا يمكن القول بان النشاط البدني هو وسيلة قوية لمنع أمراض القلب والأوعية الدموية او للحد من عواقبه من حيث الوفيات. من خلال التأثيرات المتعددة، يزيد من القدرات البدنية ونوعية الحياة وهو يمثل عاملا للتكامل وإعادة الاندماج الاجتماعي والمهني. يجب تحسين المعرفة في المستقبل بشأن الوساطة الجزئية لهذه التأثيرات، على انسب أنماط النشاط البدني من حيث الكثافة ونوع التمرين وطرق تحسين التقيد بها، فالتغيرات في نمط الحياة فيما يتعلق بزيادة عدد

المرضى.

2–3–مساهمة النشاط البدني في التنمية المستدامة

قد أبرزت العديد من الدراسات والأبحاث مزايا كبيرة لممارسة أنشطة بدنية ورياضية منتظمة وبشدة متوسطة على الجانب الاقتصادي، فاليونسكو والمؤسسات الدولية لا تلبث الا وتذكر حجم تكاليف الأمراض المزمنة التي يمكن الوقاية منها عن طريق الممارسة المنتظمة للأنشطة البدنية في سن مبكرة للفرد وذلك من شانه ان يقلل خسائر الناتج المحلي الإجمالي المخصصة للنفقات الصحية ويقدر المسح الكندي للأبحاث على اللياقة البدنية ونمط الحياة) الوفرة الاقتصادية المحتملة ب 11 مليون دولار الناتجة عن زيادة 1% من الأفراد الممارسين للنشاط البدني. وبشكل عام فأنهم يقدرون انه إذا مارس جميع الكنديين بانتظام، يمكن للبلد توفير776 مليون دولار في الولايات الأمريكية المتحدة، حيث قلة النشاط البدني قد زاد في 75 مليار في التكاليف الطبية في عام 2000، وتشير التقديرات الى ان $1 ينفق على النشاط البدني يحفظ$ 3.20في إدارة التكاليف الطبية.

ان التكفل بالإمراض والتي قد تم تجنبها من خلال النشاط البدني المنتظم بنسبة 2.5% من مبلغ الإنفاق الصحي، التي يجب إضافة التكاليف غير المباشرة المتعلقة بفقدان إنتاجية الأفراد، وبالتالي فان تقرير الأمم المتحدة (2003) ان النشاط البدني في كندا يؤدي الى زيادة الإنتاجية أي ما يعادل 513 دولار كندي لكل عامل سنويا، وذلك بفضل الحد الأدنى من الغياب وودوران الموظفين، وكذلك بفض الإنتاجية.

وفي هذا الصدد، في تقرير لليونسكو (في يوليو/تموز 2003) عن مساهمة النشاط البدني والرياض في التنمية الاقتصادية المستدامة، أظهرت الدراسات في كندا التأثير الاقتصادي القابل للقياس لأثر الأنشطة البدنية والرياضية على الإنفاق الصحي (التداوي)، وقد أظهرت هذه الدراسات أيضا مدى تأثير المنافسة الرياضية للنخبة، والتسويق، والرعاية والتي يمكن ان تكون ضارة بالترويج لممارسة النشاط البدني والرياضي.

وعلى نفس المنوال، بالإضافة إلى أثاره الضارة على الوفيات في الحياة، فان الخمول يتسبب في ارتفاع التكاليف المالية في جميع بلدان العالم .على سبيل المثال ،قدرت التكاليف السنوية في انجلترا(النفقات الصحية ،و الإجازات المرضية وفقدان الدخل بسبب الوفاة المبكرة) بما يتراوح بين 3 و12 مليار يورو، وهذه الأرقام تستثني عواقب عدم ممارسة النشاط البدني لتفادي زيادة الوزن والبدانة، التي يمكن ان تصل تكلفتها الإجمالية ما بين 9.6 و10.8 مليار يورو سنويا كذلك وفقا لدراسة سويسرية، فان تكاليف العلاج المباشر من الخمول البدني تصل الى 1.1-1.5 مليار يورو سنويا واستنادا الى هاتين الدراستين يمكن تقدير ان عدم النشاط البدني يكلف الدولة حوالي 300 يورو للفرد في السنة على سبيل المثال، وفقا للدراسة السويسرية المذكورة أعلاه فان الادخار في تكاليف العلاج المباشر الناتجة عن النشاط البدني يصل الى حوالي 1.7 مليار يورو.

2–4–الوقاية من السمنة من خلال النشاط البدني في المدارس لضمان التنمية المستدامة

الزيادة الكبيرة في انتشار السمنة لدى الأطفال يجعله مشكلة صحية عامة كبيرة، ولذلك من الضروري معرفة معايير التقييم الطبي الأولي التي يجب أخذها بعين الاعتبار من اجل التوصل الى وصفة للأنشطة البدنية التي تتلاءم بشكل أفضل مع خصوصيات كل طفل حتى يتمكن من التمتع بأمان تام، يجب أن تكون هذه الوصفة جزءا من إطار أكثر عمومية للتعليم العلاجي وعلى المدى الطويل، من اجل إدامة سلوك نشط، أصبح» العمل الآن للعيش بشكل أفضل» غدا هو الشعار الذي يحفز الأخصائيين في قطاعي التعليم والصحة، يتمثل احد الاتجاهات الحالية في الدول الغربية في تعزيز آو توطيد وجود تعليم التربية الصحية في الوسط المدرسي من خلال إدراج التثقيف الصحي في تدريس التربية البدنية والرياضية وينبع هذا الجهد من الانشغالات التي أثارتها البيانات الوبائية التي تم جمعها من الشباب ،و التي تظهر الحاجة الملحة للعمل على عادات نمط حياة الأطفال والمراهقين من اجل مساعدتهم على تبني السلوكيات المواتية لحالتهم الصحية ورفاهيتهم .من هذا المنظور، يمكن أن تساهم المادة التدريسية والمقصود هنا حصة التربية البدنية والرياضية مساهمة كبيرة في تحسين نمط حياة الشباب، مما يتيح لهم فرصا للنشاط البدني وتعزيز ممارساتهم ، ومع ذلك فمن الضروري معرفة الخصائص المحددة للتخصصات في مجال التثقيف الصحي من اجل توجيه التدخلات التي يقوم بها معلمو التربية البدنية، لذلك يهدف هذا النص الى وضع مجال التعليم الصحي كمجال تعليمي من اجل دعم العمل التربوي للمدرسين في مجال التربية البدنية.

التثقيف الصحي هو جزء من أنشطة تعزيز الصحة.

يهدف الى تنفيذ إجراءات تعزيز الصحة من خلال تمكين الأفراد من السيطرة بشكل أفضل على وضعهم الصحي وذلك بمنحهم الوسائل لتحسينه، وتحدد منظمة الصحة العالمية مجموعة واسعة من الاستراتيجيات لتنفيذ هذه الإجراءات:

(ا)تطوير السياسة الصحية.

(ب) خلق بيئات مواتية.

(ج)تعزيز العمل المجتمعي.

(د)إعادة توجيه الخدمات الصحية.

(ه)اكتساب المهارات الفردية.

من بين جميع هذه الاستراتيجيات، فان اكتساب المهارات الفردية هو الاستراتيجية الرئيسية لتعزيز الصحة التي يجريها أساتذة التربية البدنية، فالهدف من تنمية المهارات الفردية هو تزويد الأفراد بمزيد من الفرص للتحكم في صحتهم وبيئتهم، مما يعزز قدرتهم على اتخاذ خيارات صحية لصحتهم المستقبلية، هذه الاستراتيجية هي جزء من الإجراءات في مجال التثقيف الصحي حيث يتم نقل دور مهم لأستاذ التربية البدنية.

واخيرا في نهاية هذا التحليل، من الواضح ان الترابطبين حقل التثقيف الصحي والتربية البدنية يثير العديد من التساؤلات حو التدخلات التي يحتمل ان تساعد الشباب على تبني السلوكيات المواتية لصحتهم رفاهيتهم، هل ينبغي التأكيد على ضرورة قيام أستاذ التربية البدنية بتكييف ممارسات التدخل الخاصة بهم من اجل دمج خصائص الأسس التعليمية في مجال التثقيف الصحي، لاشك في أن البحث المستقبلي الذي يجب إجراؤه فيما يتعلق بإدراج التثقيف الصحي يجب ان يهدف حتما الى فهم أفضل لدرجة الترابط بين هذين النظامين، وأخيرا من المهم أيضا التركيز على تحويل ممارسات تدخل أستاذ التربية البدنية بحيث يتضمن ممارسات خاصة بمجال التثقيف.

خاتمة

هل يمكن للنشاط البدني ان يكون عاملا محددا رئيسيا لحالة السكان الصحية، او يمكنه ان يكون جزءا من الإدارة العلاجية للإمراض المزمنة (القلب والأوعية الدموية والسكري والسمنة...؟

مما لا شك فيه على ضوء هذا العمل الذي نوقش في هذا التحليل الموجز ان النشاط البدني أضحى وسيلة قوية للتنبؤ والتكفل بإمراض القلب والشرايين او للحد من الآثار من حيث معدلات الاعتلال والوفيات، من خلال التأثيرات المتعددة، فهو يزيد من القدرات البدنية وتحسين نوعية الحياة، وهو يمثل عاملا للتكامل أو إعادة الإدماج الاجتماعي والمهني.

من خلال هذه الضغوط الميكانيكية على الهيكل العظمي، أيضا لديه اثأر ايجابية على تعمدن العظام أثناء النمو، ويحمي من انخفاض وظائف المناعة لدى كبار السن.

كما اننا من خلال هذا العمل توصلنا الى ان السمنة أسهل الحالات الطبية تشخيصا لكنها أصعبهم علاجا حيث أصبحت قضية عالمية حرجة تتطلب التدخل الفوري للحد منها فهي اضطراب مزمن ومشكلة صحية واقتصادية لما يترتب عنها من أعباء صحية تتطلب تكلفة باهظة فوضع برامج السيطرة عليها بات ضروريا ومن خلال العرض السابق نستنتج ان النشاط البدني من أهم الوسائل التي يمكننا اعتمادها كحل للوقاية من الإصابة من داء السمنة وكذلك لعلاجها باعتبار ان النشاط البدني يعمل على صرف طاقة الجسم فهو يمثل المفتاح الرئيسي لخفض الوزن وكذلك في المحافظة على الوزن الصحي لجسم الإنسان كما ننصح في هذا الصدد بعدم الامتناع عن الطعام او الاعتماد على برامج التغذية (ريجيم) لفترات طويلة لأنها قد تكون ضارة بالصحة كذلك عدم اللجوء للعمليات الجراحية للتخلص من الدهون لتفادي مضاعفات هذه العمليات وتناول الأدوية فكلها لها آثار جانبية سلبية والاعتماد على النشاط البدني الرياضي كحل سليم لكن لا بد والفحص الطبي للتأكد من إمكانية ممارسة أنشطة رياضية ومن ثم إتباع برامج أنشطة رياضية تحت إشراف أخصائي نشاط بدني مكيف .

وفي الأخير مما لا شك أن صحتنا هي اغلي شيء في الحياة، لذا» يجب ان نعمل ألان من اجل العيش بشكل أفضل غدا»، هذه العبارة لا ينبغي أن تظل اقتباسا جيدا للاستماع إليه وفقط وأنما يجب ان يهدف الى إدراج التثقيف الصحي من خلال النشاط البدني على جميع مستويات المجتمع، لا محالة اليوم فيجب ان نفهم جيدا أهمية درجة الترابط بين التخصص والصحة والنشاط البدني حيث يتم بتشجيع النشاط البدني من الطفولة، واستمرار ممارسته طول الحياة لزيادة رأس المال الصحي والحافظة عليه.

المراجع

1. خالد محمد الصادق سلامة، أثر نمط الحياة اليومي على نسبة الدهون ووزن الجسم، مذكرة دكتوراه، جامعة الزقازيق 2005، رسالة غير منشورة.
2. زرزار العياشي، التكلفة الاقتصادية لظاهرة البدانة حالة دول الخليج، مجلة أنسنه للبحوث والدراسات،2011، مجلد8، العدد الاول.
3. صلاح بن عبد الحبيب النهدي، علاقة ظاهرة السمنة بمستويات النشاط البدني لدى الطلاب (دراسة استطلاعية بجامعة جدة باستخدام النموذج اللوجستي)، المجلة العربية للنشر الاسلامي،2020، العدد 23.
4. محمد عيسى، مدى انتشار السمنة عند الطلبة، حوليات الجزائر1، بدون سنة، العدد 29، الجزء الثاني.
5. هزاع بن محمد هزاع، السمنة والنشاط البدني، زمالة الكلية الأمريكية للطب الرياضي، جامعة الملك سعود، الرياض.2005
6. Activité physique : contextes et effets sur la santé. Les éditions INSERM, 2008 paris.
7. Bond v et all. Attenuation of exaggerated exercise blood pressure response in african-american women by regular aerobic physical activity. 2005.
8. Bassuk ss, Manson je. Epidemiological evidence for the role of physical activity in reducing risk of type 2 diabetes and cardiovascular disease. J appl physiol, 2005.
9. Boreham ca, et coll. (2004) cardio respiratory fitness, physical activity, and arterial stiffness. The Northern Ireland young hearts project. Hypertension.
10. Bensaoueg Abdenour, l'activité physique et prise en charge de l'excès pondéral Symposium scientifique,2018, université setif2
11. Conroy mb, et coll past physical activity, current physical activity, and risk of coronary heart disease. Med sci sports exerc, 2005.
12. Di Loreto c, et coll. make your diabetic patients walk: long-term impact of different amounts of physical activity on type 2 diabetes. Diabetes care ,2005.
13. Damien Tessier: « le climat motivationnel en éducation physique et sportive », thèse de doctorat, université joseph fourrier,2006.
14. Emo sylvain, Activité physique et santé. Thèse pour le doctorat en médecine, faculté mixte de médecine et pharmacie, Rouen,2004.
15. Fritz t, ET coll. walking for exercise-does three times per week influence risk factors in type 2 diabetes? Diabetes res clin pract, 2006,
16. Grangeard C. (2007) Le poids des représentations: « transfert et contretransfert » en chirurgie bariatrique, the weight of self-image. Obésité Vol. 2, N°4, 318323-.
17. Jonker jt, de laet c, physical activity and life expectancy with and without diabetes. Diabetes care 2006.
18. Lamonte mj, Blair Sn, physical activity and diabetes prevention. j appl physiol 2005
19. Organisation mondiale pour la santé: activité physique et santé en Europe: information au service de l'action, 2009, suisse.
20. Swain DP, Franklin ba. Comparison of cardio protective benefits of vigorous versus moderate intensity aerobic exercise. Am j cardiol ,2006.
21. Schnohr p, et coll. Stress and life dissatisfaction are inversely associated with jogging and other types of physical activity in leisure time – the Copenhagen city heart study. Scand j med sci sports, 2005.
22. Perusse (2004), Généti que de l'obésité, Article, Université Laval, Sainte-Foy, Québec
23. Pollack KM, Cheskin LJ, Obesity and workplace traumatic injury: does the science support the link?, 2007, InjPrev 13 (5):297-302 .
24. Tudor- Locke c, et coll. controlled outcome evaluation of the first step program: a daily physical activity intervention

for individuals with type ii diabetes. 2004.

25. Thomas Gn, et coll. effects of tai chi and resistance training on cardiovascular risk factors in elderly Chinese subjects: a 12-month longitudinal, randomized, controlled intervention study. Clin endoc, 2005.
26. Yang x, et coll. testing a model of physical activity and obesity tracking from youth to adulthood: the cardiovascular risk in young finns study. International journal of obesity advance online publication, 5 September 2006.

Medical care in the primary treatment and prevention of obesity through sports and physical activity

Abstract

Obesity or overweightisconsidered one of the most important factorsleading to diseases of the cardiovascular system, which has a direct impact on public health, as itischaracterized by an excessive increase in the energy components stored on all lipids in the fat tissue.
Wewanted, throughthis intervention, to clarify the relationshipbetweenphysicalactivity and health and the extent to whichthisactivitycontributes to sustainableeconomicdevelopment, and ourconcern has been focused on demonstrating the negativeeffectsresultingfrom a currentlifestyle of movement and resultingfromtechnologicaldevelopment, cultural growth, unbalancedfood ...) And the effect of this pattern in the emergence and widespread of chronicdiseasesthat have become a threat to people'shealth, whichrequires real awareness of the effect of physicalactivityadapted for a preventive and therapeuticpurposethatcontributes to maintaininghealth

Keywords
Physical activity
obesity
health
chronic diseases
prevent

Prise en charge médicale en traitement et en prévention primaire de l'obésité par l'activité physique

Résumé

L'obésité ou l'excès de poids est l'un des facteurs les plus importants conduisant à des maladies du système cardiovasculaire, qui a un impact direct sur la santé publique, car il se caractérise par une augmentation excessive des composants énergétiques stockés sur tous les lipides du tissu adipeux. Nous avons voulu, par cette intervention, clarifier la relation entre l'activité physique et la santé et la mesure dans laquelle cette activité contribue au développement économique durable. Et l'effet de ce schéma dans l'émergence et la diffusion de maladies chroniques devenues dangereuses pour la santé des personnes, ce qui nécessite une réelle prise de conscience de l'impact d'une activité physique adaptée dans un but préventif et curatif qui contribue au maintien de la santé

Mots clés
Activité physique
obésité
santé
maladies chroniques
prévention

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف واذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

الإستراتيجيات الإتصالية الداعمة لتحسين صورة المؤسسات الجامعية

Communication strategies to improve the image of university institutions

ايمان خلفة[1]
Imene Khalfa
مخبر مجتمع الجزائر المعاصر
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر
im.khalfa@univ-setif2.dz

د. لامية صابر
Dr. Lamia Saber
مخبر مجتمع الجزائر المعاصر
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر
l.saber@univ-setif2.dz

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2023-04-16
تاريخ القبول 2024-02-06

الكلمات المفتاحية
الاستراتيجية الاتصالية
الوسائل
صورة المؤسسة
المؤسسة
المؤسسات الجامعية

ملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعرف على الإتصال في المؤسسة الجامعية من حيث الأهداف، الإستراتيجيات، المخططات الإتصالية وكذا الوسائل، ومدى مساهمتها في بناء وتحسين صورتها لدى جماهيرها (الداخلية والخارجية)، بإعتبار أنها مركز للإشعاع الفكري والتنوير العلمي إضافة إلى أنها المحرك التنموي الفاعل على مستوى مختلف عناصر المجتمع، وذلك في ظل السعي لتحقيق أهدفها المخطط لها وتبليغ رسالتها والسير المنظم لوظائفها والبروز في أحسن صورة كجامعة متميزة رائدة في مجالاتها، ومن أجل ذلك تعمل على تكييف مختلف الموارد المتاحة (المادية والبشرية) من أجل الوصول إلى الصورة المثلى التي تسعى إلى بلوغها، ولقد إنطلقت دراستنا من إشكالية مفادها: ما هي الوسائل والاستراتيجيات الاتصالية التي تعتمدها المؤسسات الجامعية من أجل تحسين صورتها؟ ومن أجل الإجابة على هذا الإشكال إعتمدت دراستنا على المنهج الوصفي لتوافقه وأهداف البحث وطبيعته، حيث يسعى هذا الأخير إلى وصف أنشطة الإتصال في المؤسسات الجامعية وإبراز أهميتها ودورها في ترابط وظائفها ومحاولة تفسير وتحليل إمكانياتها حتى تظهر لجمهورها في أحسن صورة ولقد تمت مناقشة العناصر الرئيسية للمقال وفق دراسات سابقة ذات صلة بالموضوع لنزيد المقال أكثر دقة.

مقدمة

تعد المؤسسات الجامعية محركا تنمويا وحيويا في بناء المجتمعات من خلال تنمية الفكر البشري المعرفي، والعمل على تنويره من خلال ما يتم البحث فيه ومعالجته من دراسات حديثة ومتجددة، إضافة الى ما يتم تدريسه لطلاب من معارف وخبرات تساهم في رفع الوعي الثقافي وخلق جيل متميز وذلك باعتبار أن الجامعة قمة الهرم التعليمي.

والجدير بالذكر أن البيئة الجامعية بمثابة السياق الإنساني والاجتماعي الذي يتم فيها التفاعل والتعامل بكفاءة مع متغيرات العصر، حيث تتسم باللإتسارع المعرفي والتكنولوجي الذي لا بد من العمل على ملاحقة هذه التطورات وإستغلالها في نظام مؤسساتنا حتى نواكب عجلة التقدم ونخدم كافة العناصر المرتبطة بالجامعة بمختلف أشكالها.

وفي سبيل تحقيق ذلك تبادر المؤسسات الجامعية من خلال إسهاماتها بحثا، استخداما وتطبيقا ، ممثلة في أدوارها الثلاثة المتعارف عليها كالتدريس والموضح في عملية تكوين الإطارات والكوادر البشرية المدربة والمؤهلة للعمل العلمي، خدمة للمجتمع على إختلاف التخصصات التي تضمها الجامعات الجزائرية، إضافة إلى البحث العلمي الذي يولد لنا المعرفة العلمية التي تعد رسالة لا بد من توارثها عبر الأجيال، ولا شك في أن كلتا الوظيفتين تخدم المجتمع أما الدور الثالث للجامعات يتمثل في خدمة هذا الأخير إنسانيا، فكريا اجتماعيا وكذا سياسيا واقتصاديا توازيا مع المؤسسات المجتمعية المتعددة.

1-الإشكالية

تمارس المؤسسات الجامعية نشاطاتها المتعددة في سياق إنساني، إجماعي، و إداري يتم فيه التفاعل بين أعضائها من إداريين، أساتذة، طلبة وعديد الفاعلين في هذه المؤسسات

1 المؤلف المراسل

التي تتسم بطابعها التعليمي العلمي والمهني الداعم لتطوير والارتقاء بأفراد المجتمع، من خلال المشاركة الفعالة في تحدي الواقع وربط البحث العلمي بالاحتياجات الإنتاجية، الاقتصادية والخدماتية، إلى جانب تغيير أفكار الرأي العام إلى الأحسن وقيادة الفكر إلى ما هو إيجابي، بإعتبارها أداة صنع المجتمع، والمؤسسة التي يرتكز عليها في بناء كيانه وشخصيته المؤسساتية.

وفي ذات المنحى تعتمد المؤسسة الجامعية من أجل تحقيق جل وظائفها وربط عناصرها المختلفة بالإعتماد على الإتصال، الذي يمثل همزة وصل بين أعضاء بيئتها الداخلية من أقسام داخل الهرم الوظيفي (بمستوياته الإدارية) وكذا الخارجية بين المؤسسات ذات الصلة بها، كما أصبحت المؤسسات اليوم أمام سلسلة من القرارات الإستراتيجية التي يتوجب عليها إتخاذها ليتم سير عمل أنشطتها بمستوي من التنظيم.

وعلى ذات الأساس تواجه المؤسسات الجامعية عديد الرهانات لا بد من تحقيقها والسعي للوصول إليها، إلى جانب خدمة البحث العلمي والمجتمع تهتم بتحسين من نشاطاتها وبناء صورة جيدة تليق بمقامها، والمحافظة عليها والتركيز على تبيان معالمها في صورة حسنة تستهوي جماهيرها وتجذبهم عبر السمعة الطيبة، التي تسعى لرسمها وتثبيتها فيهم، إذ أنها تعتمد على تحسين السلوك والمواقف الفردية عند الموظفين وبناء علاقاتها مع الجمهور الخارجي، كما تقوم بترسيخ معالمها في المجتمع المحلي والدولي بالاعتماد على خطط وإستراتيجيات تساهم من خلالها في بناء هذه الصورة وتعزيزها مستخدمة في ذلك عدة وسائل إتصالية وقنوات داعمة لها، تمرر من خالها الرسائل الهادف والصورة المرغوبة التي تريد أن توجهها إلى جماهيرها المتعددة وهذا ما دعانا إلى طرح التساؤل التالي:

-ما هي الإستر اتيجيات الإتصالية التي تعتمدها المؤسسات الجامعية من أجل تحسين صورتها؟

يتفرع إشكالنا إلى جملة من الأسئلة الفرعية التالية:

-ما هي مكونات صورة المؤسسة الجامعية وفيما تتمثل مؤشرات الجامعة المتميزة؟

-ما هي الخطط الإتصالية التي تستخدمها المؤسسات الجامعية في بناء صورتها؟

2-أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى التعرف على الإتصال في المؤسسة الجامعية وكيف يتم من خلاله بناء وتحسين صورتها لدى جمهورها بالإعتماد على الأنشطة الإتصالية المختلفة وتماشيا مع التغيرات الطارئة التي قد تواجهها.

ويمكن أن نحددها على النحو التالي:

-التعرف على الإتصال في المؤسسة الجامعية ومؤشراته.

-تحديد مكونات صورة المؤسسة الجامعية وملامح ومؤشرات الجامعة المتميزة.

- تحديد الإستراتيجيات والوسائل التي تعتمدها الجامعة من أجل تحقيق صورة جيدة عنها وخلق سمعة طيبة.

3-مفاهيم الدراسة

تندرج عدة مفاهيم ضمن هذه الدراسة وهي كالتالي: الإستراتيجية، الإستراتيجية الإتصالية، المؤسسة، المؤسسات الجامعية، الصورة الذهنية.

3-1-الإستراتيجية

قبل التطرق إلى تعاريف التي تناولت مفهوم الإستراتيجية الاتصالية لا بد من الإشارة إلى مفهوم الإستراتيجية العامة والتي تعد الإستراتيجية الإتصالية جزء منها.

لغة: إشتقت كلمة الإستراتيجية (stratèges) من الكلمة اليونانية (Strategy) وتعني فن القيادة أو فن الجنرال، وترتبط بالمهام العسكرية، وقد عرفت حسب قاموس Webster 's «إلى: علم تخطيط العمليات العسكرية وتوجيهها. (هاريسون، 2009).

إصطلاحا: الإستراتيجية هي إعلان النوايا: «هذا ما نريد القيام به، وهذه هي الطريقة التي نعتزم القيام بها، حيث الإستراتيجية هي تحديد الأهداف والغايات الأساسية الطويلة الأجل، وإعتماد مسارات العمل وتخصيص الموارد اللازمة لتحقيق هذه الأهداف (Armstrong ،2008).

وقد عرفها «الختيم 2009 « على أنها: تحديد الأهداف والغايات طويلة الأجل، إلى جانب تحديد إتجاهات العمل وتخصيص الموارد اللازمة لتنفيذ هذه الأهداف والغايات، اذ أنها عبارة عن السياسات والقرارات المهمة التي تتخذها الإدارة. (الختيم،2009).

إجرائيا: الإستراتيجية هي عملية تنظيم وتحديد الأهداف والغايات قصيرة المدى والطويلة منها، التي تعتمدها المؤسسة الجامعية في سير عملها وطريقة تحقيق أهدافها، مستغلة في ذلك كل ما تمتلكه من إمكانيات وموارد في سبيل تحقيق ذلك.

3–2–الإستراتيجية الإتصالية

تعرف الإستراتيجية الإتصالية إصطلاحا بأنها: مجموعة من القرارات والإجراءات المتعلقة بإختيار الوسائل وتعبئة الموارد من أجل الوصول إلى هدف معين، وعرفها» ألفريد شاندلر A. Schandler 1962 «بأنها: «عملية تقوم من خلالها المنشأة بتحديد الأهداف الأساسية على المدى الطويل، وذلك من خلال تخصيص الموارد اللازمة (شكركر، 2019).

كما تعرف على أنها مجموعة من القرارات التي تتخذ من أجل التعريف بالإختيارات المهمة في الإتصال تحديد للأهداف المرجوة منه والوسائل المستعملة فيه تمتد إستراتيجية الإتصال في المؤسسة من سنتين إلى خمس سنوات من خلال إعداد خطط عمل سنوية، وفيها تحدد العناصر المختلفة اللازمة لتطبيق الإستراتيجية ومتابعتها إستنادا إلى الأهداف، الخلايا الإتصالية والمستهدفين والوسائل، الوسائط والتواريخ إلى التكاليف المتعلقة بها، والحدود أو القيود الممكن أن تواجهها العملية اللإتصالية (عواج، 2020).

الاستراتيجية الاتصالية: مجموعة المهام الأساسية التي تعني بالتخطيط للاتصالات في المؤسسة والتي تعمل على تطويرها (Coffman ،2004)

كما يمكن أن نقول إن الإستراتيجية الاتصالية عملية ديناميكية متواصلة تسعى إلى تحقيق رسالة المؤسسة، من خلال إدارة وتوجيه الموارد المتاحة بطريقة فعالة، والقدرة على مواجهة تحديات بيئة المؤسسة المتغيرة من تهديدات وفرص، بغية تحقيق مستقبل أفضل، هذا وقد أصبح الإعتماد على الإستراتيجيات الإتصالية في توجهات الإدارة بالمؤسسة وإخاذ القرارات يعتبر شرطا ضروريا للكفاءة والفاعلية. (بوكرموش،2012 / 2013) .

إجرائيا:وتتمثل الإستراتيجية الإتصالية في مختلف الأنشطة والعمليات الإتصالية المخطط لها، والتي تقوم بها المؤسسات الجامعية من أجل تحقيق أهدافها وبلوغ رسالتها، وذلك من خلال الإستغلال الأمثل للإمكانيات المتاحة لها (من موارد بشرية ومادية) ومحاولة تكييفها مع أوضاع المؤسسة بفعالية وكفاءة.

3–3–الصورة الذهنية

لغة: يذكر معجم لسان العرب لإبن منظور أن الصورة : (ظاهر الشيء وهيئته وحقيقة الشيء وصفته) ويقصد بها حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على إختلافها وكثرتها، أما عن مفردة الذهنية فإنها تشير إلى الذهن، والذهن هو العقل، كذلك (القطنة والحفظ)، وبهذا فإن الذهن يطلق عليه الإدراك والتفكير الإستدلالي وفي مجمل ما تم عرضه يمكننا الربط بين المفردتين الصورة والذهنية يشكل لنا مصطلح الصورة الذهنية الذي يقصد به في اللغةً: صورة الشيء وتصوره في هيئته وحقيقته وظاهره، حيث يكونها الذهن في ضوء إدراكه وإستدلاله للأشياء(باقر،2014).

إصطلاحا:هي مجموعة المعتقدات والأفكار والإنطباعات التي يحملها الشخص تجاه مؤسسة معينة، وإن أراء وأفعال هذه المؤسسة مرتبطة بشكل كبير بصورهم الذهنية عن تلك المؤسسة (الراوي، 2020).

وتُعرّفها إيمان زكريا بأنها: «الخريطة التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يفهم ويدرك ويفسر الأشياء»، أي أن الصورة الذهنية هي الفكرة التي يكونها الفرد عن موضوع محدد وما يترتب عن ذلك من أفعال إيجابية كانت أو سلبية(الدناني،2020).

إجرائيا: تعتبر الصورة الذهنية جملة من الأفكار والإنطباعات التي تتشكل لدى الجماهير عن المؤسسات الجامعية، حيث يمكن أن نميز جامعة عن أخرى من خلال ما تقوم به من جهد وأنشطة إتصالية، وذلك في سبيل إبراز ذاتها وخلق صورة جيدة عنها.

3–4–المؤسسة

لغة: من الفعل أسس، الأسس والأسس والأساس كل شيء مبتدئ والأساس أصل كل شيء.

إصطلاحا: هي عبارة عن تجمع لأشخاص ذوي كفاءات متنوعة تستعمل رؤوس الأموال والقدرات لإنتاج سلع وبيعها سلعا أعلى منها تكلفة (الحوش، 2008).

كما أنها: تنظيم رسمي يضم علاقات إجتماعية ومهنية مختلفة تتجلى في تنظيم رسمي تحكمه قوانين وإجراءات وقواعد وتنظيم غير رسمي تمثل في علاقات تنشر بصورة تلقائية بين العمال تحكمه قوانين غير رسمية نابعة من المحيط الإجتماعي للعمال ومن طبيعة شخصياتهم القيادية أو الإنطوائية والعادات والتقاليد المحلية. (نعيجة، 2012).

إجرائيا: هي عبارة عن مجموعة من الأشخاص تمثل وحدة ونظام معين، تسعى لدمج عناصرها المختلفة (كوادر بشرية،

وإمكانيات مادية ومعنوية) من أجل تحقيق أهدافها.

3–5–المؤسسة الجامعية

لغة: يعود أصل مصطلح «جامعة (University) إلى اللغة اللاتينية، وهو مشتق من مصطلح (Universitas)، الذي يعني الاتحاد والتجمع وقد تم أستعمل إبتداء من القرن الرابع عشر ميلادي للدلالة على الجامعة بمعناها الحالي، أما قبل ذلك فتشير الكتابات إلى أن هذا المصطلح أستعمل لأول مرة في القرن الثالث عشر، نحو سنة 1218م وكان يعني الإتحاد (Communauté)، أي كل مجموعة منظمة، فأساس فكرة الجامعة هو الإتحاد، الذي يعني/ جماعة معينة؛ وفي العربية يعود المصطلح ترجمة حقيقية لمصطلح (University) (برباري، نشاشدة،2018)،

إصطلاحا: الجامعة هي المؤسسة التي تقوم بصورة رئيسية لتوفير تعليم متقدم لأشخاص على درجة من النضج ويتصفون بالقدرة الفعلية والإستعداد النفسي على متابعة دراسات متخصصة في مجال أو أكثر من مجالات المعرفة، كما تعرف على أنها عبارة عن مجموعة من العلماء وهبوا أنفسهم لحب العلم والمعرفة يسعون إليها ويبحثون عنها وينظرون إلى الحياة ومشكلاتها نظرة شمولية متكاملة (كملاوي، بوعزيز،2018).

وفي تعريف اخر تعرف» الجامعة هي مكان يتحقق فيه الاحتكاك بين عملية تنمية المعرفة وخدمة المجتمع والحاجة إلى الخريجين» (كملاوي، بوعزيز،2018).

إجرائيا: الجامعة هي مؤسسة علمية من مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي، تتكون من مجموعة أشخاص يجمعهم نظام واحد، يسعى إلى إثراء المعارف وتكوين الكفاءات العلمية، من خلال التنسيق بين المهام والوسائل والإمكانيات المتوفرة في سبيل خدمة البحث العلمي والمجتمع.

4–منهج الدراسة

يعتمد البحث بالدرجة الأولى على الوصف والتحليل للمعطيات حيث ينتمي الى الدراسات الوصفية التحليلية، والذي يتوافق وطبيعة البحث وأهدافه، إذ يعتمد على جمع المعلومات والبيانات الدقيقة حول طبيعة الإتصال في المؤسسة الجامعية والإستراتيجيات والخطط الإتصالية التي تعتمدها من أجل كسب صورة جيدة والمحافظة عليها لدى جمهورها.

4–1–الإطار النظري

-المحور الأول: الأبعاد النظرية للاتصال في المؤسسة الجامعية.

-المحور الثاني: الصورة الذهنية للمؤسسات الجامعية، مكوناتها وملاح ومؤشرات الجامعة المتميزة.

-المحور الثالث: استراتيجيات ووسائل بناء ودعم صورة المؤسسة الجامعية.

-المحور الخامس: رقمنة الفضاءات الجامعية كاستراتيجية إتصالية جديدة:

-المحور السادس: مناقشة في ظل الدراسات السابقة.

4–1–1–المحور الأول: الأبعاد النظرية للاتصال في المؤسسة الجامعية

4–1–1–1–مفهوم الاتصال في المؤسسة

أحد الفروع الرئيسة لعلم الإتصال العام. وهو علم يدرس عمليات التبادل المشتركة بين جماعات معينة لإنتاج المعاني وإستهلاكها لتحقيق غايات تنظيمية من خلال وسائل شخصية وجماهيرية، داخل أطر موقفيه وتنظيمية (البادي، 2016)، نجد هذا النوع من الإتصال في الكتب الفرنسية بتسميات مختلفة Communication d ‘entreprise وكذلك أيضا La communication d’ organisation هذا المصطلح الأخير المشتق من اللغة الإنجليزية (Corporate communication)، التي تشير جميعها إلى حقيقة واحدة هي أن المؤسسة تمثل هيكلا إجتماعيا وإقتصاديا (سبع، 2021).

وقد أورد الأستاذ « « بن نوار صالح «في مقاله المعنون:" الإتصال الفعال والعلاقات الإنسانية» والمنشور في الكتاب الذي أشرف عليه «فضيلا دليو» عدة تعاريف للإتصال داخل المؤسسة والإدارة بقوله: هو عملية نقل وتبادل المعلومات الخاصة بالمنظمة داخلها وخارجها، وهو وسيلة تبادل الأفكار والإتجاهات والرغبات بين أعضاء التنظيم، وذلك يساعد على الإرتباط والتماسك، ومن خلاله يحقق الرئيس الأعلى ومعاونوه التأثير المطلوب في تحريك الجماعة نحو الهدف تنمية مهارات الإتصال (عبد الكافي، 2010)، يمكن القول إن الإتصال هو بمثابة خطوط تربط أوصال البناء أو الهيكل التنظيمي لأي منشأة ربط ديناميكي، فليس من الممكن أن نتصور جماعة أيا كان نشاطها، دون أن نتصور في نفس الوقت عملية الاتصال التي تحدث بين أقسامها وبين أفرادها، وتجعل منهما وحدة عضوية لها درجة من التكامل تسمح بقيامهما بنشاطهما (جبر سعيد، 2008).

كما أن الإتصال في المؤسسة يتم داخل المؤسسات والمنظمات أو الذي يتم بين المؤسسات المختلفة (أبو اصبع، د.س).ومن خلال هذا التعريف يمكن القول الإتصال في المؤسسة له عدة أشكال داخل المنظمة وخارجها بين المؤسسات المتعددة حيث يقصد بالإتصال في الإدارة عملية نقل وتبادل المعلومات الخاصة بالمنظمة داخلها وخارجها وهو وسيلة تبادل الأفكار والإتجاهات والرغبات والآراء بين أعضاء التنظيم، ويحقق-الإتصال التعاون الذهني العاطفي بين أعضاء التنظيم وبذلك يساعد على الإرتباط والتماسك ومن خلاله يحقق الرئيس الأعلى أو معاونوه التأثير المطلوب في تحريك الجماعة نحو الهدف وكما أن الإتصال أداة مهمة لأحداث التغيير في السلوك البشري (طلعت محمود،2002).

4-1-1-2-وظائف وأهداف الاتصال في المؤسسة

تتعدد وظائف الإتصال في المؤسسة بين التنسيق، التنظيم القيادة، الإنتاج، الإبداع، الصيانة كل هذه العمليات والوظائف تساهم في إستمرار المؤسسة ونجاحها وإلى جانب هذه الوظائف نتحدث عن أهداف المؤسسة بناء على عملياتها أو أنشطتها وهي كالتالي:

جدول (01): وظائف وأهداف الإتصال في المؤسسة.

أهداف الإتصالات المؤسسة	الخصائص	قنوات الإتصال
أهداف وظيفية	تتعلق بسياسات وإجراءات عمل المنظمة. تتضمن معلومات عن كيفية تحقيق أهداف المنظمة من خلال منتجات/خدمات جيدة. تتعلق بشكل مباشر بكيفية تادية المنظمة لوظائفها .	دليل الموظفين Employees manuals بيان سياسات العمل Policy statements تقارير تقييم الأداء performance. برامج التدريب.Cororate training.
بناء العلاقات	تؤدي وظيفة شخصية من خلال إقامة روابط بين الموظفين والعملاء. يمكن الموظفين من التفاوض والنقاش حول أدوارهم في العمل. تساعد في التنسيق بين وحدات العمل لتحسين الأداء.	المحادثات ردود افعال الموظفين/العملاء أثناء الإحتفالات/الإجتماعات. Conversation.
رسائل بالتغيير	تساعد المنظمة على التكيف والإستجابة مع ما يحدث في بيئة العمل. تشجع العاملين على الإبتكار. تغيير أفكار الموظفين للوصول الى أساليب وإستراتيجيات جديدة.	الحوارات. جلسات العصف الذهني. Dialogues Brain storming Sessions

المصدر:(كريمان،2012)

• أهداف وظيفية STRUCTURAL ObJECTS تتعلق بالسياسات والعمليات التي تقوم بها المنظمة واهم الإجراءات أي كل الأنشطة الإتصالية التي تحتاجها المنظمة في تسييرها لأهدافها مبينة في ذلك أهم الوسائل والقنوات التي تساعد وتسهل تحقيق أهداف المنظمات.

•أهداف تتعلق ببناء العلاقات: Relational Building Objects تستهدف بناء العلاقات بين المستويات الإدارية المتنوعة سواء داخل المؤسسة أو خارجها تبين من خلال الجدول أهم القنوات والوسائل التي تساعد في تحقيق علاقات جيدة تخدم المؤسسة وتساعد في تنميتها

• أهداف التنمية وإدارة التغيير: Change Messages Objects من خلال التعايش مع الأوضاع في المنظمة والتمسك بالأهداف وإستغلال الوسائل والموارد المتوفرة رغم التغيرات التي تحدث وتأثر على المنظمة سواء الداخلية منها أو الخارجية (كريمان،2012)

4–2–أهمية الإتصال في المؤسسة

لا يمكن تصور أي مؤسسة خالية من أي شكل من أشكال الإتصال، فالإتصال هو جوهر نشاط المؤسسة وهو الروح التي تحركها ، بحيث إن أي نقص أو غياب أو أي تشويه للمعلومات يعني إضطراب وظائف المؤسسة، فالإتصال هو محور كل العمليات في المؤسسة رسمية كانت أم غير رسمية بحيث يترتب عليه فعالية الأداء من حيث إتخاذ القرارات وبناء الهيكل التنظيمي وفعالية القيادة وحركية الجماعات والدفاعية والبيئة التنظيمية والتغيير التنظيمي والعلاقات العامة التي تقوم بها المؤسسة(قاسيمي،2011) ، إذ أنه من طبيعة الإتصال الفعال أنه يساعد ويدفع على تنمية العلاقات الإجتماعية وروح الجماعة (بن نوار،2003).

كذلك هو الشأن بالنسبة للمؤسسة الجامعية الذي يعد الإتصال المحرك الذي يساهم في سيرورة نشاطاتها اليومية، من إتصالات بين مختلف عناصرها سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، إضافة إلى دوره الكبير في سلسلة القرارات التي تتخذها المؤسسة الجامعية في سبيل تحقيق أهدافها قصيرة المدى والطويلة منها.

4–3–فعالية الاتصال في المؤسسة الجامعية

إن إتصال المؤسسة الجامعية هو عملية هادفة لتبادل المعلومات والآراء وللتأثير في المواقف والإتجاهات والعلاقات. ويرى باحثون مثل كلود هيير «و» بورت «و» بيتس «إمكانية إسهام الإتصال الداخلي في المؤسسة في حل مشاكل التنسيق والتخطيط والعلاقات الإنسانية والتنفيذ والمراقبة، إلى جانب تنمية الموارد البشرية للمؤسسة (احمد نصر،2020)، إن للإتصال دورا في إدارة المؤسسة الجامعية ونلمس أهميته في أكثر من صورة باعتبار أن وظائف الاتصال في المؤسسة الجامعية تساهم في خلق آفاق جديدة من خلال التركيز على هذه الوظائف التي تعنى بالمؤسسة الحديثة الناجحة:

التخطيط والتنظيم تظهر أهمية الإتصال قبل وأثناء تنفيذ الخطة بجمع المعلومات والإنطباعات فيستحسن أن يكون الإتصال من المستويات العليا إلى التنفيذية لتشجيع عملية التخطيط وإعداد خطة ناجحة، كذلك مبادئ التنظيم تؤدي مهامها بتوفر إتصال جيد فمعرفة الأهداف وتحديدها لكل أفراد المؤسسة يمنحهم الأمان ويرفع روحهم المعنوية وهذا لا يكون إلا بالإتصال سواء رسمي أو غير رسمي.

في التوجيه والرقابة: إن توجيه الأوامر والتعليمات يحتاج إلى إتصال بكل وسائله.

في إتخاذ القرارات: إن القرار عمل بشري وللمعلومات دور في إتخاذه من حيث تدفقها في الوقت المناسب (زيوش ، بومدفع ، 2020).

التعبير عن شخصية المؤسسة من خلال رسائلها الإتصالية التي تجيب عن الأسئلة التالية:

من هي؟ ونقصد بها هويتها.

إلى ماذا تسعى؟ أهدافها وجدولة مخططاتها سواء على المستوى قصير المدى أو طويل المدى.

وما الذي يمكنها أن تقوم به؟ ويقصد بها قدرات المؤسسة المادية والبشرية وقدرتها على تحقيق أهدافها المسطرة؟

خلق سمعة طيبة للمؤسسة والمحافظة عليها وتطويرها، وذلك من خلال التركيز على مبدأ المسؤولية الإجتماعية للمؤسسة، وإرساء قواعد المواطنة، وكذا المشاركة في عملية التنمية المستدامة.

بناء وتسيير. وتعزيز صورة حسنة وقوية للمؤسسة بين جميع الجهات المتعاملة معي تكوين هوية قوية للمؤسسة، تؤهلها لخوض سوق المنافسة

إرساء ثقافة خاصة بالمؤسسة، تؤمن بقيم إنسانية مثالية، ونسعى إلى ترسيخها داخل المؤسسة وخارج المؤسسة

المساهمة في تحقيق الانسجام بين كافة أشكال الإتصال الداخلي والخارجي بناء علاقات متينة تتأسس على مبدأ الثقة المتبادلة بين مختلف الأطراف المتعاملة مع المؤسسة وإستغلال جميع الفرص للجوء إلى المؤسسة وخدماتها.

بناء رأسمال من الثقة Un capital de confiance ورأس مال من التعاطف (Un (capital de sympathic مع جمهور المؤسسة الداخلي منه والخارجي(سبع،2021).

5–المؤسسات الجامعية صورتها ومكوناتها

5–1–الصورة الذهنية للمؤسسة الجامعية

لقد تطور ت المؤسسات في إستعمال الصورة الذهنية وأصبح المسؤولين في المؤسسة يتخذونها كأساس للتفكير الإستراتيجي القائم على التنظيم المخطط له، حيث يتم إستعمال الصورة كوسيلة لضمان موقع إستراتيجي للمؤسسة بين جماهيرها المختلفة سواء الداخلية أو الخارجية، وتسعى من خلال ذلك لبلوغ الصورة المثالية التي ترى نفسها فيها، وتعتمد في

ذلك على جملة من الإستراتيجيات والأشكال الإتصالية وكذا الوسائل من أجل بلوغ أهدافها والوصول إلى كسب الجمهور والرأي العام وتبيان المؤسسة في أحسن صورة لها، وقد أشار أرسطو إلى مفهوم الصورة الذهنية في القرن الثالث قبل الميلاد، وكانت المحاولة الأولى لوصفه بدقة من قبل فاشتر 1960وذلك عند مقارنة الصورة الذهنية بصورة ما بعد التخيل(حسني،2015)،وتعرف صورة المنظمة هي ما يدركه الناس في الواقع عن شخصية المنظمة وهويتها والتصورات الشائعة من قبل الجماهير، ويجب التعرف على تأثير الهالة عند تحديد صورتها الصورة هي إنطباعات الأشخاص نحو المنظمة، كيف يرون ما تقدمه ويفسرونه وكيف ينظرون لها. وأشار بعض الباحثين أن عملية تشكيل الصورة يتم بناء على عملية تكوين الإنطباع (ألبرت، د، س).

وقد تحدث عديد الجهود العربية عن صورة المؤسسة فنرى سليمان صالح يربطها بأنها مجموعة السمات والملامح التي يدركها الجمهور، ويبني على أساسها مواقفه وإتجاهاته نحو الدولة أو المنظمة أو الجماعة أو أي كيان آخر، وتتكون تلك الصور عن طريق الخبرة الشخصية والحياة اليومية للجمهور القائمة على الإتصال المباشر، أو عن طريق العمليات الإتصالية الجماهيرية، وتتشكل ملامح وسمات الصورة الذهنية من خلال إدراك الجمهور لشخصية المنظمة ووظائفها، وأهدافها وشرعية وجودها وأعمالها، والقيم الأساسية التي تتبناها وكل ما يميزها عن غيرها من المؤسسات المنافسة.(خلف لافي، 2015).

وفي ذات السياق تهتم الجامعات كبقية المؤسسات المختلفة بتطوير صورتها لدى جماهيرها الداخلية والخارجية ومحاولة المحافظة عليها حيث إن كل عناصر المؤسسة من إداريين على غرار المستويات الإدارية من أعلى الهرم إلى أسفله إلى جانب الأساتذة، الطلبة وكل العمال بها مسؤولون عن صورتها العامة بإعتبارهم جزءا منها بالإضافة إلى مهمة إدارة صورة الجامعة فالمنظمات تكافح من أجل تطوير وإدارة صورتها الذهنية وذلك للعديد من الأسباب والتي تشمل ترسيخ النوايا الحسنة للمنظمة، خلق هوية للموظفين التأثير في المستثمرين والمؤسسات المالية، تعزيز علاقات إيجابية مع المجتمع والحكومة، ومجموعات المصلحة الخاصة وقادة الرأي وآخرون من أجل تحقيق وضع تنافسي والحصول على الميزة التنافسية، ولإدارة صورة الجامعة خطوات تتمثل فيما يلي: إبراز صورة الجامعة وما يتصل به من مفاهيم وتقنيات.، كما تتضمن إدارة صورة الجامعة الإستفادة من المدخلات البشرية وغير البشرية محققي مخرجات محددة، والواقع أن إدارة صورة الجامعة قد تعني جميع تلك العمليات فيأخذ المفهوم معنى شموليا وقد يعني عملية أو أكثر من تلك العمليات فيأخذ المفهوم معنى جزئيا مستخدمين المدخلات ومحققي(احمد الامام، 2021)، وتكسب المؤسسات الجامعية من خلال صورتها عدة إنطباعات هذه الإنطباعات هي التي يحملها الأفراد ولها ثلاثة أوجه حددت كالتالي قد تكون:

- 1سلبية (معارضة): نسعى للتأثير عليها بأساليب مختلفة لتغييرها وتشكيل صورة جديدة لها.

--2 إيجابية (مؤيدة): نسعى لتعزيزها والحفاظ على إستمراريتها من خلال التمسك بالمبادئ الأساسية وإضافة أشياء جديدة تعزز من تواجدها لدى جماهيرها.

3- محايدة ما بين مؤيد ومعارض) سهلة التأثير (عقيلان، 2015).

5–2–مكونات صورة المؤسسة organization image components

تتكون الصورة الذهنية للمؤسسات من مجموعة من العناصر التي تتشكل لتكون صورة عن المؤسسة وهي أساسيات في كل مؤسسة تضمن بها موقعها الاستراتيجي وهي كالتالي:إسم المنظمة، رمزها الرسمي أو اللوجو وشعارها، موظفوها ولباسهم وقادتها، مواقعها أبنيتها المنتجات التي تقدمها (هلال، عثمان،2020)،فلسفتها وقيمها، قراراتها تاريخها إنجازاتها وخاصة المميزة، سياستها الداخلية والخارجية، وتفاعلها مع الأحداث لجارية، مساهماتها في الحياة العامة السياسة والإجتماعية والإقتصادية، إخفاقها ومشكلاتها ونزاعاتها الداخلية والخارجية ومنهجية تعاملها معها، تعاملها مع مؤيديها وإجمالا تتكون الصورة الذهنية الكلية للمنشأة من عناصر متعددة تندمج لتشكل الصورة الذهنية الكلية للمنشأة وهذه العناصر هي ومخالفيها داخليا وخارجيا، آثارها الإيجابية أو السلبية على البيئة والإنسان(حسني،2015)،ويمكن أن نوضحها في الشكل التالي:

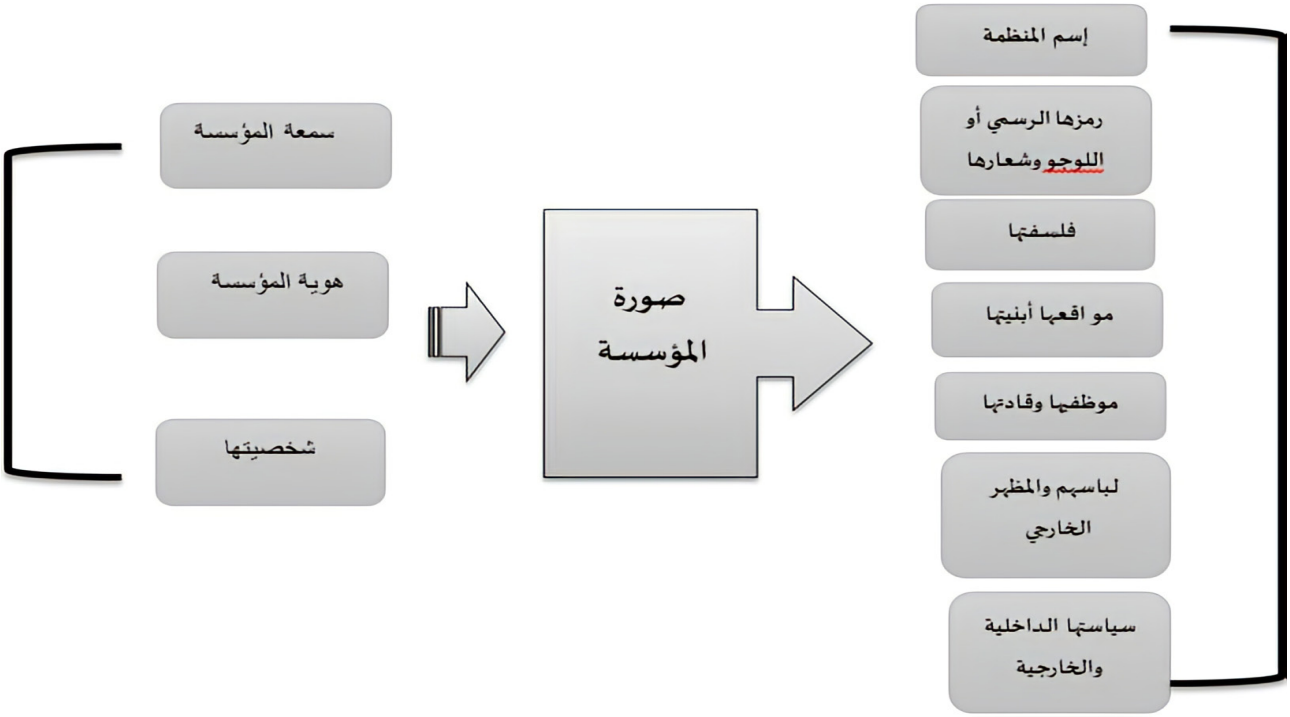

شكل (02): مكونات صورة المؤسسة.

من المهم جدا أن نوضح أن مكونات الصورة الذهنية هي الأساس الذي تبنى عليه شخصية المؤسسة وكيانها المعنوي، إذا أن مختلف العناصر التي تم التطرق إليها (إسم المنظمة، رمزها الرسمي «اللوجو» وشعارها، موظفوها ولباسهم وقادتها، مواقعها أبنيتها وخدماتها) هي التي تميز مؤسسة عن أخرى، وفي نفس الوقت إن هذه المكونات مرتبطة بهوية وشخصية المنظمة، ولها الأثر الكبير على سمعة المؤسسة، حيث أنه بمجرد أي شيء لافت او غريب سواء إيجابي أو سلبي فهو يؤثر على سمعة المؤسسة، ويجدر بنا الإشارة إلى برامج المسؤولية الإجتماعية التي تقدمها المؤسسة إلى المجتمع والمتمثلة في مختلف النشاطات والأعمال الخيرية، التي تخدم بها المجتمع في إطار إجتماعي وكذا من أجل كسب تأييد الجمهور

قد شرح» Balmer» المفاهيم التي تم التطرق إليها مقدما تعريفات إجرائية لها على النحو الموضح في الجدول التالي:

جدول (01): الفرق بين شخصية المؤسسة، هويتها، سمعتها وصورتها الذهنية.

المفهوم	أسئلة ترجمة	تفسيرات إجرائية للمفهوم
هوية المؤسسة	ماذا نحن؟	طبيعة عمل المؤسسة أسواقها أداءها إستراتيجياتها وتاريخها.
شخصية المؤسسة	من نحن؟	الثقافة التنظيمية المهيمنة على كل إدارات المؤسسة وتعاملاتها العاملين بها بعضهم البعض.
سمعة المؤسسة	ماهي الصفات؟	ما الإنطباعات الثابتة عن المؤسسة لدى الافراد الجماعات والرأي العام .
الصورة الذهنية	ما هي الإنطباعات الحالية للعملاء عن المؤسسة؟	ما المدركات العقلية الحالية عن المؤسسة لدى الإفراد الجماعات أو الرأي العام.

المصدر:(كريمان،2012)

يوضح الجدول المفاهيم المرتبطة بصورة المؤسسة والتي يتم الإجابة عنها من خلال سؤال إجرائي حسب ما قدمه « Balmer»، وفي ذات السياق قد طور نموذجا مفاهيمي لعملية تكوين صورة المؤسسة ويشمل النموذج 7 أبعاد يتضمنان الجوانب الملموسة والغير الملموسة، فالإتصال في المؤسسة وشخصية المنظمة تترجم إلى صورة المنظمة التي تخلق سمعة وتتكون من خمسة مستويات مختلفة: الوعي الألفة، التفضيل، الثقة، والدعوة، وإلى جانب هذا تهتم شخصية المنظمة بالسؤال:(ألبرت، د، س)، مَن

أنا؟ وكيف يمكنني وصف نفسي؟ وللإجابة على هذا التساؤل لا بد من التعرف على المؤثرات والأبعاد التي تأثر عليها، وهناك 7 ابعاد تؤثر على هذه العملية وهي موضحة في الشكل التالي:

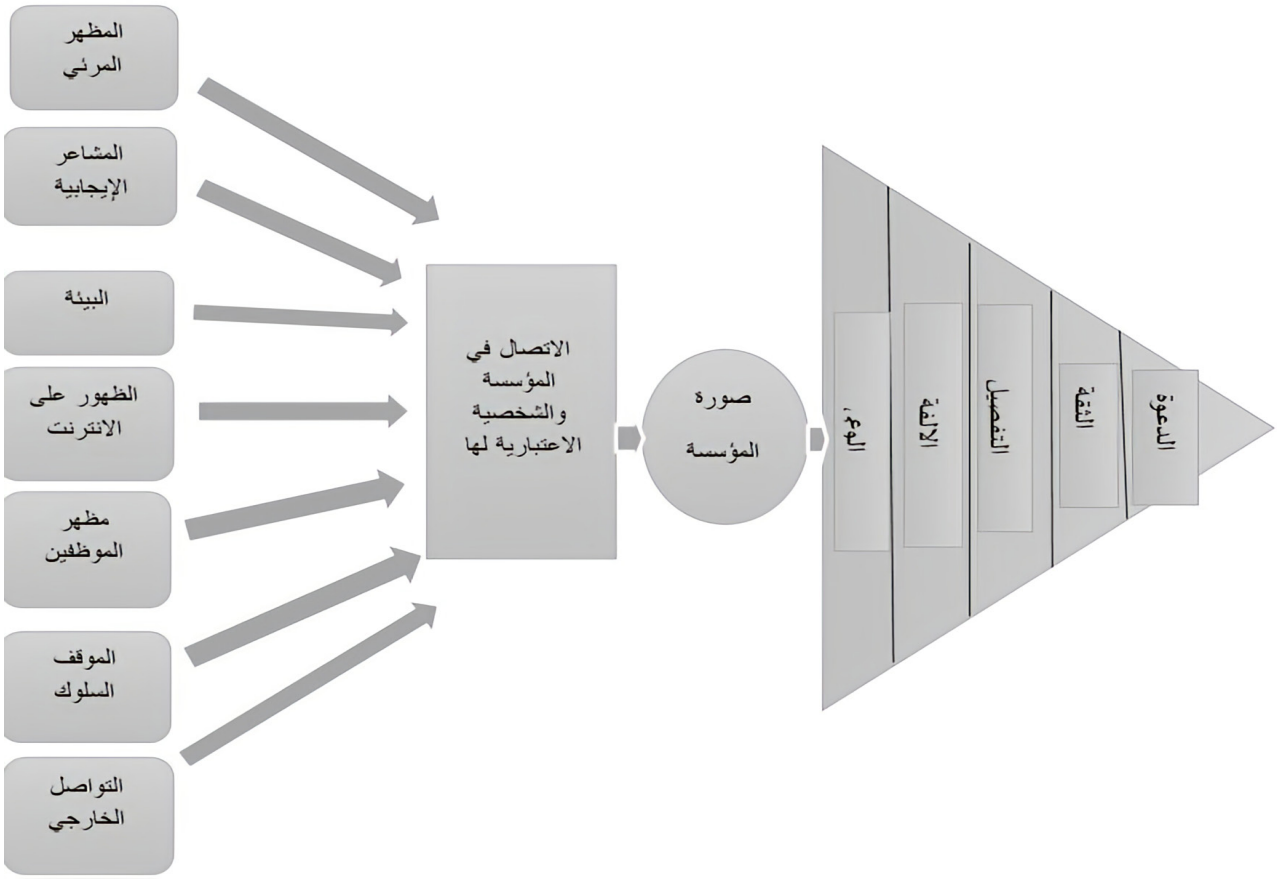

شكل(03): مكونات صورة المؤسسة والأبعاد التي تأثر عليها

المصدر: (ألبرت، دس).

يوضح الشكل أعلاه مكونات الصورة الذهنية بأكثر تفصيل: كالمظهر المرئي، المشاعر الإجابية، البيئة الخاصة بالمؤسسة والتي توحي بإنطباع رسمية وجدية المؤسسة، وضعية المؤسسة في المواقع الإفتراضية وظهورها على شبكات الأنترنت إذ انها بذلك ترفع من نسبة تعرض الجمهور لها وترسيخها في أذهانهم والواضح أن المؤسسات التي ليس لها تواجد عبر الأنترنت تقل نسبة مرئيتها بحكم التطور التكنولوجي الحاصل والتوجه السريع نحو إستخدام هذه الوسائل، وهي من علامات التنافس بين المؤسسات إذ أصبح الفاصل الذي يميز مؤسسة عن أخرى بل أكثر من ذلك أصبح ضرورة لابد منها ، المظهر العام للعمال والموظفين حيث يلعب الشكل دورا مهما في صورة المؤسسة ويزيد من ثبات صورتها لدى الجمهور و رسميتها كأن يتم إرتداء لباس موحد بين العمال (مئزر عليه شعار المؤسسة ورمزها) وهذا يوحي بإهتمام المؤسسة بصورتها ، المواقف السلوكية للموظفين إذ أن سلوكهم مع جمهور المؤسسة والتعاملين معهم يجب أن يكون في إطار رسمي وبشكل جميل لبق ومميز يعكس صورة المؤسسة ، التواصل الإيجابي غير السلبي مع الجمهور الخارجي ومحاولة التأثر فيه، جذب إنتباهه وكسبه، وكل من هذه المكونات الوعي، الثقة، التفضيل، الدعوة و الألفة.

5–3– أهمية الصورة الذهنية للجامعة وملاح ومؤشرات الجامعة المتميزة

5–3–1– أهمية الصورة الذهنية للجامعة

تتمثل أهمية الصورة الذهنية للجامعة في أن الصورة الذهنية تعتبر من أعلى موجودات المؤسسة الجامعية رغم أنها إنطباع في الذهن وعلينا أن نتصوره مثل ماركة أو سلعة أو خدمة لنعرف أهمية الصورة الذهنية مثل كوكاكولا، أو مرسيدس أو الجزيرة أو BBC كإذاعة أجنبية، فإن الصورة الذهنية تعتبر من رأس مالها الذي هو مكون رئيسي من مكونات رأس المال

الفكري تساهم في:

جذب الطلبة، الإحتفاظ وإرضاء الطلبة والجمهور، زيادة الدخل، نمو الجامعة وتطورها، منح ميزة تنافسية للجامعة، تحريك إهتمام مادة الرأي العام والمجتمعات المحلية بالجامعة.

ملامح ومؤشرات الجامعة المتميزة: من العوامل التي تجعل الجامعة متميزة وتمتلك صورة جيدة هي كالتالي: تتميز الجامعة بعدة مزايا وعناصر تجعل منها جامعة متطورة وهي:

وجود رؤية ورسالة وإتباع التخطيط الإستراتيجي عامة والتخطيط خاصة منهجا وأسلوبا في العمل.

توفير قيادة واعية تتوفر فيها خصائص القيادة الفعالة تتمتع برؤية وقدرة على التحويل والتغير.

توفر موارد بشرية مؤهلة قادرة وراغبة في الإنجاز والتطوير وهذا يتطلب ما يلي:

حسن اختيار الموارد البشرية، توفر برامج تدريب وتنمية مستمرة لهم توفر قدرات ومهارات ومعارف وإتجاهات لإنجاز أعمالهم، معرفتهم بما هو متوقع منهم، توفر الأساليب والوسائل والأدوات للقيام بأعمالهم. توفر تغذية راجعة تعرفهم بمدى قدرتهم على أداء أعمالهم، توفر حوافز وجزاءات لمن يقوم بأعماله كما هو مرغوب فيه، الإهتمام بجمهور الجامعة المتعاملين معها وأهم عنصرها الطلبة والخريجون، العناية الفائقة بوظائف الجامعة الثلاثة «التدريس البحث العلمي وخدمة المجتمع.»تباع مبادئ الجودة النوعية العالمي التواصل المفتوح في الداخل والخارج (احمد الامام،2021).

6-الإستراتيجيات الاتصالية التي تعتمدها المؤسسات الجامعية من أجل بناء ودعم صورتها لدى جماهيرها

في هذا الصدد يقول بويل: «هي كنز من الصعب الحصول عليه ومن السهل ضياعه.» أي أنه الشيء الصعب هو الحصول على تأييد الجمهور ومحبته للمؤسسة ونعني بذلك نجاح الصورة الذهنية ووصول المؤسسة إلى مبتغاها في حين أنه من السهل جدا خسارة وضياع هذه الصورة ويمكن هنا أن نظيف العنصر الأكثر فاعلية في عمل المؤسسات وهو كيفية الحفاظ على الصورة الجيدة ومحاولة تطويرها إلى الأحسن (خلف سكرانة،2012).

لذلك على المؤسسة أن تسعى إلى إعداد مخطط إتصال قد يمتد من سنتين إلى خمس سنوات ويتم العمل به بجدية حتى يتمكن من تحقيق الأهداف المسطرة والوصول إلى الصورة المثلى التي تسعى لها.

6-1-إعداد مخطط الاتصال ومراحله

إن إعداد مخطط الإتصال في المؤسسة الجامعية يتوقف على معرفة كيفية بناء مخطط للإتصال أي ما الميزانية المخصصة لتطبيق المخطط، وما الطرق والأساليب المتاحة بما يتناسب مع كل هدف من أهداف المؤسسة الذي يستوجب طرح الأسئلة التالية وهي:

• لمن؟

•ماذا؟ أي ما الخدمات المنتجة التي تقدمها المؤسسة الجامعية والتعريف بها؟

•لماذا؟ أي ما نوعية الأهداف التي تسعى المؤسسة لتحقيقها؟ ومقارنته بالميزانية المخصصة لتطبيق المخطط؟

•وما وسائل الإعلام المناسبة لنشر هذه السياسات والاستراتيجيات؟ وكذا الزمن: كمْ يستغرق تطبيق المخطط وإلى متى يمكن الاعتماد عليه؟ (احمد نصر،2020).

مراحل إعداد خطة اتصال: خطة الإتصال في المؤسسة تمر على أكثر من مرحلة لأعدادها، وهذه المراحل تتميز في مجموعاتها بتقسيمها الى ما قبل وضع الخطة، إعدادها، أو وضعها ثم متابعة تنفيذها.

المرحلة الأولى: تحديد أهداف الاتصال.

المرحلة الثانية: دراسة المحيط الإجتماعي الثقافي.

المرحلة الثالثة: تعيين الأهداف les cibles وتكييف الوسائل.

المرحلة الرابعة: إختيار الأدوار والوسطاء.

والمرحلة الأخيرة وهي التنفيذ (عدون، 2004).

6-2-الإستراتيجيات الإتصالية التي تعتمدها المؤسسات الجامعية من أجل بناء ودعم صورتها لدى جماهيرها

يوضح الشكل (04) إستراتيجية المؤسسة

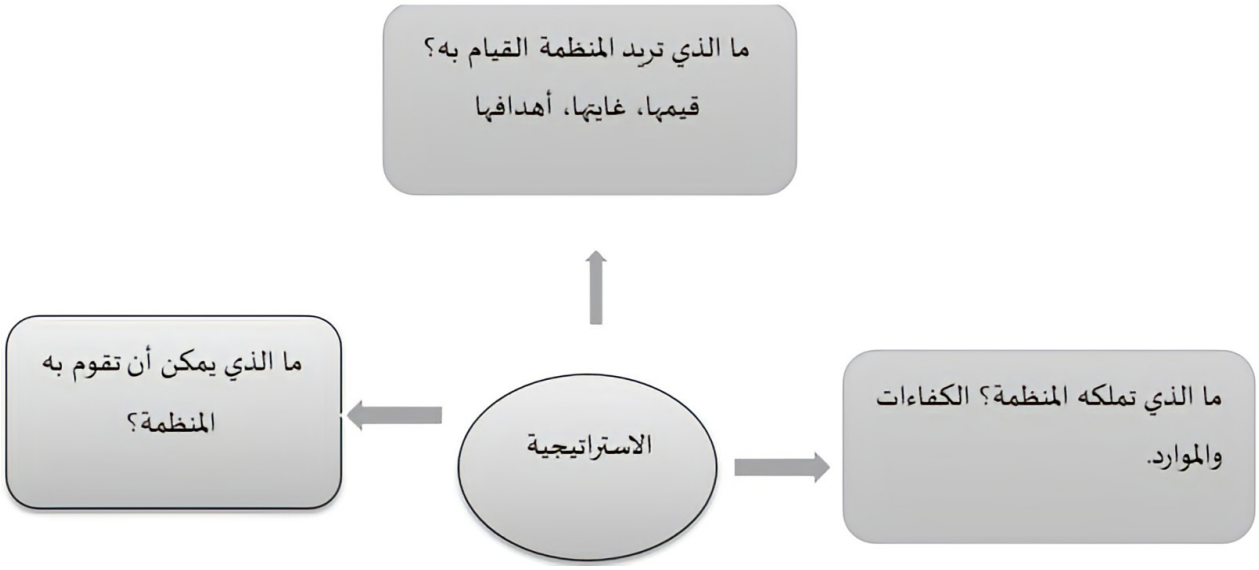

شكل(04): يوضح إستراتيجية المؤسسة

المصدر:(قبايلي،2007)

يوضح الشكل أعلاه المحاور التي يجب التطرق إليها عند تحديد إستراتيجية المؤسسة لابد من معرفة ما الذي تريد المؤسسة القيام به أي تحديد أهدافها وإلى أين تريد الوصول، ثم بعد ذلك تقوم بتحليل بيئتها وما تملكه من موارد مادية وبشرية كالكفاءات، والكوادر التي تساعدها في إنجاز ما تريد، لتتجه إلى التنفيذ وتحديد ما الذي يجب القيام به على شكل خطوات تعمل على تنفيذها من أجل تحقيق الغاية التي كانت تصبو إليها.

تحديد رؤية ورسالة المؤسسة الجامعة: قبل صياغة الإستراتيجية لا بد من تحديد الأطراف أصحاب المصلحة Stakeholders) من الحكومة، وزارة التعليم العالي، إدارة الجامعة المراكز البحثية أعضاء هيئات التدريس والعاملين، الطلبة المنظمات المختلفة بسوق العمل المنظمات والهيئات العامة والخاصة...)، حيث إن مقابلة إحتياجات وتوقعات تلك الأطراف من أولى الضمانات التي توضح مدى واقعية الإستراتيجية المقترحة المنطوية على الخدمات التي تقدمها الجامعة للمجتمع والبيئة بوجه عام (أولاد زاوي، د، س). وتتعدد الإستراتيجيات الداعمة لتحسين صورة المؤسسة الجامعية من حيث مصطلحاتها وتتفق من حيث معناها فكلها تصب في خدمة المؤسسة وتحسين صورتها ونلتمس مجموعة الإستراتيجيات التالية التي إرتأينا أنها الأنسب لتحسين صورة المؤسسة:

إستراتيجية تكامل الجماهير: تقوم بمجموعة من الأنشطة التي تعمل من خلالها على بناء وتدعيم العلاقات مع العديد من المجموعات المتنوعة من الجماهير ومن خلال هذه العلاقات تسعى المنظمة لمعرفة إهتمامات تلك الجماهير والإستفادة من هذه المعلومات في عملية صنع القرار وتندرج ضمن هذه الإستراتيجية مجموعة من الإستراتيجيات التالية:

إستراتيجية التعاونية: ويقصد بهذه الإستراتيجية تعيين ممثلين عن الجماهير الأساسية في مجلس إدارة المنظمة ليشاركوا في عملية صنع القرار ويقومون بحماية مصالح هذه الفئات الجماهيرية، وبذلك تتجنب المنظمة تهديداتهم وهذا ما أوضحته الأنشطة الإستراتيجية تكامل الجماهير حيث يتيح للجماهير المشاركة بشكل مباشر في عملية صنع القرار بالمنظم

إستراتيجية بناء العلاقات: تحرص المنظمة على بناء علاقات قوية ومستمرة مع الجماهير الداخلية والخارجية في إطار بناء وإدارة سمعة المنظمة وتتضمن هذه الإستراتيجية برامج خدمة المجتمع من خلال برامج تخدم المجتمع المحلي.

إستراتيجية المكانة: ترتبط هذه الإستراتيجية بعناصر السمعة التي يمكن أن تميز منظمة عن أخرى وتخلق لها مكانة عن غيرها من المنظمات فالمنظمات تستخدم هذه الإستراتيجية في إطار بناء سمعتها عبر تزويد الجماهير ببيانات ومعلومات عن رؤيتها المميزة ومهمتها لتحقيق مكانة جيدة بالمنظمة (حسين العشرين،2020).

إستراتيجية المسؤولية الإجتماعية: وهي التي من شأنها دعم

صورة وسمعة المنظمة، والمنظمة لا بد من أن يتوفر لديها إستراتيجية إتصالية للمسؤولية الإجتماعية، وذلك من خلال التركيز على الحوار والمصداقية والشفافية في الاتصالات لإبراز دور المسؤولية الإجتماعية. وخلق صورة إيجابية للمنظمة لدى الجمهور ورفع درجة الثقة، كما يمكن أن نضيف إلى جانب هذه الإستراتيجيات تقنيتين تعتمدهما المؤسسات الحديثة في إبراز صورتها وهو ما:

الإستراتيجيات المرتبطة بمدى تبني المؤسسة وتنظيمها للحدث: وهي الأحداث التي تنظمها المؤسسة على المستوى الداخلي لها (كالاتفاقيات، الندوات، الاجتماعات السنوية، المحاضرات الملتقيات المتخصصة، صالونات، التجمع العام، ملتقى، مؤتمر، التدشين، الاحداث التاريخية الثقافية. الخ).

الإستراتيجيات المرتبطة بمدى مساهمة المؤسسة في حدث خارج عنها: ويكون ذلك من خلال المشاركة في حدث غير تابع لها والذي تهدف من خلاله للمشاركة الحياة الإجتماعية، وكذا تحسين صورتها وتعزيزها لدى الجماهير العامة (مثل الرعاية والأعمال الخيرية ومختلف الأنشطة والأشكال الإتصالية الخارجية (عرايبية،2021).

ويجب أن نوضح هنا أن هاتين الإستراتيجيتين تصنف ضمن إستراتيجيات الإتصال الحدثي أو المناسبات» la communication évènementielle والذي يعرفه كذلك على أنه: تقنية إتصالية مؤسساتية تركز على خلق حدث وهذا الأخير يحتاج إلى مهارات، قدرات، إبداعات، مبادرات، كفاءات، مورد بشري مجدد، تحفيز، رأس المال البشري، مخزون أدائي ومعرفي، لتتميز المؤسسة وتخرج به عن المألوف لتستهدف جمهورها (رقاني، د، س).

يعرفه Mathias Lucien Rapeaud: هو دعوة مؤسسة، منظمة أو منشأة إلى حدث بهدف تعزيز العلامة، المنتوج أو فكرة من أجل إنطباعات ومحاولة تمرير رسائل محددة لجمهور مستهدف بدقة (عرايبية، 2021)، يساهم هذا الأخير في تحسين صورة المؤسسة للجماهير الداخلية والخارجية منها، وأن إختيار الإستراتيجية الأنسب مهمة جد صعبة ورهان تقع فيه إدارة صورة المؤسسة ، وذلك حسب الموقف والوقت والحاجة للإتصال الأنسب ،وهنا يمكن أن نشير إلى معايير جودة الإستراتيجية الإتصالية والتي بدورها تبين لنا فعالية هذه الأخيرة، ولأكثر توضيحا نبين في الجدول التالي معايير جودة خطوات الإستراتيجيات الإتصالية في المؤسسة:

جدول (02): معايير جودة إستراتيجيات الإتصال

خطوات الاستراتيجية الاتصالية	معايير جودة وفعاليات الاستراتيجيات الاتصالية
تحديد الرؤية	رؤية واضحة
تحديد الأهداف	الأهداف يجب ان تكون قابلة للقياس وتساعد في توجيه خطة عمل محددة.
تحديد الجماهير المستهدفة	الجماهير محددة (ليس الجمهور العام) وتشمل صانعي القرار الرئيسين والافراد ذو التأثير على المؤسسة.
تطوير الرسائل	الرسائل واضحة مقنعة محددة وتعكس قيم الجمهور وتضمن حلا او مسار للعمل.
تحديد الرسل (اشخاص يساهمون في التنفيذ).	اشخاص يمكن تجنيدهم.
اختيار منافذ الاتصال	يتم اختيار المنافذ الاتصال من وسائل الاعلام للوصول الى الجمهور المستهدف.
تفحص السياق العام للمؤسسة	تحديد المخاطر التي يمكن ان تعيق نجاح الاستراتيجيات واخذها بعين الاعتبار عند التخطيط.

المصدر:Coffman) (2004

الوسائل الإتصالية التي تتكيف من أجل تحقيق الفعالية الإتصالية تختلف الوسائل الإتصالية التي تستعملها المؤسسات في بناء صورتها وتدعيمها من أجل تحسين صورتها لدى جماهيرها من مؤسسة إلى أخرى وحسب نوع كل استراتيجية مع مراعاة الجمهور المستهدف والتوقيت الأنسب لاستعمال الوسيلة والقناة التي يمرر من خلالها الرسالة وتتعدد هذه الوسائل بين الرسمية منها

وغير الرسمية الموجهة للجمهور الداخلي والتي توجه للجمهور الخارجي وهي مفصلة في الجدول التالي:

جدول(03): تعددية قنوات ووسائل الاتصال في المؤسسة.

القنوات	الوسائل
رسالة مؤسسة	نطاق السيطرة والإشراف
الهدف من الاتصالات	الروابط الاتصالية الضعيفة
السياسات والإجراءات	التوافق قوى العمل الداخلي مع الإدارة.
العلاقات العامة	المحادثات
التسويق	مناقشات المجموعات
(الإعلان-تنشيط المبيعات-البيع الشخصي)	أحاديث الناس عن المؤسسة
رسالة مؤسسة	نطاق السيطرة والإشراف
الهدف من الاتصالات	الروابط الاتصالية الضعيفة
السياسات والإجراءات	التوافق قوى العمل الداخلي مع الإدارة.
العلاقات العامة	المحادثات
التسويق	مناقشات المجموعات
(الإعلان-تنشيط المبيعات-البيع الشخصي)	أحاديث الناس عن المؤسسة

المصدر: (كريمان ،2012).

ويمكن أن نذكر الوسائل التي تستخدمها المؤسسات اليوم في تفعيل الإتصالات المؤسسية والتي كما وسبق الذكر تستعمل حسب سياسة وأهداف كل مؤسسة: مجلة المؤسسة يمكن أن تستعمل هذه الوسيلة في تحسين صورتها من خلال نشر فيها تاريخ المؤسسة والمنحى الكفاحي الذي تأسست فيه الجامعة حتى تخلق نوع من الحب والولاء للجمهور الداخلي، وهذا ما يزيد من تعزيز صورتها هذا ذو كانت المجلة داخلية أما عن المجلة الموجهة لجمهور الخارجي فلا بد من أن تكون أكثر تصميما وتميزا لأن جمهورها مختلف والهدف كسبه لذلك على الجامعة إستغلال هذه المجلة في إبراز الصورة الجيدة من خلال نشر مختلف الأنشطة، صحيفة المؤسسة Newspaper، البيانات الصحفية Newsletters، مجلات الحائط Bulletins، العروض التقديمية Presentations، شرائط الفيديو Video tapes.،شرائط الكاسيت Audiotape، الدوائر التليفزيونية المغلقة Closed circuit television، العروض والمعارض Displays of Exhibitions الخطوط التليفزيونية الساخنة Telephone ho lines، البريد الإلكتروني E- mails، الخطابات Letters.الخطابات Letters، الكتيبات والمطويات Booklets & Brockures، الكتب books لوحات الإعلانات Notice Books،إعلانات قصيرة مجمعة pay packet notices، بالإضافة إلى: التقارير السنوية Annual reports تقارير تصدر بشكل دوري سنويا للتعريف بموقف الشركة المالي، ومشاركة نشرات مطبوعة حول سياسات التوظيف Recruitment iterature، رسائل الجيل الثاني والثالث من التليفون المحمول- Third & Second generation mobil (كريمان،2012).

ولا يمكننا أن نتحدث عن الوسائل الإتصالية دون أن نذكر مواقع التواصل الإجتماعي التي تساهم وبشكل كبير في بناء صور إيجابية عن المؤسسات والتعريف بها وبشخصيتها لدى الجماهير المختلفة والتي أصبحت من أهم الوسائل عند المؤسسات الحديثة وما يعاب عنها أنها ذو حدين لذلك وجب التعامل معناها وإستخدامها بطريقة مناسبة تحمي من خلالها سمعة المؤسسة وتكيفها حسب أهداف المؤسسة.

7–رقمنة الفضاءات الجامعية كاستراتيجية إتصالية جديدة

في ظل التطورات التكنولوجية توجهت المؤسسات الجامعية إلى عصر رقمنة فضاءاتها، وقد كان لتطور التكنولوجيا دور

كبير في الولوج إلى هذه المرحلة من خلال تكثيف الجهود في ظل هذه التطورات من أجل النهوض بقطاع التعليم العالي ومستوى الجامعات، وذلك بتحسين مخرجات التعليم العالي وتحقيق الجودة والنوعية في التكوين في كل ما يخص الفضاء الإتصالي بالجامعة، للإنتقال إلى جامعة ذات صورة جيدة وسمعة حسنة دوليا.

وقد عرفت الرقمنة على أنها: «العملية التي يتم عن طريقها تحويل المعلومات من شكلها التقليدي الحالي أي شكل رقمي سواء كانت هذه المعلومات صورة أو بيانات نصية أو ملف صوتي أو شكل آخر يمكن معالجتها بواسطة جهاز الحاسوب. أو أن الرقمنة هي عملية تحويل البيانات إلى شكل رقمي وذلك من أجل معالجتها باستخدام الحاسب الإلكتروني» (بلخيري، 2023)، كما تعرف على أنها: الرقمنة هي تحويل المعلومات الموجودة على وسط مادي إلى ترميز رقمي في الوضع الثنائي «في 0 و 1» (Mocellin, 2017)، ولقد سعت الجامعات الجزائرية إلى إستغلال تكنولوجيا الإعلام والاتصال ومختلف التكنولوجيات الحديثة من أجل خلق أفق تمد الجامعة الجزائرية بسبل التطور والإبداع، وذلك من خلال الإعتماد على رقمنة الفضاءات الجامعية كاستراتيجية إتصالية مستحدثة، وخاصة بعد إنتشار وباء ك»كورونا» الذي جعل صناع القرار على مستوى القطاع يتسارعون على إيجاد سبل لاستمرار تقديم الخدمة الجامعية إذ إعتمدت على عدة سبل وإستراتيجيات من بينها:

_إستراتيجية توحيد عملية النشر العلمي من خلال إنشاء البوابة الوطنية للمجلات (ASJP): تعتبر هذه البوابة أهم البرامج التي شرعت فيها الجهة المختصة في مجال ترقية البحث العلمي وذلك من خلال إنشاء منصة رقمية يتم من خلالها إرسال المقالات للنشر في مختلف المجلات الوطنية مهما كان تصنيفها، وذلك من الولوج إلى المرقع الرسمي للمنصة وهو https://www.asjp.cerist.dz

_إستراتيجية تفعيل منصة التعليم (E-learning): تشكل هذه المنصة أهم فاعل بين الجامعة والطلبة باعتبارها الفضاء الذي يوفر كل المعلومات التي يحتاجها الطالب لاسيما الإعلانات التي تخص العمل البيداغوجي، أين يتم تخصيص خانة للإعلانات حسب كل قسم كالإعلان عن برنامج التوزيع الأسبوعي برنامج الامتحانات محاضر المداولات... إلخ.

إلى جانب إستراتيجية التعليم الرقمي من خلال إمكانية الاطلاع وتحميل مختلف الدروس والمحاضرات التي وضعها الأساتذة ضمن حساباتهم في المنصة وذلك من خلال الولوج إلى الرابط المخصص لكل جامعة (بلول ،2023).

_إستراتيجية المنصة الرقمية بروقريس (PROGRES) تعتبر أهم منصة فيما يخص متابعة الطلبة في مسارهم الجامعي من خلال تسجيل كل الطلبة ومستوياتهم في المنصة والتي تسمح لهم بالحصول على بعض الخدمات مثل الاطلاع على كل جديد في مجال العمل الأكاديمي وإمكانية تحميل وثائق التسجيل الجامعي، كما يتم استعمال نفس المنصة للأستاذ الجامعي الذي يكون له حساب خاص من خلاله يمكن له الولوج إلى المنصة التي توفر له نوعين من الخدمات، فمن جهة تتضمن المسار المهني للأستاذ ويتم إيداع ملفات التأهيل الجامعي أو الأستاذية في نفس المنصة، كما يتم إستعمالها لتسجيل علامات الطلبة في الفضاء الخاص بالتعليم.

_إستراتيجية تفعيل تقنية التحاضر عن بعد في مجال النشاطات العلمية: تعتبر عملية التسجيل الصوتي التي تتم من خلال المنصات الرقمية مثل منصة «مودل «من أهم وسائل التعليم عن بعد والأكثر فعالية مقارنة بالتعليم من خلال الوثائق الورقية المكتوبة (بلول ،2023).

_ إستراتيجية رقمنة المكتبات الجامعية بالاعتماد على استخدام التكنولوجيا الرقمية تم تأهيل المكتبات الجامعية من خلال التحويل الرقمي لتحقيق استغلال أمثل لمخزونها الوثائقي سواء من داخل المكتبة المعنية أو عن بعد وتسهيل النفاذ إلى الموارد الوثائقية الوطنية، وبعث شبكة تسمح بالاتصال بالمكتبات عن بعد وتيسر ترابطها وتفاعلها وتتيح تبادل الخدمات بينها مع ربطها بالشبكة الوطنية الجامعية (بوزعيب، 2022).

يمكن أن نقول إن هذه الإستراتيجات الرقمية ساهمت في خلق فضاءات إتصالية بين الأفراد ذات العلاقة في الجامعات، إلى جانب تحسين الخدمات التي تسهل وتدعم سير العملية الإتصالية والخدماتية ضمن هذا الإطار الرقمي والذي جعل الجامعة الجزائرية في تحسن ملحوظ ما يضمن صورة مميزة لها أمام الجامعات الدولية.

وفي الأجير إن إستراتيجية عصرنة قطاع التعليم العالي يتطلب العديد من الجهود المتكاثفة والاستراتيجيات البناءة من أجل

تفعيل البرامج والآليات التي من شأنها دفع عمليات التطوير التي تجعل من الجامعة قادرة على قيادة المجتمع بما تقدمه من مخرجات تساهم في التنمية.

8-مناقشة في ظل الدراسات السابقة

مما لا شك فيه أن الإتصال في المؤسسة مهم جدا بإعتباره المسير لمختلف الأنشطة الإدارية الداخلية والخارجية لكل مؤسسة وتتميز كل مؤسسة عن أخرى من خلال الإستخدام الأمثل لوسائله وإستراتيجيات من أجل تحقيق أهدافها، حيث إنه لا يمكن تصور تنظيم أو إدارة دون إتصال، فهو عبارة عن شرط أساسي لكل تنظيم ناجح، وقد أكد الدكتور «الطاهر أجغيم» في دراسته واقع الإتصال في المؤسسات الجزائرية جامعة منتوري تاجي مختار نموذجا في رسالة لنيل شهادة الدكتوراه دولة علم إجتماع التنمية لسنة 2006/2005.

عن أهمية الإتصال في المؤسسات الجامعية وقد خلص في دراسته إلى أهمية الإتصالات في المؤسسة، حيث تتجلى في شتى المجالات التنظيمية والإدارية والإقتصادية والإنسانية والتقنية داخل المؤسسة وخارجها ، تبدو أهمية الإتصال في المؤسسة في علاقتها المباشرة بالتخطيط وإصدار القرارات والتنسيق وإنجاز الأعمال والتقويم والرقابة التي تبدأ بمرحلة تحديد البدائل ثم تقويمها وتنتهي بمرحلة البديل المناسب وكل ذلك وفق مراحل منسقة ومنضبطة(أجغيم، 2006/2005) ،وتشاطره الرأي الدكتورة «فضيلة سبع» في دراستها المعنونة بالحقول العلمية للإتصال الشامل (دراسة نظرية حول الإتصال المؤسساتي)، مجلة المعارف المجلد 16 العدد1(جوان 2021)،حيث أكدت أن الإتصال لم يعد خيارا في يد المؤسسات اليوم ولا موضة في عالمنا بل أصبح قدرا لا مناص منه ، جميع المؤسسات محكوم عليها بالإتصال المحتوم وتأكد أيضا في دراستها أن توقيف الإتصال بهذه التشكيلات التنظيمية سوف تجعل بالمؤسسة ككل تتوقف ويصبح يسودها مناخ عاطل Paralysant لأن الديناميكية لا تتولد إلا عن طريق الإتصال مهما كان نوعه، ونظرا للأهمية البالغة للإتصال وجبت دراسة كل تفصيل بالمؤسسة الجامعية من عملية تحديد الأهداف إلى غاية تنفيذها سواء كانت هذه الأهداف طويلة المدى أو قصيرة مستخدمة في ذلك عدة وسائل وإستراتيجيات تسعى من خلالها إلى الحفاظ على صورة المؤسسة الجامعية وبنائها تماشيا مع التطورات الحاصلة والتغيرات البيئية التي تطرأ على المؤسسة داخلية أو الخارجية(سبع ،2021).

ومن بين الإستراتيجيات إستراتيجية الإتصال الداخلي حيث بينت دراسة «قبائلي حياة «في دراستها إستراتيجيات الإتصال الداخلي في المنظمة مذكرة ماجستير في علوم الإقتصاد وعلوم التسيير جامعة بومرداس سنة 2007.

إن إستراتيجيات الإتصال داخلي في خدمة تحقيق غايات وأهداف الإستراتيجية العامة للمؤسسة لذلك لا بد من التعريف الواضح والمسبق للتوجهات الإستراتيجية قبل البدء في تحديد أهداف الإتصال الداخلي، إن صورة المؤسسة تعتبر القاعدة الأساسية لأي إستراتيجية لذلك يجب على المكلف لإعداد إستراتيجية أن يسعى إلى تحسين هذه الصورة والعمل على ضمان التنسيق والإنسجام بين الصورة الداخلية والخارجية للمؤسسة بهدف الوصول إلى الصورة المبتغاة لذلك وجب أن تحقق إستراتيجية الإتصال الداخلي البحث في تاريخ ثقافة وهوية المنظمة،(قبايلي ،2007)، وإلى جانب إستراتيجيات الإتصال الداخلي في المؤسسة تعمل إستراتيجيات الإتصال الخارجي على تلميع وتحسين صورة المؤسسة خارجيا، من خلال جملة المخططات والرسائل الإتصالية التي تسعى المؤسسة إلى تمريرها لبناء تأييد الرأي العام والتعريف بالصورة المبتغاة وقد تحدثت» بوهدة شهرزاد» في مقالها المعنون «الإتصال الخارجي كأداة لتعزيز علاقات مؤسسات التعليم العالي مع محيطها الخارجي قراءة لبعض النماذج مؤسسات التعليم العالي الجزائرية «المدرسة الوطنية العليا لصحافة وعلوم الإعلام ،وقد خلصت دراستها إلى التأكيد على أهمية وضرورة الإتصال بمختلف أشكاله وأدواته لأنه يعتبر الركيزة الأساسية لإنجاح مؤسسات التعليم العالي في تحقيق أهدافها المنشودة من أجل تعزيز صورتها وخلق تواجد لها في ظل التحديات التي تواجهها، وما على مؤسسات التعليم العالي إلا ترسيخ ثقافة الإتصال لجميع وسائله كونه أمرا حتميا يفرض دفع الخطى في سبيل تفعيل إستخدام هذه الآلية المهمة المتمثلة في الإتصال بالجامعة خاصة على المستوى الخارجي لربطها بمحيطها، من أجل التنمية الشاملة والمستدامة والمواكبة العالمية وبذلك تقوم مؤسسات التعليم العالي بتحسين من صورتها وتقوم بتعزيزها وتبرز معالم الجامعة المتميزة ،مستخدمة في ذلك

عديد الأدوات والقنوات والوسائل الإتصالية التي تساعد على تنمية وبناء صورة جيدة(بوهدة،2020)، وقد بينت «منى بوازدية «في مقالها بعنوان «فعالية الإتصال وبناء السمعة المؤسسة الجامعية «المنشور في مجلة أنثروبولوجيا الأديان العدد 20 يناير 2018،حيث ذكرت أن الجامعات اليوم تسعى لإستغلال الوسائل الإتصالية والتكنولوجية المختلفة والمتقدمة في تعاملاتها وممارساتها لأنشطتها مع جماهيرها ،وخاصة الحديثة منها كالمواقع الإلكترونية، شبكات الإنترنت بصفة عامة التي جعلت هناك مرونة وشرعية في نقل المعلومات والتواصل بين الجامعة وجماهيرها وهدفها الأخير هو بناء سمعة وصورة الجيدة للمؤسسة في وسطها ومحيطها (بوازدية،2018) وفي ذات السياق تحدثت حنان منصور عن الإتصال المؤسساتي كرافد لتحسين صورة المؤسسة، المدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام حيث بينت وسائل الإتصال المرتبطة بالإتصال في المؤسسة، والتي تعمل على تحسين صورتها لدى جماهيرها كالعلاقات العامة، الأبواب المفتوحة، المطبوعات الإشهارية، المواقع الإلكترونية واللوحات الإعلانية اللوحات الإلكترونية واللوحات الإعلانية، الدعاية والحملات الإعلامية حيث تستخدم وتحاول التنسيق بين مختلف أصحاب المصلحة وتكييف الوسائل لتحسين صورتها الداخلية والخارجية(منصور،2017).

خاتمة

في الأخير نخلص إلى التأكيد على أهمية الإتصال في المؤسسة وضرورة إستغلاله بشكل جيد، بإعتباره وسيلة مهمة في تسيير أنشطة المؤسسات الجامعية التي تعد قمة الهرم التعليمي، حيث تخدم كافة عناصر المجتمع بمختلف أشكالها وتخصصاتها، وبهذا فهي تساهم في تطوير وإرتقاء أفراد المجتمع، لذلك فإنها تسعى لتحقيق أهدافها العامة والخاصة قصيرة أو طويلة المدى، من خلال مختلف الوظائف الإدارية التي تساهم في إستمرار المؤسسة وتماسكها كالتنظيم، القيادة، التنسيق، الصيانة، الإنتاج والإبداع بالإضافة إلى الأهداف الوظيفية، بناء العلاقات مع جمهورها الداخلي والخارجي، وأهداف التنمية وإدارة التغيير كل هذه الوظائف تمهد للمؤسسة الجامعية أرضية صالحة لتفعيل المخططات الإتصالية والإستراتيجيات والأشكال الإتصالية التي تحددها المؤسسة بإستخدام الوسائل الإتصالية والقنوات الداعمة لها، من أجل نشر رسائلها وخلق صورة طيبة تعزز من خلالها سمعتها إذ أصبحت الصورة الذهنية للمؤسسات الجامعية يتخذونها كأساس للتفكير الإستراتيجي القائم على التنظيم المخطط له، ويتم إستعمالها كوسيلة لضمان موقع إستراتيجي بين جماهيرها المختلفة سواء الداخلية أو الخارجية، وتسعى من خلال ذلك لبلوغ صورة مثلى، حيث تسعى الجامعة اليوم بلوغها في ظل التطورات التي تطرأ عليها مبينة مكونات صورة المؤسسة الجامعية الجيدة والدور الريادي الذي تسعى إليه مع تحديد مؤشرات الجامعة المتميزة حتى تظهر لجمهورها في أحسن صورة وتحاول من خلال جهودها ونشاطاتها اليومية المحافظة على هذه الصورة تثبيتها لدى جمهورها، بالإضافة إلى إنتقالها إلى مرحلة جديدة من التطور، حيث إ نتقلت الجامعات إلى ما يسمى بنظام الرقمنة كإستراتيجية جديدة تنافس من خلالها الجامعات الدولية من خلال إرازها في أحسن صورة وضمن المعايير العالمية لتعليم عالي مميز.

المراجع

1. البادي، محمد. (2016). علم العلاقات العامة إلى أين؟ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة.
2. سبع، فضيلة. (2021). الحقول العلمية للإتصال الشامل دراسة نظرية حول الإتصال المؤسساتي. مجلة معارف المجلد 16 العدد 1 جوان.
3. عبد الكافي، إسماعيل عبد الفاتح. (2019). ط 1. المكتب العربي للمعارف.
4. جبر سعيد، سعاد. (2008). سيكولوجية الإتصال الجماهيري. ط1. عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي. عمان الأردن.
5. ختيم محمد العيد: (2009). «إدارة الجودة الشامل وإستراتيجية المؤسسة دراسة ميدانية لمؤسسة سونلغاز، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير)»، تخصص إستراتيجية، كلية العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة محمد

بوضياف لمسيلة غ منشورة.

6. باقر موسى، (2014). الصورة الذهنية في العلاقات العامة. ط1. نبلاء ناشرون وموزعون. عمان. الأردن.
7. . عيسى بوكرموش، (2013/2012). إستراتيجيات الإتصال في الحملات الإعلامية دراسة وصفية لإستراتيجيات التوعية المرورية ولاية غرداية. نموذجا رسالة لنيل (شهادة الماجستير). علوم الإعلام والإتصال. فرع إتصال إستراتيجي. قسم الإتصال. كلية الإعلام والإتصال. جامعة الجزائر 3.
8. مازن سليمان الحوش، (2008) الإتصال وتأثيره على التنظيم المؤسسة الجزائرية. رسالة ماجستير كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية. جامعة الحاج لخضر باتنة. 2008.
9. رضا نعيجة، (2011/2012). التعلم التنظيمي في المؤسسات الجزائرية. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم علم الإجتماع. تنظيم وعمل. جامعة الحاج لخضر باتنة.
10. طلعت، محمود، منال. (2002). مدخل إلى علم الإتصال الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث.
11. كريمان، محمد فريد. (2012). الإتصالات المؤسسية وتحديات التغيير. جامعة القاهرة كلية الإعلام. دار النهضة العربية.
12. قاسيمي، ناصر. (2011). الإتصال في المؤسسة دراسة نظرية تطبيقية. ديوان المطبوعات الجامعية.
13. أبو إصبع، صالح خليل. (د. س). الإتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة. دار مجدلاوي لنشر والتوزيع الإسكندرية. ط5.
14. بن نوار، صالح. (2003). الإتصال الفعال والعلاقات الإنسانية. فعاليات الملتقى الوطني الثاني الإتصال في المؤسسة إشراف فضيل دليو مخبر علم الإجتماع الإتصال. قسنطينة الجزائر.
15. أحمد نصر، سام محمد. (2020). الإتصال الداخلي وتطوير المؤسسات الجامعية. المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي. جامعة عبد الحميد بن باديس. مستغانم. العدد 4. المجلد 7.
16. زيوس، سعيد، بومدفع ، الطاهر.(2020). مدى فعالية الإتصال داخل المؤسسة الجامعية ودوره في ضمان جودة التعليم العالي دراسة سوسيولوجية. مجلة العلوم الإجتماعية. المجلد 14. العدد 2 سبتمبر.
17. برباري، كمال سليماني، إلياس، نشاشدة، سارة. (2018). دور الجامعة في تحقيق التنمية المستدامة وخدمة المجتمع المحلي. فعاليات الملتقى الدولي الجامعة والانفتاح على المحيط الخارجي. جامعة 8ماي .1945 قالمة. الجزائر.
18. خالد درار عبد الملك الدناني. (2020). العلاقات العامة الأسس النظرية والممارسات المهنية. ط1. دار أسامة لنشر والتوزيع نبلاء ناشرون وموزعون. الأردن. عمان.
19. محمد رافع لابد الراوي. (2020). الصورة الذهنية لجامعة الأنبار لدى الكادر التريسي العامل فيها ودورها في تعزيز الرضا الوظيفي. مجلة المعارف الجامعة. قسم العلوم المالية والمصرفية. كلية الإدارة والإقتصاد. جامعة الفلوجة. العراق. المجلد 30. العدد1 .
20. كملاوي، حميد، بوعزيز، ناصر، (2018). الجامعة والإنفتاح على المحيط الخارجي الإنتصارات والرهانات فعاليات الملتقى الدولي الجامعة والإنفتاح على المحيط الخارجي جامعة 8ماي 1945 قالمة. الجزائر.
21. يسرى، حسني. (2015). العلاقات العامة والدبلوماسية الشعبية. ط1. أطلس للنشر والتوزيع، القاهرة.
22. ألبرت، اماني. (د.س). ترجمة محمد ياسمين، نظريات ونموذج في العلاقات العامة والتسويق. عالم الكتب. القاهرة.
23. خلف، لافي، الحلب، الحماد. (2015). الصورة الذهنية لرجل الأمن لدى الرأي العام الأردني. ط1. دار كنوز المعرفة. عمان.
24. أحمد الإمام، أمال نجيب. (2021). توظيف تكنولوجيا الاتصال في إدارة الصورة الذهنية في المؤسسات التعليمية في جمهورية مصر العربية. مذكرة ماجستير. قسم العلاقات العامة والإعلان. كلية الإعلام. جامعة القاهرة.
25. عبد الله، عقيلان. (2015). إدارة العلاقات العامة. ط.1 دار المعتز. الأردن عمان.
26. عبد الله، هلال، طارق، عثمان، (2020). أثر العلاقات العامة في بناء الصورة الذهنية دراسة تطبيقية على العاملين ببنك النيل السودان. مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية. المجلد .19 العدد3 .

27. بلال، خلف السكرانة. (2012). أخلاقيات العمل وأثرها في الصورة الذهنية في المنظمات الأعمال. جامعة الإسراء. كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، قسم إدارة الاعمال.

28. ناصر دادي. عدون. (2004) الإتصال ودوره في كفاءة المؤسسة الإقتصادية، دراسة نظرية وتطبيقية (الجزائر دار المحمدية.

29. هاريسون، دفيد، (2009). ترجمة ناطور علاء الدين، الإدارة الإستراتيجية والتخطيط الإستراتيجي. عمان. دار زهران.

30. شكر كر، عبد السلام. (2019). أهمية الإستراتيجية الإتصالية المعلوماتية للمنشاة الصناعية، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والإتصالية المجلد 6، العدد 2.

31. عواج، سامية. (2020). الإتصال في المؤسسة المفاهيم-المحددات-الإستراتيجيات عمان، مركز الكتاب الأكاديمي.

23. قبايلي، حياة. (2007). إستراتيجيات الإتصال الداخلي في المنظمة. مذكرة ماجستير في العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير، جامعة بوقرة بومرداس، الجزائر.

33. حسين العشري، إيمان سامي. (2019،2020). الإستراتيجيات الإتصالية للعلاقات العامة في إدارة سمعة المؤسسات السعودية. دراسة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الإعلام قسم العلاقات العامة والإعلان. جامعة القاهرة.

43. عرايبية ، محمد كريم، نواري، أمال. (2021). لمحات حول الإتصال الحدثي. دراسة في الأشكال والتقنيات. مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية. المجلد 11.

53. رقاني، أيوب. أثر الحدثي على تفعيل العلاقات الحوارية دراسة ميدانية بالمؤسسة المتحفية أحمد باي قسنطينة. مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية.

36. الطاهر، أجغيم. (2005،2006). واقع الإتصال في المؤسسات الجزائرية جامعة منتوري وباجي مختار نموذجا في رسالة لنيل شهادة الدكتوراه. دولة علم إجتماع التنمية.

37. شهرزاد، بوهدة. (2020). الإتصال الخارجي أداة لتعزيز علاقات مؤسسات التعليم العالي مع محيطها الخارجي. قراءة لبعض نماذج من مؤسسات التعليم العالي الجزائرية. مجلة العلوم الإنسانية. المجلد 9. العدد 1.

38. منى، بوازيدية. (2018). فعالية الإتصال وبناء السمعة المؤسسية الجامعية. مجلة أنثروبولوجيا الأديان. العدد20.

39. حنان، منصور. (2017). الإتصال المؤسساتي كرافد لتحسين صورة المؤسسة. مجلة الحوار الثقافي. المجلد 6. العدد 2 .

40. بريزة بوزعيب. (2022). الرقمنة ودورها في عصرية التعليم العالي في الجزائر. مجلة جودة الخدمة العمومية للدراسات السوسيولوجية والتنمية الإدارية. المجلد 5. العدد 2.

41. بلول فهيمة. (2023) . رقمنة قطاع التعليم العالي في الجزائر: هل سيتحقق شعار صفر ورق في الجامعة الجزائرية؟ مجلة المفكر. المجلد 18. العدد 01.

42. محمد ناصر بلخيري. (2023). أين وصل مشروع الرقمنة في الجامعات الجزائرية. تم الإطلاع عليه: 2023/11/04 على الرابط التالي:https://ozarab.media/.

43. Coffman, Julia.2004((. Strategic Communications Audits Prepared for Communications Consortium's Media Centre

44. Michael Armstrong :STRATEGIC, HUMAN RESOURCE MANAGEMENT A GUIDE TO ACTION 4TH EDITION،KOGAN PAGE London and Philadelphia 2008

45. Catherine Mocellin .(2017) . Partie I. Maîtriser les aspects techniques de la numérisation. https://books.openedition.org/pressesenssib/423?lang=fr

Communication strategies to improve the image of university institutions

Abstract

This paper aims to identify communication in the university institution in terms of objectives, strategies, communication schemes as well as means, and the extent to which it contributes to building and improving its image among its audiences As a centre for intellectual radiation and scientific enlightenment, it is also an active developmental driver at the level of various elements of society, in the pursuit of its planned objectives, communicating its mission and the orderly functioning of its functions and prominence as a distinguished university leading its fields, and in order to adapt the various resources available. (Material and human) In order to reach the optimal picture that it seeks to attain, our study began from the problematic: What communication tools and strategies are being adopted by university institutions to improve their image? In order to answer these forms, our study relied on the descriptive curriculum for its compatibility, objectives and nature. The latter seeks to describe communication activities in university institutions and highlight their importance in the interdependence of their functions and try to interpret and analyze their possibilities so that they appear to their audiences at best. The main elements of the article were discussed according to previous relevant studies.

Keywords
communication strategy
means
enterprise image
institution
university institutions

Stratégies de communication pour améliorer l'image des institutions universitaires

Résumé

Ce document vise à identifier la communication dans l'établissement universitaire en termes d'objectifs, de stratégies, de systèmes de communication ainsi que de moyens, et la mesure dans laquelle elle contribue à la construction et à l'amélioration de son image auprès de ses publics. En tant que centre de rayonnement intellectuel et d'illumination scientifique, elle est également un moteur actif du développement au niveau de divers éléments de la société, dans la poursuite de ses objectifs prévus, en communiquant sa mission et le fonctionnement ordonné de ses fonctions et de sa notoriété en tant qu'université distinguée menant ses domaines, et afin d'adapter les diverses ressources disponibles. (Matériel et humain) Afin d'atteindre l'image optimale qu'elle cherche à atteindre, notre étude part de la problématique : Quels outils et stratégies de communication sont adoptés par les institutions universitaires pour améliorer leur image ? Pour répondre à ces formulaires, notre étude s'est appuyée sur le curriculum descriptif pour sa compatibilité, ses objectifs de recherche et sa nature. Ce dernier cherche à décrire les activités de communication dans les établissements universitaires et à souligner leur importance dans l'interdépendance de leurs fonctions et tente d'interpréter et d'analyser leurs possibilités afin qu'elles puissent apparaître à leurs publics au mieux.

Mots clés
Ath warthirane (Beni warthilan)
voyage el warthilani
société
Constantine

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة

Attitudes of teachers of primary education towards the development of skills of readiness to learn to read

د.مريم ضبع [1]
Dr. Meriem Dabaa
جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر
mede1978@gmail.com

أ.د. أم الخير بن شنه
Pr. Oun El Khir Ben Chena
جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر
mede1978@gmail.com

ملخص

تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف على اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة للتلاميذ، وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على اتجاهاتهم في المجالات التالية: - مهارة النطق الصحيح والسليم - مهارة الربط بين شكل الحروف وأصواتها - مهارة الحركة، كأساليب في تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة، من خلال استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وبالاعتماد على استبيان مكون من 20 بندا كأداة لجمع المعلومات، وقد بلغ حجم العينة 100 أستاذا.

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2019-05-09
تاريخ القبول 2024-02-25

الكلمات المفتاحية
الاتجاهات
المهارات
الاستعداد للقراءة

مقدمة

القراءة بوابة العلوم ومفتاح تحصيلها، فلقد كانت ولا تزال تحظى باهتمام كامل أطياف المجتمع من علماء ومفكرين وواضعي برامج ومدرسين وأولياء.ويتزايد الاهتمام بها لأهميتها في الحياة عامة والدراسية خاصة ولهذا كان لزاما على المنشغلين بها أن يدركوا أن تعلمها لا يبدأ فقط بالتحاق الطفل بالمدرسة بل يحتاج إلى تعلم مهارات مهيأة لها تسمح له بتعلمها بيسر. فقد أظهرت الدراسات بان إكساب الطفل مهارات الاستعداد للقراءة في مرحلة الطفولة يقيه من خطر الوقوع في فئة الأطفال المعرضين لصعوبات القراءة (بن عبد الله الشريف، 2007، ص 63).

فالطفل يتعلم القراءة عندما يدرك العلاقة بين الرموز المكتوبة والخبرة ولغة الحديث وكلما عرف الأطفال أكثر عن عالمهم، كان من السهل عليهم القراءة والتعلم عند وصولهم المدرسة، أي أن تعلم الأطفال من محيطهم يكسبهم لغة تسمح لهم فيما بعد باستغلالها في تعلم القراءة. حيث أن وجود المفردات في القاموس الذهني للطفل تسهل له عملية قراءة هذه الأخيرة.

وتشير دراسة شاتشنايدر وآخرون (2004) إلى أن المهارات الهامة في مرحلة الروضة والتي من خلالها يمكن التنبؤ بالانجاز في القراءة في الصفوف الأولى هي: تسمية الحروف، تمييز أصوات الحروف، مهارات الإدراك الصوتي والتميز الصوتي. (صومان، 2014، ص:10).

كما يشير الباحث انه يوجد ارتباط قوي بين البدء بتعلم القراءة والوعي الصوتي ويذكر أن الدراسات أثبتت أن لأنشطة الوعي الصوتي أثرا ايجابيا في تعلم القراءة. فمرحلة ما قبل المدرسة تهيئ للقراءة لذا وجب علينا أن نكسب الطفل فيها مهارات أهمها: مهارة التحدث والتعبير، مهارة التمييز البصري والسمعي ومهارة الوعي الصوتي وغيرها من المهارات الأخرى.

ومن ثم كان لزاما على معلمي المرحلة الابتدائية معرفة أهمية هذه المهارات قبل تطبيقها وإكسابها للطفل في هذه المرحلة، وتتأثر اتجاهات المعلمين نحو تدريس وإكساب هذه المهارات للطفل بالمعرفة الجيدة لأهمية هذه الأخيرة فكلما كانت المعرفة صحيحة وعلمية، كلما كانت اتجاهات المعلمين إيجابية، وكان الإقبال على تدريس هذه المهارات أكبر.

إن معرفة مهارات استعداد الطفل للقراءة يستوجب معرفة المراحل التي يمر بها الطفل لتعلم القراءة، ومعرفة مختلف المهارات التي على الطفل إتقانها قبل بدء القراءة من تحدث وتعبير وتركيب لجمل بسيطة ومفهومة، ومهارة التمييز البصري لما يرى والتمييز السمعي لما يسمع، أضف الى ذلك مهارة الانتباه والتذكر لما لها من أهمية في عملية القراءة والاستعداد لها.ومهارة الوعي الصوتي التي ترتكز عليها اغلب المهارات والتي تعتبر الأهم في تعلم القراءة.

1 المؤلف المراسل

تعتمد اتجاهات معلمي المرحلة الابتدائية على مدى معرفتهم بهذه الأخيرة ومدى قدرتهم على تنويع نشاطات حول هذه المهارات، ومدى تفهمهم للاختلافات المتواجدة لدى أطفال الابتدائي في تعلم كل مهارة.

غير أنه هناك غموضا يكتنف عملية إكساب الطفل هذه المهارات واختلافا في اتجاهات الأساتذة نحو طريقته، ومن هذا المنطلق طرحنا التساؤل العام التالي: - ما هي اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة.

في هذا المقال سنتعرف على اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد للقراءة بصفة عامة، كما سنتطرق إلى معرفة اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تدريس وتنمية كل مهارة على حدة، هل هي ايجابية أم سلبية وقد تم التركيز على المهارات التالية: مهارة النطق السليم والصحيح، مهارة الربط بين شكل الحروف وأصواتها، ومهارة الحركة. وهل تتأثر هذه الاتجاهات ببعض المتغيرات كمتغير الخبرة المهنية لأستاذ التعليم الأساسي ومتغير الجنس لهذا الأخير.

1–الإطار العام للدراسة

1–1–التساؤلات الفرعية

- ما هي اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تطبيق مهارة النطق الصحيح والسليم.
- ما هي اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تطبيق مهارة الربط بين شكل الحروف وأصواتها.
- ما هي اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تطبيق مهارة الحركة.
- هل توجد فروق بين اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الخبرة المهنية.
- هل توجد فروق بين اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الجنس

1–2–الفرضيات الجزئية

- اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تطبيق مهارة النطق الصحيح والسليم ايجابية.
- اتجاهات أساتذة التعليم المتوسط نحو تطبيق مهارة الربط بين شكل الحروف وأصواتها ايجابية.
- اتجاهات أساتذة التعليم المتوسط نحو تطبيق مهارة الحركة ايجابية.
- توجد فروق بين اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الخبرة المهنية.
- توجد فروق بين اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الجنس

1–3–أهداف الدراسة

هدفت الدراسة إلى ما يلي:

- التعرف على اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تطبيق مهارة النطق الصحيح والسليم
- التعرف على اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تطبيق مهارة الربط بين شكل الحروف وأصواتها ايجابية - التعرف على اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تطبيق مهارة الحركة ايجابية..

1–4–أهمية الدراسة

أنها من الدراسات الأولى محليا في حدود اطلاع الباحث، التي تتناول اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة

تقديم معلومات واقتراحات قد تساعد في تحسين اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة.

1–5–دراسات مرتبطة بالموضوع

تعددت الدراسات التي تناولت موضوع الاستعداد القرائي ومهاراته، فكان منه ما يتعلق بالتعرف على هذه المهارات وقياس الاستعداد للقراءة، ووضع برامج لتنمية هذه المهارات، كما تناولت دراسات أخرى مدى معرفة المعلمين بهذه المهارات لان المعرفة تساعد على تحديد ما يحتاج الطفل ومن ثم تنمية هذه المهارات عن طريق تنويع النشاطات التربوية والتعليمية التي تخدم هذه الأخيرة.

وفيما يلي عرض لبعض الدراسات التي تناولت الموضوع من الجوانب السابقة ذكرها.

-دراسة (خضر، 1996) بعنوان «قياس الاستعداد للقراءة لدى الأطفال من عمر (5-6) سنوات:

هدفت الدراسة إلى قياس الاستعداد للقراءة أطفال رياض القطاع العام بمدينة دمشق واستخدم اختبار الاستعداد القرائي المكون من اختبار التمييز البصري والتمييز السمعي والفهم والمعلومات وكشفت الدراسة عن وجود ضعف في

الاستعداد القرائي لدى هؤلاء الأطفال وأكدت الباحثة في توصياته على ضرورة وجود مرحلة الاستعداد القرائي في رياض الأطفال. (سحر بن ناصر ،2007).

-**دراسة (بلاشمان ،2000)** هدفت الدراسة إلى معرفة أثر تنمية الوعي الصوتي في مرحلة الطفولة المبكرة على البدء في تعلم القراءة. وخلصت الدراسة إلى إثبات وجود ارتباط قوي بين البدء في تعلم القراءة والوعي الصوتي وكذلك وجود علاقة متبادلة بين القدرة على الاكتساب المبكر لمهارة القراءة وبين مهارة الوعي الصوتي وتعود هذه العلاقة إلى الدور المهم الذي يؤديه استخدام مفردات تتميز بالسجع مما يسهل عملية تعلم القراءة والكتابة (أحمد صومان ،2013، ص:799).

-**دراسة (موريس وبلودفود،2003)** هدفت إلى تحديد قائمة شاملة بمهارات ماقبل القراءة في مرحلة الروضة التي يمكنها التنبؤ بالقدرة على القراءة في نهاية الصف الأول والثاني أساسي، وتوصلت الدراسة إلى تحديد أربعة مهارات لها القدرة على التنبؤ بالنجاح في القراءة وهي كالتالي:

-مهارة التعرف على الحروف.

-مهارة التعرف إلى الكلمة داخل الجملة.

-مهارة تهجي الحرف الأول والأخير من الكلمات.

-التعرف غلى بعض الكلمات التي تم تعليمها للأطفال.

-وفي **كتابه «تنمية مهارات القراءة والكتابة»**، أكد حاتم البصيص على ضرورة الاهتمام بالمهارات اللغوية الأساسية في المراحل التعليمية الأولى وفي مقدمتها النطق الصحيح للأصوات والتمييز بين المتشابه منها والمتقارب والتركيز على الجانب الصوتي للغة (حاتم البصيص ،2011، ص 25).

من هذه الدراسات وأخرى، يمكن استخلاص مايلي :

ضرورة تحديد هذه المهارات والكشف عنها من خلال إعداد المقاييس والاختبارات اللازمة.

تدريب المعلمين على الإلمام بالمفاهيم المرتبطة بالاستعداد القرائي وتطوير الأداء لديهم في تنمية هذه المهارات من خلال تزويدهم ببرامج متنوعة ووسائل حديثة.

2–الإطار النظري

2–1–الاتجاهات

2–1–1– مفهوم الاتجاهات

تعددت تعار يف الاتجاهات تعددا كبيرا، واختلفت فيما بينها اختلافا كبيرا وهذا الاختلاف مرده الإطراء لأصحاب هذه التعاريف.

يعرف ألبورت (1935) ALBORT الاتجاه بأنه « حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي والنفسي، تنتظم من خلاله خبرة الشخص، وتكون ذات تأثير توجيهي أو دينا مي على استجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف التي تستشير هذه الاستجابة.

فألبورت يرى أن الاتجاه استعداد يتكون من خلال تجارب الفرد وخبراته، والذي يؤثر في سلوكه واستجاباته للموضوعات والمواقف البيئية المختلفة. عبد الفتاح دويدار، 1994 عن (معمري ،2008، ص 29)

الاتجاه النفسي هو مجموعة استجابات القبول أو الرفض إزاء موضوع اجتماعي جدلي، ومعنى ذلك أنه نزعة إلى الشعور والتفكير والفعل بطريقة معينة، وتعتبر المعتقدات والآراء والقيم والتعصبات أنواع معينة من الاتجاهات النفسية الاجتماعية متعلمة أو مكتسبة وليست موروثة أو فطرية، ويبدأ تعلمها في مرحلة الطفولة المبكرة. (جابر، 1985)

كذلك يعرفه بوجاردوس (1931) Bogardus بأنه: «الميل الذي يوجه السلوك قريبا من بعض عوامل البيئة أو بعيدا عنها، ويضفي عليها معايير موجبة أو سالبة تبعا لجاذبيتها أو النفور منها ». نلاحظ من هذه التعاريف أنها اعتبرت الاتجاهات بمثابة ميل أو نزوع للاستعداد نحو الاستجابة، وأنها موجهة للسلوك المرتبط بالبيئة، كما تضفي على الاتجاه المعايير الاجتماعية، سواء كانت ايجابية أو سلبية، والتي ترتبط بمدى قرب أو بعد الاتجاه عنها. (ظرفان، 2003).

لذلك من خلال ما سبق، يلاحظ أن الاتجاهات تلعب دورا مهما في استجابات الأفراد المختلفة للمثيرات، التي يتعرض لها الإنسان في حياته، حيث أن الاتجاهات تنظم العمليات الانفعالية والإدراكية والمعرفية، وتعمل على أن يقوم الفرد باتخاذ السلوك الملائم والمناسب. وتعمل على توجيهه في هذا الجانب، وتساعده على اتخاذ القرارات المناسبة في المواقف المختلفة. (ظرفان، 2003).

2–2–مراحل تكوين الاتجاهات

يتكون الاتجاه عند الفرد وينمو ويتطور من خلال تفاعل هذا الفرد مع محيطه بعناصره ومقوماته وأصوله، وبهذا المعنى يصبح الاتجاه في حد ذاته سلبيا أو ايجابيا هو دليل على نشاط الفرد وتفاعله مع محيطه، وعلى هذا الأساس فعملية تكوين الاتجاهات لدى الفرد لا تتم دفعة واحدة وإنما تمر عبر مراحل ذكرها (الزغبي) على النحو التالي:

2-2-1-**المرحلة الإدراكية المعرفية**

يدرك الفرد موضوع الاتجاه من خلال اتصاله واحتكاكه بالبيئة الطبيعية والاجتماعية المحيطة به، فيبدأ بالميل إلى تكوين اتجاهات نحو الأشخاص كالإخوة والأصدقاء وبعض الأشياء مثلا.

2-2-2-**المرحلة التقييمية**

: يبدأ الفرد بإجراء عمليات تقويمية مستمرة لخبراته المكونة لإطاره المرجعي، والتي اكتسبها من خلال تواصله مع الأشخاص الآخرين أو الموضوعات، وفي هذه المرحلة يتجلى الاتجاه على شكل ميل نحو ما أدركه في المرحلة السابقة سواء بالسلب أو الإيجاب

2-2-3-**المرحلة التقريرية**

ويرى ألزغبي (1999) أنها آخر مرحلة يتم إصدار القرار على نوعية علاقته بهذه العناصر والمثيرات، وتعتمد هذه المرحلة على مدى استقرار وثبات الميل والتفضيل الذي كونه الفرد عن الأشخاص والموضوعات الموجودة في محيطه، وفي هذه المرحلة يكون الاتجاه النفسي لدى الفرد قد تكون وتطور حتى يصل إلى الصورة الأخيرة التي يستقر عليها سواء كان الاتجاه ايجابيا ام سلبيا. (حدبي، 2011)

2-3-علاقة بعض المفاهيم النفسية بالاتجاهات

2-3-1-**الاتجاه و الرأي**

يرى محفوظ (1999) أن الرأي يشير إلى التعبير اللفظي الذي يعتنقه الفرد، حيث أنه يعبر عن موقف محدد نحو موضوع أو مشكل ما قد ينتهي بانتهاء هذه المشكلة، أما بالنسبة للاتجاهات فيبقى دورها في التأثير على سلوك الإنسان بغض النظر عن الموضوع أو المشكلة. (صافي، 2012)

2-3-2-**الاتجاه والاهتمام**

تعد الاهتمامات أكثر تحديد وخصوصية من الاتجاه، وغالبا ما تكون موجبة، في حين أن الاتجاهات قد تكون موجبة أو سالبة أو محايدة. (نفس المرجع، ص23)

2-3-3-**الاتجاه والعاطفة والتعصب**

تقتصر العاطفة على الجانب الشعوري الوجداني، إضافة إلى أنها شخصية وذاتية، بينما يقوم التعصب على أساس شحنة انفعالية عادة ما تكون جد مبالغ فيها لدرجة أنها تجعل الفرد لا يستطيع توخي الحذر والموضوعية والمنطق في تفكيره، وإصدار أحكامه على الأشياء، أما الاتجاه فهو أكثر موضوعية إذ يحتوي على جوانب عقلية ومعرفية وإدراكية وسلوكية.

2-3-4-**الاتجاه والقيم**

يرى أوبنهام (oppenheim (1970: أن الاتجاه عبارة عن مجموع الآراء المتراكمة حول قضية أو موضوع ما خلال حياة الفرد، وتتكون القيمة نتيجة ترابط الاتجاهات وبعد ثباتها. بوظريفة وآخرون، 2008. (نفس المرجع، ص24)

2-3-5-**الاتجاه والاعتقاد**

الاعتقاد هو ميل إلى فعل يعتمد عليه الفرد في الاستجابة، أما الاتجاه فهو وصف للشيء أو الموقف تبعا للقبول أو الرفض، فهو عبارة عن إحساس تجاه بعض الموضوعات

2-3-6- **الاتجاه والسلوك**

قد لا يعكس السلوك بالضرورة الاتجاه الحقيقي للفرد إذا كان الاتجاه من النوع السر، إلا أن هذا لا يعني أن الاتجاه لا يكمن في كثير من الأحيان وراء سلوك معين. عبد الفتاح دويدار،1999. (نفس المرجع، ص25)

2-4-طبيعة الاتجاهات

الاتجاه هو أسلوب منظم متسق في التفكير والشعور ورد الفعل تجاه الناس والجماعات والقضايا الاجتماعية، أو اتجاه أي حدث في البيئة بصورة عامة.

والمكونات الرئيسية للاتجاهات هي الأفكار، والمعتقدات، والمشاعر أو الانفعالات، والنزعات غلى رد الفعل، ويمكننا القول بأن الاتجاه قد يتشكل عندما تترابط هذه المكونات إلى حد أن ترتبط هذه المشاعر المحددة والنزعات إلى رد الفعل بصورة متسقة مع موضوع الاتجاه، وتنشا اتجاهاتنا خلال التعامل مع بيئاتنا الاجتماعية والتوافق معها، وبمجرد تكوّن الاتجاهات فإنها تضفي النظام على أسلوب ردود أفعالنا وتيسر التوافق الاجتماعي، وفي المرحلة الأولى لنمو الاتجاه، يمكن أن تتعدل مكوناته من إجراء التجارب الجديدة، ولكن في مرحلة تالية قد تصبح الاتجاهات غير مرنة ونمطية، وذلك لأننا قد تشجعنا مع مرور فترات زمنية طويلة على رد الفعل تجاه أحداث وجماعات معينة بصورة مقننة، ومع رسوخ الاتجاه في الثبات نصبح أكثر استعدادا لتصنيف الأشخاص أو الأحداث إلى فئات طبق أنماط فكرية ذات صبغة انفعالية بحيث لا نعود قادرين على التعرف على الصورة الفردية أو النادرة، وتقلل الاتجاهات الثابتة أو المتحيزة من الثراء في بيئتنا وتقيّد من ردود أفعالنا.(**وليم لامبرت و ولاس لامبرت، 1989، ص114)**

2-5-مكونات الاتجاهات

ـالمكون العاطفي: يؤكد محمود السيد أبو النيل أن هذا

الجانب يمثل الاستجابة الانفعالية أو العاطفية المصاحبة للقيم تجاه مثير معين، وهذه الاستجابة قد تكون ايجابية أو سلبية، فمثلا قد يتأثر رأي المتكون بمدى فائدة برنامج التكوين بالنسبة له شخصيا، هل سيساعده في تحسين عمله ؟

ـالمكون المعرفي: وهو عبارة عن مجموعة من الحقائق والمعلومات والخبرات والمعارف التي تتصل بموضوع الاتجاه، والتي انتقلت إلى الفرد عن طريق التربية والتنشئة التي يتعرض لها، كما يشمل كل ما لدى الفرد من حجج تقف وراء تقبله لموضوع الاتجاه.

ـالمكون السلوكي: يتضح المكون السلوكي للاتجاه في الاستجابة العملية نحو موضوع الاتجاه بطريقة ما، فهي تعمل كموجهات لسلوك الإنسان تدفعه إلى العمل على نحو سلبي أو ايجابي نحو هذا الموضوع.

2–6–أنواع الاتجاهات

يرى محمد الصيرفي (2005) أن هناك عدة معايير لتقييم الاتجاهات وذلك على النحو التالي:

2–6–1–حسب الموضوع: (عام، نوعي)

الاتجاه العام ينصب كلية على الموضوع بغض النظر عن كونه موجبا أو سالبا،

فاتجاه الفرد نحو مؤسسة معينة يتناول جميع عمالها وعلاقات العمل داخلها، وطرق التنظيم والتسيير بها، ويتميز بأنه أكثر ثباتا واستقرارا من الاتجاه النوعي الذي ينصب على جزء من تفاصيل الموضوع أو المدرك دون جزء آخر، أقل ثباتا، فهو إما أن يتلاشى نتيجة تكوين اتجاهات نوعية أخرى، وإما أن يقوى على بقية الاتجاهات النوعية الأخرى ويتحول بذلك تدريجيا إلى اتجاه عام له صفة الثبات والاستقرار النسبي.

2–6–2–حسب درجة الشمولية: (فردي، جمعي)

الاتجاه الفردي هو ذلك الاتجاه الذي يؤكده فرد واحد من أفراد الجماعة، وذلك من ناحية النوع أو الدرجة أو الاتجاه، أما الاتجاه الجمعي فهو ذلك الاتجاه الذي يشترك فيه عدد كبير من أعضاء الجماعة.

2–6–3– حسب الظهور: (علني، سري)

الاتجاه العلني هو ذلك الاتجاه الذي يستطيع الفرد إظهاره بدون حرج أو تحفظ وغالبا ما يكون هذا الاتجاه متفقا مع معايير الجماعة ونظمها وقيمها، بينما الاتجاه السري فهو ذلك الذي يحرص الفرد على إخفائه وعدم إظهاره بل يميل إلى إنكاره، وغالبا ما يكون هذا الاتجاه غير منسجم مع قوانين الجماعة ونظمها وقيمها. كامل عويضة، 1996 عن **(حمزة معمري، 2008، ص 35)**

2–6–4– من حيث الهدف: (ايجابي، سلبي)

يطلق على الاتجاه لفظ ايجابي إذا كان ينحو بالفرد اتجاه الموضوع ويقربه منه، أما إذا كان ينأى بالفرد عن الموضوع ويبعده عنه فيسمى اتجاها سلبيا.

2–6–5–حسب الشدة: (قوي، ضعيف)

يدل السلوك الذي يتصف بالقوة والحدة والانفعال الشديد في موقف اجتماعي خاص على اتجاه قوي ذو درجة عالية من الشدة، أما إذا كان السلوك ضعيفا وغير شديد فيدل ذلك على أن الاتجاه ضعيف. **(حمزة معمري، 2008، ص 36)**

2–7–خصائص الاتجاهات

وفقا لما سبق فإنه يوجد لدى كل فرد عدد من الاتجاهات ترتبط بموضوع، أو فكرة أو مفهوم أو شخص أو أي شيء، يتفاعل معه في بيئته الفيزيقية أو الاجتماعية ورغم هذا التنوع فإن للاتجاه النفسي عدد من الخصائص تميزه عن غيره من المتغيرات أو الظواهر النفسية الأخرى، والتي تحدد معالمه بدقة ومنها:

الاتجاهات مكتسبة متعلمة وليست وراثية ولادية، فالفرد يكتسبها خلال حياته نتيجة لما يتعرض له من خبرات عديدة. عبد السلام زهران،2000عن **(نفس المرجع السابق، ص 32)**

الاتجاهات لا تتكون في فراغ ولكنها تتضمن دائما علاقة بين فرد وموضوع من موضوعات البيئة.

ت ـ الاتجاه يقع دائما بين طرفين متقابلين أحدهما موجب والآخر سالب، تأييد المطلق والمعارضة المطلقة. المعايطة خليل،2000 عن **(حمزة معمري، 2008، ص32)**

ث ـ الاتجاهات النفسية لها صفة الثبات والاستمرار النسبي، ولكن من الممكن تعديلها وتغييرها تحت ظروف معينة، وقد يبقى الاتجاه قويا ويقاوم ظروف التعديل والتغيير وهذا راجع إما لزيادة درجة وضوح معالمه عند الفرد، وإما له قيمة وأهمية كبيرة في تكوين معتقدات الفرد وشخصيته.

ج ـ الاتجاه تغلب عليه الذاتية أكثر من الموضوعية من حيث محتواه ومضمونه المعرفي

ح ـ الاتجاهات تتفاوت في وضوحها وجلائها فمنها ما هو واضح المعالم، ومنها ما هو غامض، فهناك من يكون لديه اتجاه

واضح نحو سياسة الشركة فهو يعارضها لأسباب يدركها، في المقابل هناك من لديه اتجاه موجب نحو مهنة معينة، وليس لديه مفهوم واضح عنها.

د ـ التناقض: حسب « نيوكمب « فقد تتصارع الاتجاهات الشخصية مع التوقعات الاجتماعية،

وينشأ التناقض من الصراع بين اتجاهات الشخص التي تكونت خلال خبراته الفردية والتي يجب أن يعتنقها تبعا لمعايير ثقافية، عبد الفتاح دويدار،1994عن **(مرجع سابق، ص 32)**

2–8–وظائف الاتجاهات

يقول لامبرت و لامبرت: تلعب الاتجاهات دورا أساسيا في تحديد السلوك فهي تؤثر في الحكم، وفي الإدراك كما تؤثر في فعالية التعليم وتساعد في تحديد الجماعات

التي يرتبط بها الفرد والمهن التي يختارها ويمكن إجمال وظائف الاتجاهات في أربع نقاط وهي:

2–8–1–وظيفة نفعية

عندما يتبنى الفرد اتجاها معينا فذلك لأن هذا الاتجاه يحقق له منفعة دون سواه من الاتجاهات « إذ تعمل اتجاهاتنا غالبا في إشباع كثير من الدوافع والحاجات النفسية والاجتماعية، ومن هذه الحاجات الحاجة إلى التقدير الاجتماعي

والقبول والحاجة إلى الانتماء والمشاركة الوجدانية، فالإنسان لا يستطيع أن يكون عضوا في جماعة دون أن يتبنى اتجاهاتها. وهو بدوره لا يتبنى اتجاها ليس من ورائه منفعة».عبدالرحمان عيسوي ،1974 عن **(رمضان عمومن، 2005، ص44)**

2–8–2–وظيفة تنظيمية اقتصادية

يقول مالك سليمان أن الاتجاهات تيسر للفرد القدرة على التعامل مع المواقف السيكولوجية المتعددة على شكل من الاتساق والتوحيد دون تردد أو تفكير في كل موقف وفي كل مرة تفكيرا مستقلا، فدرجة التعميم التي يرقى إليها الفرد تتيح له فرصة اختصار زمن اتخاذ القرارات اعتمادا على اتجاهاته.

2–8–3–وظيفة دفاعية

إن الاتجاه كثيرا ما يعكس تبرير نشأ عن أحاسيس بالفشل والصراع ومعنى هذا أن حاجة الإنسان لتبرير تصرفاته تؤدي إلى نشأة الاتجاهات المعادية في كثير من الأحيان، ولذلك غالبا ما ترتبط اتجاهات الفرد بحاجته ودوافعه أكثر من ارتباطها بالخصائص الموضوعية لموضوع الاتجاه. مالك سليم، 1982 عن **(نفس المرجع السابق، ص 44)**

وهذا ما يحدث عادة عندما يحس العامل بفشل في عمله يرجع ذلك إلى خلل في طرق التسيير والإشراف من طرف المسيرين.

2–8–4–وظيفة معرفية

تدفع الاتجاهات إلى الاطلاع ومعرفة الأفراد بكل ما له علاقة بمجال نشاطهم وهذا الفهم يتصل عادة بالظروف المحيطة بالنشاط، وذلك لتسهيل أدائه فالاتجاهات تدفع إلى المعرفة. **(رمضان عمومن، 2005، ص 45)**

2–9–تعديل وتغيير الاتجاهات

نعني بتغير الاتجاهات تلك العملية التي من خلالها ينتقل الاتجاه من حالة معينة إلى حالة مخالفة لها تماما، أو متناقضة معها، أما التعديل فنعني به إدخال تصحيحات عن حالته ـ الاتجاه ـ التي كان عليها سابقا أو على درجته التي يقف مع بقاء طبيعته حسب تكوينه. عمر ماهر محمود، 1992 عن **(عبلة البحري، 2001، ص38)**

وتغيير الاتجاهات النفسية متعلقا بمدى عمق الاتجاه الذي نريد تغييره، فالاتجاهات النفسية التي تأصلت في الشخصية الإنسانية، والتي انغرست وتكونت خلال السنوات الخمسة الأولى من حياة الفرد، من الصعب تغييرها أو تعديلها إلا عن طريق بعض الوسائل الخاصة كالتحليل النفسي، إلا أنه تجدر الإشارة هنا أن عددا كبيرا من اتجاهات الفرد تصدر عن المواقف التي مر بها الفرد خلال مراحل لاحقة، كأن يكون ذلك نتيجة انتمائه لجماعة عامة، كالفصل المدرسي، جماعة ثقافية، العمل...إلخ، ومن خلال ذلك يمكن أن نستنتج عدة حقائق موضوعية وهي :

-إن الاتجاهات المنغرسة في البناء الأساسي للشخصية، كالسمات مثلا لا يمكن تغيرها بالوسائل العادية.

-إن تغيير اتجاهات أعضاء الجماعة قليل الجدوى، ولا بد من التعامل مع الجماعة، لأنها (الاتجاهات) تتبع الجماعة وتتصل بموقفها

إن محاولة تغيير الاتجاهات عن طريق المحاضرات أو الجدل المنطقية هو عديم الجدوى، إذا لا تؤدي إلى إحداث أي تغيير وإذا حدث تغيير فهو عرضي سريع التلاشي والزوال.

كلما كان الموقف غامضا كلما زاد قيام الاتجاهات على الانفعال وعلى أسس غير واقعية. عبد العزيز الغرباوي، 2000 عن **(عبلة البحري، 2001، ص39)**

وعلى الرغم من أن الاتجاهات النفسية يتم اكتسابها وتكوينها عن طريق عمليات التعلم، وأنها تتسم بالاستقرار والدوام

النسبي، إلا أن ذلك لا يعني استحالة تغييرها أو تعديلها، وذلك انطلاقا من أن عملية التعليم هي عملية تغيير وتعديل في سلوك الفرد، فينتج عن هذا التغيير أفكار ومعلومات واتجاهات ومهارات جديدة. **(مرجع سابق، ص 39)**

2–10–العوامل المساعدة على تغير الاتجاهات

هناك عدة عوامل تجعل تغيير الاتجاه سهلا منها:

-ضعف الاتجاه وعدم رسوخه

-وجود اتجاهات متوازية في قوتها حيث يمكن ترجيح أحدها على الآخر

-توزيع الرأي بين اتجاهات مختلفة

-عدم تبلور ووضوح اتجاه الفرد أساسا نحو موضوع الاتجاه عدم وجود مؤثرات مضادة

-وجود خبرات مباشرة تتصل بموضوع الاتجاه سطحية أو هامشية الاتجاه مثل الاتجاهات التي تتكون في الجماعات الثانوية كالنقابات والأحزاب السياسية. حامد زهران ،2000 عن **(محمد صافي ،2012، ص36)**

وفي دراسة قام بها بوظريفة وآخرون حول الاتجاهات، حاول الباحثون الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي: لماذا يغير الأفراد من اتجاهاتهم من حين لآخر؟ وقد تم التطرق لمجموعة من العوامل نذكر منها:

.التغير في المناخ الاجتماعي

كل ما يحدث في المجتمع الواحد خلال فترة زمنية معينة من تحولات سياسية واقتصادية وحضارية.

.وسائل الاتصال الجمعي والدعاية

حيث يمكن لهذه المنابر أن تؤثر تأثيرا كبيرا وعميقا في تغيير الاتجاهات كلما كان هناك جهل بالحقائق الواقعية

.القابلية للإيحاء

فالفرد لا يكتسب اتجاهاته أو يغيرها أو يعدلها عن طريق العقل أو التحليل والتفكير والتحقيق، وإنما يكون ذلك عن طريق تعرضه للتكرار وقابليته للإيحاء.

.آليات الدفاع

يرى **فرويد** أنه من السهل تغيير اتجاهات الفرد باستعمال آليات الدفاع التي تقوم بنشاطها في اللاشعور ومن بين هذه الآليات (التبرير، الإزاحة، الإسقاط، التقمص، التعويض).

. الخبرة والتجربة: للخبرة والتجربة دور مهم في تغيير الاتجاهات، خاصة الخبرات الفردية، حيث يرى عبد الرحمان محمد عيسوي (1974) أنه إذا كان لدى الفرد استعدادا نفسيا وفكريا عميقا، فان الخبرات الفردية تساعد وتساهم في تغيير الاتجاه.

.التدريب

حسب براون (1956) Brawn فإن الاتجاه بتأثر تأثيرا كبير بالتدريب وقد يساعد في ذلك استخدام المحاضرات والأفلام المتعلقة بموضوع الاتجاه.

.الألفة

حسب بروكوفيتز (1980) Berkovitz أن التعرض المستمر لمنبه ما يجعل الشخص ينجذب انجذابا موجبا نحو ذلك المنبه (الإعلانات الإشهارية)، وغالبا ما تكون النتيجة ايجابية في تغيير الاتجاه سواء كان الشخص واع أو غير واع بالمنبه أو المنتوج. بوظريفة وآخرون، 2008 عن **(محمد صافي، 2012، ص37)**

2–11–مهارات الاستعداد لتعلم القراءة

2–11–1–المفاهيم المتعلقة بالدراسة

القراءة: «عملية فكرية عقلية شديدة التعقيد، تشتمل على تفسير الرموز التي يتلقاها القارئ عن طريق عينيه وتتطلب الربط بين الخبرة الشخصية ومعاني هذه الرموز.»(عبد الخفاجي،2016، ص:15)

تتضمن القراءة عددا من العناصر التي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار عند تدريسها.

الاستعداد: يعرف الاستعداد على انه» مجموعة الخواص الموجودة عند الفرد التي تعمل على تسهيل التعلم او إعاقته.» (سليمان،2011، ص140).

الاستعداد للقراءة: يعرف الاستعداد للقراءة على انه «حالة تهيؤ من الناحية الجسمية والعقلية والانفعالية لاكتساب المهارات الأساسية اللازمة لتعلم القراءة وهي تشمل المهارات البصرية والسمعية وبعض مهارات الحديث.» (الشريف،2007، ص:64).

يعرف الاستعداد للقراءة بأنه التهيؤ للقراءة وتعرف التهيئة للقراءة على أنها «مساعدة الأطفال على القراءة وتتم بالاهتمام بقدرات الأطفال على تمييز الأصوات المؤتلفة والمختلفة وتعويدهم سماع الكلمات والجمل والمحادثة وتزويدهم تدريجيا بالألفاظ والمعاني ،وتمكينهم من التميز بين الأشياء وصورها وأشكالها وأسمائها، والكلمة وضدها والعلاقة بين الأشياء، والاهتمام كذلك بما لدى الطفل من حصيلة لفظية مشتركة كما تتم التهيئة بتدريب الأطفال على استعمال الحواس الخاصة بالقراءة والكتابة كالعينين واللسان واليد

بالشكل الصحيح». (خوندنة، 2007، ص11).

قبل التطرق إلى المهارات الممهدة للقراءة أو مهارات الاستعداد للقراءة سنعرض أولا المراحل التي تؤدي إلى الاستعداد للقراءة.

2-11-2-المراحل التي تؤدي إلى الاستعداد للقراءة

هناك ثمانية مراحل وتعرف أيضا بمراحل تطور سلوك الطفل نحو الكتاب في فترات استعداده للقراءة.

أ- مرحلة التناول باليد: تظهر في العام الأول.

ب- مرحلة الإشارة إلى الصورة: تبدأ في الشهر 15.

ت- مرحلة تسمية الأشياء: في الشهر 18 يسمي الطفل أسماء نابعة من نفسه.

ت- مرحلة حب القصص القصيرة، المصورة والملونة:تبدأ في سن العامين وهنا يركز الطفل على الصور ويقرئها.

ث- مرحلة البحث عن المعاني: تبدأ من عامين ونصف وفيها ينظر الطفل إلى الصور وكأنها حقيقية ويتفاعل معها.

ج- مرحلة سرد القصص وملاحظة الحروف: تبدأ في العام الثالث وفيها يكون الطفل قادرا على الإصغاء لقصة وتمثيلها كما يستطيع تعلم جمل مصحوبة بصور.

ح- مرحلة تمييز ما هو حقيقي وما هو خيالي: في عمر الرابعة، يدرك الطفل ما هو حقيقي وما هو خيالي بشكل أفضل.

ج- مرحلة الاستعداد للقراءة: وفيها يميز الطفل بين النص المطبوع وصور القصة، ويبدأ الطفل بتعلم القراءة بمجرد ما يبدي اهتمامه بالحروف والكلمات. (محمد سليمان، 2011، ص154).

2-11-3-المهارات المتضمنة لعملية القراءة

التعرف على الكلمة: أولى مهارات القراءة وترجع أخطاء القراءة إلى تماثل الحروف الأولى، تماثل الحروف الأخيرة، تشابه في صور الكلمات (عبد الله ومصطفى، 1994).

استخدام السياق في التعرف على الكلمة وفهمها: تعتبر هذه المهارة الموجه للتعرف على الكلمة.

والطفل في البداية يتعرف على الكلمة بالرجوع إلى حرفها الأول لذا كان من الضروري تقديم الكلمات الجديدة تدريجيا وببطء لكي يتمكن الطفل من فهم الجمل.

الذاكرة: يتعرف الطفل على الكلمة إذا تعرف عليها بصريا بمعنى أن يكون قادرا على تذكر صورة هذه الكلمة.

الفهم: الفهم هو الهدف من القراءة وأول خطوات الفهم ربط خبرة القارئ بالرمز. والفهم في القراءة هو الربط الصحيح بين الرمز والمعنى.

2-11-4-مهارات الاستعداد للقراءة

مرحلة ما قبل المدرسة تهيئ للقراءة فقبل أن يتعلم الطفل القراءة ن لا بد أن نكسبه المهارات التالية:

المهارة:هي جملة أفعال متعمدة تشتمل على سلسلة كاملة من المهارات التي تنسق عمليات التعلم بطريقة ما.(عبد الخفاجي، 2016، ص:2).

تشمل مهارات الاستعداد للقراءة، المهارات التالية:

أ- مهارات التحدث والتعبير: تساعد على تهيئة الطفل للقراءة، ومهمة، في نمو استعداد الطفل للقراءة، فكلما تحدث الأطفال أكثر كلما اتسعت مفرد اتهم وزادت معارفه.

وهناك عدة طرق لتنميتها، أهمها:

- رواية القصص بشكل تقليدي أو بشكل بطاقات.
- لوحات التحدث.
- مسرح العرائس.
- التسجيلات الصوتية وجهاز اللغة. (محمد سليمان، 2011).

ب- مهارة التمييز البصري: من أهم المهارات الممهدة لعملية القراءة، ويقصد بها «القدرة على تمييز أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين الصور والأشكال والحروف والكلمات وكذلك القدرة على تمييز الألوان والإحجام.»(عبد الخفاجي،2016، ص26).

ولتنمية التمييز البصري، تستخدم الوسائل التعليمية التالية:

- المصورات.
- الألعاب التربوية: تركيب الأحاجي.
- البطاقات: ومنها بطاقات التطابق، بطاقات التدرج، بطاقات التعرف على المكان، إكمال الناقص في الشكل، الترتيب التبعي للصور. (مطر مسافر، 2017).

ت- مهارة التمييز السمعي: لكي يتقن الطفل القراءة، يحتاج أن يميز الأصوات، لذا فمن المهم تدريبه على الانتباه والتركيز، وقد يساعد على ذلك نطق الكلمات ببطء شديد وبصوت واضح والوقوف عند نهاية الكلمات المألوفة ليقوم الطفل بتكملتها.

ث- مهارة النطق الصحيح والسليم: يساعد جهاز اللغة في تنمية النطق الصحيح للكلمات والربط بين شكل الحرف وصوته، وجهاز اللغة هو جهاز يعتمد على بطاقات بها شريط ممغنط فإذا ما وضعت البطاقة داخل الجهاز، ظهرت الكلمة مقترنة ومصحوبة بالشكل أو الرسم ويسمع الطفل النطق الصحيح لها. (سليمان، 2011، ص133).

ج- مهارة الربط بين شكل الحروف وأصواتها.

ح- المهارات الحركية: ويقصد بها التدريب على المتابعة من اليمين إلى اليسار، الانتقال بعد نهاية السطر إلى الجهة اليمنى، الانتقال بالبصر إلى السطر الموالي كل هذا يحتاج إلى تدريب حتى يصبح تلقائي. (مطر ومسافر، 2017، ص:141).

كما إن إدراك الطفل للمفاهيم المكانية يساعده على إدراك اتجاه الصفحة وكذا ضبط حركة اليدين يساعده على التقليب السليم للصفحات (عبد الخفاجي،2016).

خ- مهارة القدرة على الانتباه والتذكر: ويقصد بالانتباه تركيز الطفل على شيء معين ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تنويع المثيرات، أما التذكر فهو قدرته على استرجاع الصور الذهنية السمعية منه والبصرية ويمكن ذلك من خلال الطلب من الطفل وصف شيء أمرت بإحضاره أو الكلام عن موضوع تحدثت به سابقا.

د- مهارة الوعي الصوتي:

تعريف الوعي الصوتي: هو فهم أن كل كلمة منطوقة هي سلسلة من الأصوات ويتضمن القدرة على الاستماع، التعرف، والتلاعب بالأصوات في اللغة (الأكاديمية المهنية للمعلمين، 2012، ص26).

والوعي الصوتي هو الرابط بين اللغة المنطوقة والمكتوبة، وقد أظهرت الدراسات أن الوعي الصوتي يعتبر مؤشر قوي في تعلم القراءة (شواهين، 2018، ص133).

يساعد تطوير الوعي الصوتي في تطوير القدرات التالية:

* تجزئة الكلمات إلى مقاطع صوتية.

* المشاركة في اللعب اللغوي.

* إنتاج كلمات جديدة عن طريق استبدال صوت بأخر.

* تحديد المقاطع الصوتية الوسطى والنهائية من الكلمات.

ويمكن تنمية الوعي الصوتي من خلال التعليم المباشر، حيث يتم تقديم كلمات مطبوعة لهم وتدريبهم على تجزئتها لمقاطع، أو من خلال النشيد والغناء. (شوا هين، 2018، ص135).

- مستويات الوعي الصوتي:

- الوعي بالكلمات متشابهة الإيقاع والقافية: وتستخدم قراءة الأغاني والاستماع لها لتطوير هذه المهارة.

- الوعي بالمقاطع التي تتكون منها الكلمة: وذلك بعد المقاطع المكونة للكلمات.

- تقطيع الكلمة إلى أصوات (مقاطع): وذلك بتحديد الأصوات متسلسلة كما هي في الكلمة.

- التلاعب بالأصوات: وذلك من خلال تغيير الصوت لايجاء كلمات جديدة، حذف الصوت ونطق الكلمة الجديدة، استبدال الصوت بصوت أخر ونطق الكلمة الجديدة. (الأكاديمية المهنية للمعلمين، 2012).

2-11-5-العوامل المؤثرة في الاستعداد للقراءة

يعتمد الاستعداد للقراءة على عوامل كثيرة منها النضج العقلي، الخبرة الشخصية، التمييز السمعي والبصري، النضج الحسي والصحة العامة كما أن للاهتمام والرغبة في القراءة تأثير على هذا الاستعداد (ديب، 2005)

أ- الاستعداد العقلي: يعرف بالنمو العقلي أو النضج العقلي ويعتمد أساسا على بلوغ عمر عقلي مناسب، لما لهذا من علاقة وثيقة بالقراءة لان هذه العملية تتطلب درجة من الذكاء، حيث دلت الأبحاث أن عامل النمو العقلي هو أدق عامل يقاس به استعداد الطفل للقراءة. حيث ينبغي أن يبلغ عمره العقلي ست سنوات ونصف سنة، وعلى المدرسة أن تستعين باختبارات الذكاء وان تؤجل بدء تعليم القراءة لمن يثبت أن عمره العقلي دون ذلك.

وبناء على ذلك، يصبح العمر العقلي هو المعيار الأساسي الذي ينبغي أن يراعى في قبول الطفل بالمدرسة الابتدائية لا العمر الزمني (عبد الله ومصطفى، 1994، ص 45).

كما يتضمن الاستعداد العقلي: القدرة على تمييز أوجه الشبه والاختلاف بين الألفاظ المقروءة، القدرة على تذكر أشكال الكلمات ومدى تذكر المقروء، وكذلك القدرة على الربط بين المعاني.

ب- النمو الجسدي: عملية القراءة ليست عملية عقلية فقط لأنها تعتمد على الحواس الأخرى أيضا، يضم النمو الجسدي العمر الزمني بشكل خاص وسلامة أعضاء النطق والسمع والبصر والاستعمال الغالب لإحدى اليدين وصحة الجسم بشكل عام.

ت- النمو العاطفي: تعتبر رياض الأطفال المؤسسة التي تقوم بتهيئة المناخ للاستقرار العاطفي عند الطفل وتكوين اتجاهات ايجابية وعادات حسنة من شانها أن تساعد على الاستجابة للعمل عموما ولتعلم القراءة خصوصا.

ث- الاستعداد التربوي: ويتضمن الخبرة السابقة في البيت من خلال اهتمام الوالدين والتفاعل بين الطفل وبيئته وفي المدرسة من خلال استغلال المرحلة الابتدائية أحسن استغلال. ويضم الاستعداد التربوي الخبرات اللغوية للطفل وهي حصيلة الطفل من الكلمات والتراكيب.(سليمان، 2011).

2–11–6–طرائق قياس الاستعداد القرائي

لقياس مدى استعداد الطفل للقراءة، يعتمد على عدة اختبارات منها اختبارات الذكاء واختبارا ت الاستعداد للقراءة وتقدير المعلم.

أ- اختبارات الذكاء: لما للذكاء علاقة بعملية القراءة، وتتضمن هذه الاختبارات طرح العديد من الأسئلة التي تتعلق بتسمية الأشياء والتعرف على مدلولات الكلمات، وتهدف للوقوف على قدرة الطفل على التميز بين الأشكال وأدراك المؤتلف منها والمختلف. (عبد الخفاجي، 2016، ص121).

ومن هذه الاختبارات:

- اختبار ستانفورد – بينيه.
- اختبار كاليفورنيا للنضج العقلي ويقاس به مظهران من مظاهر الذكاء هما المظهر اللغوي والغير لغوي.

ب- اختبارات الاستعداد للقراءة: تقيس فقط النواحي العقلية والجسمية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالنجاح في تعلم القراءة.

وتشمل هذه الاختبارات:

- قياس القدرة على التميز بين الكلمات المكتوبة.
- قياس القدرة على تفسير الصورة والرسوم.
- قياس القدرة على الانتباه لما يقال وتذكر الأهم.
- قياس القدرة على التميز بين الحروف الهجائية بمختلف صورها. (مطر وعبد الله مسافر 2017، ص، 142).

وتضيف منى جابر محمد رضوان 2008، اختبارات السمع والنطق، اختبارات قدرة الطفل على تذكر سلسلة من الأفكار، اختبار الاتجاهات واختبار قراءة الكلمات (عبد الخفاجي ،2016، ص125).

ت- تقديرات المعلمين: يقوم هذا الاختبار على ملاحظة المعلم لخصائص الأطفال وسلوكهم خلال فترات اللعب، تفاعلهم في الصف واستجاباتهم اللفظية. كما يمكن الحصول على تقارير أولياء الأمور فيما يتعلق باهتماماتهم وقدرتهم اللغوية. وتبقى الطريقة المثلى لقياس استعداد الطفل هي الجمع بين الأساليب الثلاثة السابقة الذكر.

3–منهجية الدراسة وإجراءاتها

3–1–حدود الدراسة

تمثلت حدود الدراسة فيما يلي:

*الحدود الموضوعية: اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة.

*الحدود البشرية: اقتصرت الدراسة على عينة عشوائية لأساتذة التعليم الابتدائي بعين الملح- المسيلة.

*الحدود المكانية: تم تطبيق أداة الدراسة ببلدية عين الملح- المسيلة.

*الحدود الزمانية: تم تطبيق الدراسة خلال شهر جانفي 2019.

3–2–منهج الدراسة

اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يمّكن الباحث حسب لامورو(1995) من «التصوير الدقيق للظاهرة المدروسة كما توجد في الواقع، وإقامة علاقات بين عناصرها المختلفة، كما أنه لا يقف عند جمع المعلومات المتعلقة بالظاهرة وحسب، بل ويقوم بتحليلها وكشف علاقاتها المختلفة من أجل تفسيرها، والوصول إلى استنتاجات؛ تسهم بشكل أو بآخر في تحسين الواقع وتطويره» (معمري وبن زاهي، 2014)

3–3–عينة الدراسة

شملت هذه الدراسة على عينة تتكون من 100 أستاذا للتعليم الابتدائي تم اختيارها بطريقة عشوائية.

3–4–وصف خصائص العينة

3–4–1–توزيع أفراد العينة حسب الجنس

جدول (01): يوضح توزيع أفراد العينة حسب الجنس

الجنس	التكرارات	النسبة المئوية
ذكور	67	67 %
إناث	33	33 %
المجموع	100	100 %

نلاحظ من خلال الجدول رقم (1) أن اغلب أفراد العينة هم من جنس الذكور حيث بلغت نسبتهم 67 % في حين أن نسبة الإناث كانت 33 %.

3–4–2–توزيع أفراد العينة حسب الخبرة المهنية

جدول (02): يوضح توزيع أفراد العينة حسب الخبرة المهنية

الفئات	التكرارات	النسبة المئوية
أقل من 5 سنوات	12	12 %
من 6 إلى 15 سنة	57	57 %
أكثر من 15 سنة	31	31 %
المجموع	100	100%

3–5–أداة الدراسة

في هذا الإطار قمنا بتعديل مقياس أعد لقياس اتجاهات عمال القطاع العام نحو قانون الوظيف العمومي، أمر (06-

03) الذي بناه صافي محمد في مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العمل والتنظيم، وتم تعديل بنود هذا المقياس ليتلاءم مع أهداف بحثنا.

يتكون من 26 عبارة على شكل أسئلة مختلفة تتضمن كل واحدة منها ثلاث مستويات للإجابة هي: - غير موافق - أحيانا – موافق على غرار مقياس ليكرت، مع اختصار مستويات الإجابة من خمسة إلى ثلاث على سلم تنقيط يتراوح من 1 إلى 3 نقاط.

قمنا بتعديل بنود هذا المقياس بتغيير الأسئلة لتتلاءم مع أهداف بحثنا مكتفين بـ20 عبارة بدلا من 26 عبارة، واعتمدنا على سلم التنقيط التالي:

- نادرا (0 نقطة) – أحيانا (1 نقطة) – دائما (2 نقاط) كعلامات للبنود، وتنحصر الدرجات الكلية للعامل حول المقياس بين 00 و40 نقطة، سوف نعتمد على درجة 20 (20 × 1) كنقطة متوسطة تفصل بين ذوي الاتجاه السلبي والايجابي للمقياس ككل و7 (7 × 1)، لبعدي مهارة النطق الصحيح والسليم والربط بين شكل الحروف وأصواتها و6(6 × 1) لبعد المهارة الحركية، وتم حساب الخصائص السيكومترية لأداة الدراسة على عينة قدرها ثلاثون (30) أستاذ؛ حيث توصلنا إلى ما يأتي:

جدول (03): قيمة ألفا كرومباخ لمقياس الاتجاهات

ألفا كرومباخ	العينة n	مستوى الدلالة
0.811	30	0.05

*ثبات المقياس: تم حساب ثبات المقياس عن طريق معامل ألفا كرومباخ والتي بلغت (0.81) وهي قيمة تدل على ثبات المقياس.

*صدق المقياس: تم ذلك من خلال حساب الصدق الذاتي للمقياس الذي يساوي الجذر التربيعي لمعامل الثبات، وبلغ (0.90) ومنه يمكن اعتبار الاستبيان صادقا في ما يقيس.

3–6–الأساليب الإحصائية المستخدمة

للإجابة عن أسئلة الدراسة، واختبار صحة الفرضيات تم استخدام أساليب الإحصاء الوصفي والتحليلي، حيث تم ترميز وإدخال المعطيات إلى الحاسوب، باستخدام البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية(SPSS) نسخة23 للتوصل إلى ما يلي:

مقاييس الإحصاء الوصفي وذلك لوصف عينة الدراسة وإظهار خصائصها، وهذه الأساليب هي المتوسط الحسابي، والانحرافات المعيارية للإجابة عن أسئلة الدراسة، وترتيب عبارات كل متغير تنازليا.

-استخدام اختبار «كا2» لدلالة الفروق بين متوسطين حسابيين وذلك تحديد الفروق بين اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الجنس.

- استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي « ANOVA « في تحديد الفروق بين اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الخبرة المهنية

3–7–عرض ومناقشة الفرضيات

3–7–1–عرض ومناقشة الفرضية الأولى

نصت الفرضية الأولى على أن اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تطبيق مهارة النطق الصحيح والسليم ايجابية تم الاعتماد على القيمة 7 كقيمة وسطية بين 00 و14 كدرجة فاصلة بين الأساتذة ذوي الاتجاه الايجابي والأساتذة ذوي الاتجاه السلبي.

جدول (04): يوضح توزيع نتائج مقياس الاتجاهات بالنسبة للعينة ككل للبعد الأول (تطبيق مهارة النطق الصحيح والسليم)

	قيم المقياس	التكرار	النسبة المئوية
الاتجاه السلبي	1	0	/
	2	4	4%
	3	7	7%
	4	9	9%
	5	10	10%
	6	15	15%
	7	16	16%
الاتجاه الايجابي	8	15	15%
	9	10	10%
	10	5	5%
	11	5	5%
	12	3	3%
	13	1	1%

كانت نتائج المقياس المتحصل عليها كالتالي:

أن 62 أستاذا ذوي اتجاه سلبي نحو تطبيق مهارة النطق الصحيح والسليم لتنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة وهذا يمثل نسبة 62 %. وأن 38 أستاذ فقط ذوي اتجاه ايجابي وهذا ما يمثل نسبة 38 % وهذا ما يدل على عدم تحقق الفرضية الأولى.

3–7–2–**عرض ومناقشة الفرضية الثانية**

نصت الفرضية الثانية على أن اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تطبيق مهارة الربط بين شكل الحروف وأصواتها ايجابية تم الاعتماد على القيمة 7 كقيمة وسطية بين 00 و14 كدرجة فاصلة بين الأساتذة ذوي الاتجاه الايجابي والأساتذة ذوي الاتجاه السلبي.

جدول (05): يوضح توزيع نتائج مقياس الاتجاهات بالنسبة للعينة ككل للبعد الثاني (مهارة الربط بين شكل الحروف وأصواتها)

	قيم المقياس	التكرار	النسبة المئوية
الاتجاه السلبي	1	0	/
	2	4	4%
	3	7	7%
	4	9	9%
	5	10	10%
	6	10	10%
	7	12	12%
الاتجاه الايجابي	8	20	20%
	9	14	14%
	10	5	5%
	11	5	5%
	12	3	3%
	13	1	1%

كانت نتائج المقياس المتحصل عليها كالتالي:

أن 48 أستاذا ذوي اتجاه الايجابي نحو مهارة الربط بين شكل الحروف وأصواتها وهذا ما يمثل نسبة 48%. وأن 52 أستاذ ذوي اتجاه سلبي وهذا ما يمثل نسبة 52% وهذا ما يدل على عدم تحقق الفرضية الثانية.

ت- عرض ومناقشة الفرضية الثالثة

نصت الفرضية الثالثة على أن اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تطبيق مهارة الحركة ايجابية تم الاعتماد على القيمة 6 كقيمة وسطية بين 00 و12 كدرجة فاصلة بين الأساتذة ذوي الاتجاه الايجابي والأساتذة ذوي الاتجاه السلبي.

جدول (06): يوضح توزيع نتائج مقياس الاتجاهات بالنسبة للعينة ككل للبعد الثالث (مهارة الحركة)

	قيم المقياس	التكرار	النسبة المئوية
الاتجاه السلبي	1	0	/
	2	4	4%
	3	7	7%
	4	9	9%
	5	14	14%
	6	18	18%
الاتجاه الايجابي	8	20	20%
	9	14	14%
	10	7	7%
	11	6	6%
	12	1	1%

كانت نتائج المقياس المتحصل عليها كالتالي:

أن 48 أستاذا ذوي اتجاه الايجابي نحو مهارة الحركة وهذا ما يمثل نسبة 48%. وأن 52 أستاذ ذوي اتجاه سلبي وهذا ما يمثل نسبة 52% وهذا ما يدل على عدم تحقق الفرضية الثالثة.

3-7-3-عرض ومناقشة الفرضية الرابعة

نصت الفرضية الرابعة على انه توجد فروق في اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الخبرة المهنية.

ولكي نتأكد من صحة هذه الفرضية أو عدمها تم استخدام تحليل التباين الأحادي ANOVA، فكانت النتائج على النحو التالي:

جدول (07): يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاتجاهات أساتذة الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الخبرة المهنية.

	الخبرة المهنية	المتوسط الحسابي X	الانحراف المعياريS
الاتجاهات	أقل من 5 سنوات	18.7	2.88
	من 6 إلى 15 سنة	15.8	3.26
	أكثر من 15 سنة	19.91	4.12

من خلال الجدول رقم (7) يتبين أن هناك فروق بين المتوسطات الحسابية في أساتذة الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الخبرة المهنية.

.لحساب فئة (اكبر من 15 سنة) حيث بلغ 19.91 ، ينما المتوسط الحسابي لفئة (من 6 إلى 15 سنة) كان 15.8 ، في حين بلغ متوسط الفئة (أقل من 5 سنوات) 18.7 .

لكن السؤال المطروح هو هل هناك فروق دالة بين هذه المتوسطات؟

وسيجيبنا جدول نتائج اختبار التباين الأحادي ANOVA على هذا التساؤل

جدول (08): يمثل تحليل التباين الأحادي أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الخبرة المهنية.

	متوسط المربعات	ف F	الاحتمالية Sig
بين المجموعات	1.009		
ضمن المجموعات	18.215		
المجموع		0.47	0.911

من الجدول رقم (8) ومن نتائج اختبار تحليل التباين أن F =0.047 أن قيمة احتمال المعنوية sig = 0.911 أي 91.1٪ وهي أكبر من مستوى المعنوية 5٪ وبالتالي فإننا نقبل الفرضية الصفرية التي تقول بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات أساتذة الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الخبرة المهنية.. أي عدم تحقق الفرضية الرابعة.

3–7–4–عرض ومناقشة الفرضية الخامسة

نصت الفرضية الخامسة على انه توجد فروق في اتجاهات أساتذة الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الجنس.

انطلاقا من هذه الفرضية ومن اجل التأكد منها سوف نلجأ إلى حساب الدلالة الإحصائية لمقارنة الفروق، في توجد فروق في اتجاهات أساتذة الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة بين الذكور والإناث، وذلك باستخدام اختبار(كا2) لدلالة الفروق بين مجموعتين منفصلتين وغير متساويتين وبيانات كيفية فكانت النتائج على النحو التالي:

جدول (09): يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية في اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الجنس.

جنس وعدد أفراد العينة	المتوسط الحسابيX	الانحراف المعياريS
ذكور 14	17.06	2.53
إناث 17	16.43	2.12

من خلال الجدول رقم (9) نجد أن المتوسط الحسابي لدرجات الذكور بلغت 17.06، وهي مساوية للمتوسط الحسابي لدرجات الإناث التي بلغت.16.43 على الرغم أن عدد الذكور(14) أقل من عدد الإناث(17). ولكن السؤال المطروح هو هل هناك فروق بين هذه المتوسطات؟

سيجيبنا جدول نتائج دلالة الفروق بين المتوسطات (كا2) على هذا التساؤل

جدول (10): يوضح دلالة الفروق (كا2) بين أساتذة التعليم الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تبعا لمتغير الجنس

قيمة كا2	درجة الحرية Df	متوسط العينة		الاحتمال Sig
		الأولى	الثانية	
0.104	38	17.06	16.43	0.871

من خلال الجدول رقم (10) ومن نتائج الاختبار نجد أن قيمة احتمال المعنوية sig = 0.871 أي 87.1٪ وهي اكبر من مستوى المعنوية 5٪، وبالتالي فإننا نقبل الفرضية الصفرية التي تقول بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات أساتذة التعليم

الابتدائي نحو تنمية مهارات الاستعداد لتعلم القراءة تعزى إلى متغير الجنس. أي عدم تحقق الفرضية الخامسة.

خاتمة

لا يختلف اثنين في أهمية القراءة وتأثيرها على سائر المهارات الأخرى فهي البوابة التي يمر بها أي فرد لتحصيل المعارف والمهارات ولهذه الأهمية التي تحظى بها وجب الاهتمام بها وبكل ما يهيئ لها، ولعل التركيز على المهارات المهيأة لها وتنميتها أهم ما يمكن فعله مع الأطفال ليكونوا مستعدين لتعلم القراءة بسهولة ويسر.

كما لا يختلف اثنين في أهمية الاتجاهات التي يحملها أساتذة التعليم الابتدائي لتعليم هذه المهارات وتلقينها للأطفال هذه المرحلة، كون هذه الأخيرة من شأنها أن تساعد المعلمين على الإقبال على تعليم هذه المهارات بإتقان وبطريقة صحيحة.

إن الاتجاه الايجابي الذي يحمله المعلم تجاه موضوع معين او تدريس مهارة معينة يعطيه قناعة ورغبة في تدريس هذه الأخيرة مما ينعكس على أداءه مع تلاميذه، هذا الأخير من شأنه أن يحفز الأطفال ويجعلهم منهمكين في تعلم وتطبيق هذه المهارات.

يتضمن الاستعداد للقراءة أنواع مختلفة من التحضيرات، فالرؤية الجيدة والسمع الجيد والذكاء المناسب والقدرة على التمييز بنوعيه السمعي والبصري والاستعداد اللغوي والكلام بشكل واضح، كل هذه العوامل والمهارات تعمل مجتمعة لتحضير الطفل للدخول إلى عالم القراءة.

تعتبر دراية المعلم وإلمامه بهذه المهارات، ومعرفته بالعوامل المؤثرة في تنميتها، وقدرته على توظيف مختلف النشاطات لتنمية هذه المهارات، من أهم العوامل التي تسهم في الاستعداد الجيد للطفل لتعلم وإتقان القراءة فيما بعد.

ولقد ورد في هذا المقال التعرف على اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو بعض المهارات المهيأة للقراءة، وقد تبين من خلال هذه الدراسة وجود اتجاهات إيجابية نحو مهارة النطق السليم والصحيح وهذا راجع لوضوح هذه المهارة وسهولتها بالنسبة لكل المعلمين واعتمادهم على تطبيقها مع الأطفال منذ سن مبكرة.

أما بالنسبة للفرضية الثانية والثالثة والتي تتعلق بمهارتي الربط بين شكل الحروف وأصواتها، ومهارة الحركة فقد جاءت نتائج الدراسة بعدم تحقق الفرضيتين.

وبالنسبة لمتغير الجنس والخبرة المهنية، فإن نتائج الدراسة لم تدل على وجود فروق في اتجاهات المعلمين تعزى لهذين المتغيرين. وهذا يدل على أن دراية المعلم بمختلف المهارات وتطبيقه لها لا يرجع إلى الجنس أو الخبرة، بل إلى مدى إطلاع المعلم ورغبته في تطوير معلوماته.

المراجع

1. أحلام، خوندنة، **فاعلية مناشط تعليمية مقترحة في تهيئة الأطفال لتعلم القراءة والكتابة في رياض الأطفال**، رسالة ماجستير في مناهج وطرق تدريس رياض الأطفال، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2007، ص11
2. احمد صومان، **أثر الالتحاق بمرحلة رياض الأطفال أو عدمه في تنمية مهارتي القراءة والكتابة لدى طالبات المرحلة الأساسية الدنيا**، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مجلد 28(4)، الأردن، 2014، ص 10
3. احمد عبد الله احمد وفهيم مصطفى احمد، **الطفل ومشكلات القراءة**، الدار المصرية اللبنانية، 1994، ص45
4. - الأكاديمية المهنية للمعلمين، **برنامج تنمية مهارات القراءة في الصفوف الدراسية الأولى**، جمهورية مصر العربية، 2012، ص.45
5. جابر عبد الحميد جابر، صفاء الأسعر وإبراهيم قشقوش، **مقدمة في علم النفس، (ط1)**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985.
6. حمزة معمري، **العلاقة بين اتجاهات الموظفين نحو المهنة والالتزام التنظيمي**، رسالة ماجستير غير منشورة في علم النفس التنظيم والعمل، جامعة الجزائر، 2008.
7. حميدة حدبي (2011) اتجاهات **الأساتذة والتلاميذ والأولياء نحو الدروس التدعيمية الخاصة**، رسالة ماجستير غير منشورة في علوم التربية، جامعة الجزائر

8. خير سليمان شواهين، **دليل المعلم في تعليم القراءة والكتابة منذ الطفولة المبكرة وحتى المرحلة الابتدائية**، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2018، ص133-135.

9. رمضان عمومن (2005) علاقة **قيم العمل بالاتجاهات نحو بعض المتغيرات المهنية مشرفين – منفذين**، رسالة ماجستير غير منشورة في علم النفس التنظيم والعمل، جامعة الجزائر

10. سحر بنت ناصر بن عبد الله الشريف، **دور بيئة الروضة في إكساب بعض مهارات الاستعداد للقراءة**، رسالة ماجستير في الآداب تخصص أصول التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.2007، ص63

11. ظرفان بن ناصر الصقور، **اتجاهات العاملين في قطاع الدفاع المدني نحو العمل الميداني**، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، السعودية، 2003.

12. عبد الفتاح مطر وعلي عبد الله مسافر، **نمؤ المفاهيم اللغوية والعلمية للأطفال**، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2017، ص141.

13. عبلة بحري (2011) اتجاهات **أساتذة التعليم الثانوي نحو المناهج الدراسية الجديدة ودافعيتهم للإنجاز**، رسالة ماجستير غير منشورة في علوم التربية، جامعة الجزائر

14. عدنان، عبد الخفاجي، **مشكلات تعليم القراءة والكتابة، مكتبة الانجلو المصرية**، القاهرة، مصر، 2016، ص2-15-26-121.

15. محمد سليمان شحاتة سليمان، **تعليم القراءة والكتابة للأطفال**، دار النشر الدولي، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، 2001، ص133-140-154.

16. محمد، صافي، **اتجاهات عمال القطاع العام نحو قانون الوظيف العمومي أمر (06-03) وعلاقته بالرضا المهني**، رسالة ماجستير غير منشورة في علم النفس تنظيم وعمل، جامعة الجزائر، 2012.

17. معمري، حمزة وبن زاهي، منصور، **سلوك المواطنة التنظيمية كأداة للفاعلية التنظيمية في المنظمات الحديثة**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 14. جامعة ورقلة، الجزائر،2014.

18. نجوى، فوزي ديب صالح، **برنامج مقترح لتنمية الاستعداد للقراءة لدى أطفال الرياض في محافظة غزة**، رسالة دكتوراه فلسفة في التربية (مناهج وطرق التدريس)، جامعة عين شمس – جامعة الأقصى، غزة، 2005.

19. وليم لامبرت وولاس لامبرت، ترجمة سلوى الملا، (1993)، **علم النفس الاجتماعي**، (ط 2)، دار الشروق، مصر

Attitudes of teachers of primary education towards the development of skills of readiness to learn to read

Abstract

The aim of the present study is to identify the attitudes of teachers of primary education towards the development of reading skills for students. The aim of the study was to identify their trends in the following areas: - Correct and proper pronunciation skills - The ability to connect letters and sounds - Movement skills To learn to read, through the use of descriptive analytical method, and based on a questionnaire of 20 items as a tool for collecting information, the sample size was 100 professors.

Keywords
trends
skills
readiness for reading
teachers of primary education

Attitudes des enseignants de l'enseignement primaire envers le développement des compétences de préparation à l'apprentissage de la lecture

Résumé

L'objectif de la présente étude est d'identifier les attitudes des enseignants du primaire vis-à-vis du développement des compétences en lecture des élèves, afin d'identifier leurs tendances dans les domaines suivants: - Prononciation correcte et juste.- Capacité de relier les lettres et les sons - Capacité de mouvement Pour apprendre à lire, en utilisant une méthode analytique descriptive et sur la base d'un questionnaire de 20 items servant d'outil de collecte d'informations, l'échantillon comptait 100 professeurs.

Mots clés
attitudes
Compétences
disposition à la lecture

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف واذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

مجتمع قسنطينة وما جاورها من خلال الرحلة الورثيلانية

Constantine society and its environs through the Orthelian journey

د. محند أكلي آيت سوكي
Dr. Aitsouki Mohand Akli
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر
aitsouki.ma@gmail.com

ملخص

تتناول الدراسة، وصفا لأحد علماء الجزائر للمجتمع القسنطيني وما جاورها خلال القرن الثاني عشر الهجري/ 18م، وتبرز الدراسة أهمية كتب الرحلات في كتابة التاريخ المحلي. فالشيخ الحسين الورثيراني (الورثيلاني)، وصف في رحلته مجتمع مدينة قسنطينة وما جاورها أثناء عودته من رحلته الحجازية الثالثة ومروره على المدينة. فسجل الأوضاع التي كان عليها المجتمع المحلي خاصة. وهي الأوضاع التي كانت سائدة في جل المدن الجزائرية عامة.

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 2022-11-06
تاريخ القبول 2023-12-03

الكلمات المفتاحية
آثْ وَرْثِيرَانْ (بني ورثيلان)
الرحلة الورثيلانية
المجتمع

مقدمة

تعتبر رحلة الشيخ الورثيلاني[1] المعروفة بـ: «**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**» المشهورة بالرحلة الورثيلانية، أحد المصادر التاريخية الرئيسية والهامة لمعرفة ودراسة تاريخ الجزائر والبلدان التي زارها ومر بها أثناء رحلاته الحجازية، أو الرحلات الداخلية خلال القرن الثاني عشر الهجري/ 18م. وذلك لما تتميز به هذه الرحلة وتنفرد به عن بقية المصادر التاريخية الأخرى. فالشيخ الورثيراني، يعدُّ من بين مشاهير العلماء والمتصوفة في الجزائر خلال القرن الثاني عشر الهجري/18م. غير أن الكتابات حوله تعد قليلة –حسب علمي-، وإن كانت فهي لا تتناول الجوانب الحياتية المختلفة، بل تنصب في معظمها حول الدراسات الشاملة لرحلته الحجازية -إلا ما كتبه (محمد حاج صادوق)- الذي تعرض إلى أسفار الشيخ الورثيراني الداخلية والخارجية، وإلى أهمية الرحلة، وهي الدراسة التي نشرت في المجلة الإفريقية (Mohamed, 1951). وهذا ما دفعني إلى البحث في هذا الجانب الهام من الجوانب التي لها علاقة بالتاريخ الاجتماعي للجزائر في الفترة الحديثة، وهو الجانب الذي لم يرد في الرحلة منفصلا بذاته، ولكنه ورد ضمن وصف شامل ومتنوع الجوانب في فترة، عرفت فيها مدينة قسنطينة اضطرابات سياسية واجتماعية متميزة بفعل المؤامرة ضد صالح باي[2].

من هو الشيخ الحسين الورثيلاني؟ وما أهم مؤلفاته؟، وما هو مؤلَفه المشهور: بالرحلة الورثيلانية؟، وكيف كانت حالة المجتمع القسنطيني وبعض أحوازها خلال القرن الثاني عشر الهجري/ 18م من خلال مؤلف الرحلة الورثيلانية؟

1–التعريف بالورثيلاني

لقد أثر الشيخ الورثيراني في الحياة العلمية والدينية وأثرى المكتبة الجزائرية خاصة، والإسلامية عامة بالعديد من المؤلفات والإنجازات العلمية، لكنه لم ينل حظه –حسب ظني-من الدراسة والاهتمام من قبل الباحثين، ولا يزال معظم تراثه غير محقق، والكثير من إنتاجه الفكري مفقود.

فمن هو الشيخ سيدي الحسين الورثيراني (الورثيلاني)؟ وما

1 هو الشيخ الحسين الورثيلاني، نسبة إلى عرش آث ورثيلان، غير أن التسمية المنطوق بها في الناحية والمعروفة بين العامة: آث (بني) ورثيران، وليس ورثيلان. وكلمة ورثيران مركبة من: أورث، وتعني الأرض المنبسطة السهلية. وإيران، وتعني السباع، ومعناها الكلي، سهل السباع، أو منبسط السباع

2 صالح باي: وصل إلى حكم بايلك الشرق بعد أحمد القلي، وكان قائدا على عرش الحراكتة بالأوراس من عام 1762 إلى 1765. ثم عينه خليفة للباي فيما بين 1765 إلى 1771. ثم عين بايا على بايلك الشرق في سنة 1771، واستمر في هذا المنصب إلى سنة 1791. للمزيد عن حياته، يمكن العودة إلى:

- محمد الصالح العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهما تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق: يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د. ت)، ص 62. وكذلك:

- ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 59، وما بعدها.

هي أهم أعماله وإنجازاته الفكرية؟

الشيخ الورثيراني (الورثيلاني) هو: العالم الفهامة، الإمام العلامة الشيخ سيدي الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن عبد القادر بن أحمد الشريف البكاي البجائي الحسني (محمد، مرجع سابق، 1903، صفحة 603) (الورثيلاني، الحسين بن محمد،2016،)[1]. وذكر هو نسبه أيضا في خاتمة شرح نظم النورية وأضاف فيها جدا آخر، فقال: «الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن عبد القادر بن يحيى بن أحمد الشريف نسبا، بن علي البكاي الورثيلاني وطنا، الجزائري عمالة، المالكي مذهبا، الأشعري عقيدة، الشاذلي طريقة» (السعيد، د.س).

انحدر الشيخ الحسين الورثيلاني من ذرية الولي الصالح (علي البكاي البجائي) الذي حل ببلاد الزواوة قادما من المغرب الأقصى قبل القرن التاسع الهجري/15م. وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وفاطمة الزهراء (رضي الله عنها)، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهو من الأشراف (المرابطين) الذين استقروا في منطقة زواوة.

يقول عنه سعد الله: «وكان جده قد جاء من" ميلة"، وصاهر أسرة محمد أمقران حاكم منطقة" ڤنزات" الواقعة اليوم في إقليم ولاية سطيف، وأصبح شيخ علم معترفا له، وأسس نفوذ الأسرة الروحي في المنطقة، حتى إنه بعد أن توفي أُقيمت له قبة باعتباره من المرابطين» (القاسم، 1985). هذا ووصفه الحفناوي قائلا: «الإمام العالم العامل العلامة الأستاذ الهمام شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد الصالح العابد...» (القاسم ا.، د.س).

2–ميلاده

ولد الورثيلاني عام 1125هـ/1710م بقرية آنو التابعة لعرش آث ورثيران، وبها توفي سنة 1193هـ وقيل 1194هـ/ 1779م أو 1780م، ودفن في مسقط رأسه، وقبره ما زال معروفا يزار إلى يومنا[2]. وهو من أسرة علمية معروفة بالصلاح والتقوى. اشتهرت في المنطقة وخارجها بالفتوى، والإصلاح بين الناس، ونشر العلم بين أبناء العرش، وخارجه، فوالده الشيخ محمد السعيد، كان عالما متضلعا في علوم شتى خاصة منها الشرعية، ذكره ولده قائلا: «...لأنه أفقه زمانه، وما رأيت مثله في الفقه، إذ أنه في التحقيق بمكان» (محمد، مرجع سابق، 1903، صفحة 37) هذا، وكان جده الحسين بن محمد بن عبد القادر أيضا من العلماء الذين ذكرهم في رحلته، حيث قضى حياته في التعليم وقراءة الكتب، ونسخ العديد من الكتب التي أثرى بها مكتبته الخاصة. كما أنه أشار إلى أن جده يكون قد علم بالأزهر الشريف، وتلقى عليه عدد من طلاب العلم فيه، ومنهم محمد بن الباقي الزرقاني شارح الموطأ[3].

هذا، وكان جده الأكبر (أحمد الشريف) متبحرا في الفقه، والتصوف، والتوحيد، وكانت له زاوية يقصدها الطلبة من كل الجهات (محمد، شوارق الانوار في تحرير معاني الاذكار، 2016) (شرح الوظيفة، ج1، ص 72.)

3–نشأته العلمية

لا نملك معلومات وافية عن نشأته العلمية الأولى، فهو لم يشر في رحلته إلى هذه المرحلة من حياته، ولم يتعرض المترجمون له إلى هذه المرحلة العمرية، وكل من كتب عنه، كتب بعدما اشتهر صيته بين الناس، وأصبح من الذين يشار إليهم بالبنان، غير أنه حفظ القرآن الكريم في زاوية أجداده، ثم تابع الدروس العلمية على علماء بلدته، ومنهم والده، وأخذ العلم على مجموعة من علماء عصره في بلدته التي نشأ فيها، واهتم بالتصوف عملا وسلوكا.

ومهما يكن، فإن الشيخ الورثيراني، أخذ مختلف العلوم المتداولة في وقته على شيوخ بلدته، وبعدها انتقل إلى مختلف الحواضر العلمية بوطنه خاصة بجاية، والجزائر، وبسكرة وعنابة، وقسنطينة، والمسيلة، عنابة، وغيرها من الحواضر (محمد، شوارق الانوار في تحرير معاني الاذكار، 2016، صفحة 78). فكان كثير الترحال في طلب العلم.

1 ذكر اسمه ونسبه في كتابه: الرحلة الورثيلانية والتي حققها ابن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، 1908الجزائر، ص 603.

2 أنظر حول حياته، وأهم أعماله:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(16-20م)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ج2، ص394. وكذلك:

- يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1995، ص ص 44، 45.

- محند أكلي آيت سوكي: إسهامات علماء الزواوة في الحياة الفكرية الإسلامية من القرن العاشر إلى الثالث عشر الجري/ 16-19م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2014-2015، ص ص 164، 166

3 أنظر: الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني: شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشيخ العارف بالله النبراس المختار وهي شرح...ج1، ص 71.

لم يكتف الورثيراني بعلماء بلده، بل ذهب في طلب العلم إلى خارج البلاد، فقصد تونس، وأخذ على علمائها، ومنهم محمد بن عبد العزيز، عبد الله السوسي، وغيرهما، كما رحل إلى المشرق، ودرس وجالس العديد من العلماء منهم: محمد بن أحمد التونسي الشهير بالبليدي، وأحمد بن الحسن الخالدي الجوهري، والشيخ خليل المغربي... فأخذ على علماء المشرق الإسلامي، سواء في مصر أو الحجاز أو في البلدان التي زارها خلال رحلاته إلى البقاع المقدسة[1].

4–رحلاته

قام برحلات، وزيارات كثيرة داخلية وخارجية، فزار عدة مناطق في الداخل، فكلما سمع بولي صالح أو عالم إلا وشد الرحال إلى زيارته، فتعددت زياراته ووقف على الكثير من العلماء والأولياء الأموات والأحياء، ولم تكن هذه الزيارات والرحلات من أجل العلم فقط، بل كانت من أجل معالجة المشاكل الاجتماعية المطروحة في وقته، ومنها:

انتقاله إلى مدينة دلس الساحلية للاتصال بأحد علمائها، وهو العالم والولي الصالح سيدي أحمد بن عمر الذي سمع في صباه به، وذلك من أجل أمرية 1749 التي نصت على منع المرأة الزواوية من الميراث. وهدفه من هذه الرحلة الوقوف في وجه الذين وضعوا هذه الأمرية المخالفة للنص القرآني الذي جعل للمرأة حقها من الميراث. وأثناء هذه الرحلة مرّ على العديد من القرى والعلماء والأولياء منهم الأحياء والأموات. كما وقف على الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية لسكان المنطقة، وهي الأوضاع التي ذكرها ووصفها في الرحلة. (محمد، مرجع سابق، 1903، الصفحات 42-67).

5–أهم مؤلفاته

لقد اهتم الشيخ الورثيراني بالتأليف، فألف العديد من الكتب، وإن طغى عليها طابع الشروح للمتون والتعليق عليها، وفي هذا أشار الحفناوي لما ترجم له، فقال: «...ذو التآليف المفيدة والتصانيف المفيدة» (محمد، مرجع سابق، 1903، صفحة 140)

هذا، وذكر هو العديد من الكتب التي ألفها في رحلته، والتي من بين أهمها كتابه (الرحلة الورثيلانية) التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة.

وفيما يلي، عرض لأهم مؤلفاته التي وصلت إلينا، أو وجدنا ذكرها للذين ترجموا له، وهي:

في التوحيد والعقائد: اهتم الورثيراني بحكم ميوله الصوفي إلى الخوض في هذا الميدان، وألف عددا من الكتب فيه، ومنها:

شرح محصل المقاصد. للإمام أبي العباس أحمد بن زكري التلمساني.

شرح نظم النورية في التوحيد.

شرح العقيدة الوسطى للإمام السنوسي.

حاشية على شرح أم البراهين للسكتاني.

شرح على خطبة العقيدة الصغرى للسنوسي.

في الفقه وأصوله: والتي من أهم ما وصل إلينا منها:

رسالة في اختلاف علماء الأزهر وفقهائه فيما أورده الإمام الخرشي في شرح مختصر خليل.

شرح كتاب الصلاة من مختصر خليل.

شرح لكتاب تحت عنوان»الصلاة».

حاشية على شرح الخرشي الصغير على مختصر خليل.

شرح على البهجة.

في التصوف: وهو الميدان الذي تعلق به منذ صغره، وخصه بمؤلفات من أهمها:

الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية في التصوف للشيخ عبد الرحمن الأخضري.

شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار، شرح فيه وظيفة الشيخ سيدي يحي العدلي.

رسالة في شرح قول بعض الأولياء: «وقفت بساحل وقفت الأنبياء دونه»، وذلك في الرد على علماء تدلس (دلس) خلال زيارته لها.

رسالة في حل لغز في التصوف، أرسله الشيخ سيدي أحم بن يوسف الملياني إلى سلطان فاس أنذاك، وعرضه على علماء المدينة، فعجزوا عن تفسيره.

رسالة في قول بعض الأولياء: «نسجت برنسا من ماء».

في النحو والأدب: لم يغفل في تآليفه الاهتمام بهذا الفن، فوضع عددا من المؤلفات فيه، ومنها:

حاشية على كتاب: «المرادي».

1 حول العلماء الذين أخذ عنهم، أنظر:

- الورثيلاني: شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشيخ العارف بالله النبراس المختار وهي شرح لوظيفة الإمام العلامة الولي الصالح أبي زكرياء يحيى بن أحمد العيدلي (ت 881هـ/1476م)، دراسة وتحقيق: محمد الشريف قاهر ومحند أويدير مشنان، دار الكفاية، الجزائر، 1437هـ/2016م، ج1، ص ص 92...97.

شرح البردة للبوصيري، والتي وصِفَ بأنه تشطير عجيب، وأوله:

يا رب صل عل المختار من مضر

والأنبياء وجميع الرسل ما ذكروا.

قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من 500 بيت كالهمزية.

قصائد في الرثاء لبعض الرجال المتصوفة، وقد قال عن هذه القصائد والتآليف: «وغير ذلك من القصائد والتآليف والتقارير مما يطول ذكره» (شنب، 1903)،(الرحلة، بتحقيق بن شنب، ص 27)

في التراجم والرحلات:

ترك الشيخ الورثيراني عددا من المؤلفات في التراجم منها:

كرامات الشيخ سيدي يحي العدلي ومناقبه.

كراس في وصف مدينة برقة.

كتاب الرحلة السنية.

كتاب نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المشهور بالرحلة الورثيلانية، وهو من أهم الأعمال التي تركها شيخنا الورثيراني، والذي جمع فيه أخبارا ومعلومات عن المناطق التي زارها، وهو من القلائل الذين اهتموا بعلم التاريخ وكتبوا فيه أخبارا تفيد الباحث لكونها من المصادر التاريخية الهامة التي يمكن اضافتها إلى مؤلفات الرحالة المغاربة خلال الفترة الحديثة. (محمد، شوارق الانوار في تحرير معاني الاذكار، 2016، الصفحات 100-103)

رحلاته الحجازية

حج الشيخ الورثيراني ثلاث مرات إلى البقاع المقدسة. فالورثيلاني، رجل علم ودين ارتبط بالطريقة الشاذلية[1]، وسلك طريق العلم والتعليم، وإصلاح ذات البين بين الناس سواء في إقامته أو رحلاته.

زار الورثيلاني البقاع المقدسة ثلاث مرات، وفي سنوات مختلفة هي:

الحجة الأولى: كانت صحبة والده سنة1153هـ/1740م، وعمره حوالي ثمان وعشرين سنة.

الحجة الثانية: كانت سنة 1166هـ/1752م، وكان سنه في حدود واحد وأربعين عاما.

الحجة الثالثة والأخير: هذه الرحلة الحجازية استغرقت حوالي ثلاث سنوات من 1179هـ /1765م إلى 1181هـ/ 1767م، وعمره خلالها حوالي أربع وخمسين سنة وبعد هذه الرحلة بدأ في إملاء رحلته على الطلبة الذين كانوا يلازمونه، واستغرقت كتابتها حوالي ثلاث سنوات.

أما الطريق الذي سلكه في هذه الرحلة الأخيرة، فبدأت الرحلة من: مجانة نحو زمورة (وهما بلدتان قريبتان إلى عرشه)، ومن مجانة نحو قصر الطير (قصر الأبطال اليوم)، ومنها نحو أولاد موسى، ثم وطن ريغة، فأولاد دراج، ومن أولاد دراج، توجه نحو بريكة، ومنها إلى بسكرة، ومن بسكرة نحو سيدي عقبة، ومنها نحو الخنقة، ثم أولاد سيدي ناجي، فنفطة، ثم الحامة، فتوزر، ثم زوارة، فطرابلس الغرب، فتاجوراء، فلبدة، وزليتن، فمصراته، فبلاد سرت، ثم إقليم برقة، ثم دخل مصر عن طريق الإسكندرية، ومن الإسكندرية توجه نحو القاهرة، فالمدينة المنورة، وأخيرا مكة المكرمة.

طريق العودة، دخل القاهرة، ومنها نحو الإسكندرية، ثم طرابلس، فتوجه منها إلى تونس، فالكاف، ومن الكاف توجه إلى **قسنطينة**، ومنها نحو زمورة فبني ورثيران.

6-التعريف بالرحلة الورثيلانية

أَمْلى الورثيراني مذكراته وما شاهده خلال رحلته الأخيرة ورحلاته السابقة الداخلية والخارجية على طلبته، وسمى كتابه: «**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**»، وقد وصفه هو شخصيا بقوله: «أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي ويستحسنها الشادي، فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار مبينا فيها بعض الأحكام الغريبة والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الأحكام الشرعية» (شنب، 1903، صفحة 3).

وكتاب الرحلة، ذو أهمية كبيرة لاشتماله على معلومات مختلفة في مختلف جوانب الحياة المتنوعة، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالمناطق التي حلّ بها سواء داخل بلادنا، أو في البلدان التي زارها. فقد ذكر الشيخ البوعبدلي أهمية الرحلة الورثيلانية فقال: «...لا من حيث وصفه المدقق لنظام الرحلة والمحطات التي كانت تجمع فيها القوافل الخ... ولكن لاشتمالها على وصف ما تبقى من معاهد بلاد القبائل العلمية ولتعرضه لذكر بعض البيوتات...» (المهدي، 1973).

أما مميزات هذه الرحلة والتي جعلتها تنال هذه المكانة، فيمكن

1 ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999، ص 418.

تلخيصها في الآتي:

الالتزام بالصدق في كل ما أورده من أحداث ووقائع.

تحري الحقيقة إذ لا يكتفي بما شاهده، بل يرجع في بعض الأحيان إلى كتب أخرى.

عرض الواقع كما هو: مما جعل هذه الرحلة يطغى عليها التشاؤم وضعف التدين.

التحلي بالورع والتقوى: فيثنى على من أكرموهم، ويرغب في زيارة أضرحة العلماء والأولياء، كما ذكر كرامات بعض الذين سمع عنهم.

الالتزام بأسلوب تكثر فيه المحسنات اللفظية:

والكلمات المترادفة بشكل موزون، إضافة إلى أنه كثيرا ما يقتبس من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

لقد طبع هذا الكتاب ضمن التراث الإسلامي عدة مرات، وكانت أول طبعة له على يد الشيخ محمد بن أبي شنب سنة 1903 لكنها طباعة حجرية غير واضحة، ثم طبعت مرتين أخريتين، كانت آخر طبعاتها كانت سنة 2011، ولم يتم تحقيقها بعد، بل اكتفى الذين قاموا بطبعها على الإخراج فقط.

كانت مميزات هذه الرحلة وأهميتها التاريخية من بين أهم العوامل التي دفعتني إلى الاهتمام بهذا المصدر الذي تعرض في فصله الأخير إلى **وصف المجتمع القسنطيني وبعض أحوازها.**

6-1-حالة قسنطينة

في طريق العودة من الحجة الثالثة سنة 1753 مرّ الورثيراني بمدينة قسنطينة، وتحدث عنها، وقال بأنها: «... إلى أن وصلنا مدينة قسنطينة، وهي مدينة في وطننا وقاعدة من قواعد بلادنا وإن لم يكن فيها السلطان ففيها نائبه السيد الباي، وهي مدينة قوية ليست كبيرة جدا ولا صغيرة أيضا، وعليها سور كبير وفيها أبواب ثلاث...» (محمد، مرجع سابق، 1903، صفحة 352).

بدأ الورثيراني في وصف المدينة وصفا دقيقا مستعرضا نشأتها حسب ما سمع، وحالتها السياسية والثقافية والدينية والاقتصادية، مستدلا في كل ما يكتب بالأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال الذين نقل عنهم أقوالهم، وفي بعض الحالات ينقل عن المصادر التاريخية التي اطلع عليها. غير أن توجهه الصوفي المناوئ لحياة الترف والبذخ، جعلته يقف على بعض الأوضاع التي يعارضها ويقف ضدها، ويعتبرها من الأمور التي تبعد سكان المدينة عن الحلال، فقال: «وقد علمت بأن مثل هذا الوطن يقل فيه الحلال ويكثر فيه الحرام والمتشابه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكل الحلال أطاع الله شاء أم أبى ومن أكل الحرام عصى الله شاء أم أبى» مع أن أهل الشهوات من أهل الملابس والمفاخر والأسرة والحلل، قد صاروا» (محمد، مرجع سابق، 1903، صفحة 358). هذا ولم يهمل الجوانب الإيجابية التي لاحظها في المدينة، وحسنها وطبيعة سكانها فقال: «نعم هي بلدة طيبة يستحليها الناظر، ويستحسنها المقيم والمسافر، فليست كثيرة الصفاء، ولا بعيدة الجفاء، ولا قوية الوفاء، عامتها بين اعتقاد وانتقاد، وخاصتها بين رغبة وغبطة وحسد وعناد...» ثم يذكر طبيعة المجتمع المحلي المتأثر بالغلظة والقسوة لقربه إلى البداوة. فقال:» فالسب فيها كثير والقبح واللعنة جار في أسواقها لا يسكن اضطرامها « (محمد، مرجع سابق، 1903)

التقى الشيخ الورثيراني خلال إقامته بالمدينة ومروره عليها بعدد من العلماء والفقهاء والفضلاء الذين تعج بهم المدينة، والذين ذكرهم في سياق حديثه عنهم، ووصفهم وصفا يليق بمقامهم قلما نجد ذلك في غيره من المصادر التاريخية التي تتحدث عن الحياة الفكرية في المدينة، وقال عن ذلك: « إن قسنطينة هذه قد اجتمعنا فيها مع الفضلاء والنجباء والصلحاء وأعيان الوقت السالمين إن شاء الله بسببهم من المقت منهم العالم الفاضل والصالح الكامل والورع العدل شيخنا وعمدتنا الولي الصالح والبدر الواضح سيدي يحي اليعلاوي ومثله في الفضل والعلم الأدب النحوي اللغوي الفقيه سيدي أحمد الزين ...وهي الآن فيها أفاضل في العلم والصلاح والورع والزهد، وقد اجتمعنا بهم في محل نزولنا عند الولي الصالح والقطب الواضح سيدي السعيد السفري » (محمد، مرجع سابق، 1903) .

لقد ذكر الشيخ الورثيراني في رحلته، وخلال مروره واقامته في هذه المدينة العديد من علمائها، وأعيانها وشخصياتها الذين زارهم واحتك بهم، بل توسع في وصف حالة بعضهم، خاصة الذين يرى فيهم خوارق العادات من رجال الغيب والصلاح، وكان من بين هؤلاء الذين خصهم بالذكر السيد: أبو القاسم الزواوي الذي أسهب في ذكر بعض كراماته وحالته التي كان يعيش فيها، وكيف كان يعامله الناس، وإلى أي حال انتقل

امره. كما تعرض على ذكر مرابط آخر اعتبره من أهل التقوى، وقال بأنه يرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة، وكذا حال زوجة هذا المرابط وحالها. (محمد، مرجع سابق، 1903، صفحة 365).

6–2–الحياة الاقتصادية للمجتمع القسنطيني

هذا، وذكر الحالة الاقتصادية التي كان عليها المجتمع القسنطيني خلال مروره بها فقال: «فتعد المقاطعة إحدى الموارد الرئيسية لخزانة الدولة لما تقدمه من ضرائب وأموال نتيجة كثرة منتوجاتها الفلاحية، فهي متنوعة وجيدة. فكانت بذلك إحدى أهم المناطق الرئيسية التي تعتمد عليها الدولة خاصة وأنها تعرف رخاء كبيرا وأرزاقا واسعة، حتى وإن كانت فقيرة إلى بعض المنتوجات مثل الفواكه، بينما الحبوب (القمح) والمنتوجات الحيوانية فهي كثيرة تصدر الفائض إلى مناطق أخرى، مما جعلها إحدى أهم المحطات التجارية في الشرق الجزائري فتأتيها القوافل من كل النواحي (شنب، 1903، صفحة 686). هذا وتتوفر المدينة على مصدر مائي هام جدا، وهو وادي الرمال.

6–3–واقع قسنطينة وتأثيره على الحياة الدينية

لقد أثر الرخاء الذي عرفته المدينة تأثيرا كبيرا على الحياة الدينية بها، فالمدينة ليست (خالية من العلماء والصلحاء) (شنب، 1903، صفحة 687)، إلا أن تأثيرهم في حياة أهل قسنطينة يبدو ضئيلا جدا لعدم استجابة أهلها لهم، وذلك بفعل انتشار العوامل المساعدة على الابتعاد عن التقشف، وكذا الحياة الصوفية التي تعتمد الميل نحو العزلة والزهد. أما مدينة قسنطينة «فلما كثر رزقها واتسع انفاقها عسر الوصول فيها إلى الله لقلة المساعد» (شنب، 1903، صفحة 688)، ولذلك كثر المعاندون والمتكبرون الذين لا يهتمون بالعلماء والفضلاء الذين يأخذون بأيدي العامة إلى النجاة. فكأنك ترى هذه المدينة خالية من الرجال الصالحين الذين يُبيِّنون للعامة الحلال والحرام، فانتشر الحرام بين الناس، وقلّ التعامل بالحلال، وفحل بهم الظلم المكفر للسيئات الذنوب، وبالرغم من ذلك، فلابد من طاعة الأمراء إن لم يأمروا بمعصية ولم يخرجوا عن الدين.

فما حلّ بقسنطينة من باياتها كان ناتجا عن خروج الناس على دينهم. فطاعة هؤلاء الأمراء أمر واجب شرعا، واقتداء العامة بهم إن لم يخالفوا الشرع ضروري لابد منه.

6–4–ذكر علماء وفضلاء المدينة

تعدّ قسنطينة في العهد العثماني وقبله حضيرة من حضائر العلم والعلماء الذين تركوا إسهامات هامة في الحياة الفكرية الإسلامية. فالمدينة، أثناء زيارة الورثيراني لها، تعدُّ معقلا للمتعلمين والباحثين عن العلم، ويتضح ذلك من خلال عدد العلماء البازين الذين عمد إلى زيارتهم، وقد ذكر في الرحلة عدد كبير من هؤلاء العلماء، مثل: الشيخ يحيى اليعلاوي، وأحمد الزين، وعلي الزموري، وخليفة الشارف، وأحمد العلمي...، وكذا ذكر قضاة قسنطينة في عصره، والذين تعرف على بعضهم خلال هذه الزيارة أمثال: قاضي المالكية (إبراهيم الضرباني)، وقاضي الأحناف (شعبان بن جلول)، كما خص بالزيارة الشيخ: بدر الدين بن الفكون.

6–5–مجتمع قسنطينة وما جاورها

لقد خص الوثيراني المجتمع القسنطيني من خلال كتاب الرحلة بالحديث عن جوانب مختلفة أهمها:

كرامات بعض الصالحين من أهل قسنطينة: خص بالذكر زيارة (أبي القاسم الزواوي) الذي شهد له بالكرامات المختلفة، واستدل على ذلك بما سمعه من حال زواجه، ووضعيته التي كان عليها قبل الزواج، وكيف يسَّر الله تعالى له الحياة بعد زواجه.

كما ذكر الجدال القائم بين الشيخ عبد القادر الراشدي وطلبته الذين اختلفوا معه في مسألة دينية متعلقة بتفسير الآية﴿ ... لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِيَّ... ﴾[1]فكفروه على تفسيره لها. وهنا يظهر موقف الوثيراني من مسألة التكفير، وكيف عالجها وفق الشرع. وهذا يدل على سعة اطلاعه، وعلو كعبه في النوازل الفقهية. واستنتج بأن موقف هؤلاء الطلبة والتهم التي اتهم بها الراشدي، سببها الحسد لما بلغه من مرتبة علمية واسعة، فوقف الطلبة منه هذا الموقف «حاسدين له فيما بلغه من مرتبة علمية محاولين الوشاية به إلى باي قسنطينة» (شنب، 1903).

6–6–وصف المجتمع القسنطيني

يعتبر المجتمع القسنطيني في القرن الثاني عشر الهجري /18م نموذجا للمجتمع الريفي المتمدن الذي يكثر فيه الظلم والتناحر بين المواطنين، ويظهر ذلك من خلال طبيعية

1 سورة ص، الآية 75

حياتهم اليومية، وتعاملهم فيما بينهم خاصة في الأسواق. أين يمكن أن يقف الواحد على حالة وطبيعة هذا المجتمع، فالمجتمع الريفي، يتميز بالغلظة والقسوة الناتجتين عن حال هذا المجتمع الثقافية، فيكثر بينهم السب والاعتقاد السيئ بين العامة –سوء الظن-مما جعل أسباب الظلم بين أفراد المجتمع المحلي سائدة، وخروجهم عن طاعة الحاكم ظاهرة، وهذا ما دفع بالورثيراني إلى تخصيص باب كامل حول وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية.

6–7–ذكر أهل زمورة[1]

من المناطق التابعة لإقليم بايلك الشرق، والتي خصها الورثيراني بوصف هام لما خرج من بلدته قاصدا الحج، فمر بها، وقال عنها: «وزمورة، كثيرة المياه، وأرضها ذات زرع وضرع بلا اشتباه، طعامها جيد، وسوقها عامر مفيد، وفيها برج للنوبة من الترك –حفظها الله من أكبر المعاصي والشرك-وفيها قائد» (محمد، شوارق الانوار في تحرير معاني الاذكار، 2016، الصفحات 100-101).

هذا وقد وصف سكانها، فقال: «وأهلها سائرهم يظلمون، وكيدهم في نحورهم دائم، يسعون ببعضهم بعضان وقد اهلكوا ولم يكن من الله الرضى، وبسبب ذلك اضطرمت نار الفتنة وحقت عليهم نار الفتنة» (مرجع سابق، 2016، صفحة 190).

خلال عودته من الحج، مر بها ثانية، وخص ساكنيها بالحديث عنهم ووصف حالهم. فتعرض إلى ذكر أعيانها وعلمائها، ووصف حالة سكانها الذين لا يختلفون كثيرا عن سكان قسنطينة في طبائعهم وعاداتهم، خاصة ما تعلق بطريقة استقباله واستضافتهم للحجاج الذين كانوا معه أثناء عودتهم من أداء مناسك الحج.

أما من حيث وصف الشيخ لهم، فذكر أنه مجتمع مبني على العصبية الجاهلية، وأن الظلم بين سكانها منتشر لأتفه الأسباب «إذ قتالهم بلا تأويل، وإنما هو مجرد تعصب وحمية جاهلية وأنفة شيطانية» (شنب م.، 1903، صفحة 700).

ويعيد أسباب هذه الظاهرة إلى:

أن المنطقة غير خاضعة بصورة مباشرة إلى الحكم المركزي على الرغم من وجود قائد ببرجها وآغا بها، وهما اللذان يحكمان بالمكر والخديعة، ولا يبسطان نفوذهما على المنطقة بالقانون والقوة، ولذا ساد الاعتداء والظلم، والخروج عن الدين. ومن مظاهر ذلك: التبرج بين النساء في البلدة، وابتعاد أهلها عن تعاليم الدين فهم: «متصفون بالبدع الشنيعة والأحوال الخسيسة».

لقد حاول الورثيراني إرشادهم إلى التمسك بشرع الله تعالى وترك العادات السيئة والمنكرات، ولكنه وجدهم قليلي الاستجابة، مما جعله يحكم على أن السكن والبقاء إلى جانبهم من الأمور الصعبة فقال: «وطبائعهم خارجة عن طرق أهل الصلاح فلا تحسن معاشرتهم ولا السكنى معهم» (شنب م.، 1903، صفحة 701) فلا يخشون الله ولا يخشعون لذكره، ولا يتناصحون فيما بينهم، بل يكثر الفساق في مجالسهم لأنهم توارثوا تلك العادات القبيحة.

وهنا نستنتج بأن الولاة الذين تعينهم السلطة المركزية كثيرا ما كانوا هم السبب في الفتن والثورات التي تندلع في المناطق الجبلية الحصينة والمتمردة في معظمها عن السلطة المركزية، إضافة إلى أسلوب الإدارة العثمانية في هذه المناطق الجبلية والريفية، حيث تُعِين صفا على صف، وتساعد في كثير من الحالات على الاقتتال بين السكان، كي تصل إلى مبتغاها، ولا يهم هؤلاء الولاة إلا تحصيل الجباية، ومصلحتهم الخاصة.

خاتمة

تعتبر الرحلة الورثيلانية من المصادر التاريخية الهامة في دراسة المجتمع الجزائري عامة، وحالة المدن التي ذكرها الشيخ الورثيراني، وسجلها في رحلته هذه خاصة. وذلك لاحتوائها واشتمالها على معلومات دقيقة حول حياة المجتمع الجزائري خاصة، والمجتمعات العربية والإسلامية عامة، والتي اطلع عليها في رحلاته الداخلية والحجازية. مما يجعلنا نقول بأن كتاب نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثيلانية) ذو أهمية تاريخية كبيرة في معرفة حالة المجتمعات الإسلامية مشرقا ومغربا، سواء من الناحية السياسية، أو الثقافية، أو الاقتصادية، أو طبيعة هذه المجتمعات في فترة حياة الشيخ... إضافة إلى طبيعة العادات ونوعية اهتمامات العامة، فحتى وإن خلت الرحلة من نقد بعض المظاهر السلبية المنتشرة خاصة السياسية منها، وما يتعلق بالجزائر على وجه الخصوص، فإن أهميتها كبيرة

1 بلدة تبعد عن عرش المؤلف بحوالي ثلاثين كلم، وهي حاليا تابعة لولاية برج بوعريريج، وتمتاز بوفرة المياه فيها، وتربتها صالحة للزراعة بخلاف عرش الورثيراني، كما أن أهلها يهتمون بتربية الحيوانات، وفيها برج للآغا يراقب الناحية خاصة عرش آث يعلى نتزمورين

لكونها من أبرز الرحلات الحجازية المغاربية التي شهدتها الفترة العثمانية عامة والقرن الثاني عشر الهجري/ 18م خاصة، وذلك لما جمعت بين التحصيل العلمي ومقاصد الحج التي سجلها وعاشها الورثيراني في هذه الرحلة، كما أنه ذكر فيها الحالة الثقافية التي كان عليها العالم الإسلامي عامة، والجزائر خاصة، وتعرض إلى التعريف بالعلماء الذين اجتمع بهم، أو أخذ عنهم، أو ناقشهم. كما بيّن البيوت العلمية والأسر التي توارثت العلم في الجزائر، سواء في بلدته او المناطق التي زارها ، ومنها قسنطينة، بجاية، مجانة وغيرها. تبقى الرحلة الورثيلانية من المصادر التريخية الهامة التي تؤرخ للقرن الثاني عشر الهجري/ 18 م لما تحتوي عليه من معلومات موضوعية مختلفة سواء كانت تاريخية ، او دينية أو اجتماعية أو سياسية دقيقة وبقلم جزائري عاش احداثها، ى وقد قل من من كتب في هذه الفترة عنها.

المراجع

1. البوعدلي، المهدي. (ماي - جويلية, 3791). تراجم بعض مشاهير علماء زواوة. الأصالة(41-51)، 472.
2. الحفناوي، ابو القاسم. (د,س). تعريف الخلف برجال السلف (المجلد ج1). المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر.
3. المرثلاني مرجع سابق. (6102). مرجع سابق. 091.
4. الورثلاني، الحسين بن محمد. (3091). مرجع سابق (المجلد ج3). (بيير فونتانا الجزائر، المحرر)
5. الورثلاني، الحسين بن محمد. (6102). شوارق الانوار في تحرير معاني الاذكار (المجلد ج1). دار الكفاية الجزائر.
6. الورثلاني، الحسين بن محمد السعيد. (د.س). شرح نظم النورية، مخطوط.
7. الورثلاني، تحقيق بن شنب. (3091). الرحلة الورثلانية. بيير فونتانا.
8. سعد الله، أبو القاسم. (5891). تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد ج2). الشركة الوطنية للنشر والاشهار .
9. Hadj Sadouk Mohamed. (1951). ‹A travers la Berberie Orientale de 18 siècle avec le voyage ALWARTHILANi. Revue Africaine(95)› 315-396.

الملاحق

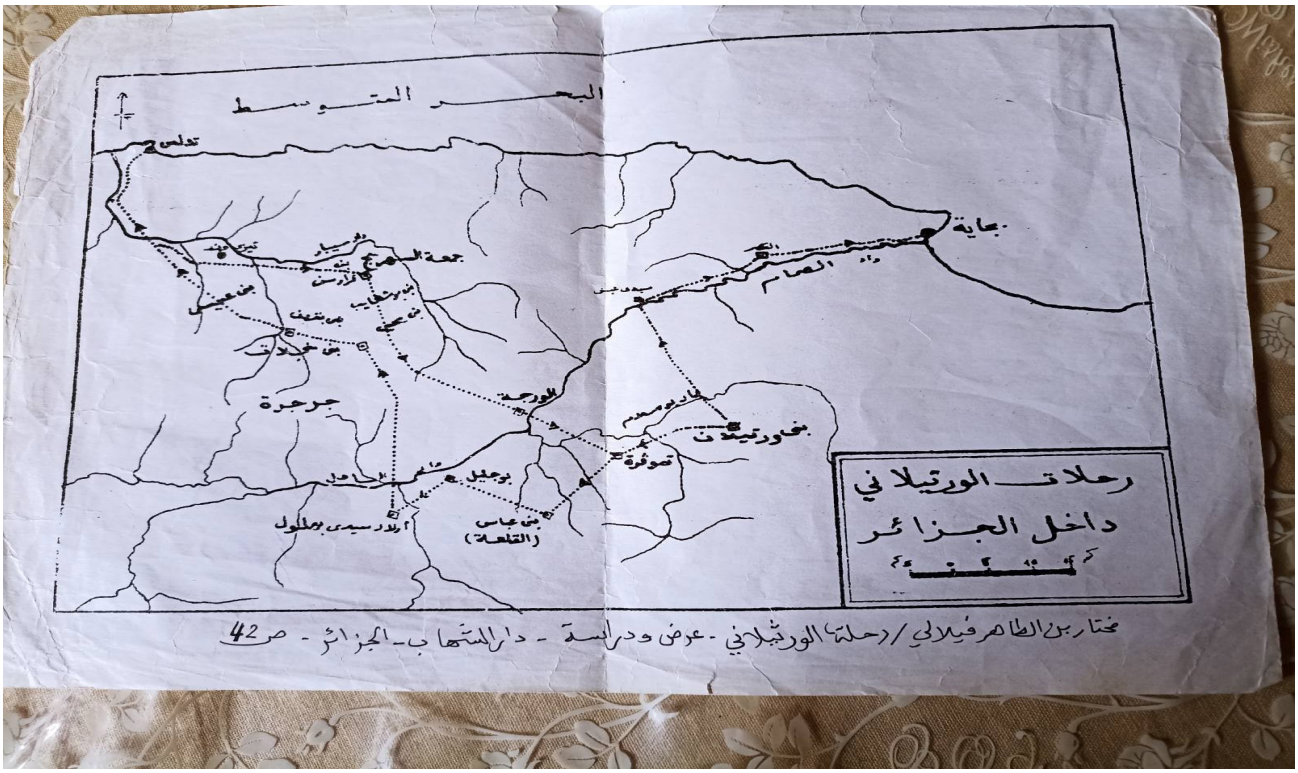

الملحق (01): خارطة عن رحلات الورثلاني الداخلي

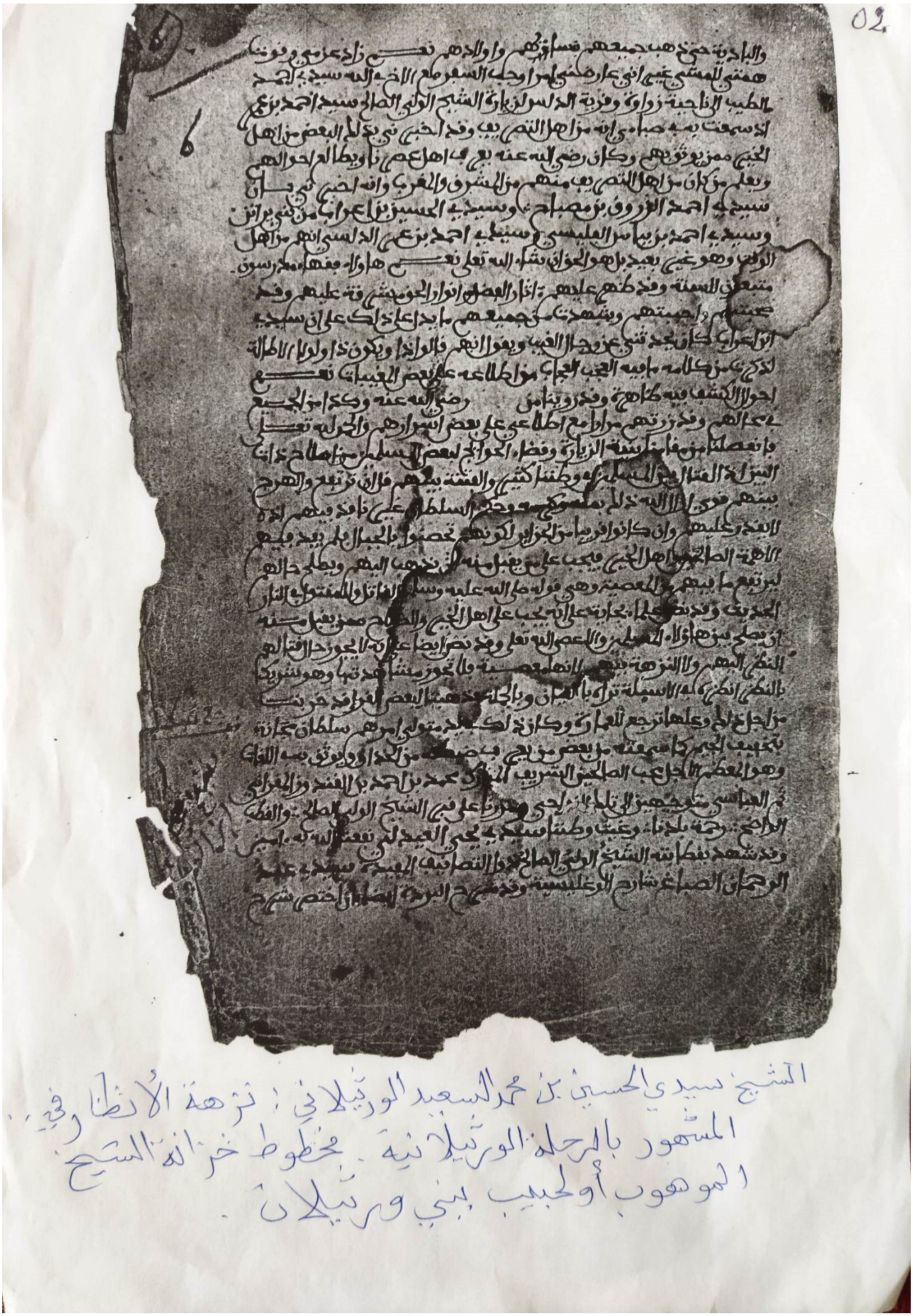

الشيخ سيدي الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني : نزهة الأنظار في المشهور بالرحلة الورثيلانية . مخطوط خزانة الشيخ الموهوب أولحبيب ببني ورثيلان .

الملحق (02): نسخة عن مخطوط الرحلة الورثلانية

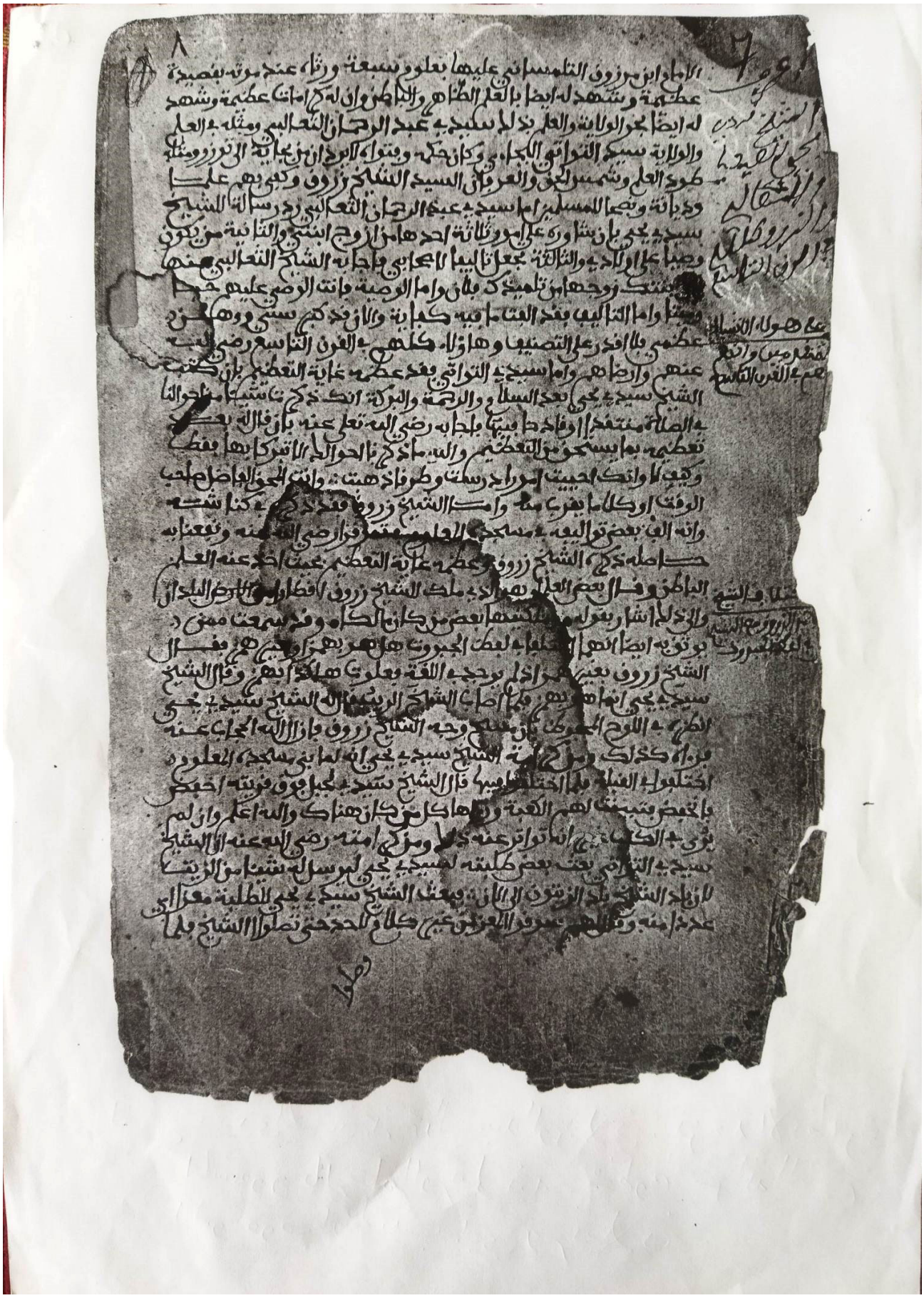

الملحق (02): نسخة عن مخطوط الرحلة الورثلانية(تابع)

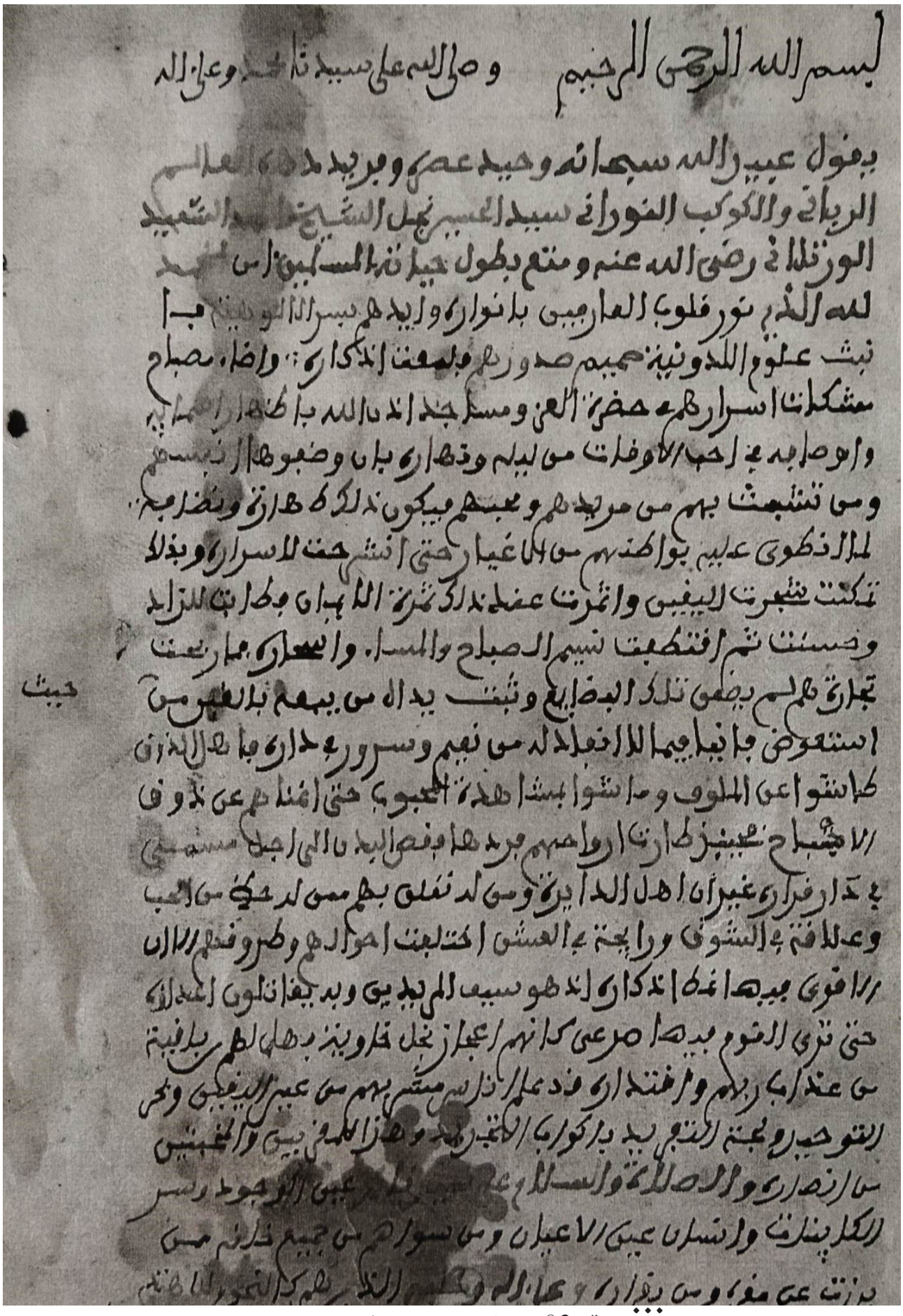

الملحق رقم 03 نسخة عن مخطوط شوارق الانوار

Constantine society and its environs through the Orthelian journey

Abstract

The study deals with a description of one of the Algerian scholars of the Constantinian society and its surroundings during the twelfth century AH / 18 AD, and the study highlights the importance of travel books in writing local history. Sheikh Al-Hussein Al-Wathirani (Al-Wartilani), described in his journey the society of the city of Constantine and its surroundings during his return from his third Hijazi journey and his passage to the city. Record the conditions in which the local community in particular. This situation prevailed in most Algerian cities in general. The Worthelian journey is among the important local sources that can be relied upon in the historical reconstruction of modern Algerian society

Keywords
Ath Wartheran (Bani Warthelan)
The Worthelan Journe
Society

La communauté constantinoise et ses environs d'après le voyage El warthilani

Résumé

Cette étude met en évidence l'importance des livres de voyage dans l'écriture de l'histoire locale des différentes régions, car elle traite de la description des différents aspects dans lesquels vit l'individu algérien, qu'ils soient culturels, religieux, sociaux, intellectuels... D'une manière qui reflète la réalité vécue à l'époque où la visite a eu lieu, parmi ceux qui ont écrit sur la vie sociale dans la ville de Constantine se trouvait Cheikh Al-Hussein Al-Warthirani (Al-Wartilani), qui a décrit dans son voyage la société de cette ville, et certaines de ses villes voisines lors de son retour de son troisième voyage hijazi. Warthrani a enregistré les conditions de la société algérienne en général, et de la communauté locale en particulier, qu'il s'agisse de coutumes, de traditions ou de croyances... Ces situations ne sont pas différentes des autres villes algériennes à ce stade historique. Cependant, cette description de ce voyage se distingue par le fait qu'il a été écrit par un Algérien, un écrivain qui a parcouru le monde islamique et a été introduit dans les sociétés musulmanes levantines. De tels écrits aident les chercheurs à reconstruire la société algérienne à l'époque moderne, dominée par les écrits d'Europe occidentale

Mots clés
Ath warthirane (Beni warthilan)
voyage el warthilani
société
Constantine

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف واذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

قسم المقالات باللغات الاجنبية

Journal of letters and Social Sciences (JLSS) مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

Macro Analysis of the Distribution of English Language Modals in the Algerian English Foreign Language Second Year Secondary School Textbook "Getting Through"

التحليل الكلى لتوزيع الافعال المساعدة للغة الانجليزية في الكتاب المدرسى للغة الانجليزية كلغة اجنبية في الجزائر للسنة الثانية ثانوى"Getting Through"

Karima Annani
كريمة عنانى
Setif 2 university, Algeria
Karima_annani@yahoo.com

Dr. Salah Atouta
د. عتوتة صالح
Setif 2 university, Algeria
atoutasalah@gmail.com

Pr. Mouloud Ait Aissa (1)
أ.د. مولود آيت عيسى
Setif 2 university, Algeria
aitaissamouloud7@gmail.com

Informations about Article
Date de réception: 24/05/2021
Date d'acceptation:03/12/2023

Key Words
Modal auxiliaries
EFL textbook
forms
meanings
"Getting Through" textbook

Abstract

Improving communication skills in the classroom is a challenging and multifaceted task in the English learning process. Given the difficulties that students face when learning how to communicate effectively in English, this study aims to explore the importance of integrating Video Novels in the classroom to enhance the communicative competencies of third-year English students at Laghouat University. Video Novels, an essential tool of today›s technological age, play a fundamental role in creating a friendly and enjoyable learning atmosphere that caters to learners› needs. To collect data, a quasi-experimental method is used based on a questionnaire and semi-structured interview administered to both teachers and students. These data collection tools aimed to understand their attitudes towards the integration of Video Novels as a new learning method in students› Foreign Language Learning (FLL) classes. The findings of the study revealed that students are highly interested in developing their communication competencies using Video Novels. Moreover, Video Novels enhance EFL learners› motivation and participation in the classroom. Video Novels can not only increase motivation and participation but also provide a unique and authentic source of input for learners to improve their English proficiency it.

Introduction

Modals play a significant role in softening the speech and their teaching is highly recommended. However, in the EFL classroom, and for their wide range of meanings and forms, modals represent a tremendous challenge to both teachers and learners, and they are still considered as one of the most difficult areas in English grammar which may negatively affect the learners' communicative competences because if he/she doesn't use or misuse a modal he/she might be considered impolite or uncertain. Modal verbs constitute one of the most problematic items in English grammar and one of the most difficult areas of English verbs. Palmer (1990) says, " There is, perhaps, no area of English grammar that is both more important and more difficult than the system of the modals". He adds that many books and papers were written about the modals issue in order to simplify and clarify its complexity, however; it is still a minefield, missy, and untidy area. Consequently, the modal verbs in the EFL classroom represent a tremendous challenge for both teachers and learners (Thornbury et all. as cited in Torabiardakani et al., 2015) for their difficult structures and overlapped meanings.

In Algeria, to teach modals, teachers generally rely on the

1 corresponding author

textbook as a main material source in the EFL classroom. Unfortunately, it is insufficient for the learners' needs because they do not introduce the modals accurately. Teachers confirm that the secondary school second year in-use EFL textbook "*Getting Through*" does not represent modal verbs in an appropriate and correct way, and their distribution has many flaws. Therefore, the present research aims at the macro analysis distribution of modals in the English Foreign Language Secondary School textbook: Case of"*Getting Through*" textbook for Second Year. In other words, the research seeks to to answer the following questions:

-How are modals presented in the Algerian secondary school second year in-use EFL textbook compared to their use in the real life language?

-To what extent does secondary school second year in-use EFL textbook introduce the different forms and meanings of English language modals?

1–Forms and Functions of Modals

1–1–Can / Could

"Can" is a central modal and one of the most frequent modals after "will" (Leech et al., 2003). "Can" has two pronunciations: weak form /kən/, and strong form /kæn/. "Could" is also a modal verb, it is the remote pair (preterite or past) of Can". "Could" is ranked as the fourth most frequent modal (Leech et al., 2009). Like "Can", it has two pronunciations: weak form /kəd/, and strong form /kʊd/. The three main uses of Can/could are ability, possibility, and permission.

Greenbaum points out that "Can" has three main uses: possibility (very common), ability (common), and permission (less common), though the ability is considered a special case of possibility, i.e., ability implies possibility (Quirk et al., 1985). On the other hand, "Could" is its past time equivalent of the same main meanings (Nordberg, 2010) but it expresses General ability which means that somebody could do anything, whenever he/she wanted (Parrott, 2000; Swan, 2005), and for the ability of one occasion, other expressions (managed, succeed to, was able to) are used .

1–2–May/might

The meaning can be paraphrased as "it is possible that…", the possibility can be in present or future (Leech, 2004).-Careful, that knife may wound you (it is possible that the knife wounds you).

-Don't wait James, he may come late.

-The weather may improve.

There might be technical troubles.

Don't call James now, he might be at the meeting.

If you take this medicine, you might feel better. (hypothetical possibility)

When "May" combines with "event verb" it indicates a future event, i.e., may go, may come, may lose, ...and so forth.

-Alex may go to the party.

-Susan may come at any moment.

-Stop gambling; you may lose all your money.

Will / Would

"Will" is a central modal. It is among the most frequent modals (Römer, 2004; Leech et al., 2009). It is pronounced as /wɪl/. It has no past or future tense. "Would" is a central modal. It is the remote pair of "will". It is highly used in the present-day English (Biber et al., 1999; Römer, 2004; Leech et al.2009; Aarts, 2011). "Would" expresses past or non-past ideas. "Will" for is the very common meaning of Will" and can be paraphrased as" I confidently predict that..." (Leech, 2004; Nordberg, 2010). While "would" is used to express the idea of "future in the past"; to indicate past action which had not yet happened at the moment of talking (Quirk et al., 1985; Greenbaum & Quirk, 1990).

1–3–Shall / Should

According to Greenbaum and quirk (1990), Leech (2004), Leech et al.(2009), and Budinova (2017), to express prediction or futurity, "Should" is the more formal substitute for "will" with first person subjects.

-According to the opinion polls, I shall win quite easily (Greenbaum & Quirk, 1990; p. 64).

-We shall know the results of election soon.

-I shall meet you in two hours.

-I shan't know you when you return, i.e., I predict that I will not know (Quirk et al., 1985; p 795).

"Shall", in statements, is the polite (more formal) alternative intension of "Will" (Leech, 2004).

-We shall respect the people's wish.

-We shall find solutions to this problematic issue.

"Shall" with the second person expresses granting offer. Thus, Should" is an "authoritarian" tone, i.e., it is a permission given by the speaker (Quirk et al., 1985;

Leech, 2004.

-Emma, here is my library, you shall choose the book you like.

-She shall get her money as soon as she has earned it (Quirk et al., 1985, p. 230).

"Should" is used to talk about weak obligation. (less strong than "must"); good or important thing to do as it represents an ideal situation (Swan, 2005; Carter and McCarthy , as cited in Myllyniemi, 2015). "Should" implies the speaker's authority with a less stressed tone, and without his / her confidence whether the event will take place or not (Quirk et al, 1985; Leech, 2004; Budinova, 2017). Thus, the obligation of "Should" is reduced to desirability.

-Milo should pay for that broken window (but he probably won't) (Leech, 2004, p. 101).

-Everybody should wear car seat belt (Swan, 2005, p. 510).

-You shouldn't behave like that in front of people.

-Reports should be sent before November 5th.

-You should read this book.

"Should" is used in questions as a less definite form of "Shall".

Should I check merchandise at the factory?

What should we do? (Swan, 2005, p. 510).

"Should have" + past participle is used to express past unfulfilled obligation, i.e., a desirable action that did not take place. So the meaning is contrary to fact. (Greenbaum & Quirk, 1990; Leech, 2004; Swan, 2005).

-Hilda should have met Elizabeth at her house, but she refused.

-Police shouldn't have killed the man (but they did).

-I should have called my parents, but I forgot.

-It is eight o'clock, Fiona should have arrived in office by now (but she did not).

-You shouldn't have called him a fool, it really upset him (Swan, 2005, p. 511).

1–4–Must /have to

"Must" is used primarily for obligation and necessity**.** This meaning is quite common, and can be paraphrased as" be obliged (by me) to…" or " I require you to..." (Greenbaum & Quirk, 1990; Leech, 2004). Must is used to express internal obligation, speaker's authority, either over himself / herself (I / we in which he/she expresses its sense of duty and social responsibility) or over another addressee to emphasize the importance of doing something (Leech & Svartvik, 2003; Leech, 2004; Parrott, 2000; Imre, 2017). Thus, in Must obligation, there is a speaker's judgment or involvement (Lewis, 1986).

-I must stop smoking (I want to do)

-You really must go to church on Sundays (by father to his son).

-I really must practice sports (speaker's authority over himself / herself)

-To be healthy, a plant must receive a good supply of both sunshine and moisture.(it is necessary for a plant to receive sunshine and moisture) (Greenbaum & Quirk, 1990, p. 62).

In addition, "Must not" is used to express negative deduction.

-I haven't see John this morning. He must not come to work.

-She went away. She must not have met us (can't have met us) (Swan, 2005, p. 337).

On the other hand, "Have to" expresses external obligation which is imposed by regulations, conventions, and somebody' will, outside the power of the speaker (Parrott, 2000). Its meaning can be paraphrases as" it is necessary for you to..". So, in Have to obligation, there is no speaker's judgment or involvement (Lewis, 1986).

-You have to subscribe before the deadline.

-You have to sign your name here (otherwise the document isn't valid) (Leech & Svartvik, 2003, p. 126).

-To save lives, people have to stay home during pandemic time.

-Catholics have to go to church on Sundays (Their religion tells them to) (Swan, 2005, p. 336).

Do you have to wear a tie at work? (is there a regulation? (Swan, 2005, p. 336).

In questions, similar to "Must", "Have to" authority in inversed from speaker to listener (Swan, 2005).

-Do I have to keep driving on that side?

-Do you often have to travel to business? (Myllyniemi, 2015, p. 40).

Speaker's involvement with "have to". The speaker's involvement can be associated with "have to" , in indirect way, to express politeness.

-Someone will have to clean the kitchen (by mother to her children) which implies "I want someone to clean the kitchen".

Furthermore, like "Must", "Have to" is used to express assumptions or inferring conclusions from findings based on logical evidence and circumstances (Myllyniemi, 2015).

-So I said, 'Maureen, this one'll be our train,' and of course it had to be the wrong one. So we got off at the next stop.

-You have to be joking.

-Everyone has Everybody has to die sometimes….(Leech, 2004, p. 81).

-There has to be some mistake

(Greenbaum & Quirk, 1990, p. 62).

In addition to obligation and logical necessity, "Have to" is used to express habitual meaning (Leech, 2004).

-Jim has to check the temperature every 12 hours (Leech, 2004, p. 145).

-The Olympic games have to be organized every four years.

1–5–Need to

"Need to" is used to express internal obligation (necessity) which its strength lies between "Must" and "ought to". Its meaning can be paraphrased as " necessary for.." (Greenbaum & Quirk, 1990; Leech, 2003; Leech, 2004).

-You need to leave the site immediately.

-Curriculum designers need to revise textbooks.

-Peter seems sick, he needs to see a doctor.

-Need I clarify more the explanation?

"Need to" is used , in negative form, to give permission or to cancel obligation.

-Many European citizens needn't get visa to visit the neighbor countries (it is not necessary for the citizens to get visa).

-You do not need to show your Registration Document when relicensing with a reminder form (Collins, 2009, p. 75).

-Get in, you needn't wait all this time.

The present research study is an attempt to analyse the distributin of English language modals in the Algerian secondary school in-use EFL textbook "*Getting Through"* for second level.

2–Research Methodology

2–1–Research Design

Research design is a plan or framework for collecting, analysing, and interpreting data in a research. The research design includes the research approaches: the quantitative, the qualitative, and the mixed method which are the three common approaches to conduct a research. Quantitative approach presents data through numbers, qualitative approach relies on verbal descriptions as data, and mixed method is the approach that combines the both approaches. Based on the above-mentioned elaboration, and since the present study aims at analysing the modal verbs and their frequencies in the secondary school second year in-use EFL textbook "*Getting Through*", the study is quantitative research design in nature.

2–2–Research Method: Content Analysis

Dealing with secondary school second year in-use EFL textbook "Getting Through" Analysis, this study is classified as document analysis. Thus, in nature, it is content analysis. Whatever the tool and names of steps to conduct a content analysis, the principles have kept constant. Krippendorff (2004) proposes the components (procedure) of content analysis as follow:

-Unitizing: The target units in the present study are the modal verbs (central modals, in addition to "have to", "need to", and "ought to"). So, the researcher conceptualizes them by defining, lists them for being analysed.

-Sampling: The target samples in the present study is the secondary school second year in-use EFL textbook "Getting Through".

-Recording/coding: Regarding the present study, a checklist is used to classify modals frequency with their functions and forms. Each category a modal (with its forms and meanings), and counting the frequencies by sequences through micro analysis, then by units and a whole textbook through macro analysis.

-Reducing data: In the present study, the researcher reduces the number of units (forms and meanings) by highlighting only the main forms and meanings throughout the all units of the textbook "Getting Through". Thereafter, the researcher counts the frequency of modals within the same unit of the textbook and in the whole in-use EFL textbook. Consequently, the statistical data are ready to be analysed.

-Abductively inferring: In the present study, the researcher analyses the data and interprets the meaning from the obtained findings. i.e., revealing the different forms and meanings are distributed in "Getting Through", then compare them to BNC findings.

-Narrating: In the present study, the researcher answers

the research questions of how modals are presented the three secondary school second year in-use EFL textbook by making inference after the analysis of data, then shares this inference with the audience.

2–3–Population and Sample

The sample (source) of the current study is the content of the secondary school second year in-use EFL textbook "Getting Through". It was introduced by the Algerian Ministry of Education for second level.

Table 2. 3. 1 ***Background information of "Getting Through"***

Number	Title	Level	Publication date	Number of units	Number of pages
1	"Getting Through"	Second	April 2006	08	207

2. 4 Research Tool

In the present study, the a checklist is chosen as a data-collection tool because the researcher seeks a descriptive frequency data. The checklist is self-constructed by the researcher according to the wanted elements and based on the what is found in the review of literature.

3–Data Analysis and Interpretation

3–1–Statisitcs

Table. 3. 2. 9: Distribution of Modals in the Textbook "Getting Through"

Distribution of modals in "Getting Through"																														
Modals	Forms								Meanings																					
	A		N		I		NI		Pos		Abi		Perm		HM		Pred		Vol		O/N		Ded		Proh		Adv		Others	
	F	%	F	%	I	%	NI	%	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%
Can	112	18,57	30	4,98	25	4,15	0	0,00	93	15,42	60	9,95	8	1,33	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	6	1,00
Could	29	4,81	12	1,99	4	0,66	0	0,00	18	2,99	14	2,32	0	0,00	5	0,83	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	8	1,33
May	39	6,47	6	1,00	3	0,50	0	0,00	41	6,80	-	-	4	0,66	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	3	0,50
Might	23	3,81	3	0,50	0	0,00	0	0,00	26	4,31	-	-	0	0,00	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	0	0,00
Will	169	28,03	9	1,49	7	1,16	0	0,00	-	-	-	-	-	-	-	-	148	24,54	34	5,64	-	-	-	-	-	-	-	-	3	0,50
Would	38	6,30	3	0,50	13	2,16	0	0,00	-	-	-	-	-	-	29	4,81	11	1,82	14	2,32	-	-	-	-	-	-	-	-	0	0,00
Shall	3	0,50	0	0,00	2	0,33	0	0,00	-	-	-	-	-	-	-	-	0	0,00	2	0,33	1	0,17	-	-	-	-	-	-	2	0,33
Should	21	3,48	4	0,66	4	0,66	0	0,00	-	-	-	-	-	-	3	0,50	-	-	-	-	14	2,32	0	0,00	-	-	12	1,99	0	0,00
Must	25	4,15	5	0,83	1	0,17	0	0,00	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	21	3,48	4	0,66	5	0,83	1	0,17	0	0,00
Have to	7	1,16	2	0,33	1	0,17	0	0,00	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	10	1,66	0	0,00	-	-	-	-	0	0,00
Ought to	1	0,17	0	0,00	1	0,17	0	0,00	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	0	0,00	0	0,00	0	0,00	2	0,33	0	0,00
Need to	0	0,00	1	0,17	0	0,00	0	0,00	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	1	0,17	-	-	-	-	-	-	0	0,00
Total	467	77,55	75	12,44	61	10,12	0	0,00	178	29,52	74	12,27	12	1,99	37	6,14	159	26,37	50	8,29	47	7,79	4	0,66	5	0,83	15	2,49	22	3,65

Note . A= affirmative; N= negative; I= interrogative; NI= negative-interrogative; Pos= possibility; Abi= ability; Perm= permission; HM= hypothetical meaning; Pred= Prediction; Vol= volition; O/N= obligation/necessity; Ded= deduction; Proh= prohibition; Adv= advice

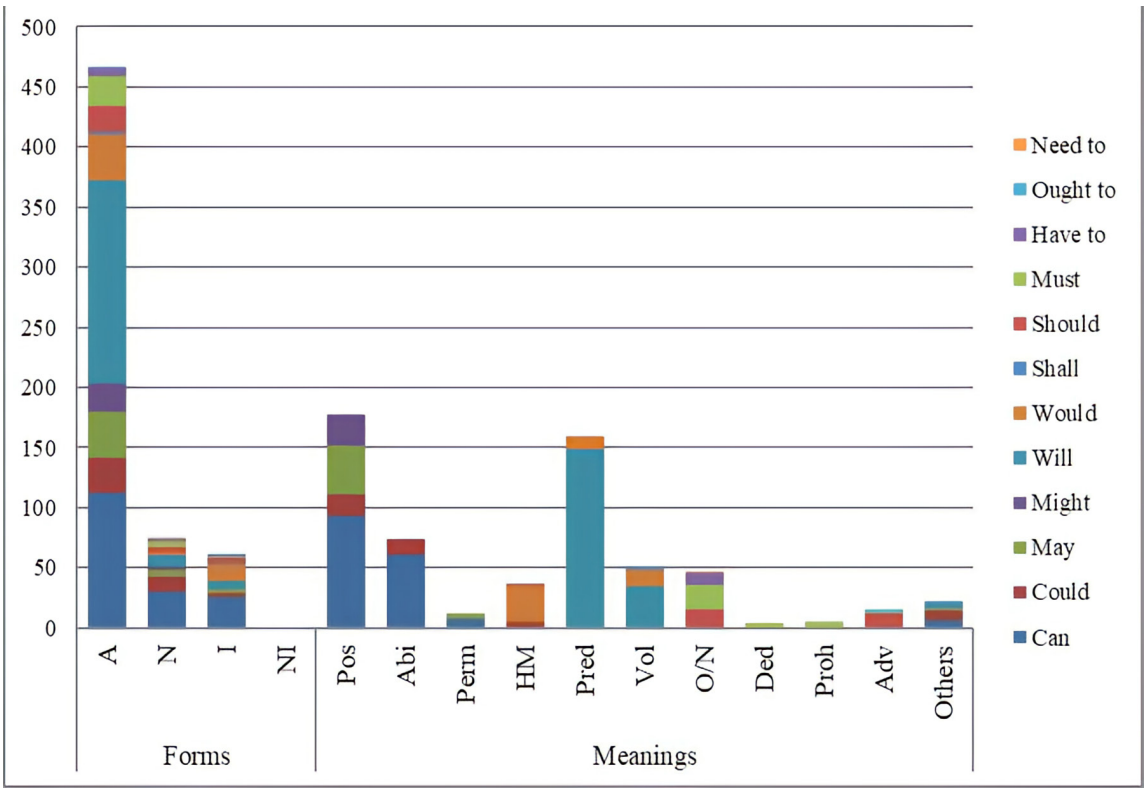

Figure 3. 2. 9 Distribution of Modals in the Textbook "Getting Through".

3–2–Discussion

After collecting and analysing the distribution of modals in secondary school second year in-use EFL textbook "*Getting Through*", in general, there are altogether 603 modals occurrences distributed in three forms and ten meanings. Regarding "Can", there is an overuse with 167 (27,69%) instances instead of (22,68%) as found in the target textbook (Römer, 2004). The overuse is probably at the expense of "Be able to". The 167 instances are distributed on forms as follow: the affirmative (18,57%) is more common three times than the negative (4,98%), and four times than the interrogative (4,15%). For the meanings, possibility is more used with (15,42%), ability (9,95%), then permission (1,33%). "Can" expresses other meanings (1,16%). In Contrast to "Can", "Could" is underused with 45 (7,46%) instances instead of 10,86% in the target textbook. The affirmative form represents (4,81%), more common two times than the negative (1,99%), and seven times than the interrogative (0,66%). In terms of meanings, possibility and ability mark approximate values (2,99%) and (2,32%) respectively, more common three times than the hypothetical meaning (0,83%), whereas the other communicative functions .(mark (1,33%

Looking at the modal "May", it is over-used with 48 (7,96%) instances instead of 2,24%. The three forms are distributed as follow: the affirmative (6,47%) more common six times than the negative (1%) and 13 times than the interrogative (0,50%). whilethe meaning Possibility represent (6,80%) , more common ten times than permission (0,66%), and 13 times than other functions (0,50%). Regarding to" Might", it is slightly overused in "*Getting Through"* with (4,81%) whereas in the target textbook it represents (3,93%). "Might" occurs in the most instances in the affirmative form (3,81%), seven times more common than the negative (0,50%). Yet, in "*Getting Through*", possibility has an absolute predominance (4,31%) with a total overlooking of permission meaning. As far as Will is concerned, it is overused with 185 .(30,68%) versus (26,01%) in the tqarget textbook

This over-presentation may be caused by the ignorance of the auxiliary modal "be going to" which is overlapped with "Will" in meaning as stated by (Kennedy, 2003). The affirmative is overwhelming (28,03%), more common 18 times than the negative (1,49%) and 24 times than the interrogative (1,16%). On the other hand, prediction is predominating the meanings (24,54%), more common in four times than volition (5,64%). Apart its main uses, "Will" expresses other functions (0,50%). In contrast, "Would" is underused in "*Getting Through*" since it presents 54 8,96%) instances whereas it accounts (23,48%) in the target textbook. Like with the previous

modals, the affirmative is at the head of forms (6,30%), presenting the double of the interrogative (2,16%), and more common 12 times than the negative (0,50%). In "*Getting Through*", "Would" is used to express three different uses, hypothetical meaning (4,81%), volition (2,32%), and prediction (1,82%). Similarly, "Shall is underused in "*Getting Through*" with 5 (0,84%) instances in two times as frequent as in the target textbook (1,29%). The affirmative and the interrogative mark approximate values (0,50%) and (0,34%) respectively, with a total .ignorance to the negative form

Shall" is used to express Volition (0,33%) and obligation" (0,17%), in addition to other functions (0,33%). The most noticeable observation is the prediction meaning accounts (0,31%) in the real English, yet; is totally overlooked in "*Getting Through*". Looking at "Should", to some extent, it is also underused in "*Getting Through*" with 29 instances (4,81%) instead of (6,09%) in the target textbook. "Ought to" of 29 instances, 21 (3,48%) instances occur in the affirmative form, more common five times than the negative and the interrogative (0,66%) for each. For the meanings, "Should" is more used to express obligation (2,32%) and advice (1,99%). .(Whereas it is assigned for hypothetical meaning (0,50% Regarding "Must", it is overused as it marks 31 (5,14%) versus (2,87%) in the target textbook, and declines in use over the rise of "Should" in the real written language particularly. In terms of forms, similar to the majority of modals, the affirmative outgrips (4,15%), exceeding the negative in five times (0,83%), and the interrogative in 25 times (0,17%). The more common meaning of "must in "*Getting Through*" is obligation (3,48%), prohibition (0,83%). Deduction is underused since it accounts only (0,66%) though it represents (39%) of "must meaning in the real language (Leech et al., 2009), then advice which marks (0,17%). In "*Getting Through*", "Have to accounts (1,66%) with 10 instances, less common than "must three times, though, in the real language it marks rise in use over "must" in the spoken language. For the distribution of forms, the affirmative (1,16%), the negative (0,33%), and the interrogative (0,17%). In "*Getting Through*", "Have to" is used to express necessity only (1,66%) without any instance to deduction. Looking at "Ought to", to some extent, there is no big difference in use between the target textbook (0,54%) and "*Getting Through*" (0,33%) with 2 instances. The two frequencies are shared in equal values between the affirmative and the interrogative (0,17%) for each, and both of them express advice (0,33%).

Last but not least, "Need to", is the less frequent modal in "*Getting Through*" with only one single instance (0,17%) assigned to express obligation (0,17%). Need to keeps most the same use rate as in the target .textbook (0,1%) where it suffers from declining in use

3–3–Results

From the findings and discussion, it is clear that the real language is not successfully presented in secondary school second year in-use EFL textbook "*Getting Through*". Most modals are either overused or underused in the comparison to the real-life language. Moreover, the findings indicate a difference in modals frequency order between the real English and Algerian secondary school second year in-use EFL textbook "Getting Through", i.e., in "*Getting Through*" is: "Will"→ "Can"→ "Would" →"May" → "Could" →"Must" → "Should"→ "Might"→ "Have to"→ "Shall"→ "Ought to" →"Need to versus "Will" →"Would" →"Can" →"Could" →"Should" →"Might" →"Must" →"May" →"Shall Have to" →"Ought to" →"Need to". To conclude, the modals distribution in second year secondary school in-use EFL textbook doesn't mirror their existence in the authentic language neither in terms of use of each modal nor in terms of all modals frequency order.

Likewise, the distribution of modals, some forms and meanings are totally left out, whereas others are either overused or underused in "*Getting Through*". Therefore, the forms and meanings of modals in "*Getting Through*" are misrepresented, i.e., they are introduced inaccurately and insufficiently.

After collecting and analysing the data about modals use in Algerian secondary school second year in-use EFL textbook "*Getting Through*", it is clear that the way how they are distributed and taught doesn't' fit the learners' needs to communicate successfully in the target language, and in different situations since the context, in many cases, is ignored, and the presentation of modals forms and meanings is different from the real English. In other word, the modals use in "*Getting Through*" is still far from reaching the authenticity.

All in All, the findings reveal that the distribution of modals in Algerian secondary school second year in-

use EFL textbook "*Getting Through*" is inaccurate. The reason might be the preparation of the textbook is based on authors' intuitions and assumptions rather than empirical studies.

4–Pedagogical Implications

The present study hopefully has pedagogical implications to researchers, syllabus designers, teachers, and learners. As far as researchers are concerned, could serve as an eye-opener to researchers and may drive them to carry out further examinations on the matter. Thus, enriching the literature of this important and difficult area in English grammar particularly.

As far as the syllabus designers are cocnerned, modals can give insights on how modals are be taught, and when to be taught according to the learners' level and needs, i.e., which material should be included in the textbook since the study is corpus-based and the frequency has an important role in shaping the teaching material accurately.

As far as theenglish language teachera are concerned, the present research may be useful for lesson preparing as it present insights on how to teach modals, and how to distribute them in classroom activities and practices. In other words, the findings of the study may contribute to the teaching process and rise the teachers awareness on how modals are used in the real-life language.

As far as English language learners are concered, the present research raises their awareness on the modals as they are used by the native-speakers. Moreover, the learners would benefit from the present research as he/she may directly be exposed to different modals meanings and forms as they are in the real language. In this sense, Römer, 2004, p. 2011) says, "confront the learner as directly as possible with the data, and to make the learner ."a linguistic researcher

5–Recommendations

From the findings of the present study, secondary school second year in-use EFL textbook "Getting Through" has many flaws as far as the modals use is concerned. A number of recommendations may be formulated to improve the modals use throughout Algerian secondary school second year in-use EFL textbook "*Getting Through*".

-Clarify the difference between modal auxiliaries and regular verbs forms, i.e., the emphasis on modals properties.

-Change the modals order "Will"→ "Can"→ "Would" →"May"→ "Could" →"Must" → "Should"→ "Might"→ "Have to"→ "Shall"→ "Ought to" →"Need to" To "Will" →"Would" →"Can" →"Could" →"Should" →"Might" →"Must" →"May" →"Shall Have to" →"Ought to" →"Need to" according the their frequency in the real language.

-Give more space to drill and practice when teaching modals in order to memorize the modals and boosting learners' production.

-Expand modals explicit exposure to other sequences not only grammar section. Since "Exploring Matters Further" contains only authentic material, it is an appropriate space to discover how modals are used by native speakers.

-To enable the learner to communicate successfully, he/she should be exposed to the full array of meanings that modal can have, and don't leave out some forms without explicit teaching. Moreover, don't leave out any modal even if it is very rare in the real language, i.e., Shall, Ought to, and Need to.

-Emphasizing on the differences between the past forms and the communicative functions (polite request) of some modals like Could and Would.

-Promote the pragmatic teaching of modal auxiliaries by the emphasis on their social and cultural functions.

-The learners' level should be taken into consideration whether he/she is beginner, intermediate, or advanced. In other words, the modals exposure should take place in a progressive and gradual way to the learner's level and needs.

Conclusion

Modal auxiliaries have an important role in the English language not only from a linguistic point of view, but also from social interactional perspective. However, they are assumed to be the most problematic area in English grammar, and still represent difficulties for both EFL learner and teacher. As far as the material presented in the EFL classroom, numerous studies reveal that textbooks don't introduce the modals accurately. The present study aimed at the analysis of modals use in Algerian EFL context. Secondary school second year in-use EFL textbook "*Getting Through*" was selected as a sample. The study was undertaken by adopting a content analysis approach. A self-designed checklist was used as a data collection tool. The analysis was based on counting the frequencies of modals and carryout out through two stages.

The first one is the micro analysis where the data collected were analysed through sequences, and the second one is the macro analysis in which the data were collected unit by unit, then the textbook as a whole. The findings of the present study show that there are discrepancies between the way the modals are used in "*Getting Through*" and the real-life language. Consequently, the learner is unable to communicate successfully for not being exposed to the appropriate input. To fill in the gap between the real and "*Getting Through*" use of modals, syllabus designers, shouldn't have relied on their intuition to prepare textbooks materials. Rather, they are recommended to depend on empirical studies because "textbooks that are not based on empirical studies misinform learners in terms of the range of modal language available to them, and provide inaccurate descriptions of both the qualitative functions of "modality and the frequencies with which the modals occur

References

1. Aarts, B. (2011). *Oxford Modern English Grammar*. New York, NY: Oxford University Press.
2. Biber, D., Johanson, S., Leech, G., Conrad, S., & Finegan, E. (1999). *Longman Grammar Of Spoken and Written English*. Harlow, England: Pearson Education Limited.
3. Budínová, H. (2017). *The Modal Verb Should at the Variety of its Functions* (Bachelor Dissertation). Masaryk University, Czech Republic.
4. Collins, P. (2009). *Modals and Quasi-Modals in English*. Amsterdam: Rodopi.
5. Greenbaum, S., & Quirk, R. (1990). *A Student Grammar of The English Language*. London, English: Longman.
6. Imre, A. (2017). A Logical Approach to Modal Verbs 4. Will. *Journal of Romanian Literacy Studies*, (11), 97-109. 19 March 2020 11:18:40 from https://www.researchgate.net/publication/339290061_A_LOGICAL_APPROACH_ON_MODAL_VERBS_4_WILL
7. Leech, G., & Svartvik, J. (2003). *A communicative Grammar of English* (3rd ed.). n. p.: n. p.
8. Leech, G. (2004). *Meaning and The English Verb* (3rd ed.). Harlow, England: Pearson
9. Leech, G., Hundt, M., Mair, C., & Smith, N. (2009). *Change In Contemporary English: A Grammatical Study*. New York, NY: Cambridge University Press.
10. Lewis, M. (1986). *The English Verb: An Exploration of Structure and Meaning*. n. p.: n. p. Education Limited.
11. Mylliniemi, S. (2015). *Modal verbs Can, Could, May, Might, Should and Must and Semi-modals Ought to and Have to in Spoken Scottish English as Compared to Spoken English English* (MA Dissertation). University of Tampere, Finland.
12. Nordberg, T. (2010). *Modality as Portrayed in Finish Upper Secondary School EFL Textbooks: A Corpus-Based Approach* (Pro Gradu Dissertation). University of Helsinki, Finland.
13. Palmer, F. R. (1990). *Modality and The English Modals* (2nd ed.). New York, NY: Routledge Falmer.
14. Parrott, M. (2010). *Grammar for English Language Teachers: With Exercises and a Key* (2nd ed.). Cambridge, England: Cambridge University Press.
15. Quirk, R., Greenbaum, S., Leech, G., & Svartvik, J. (1985). *A Comprehensive Grammar of the English Language*. London, England: Longman.
16. 1.Römer, U. (2004). A Corpus Driven Approach to Modal auxiliaries and their Didactics. 185-199. doi: 10.1075. Retrieved 7 December 2019, 15:00:28 fro https://www.researchgate.net/publication/254278751_A_corpudriven_approach_to_modal_auxiliaries_and_their_didactics
17. Swan, M. (2005). *Practical English Usage* (3rd ed.). Oxford, England: Oxford, University +++689+ Press.
18. Torabiardakani, N., Khojasteh, L., & Shokrpour, N. (2015*). Modal Auxiliaries and their Semantic Functions used by Advanced EFL learners*. *Acta Didactica Napocensia, ((2)*, 51-60. Retrieved 2 December/ 2019, 05:42:48 from researchgate.net/profile/Khojasteh_Laleh/publication/281285027.

التحليل الكلى لتوزيع الافعال المساعدة للغة الانجليزية فى الكتاب المدرسى للغة الانجليزية كلغة اجنبية فى الجزائر للسنة الثانية ثانوى"Getting Through"

ملخص

تهدف هذه الد ا رسة إلى تحليل محتويات الكتاب المدرسي لتعليم اللغة الانجليزية للسنة الثانية بالطور الثانوي من ناحية استعمال الأفعال المساعدة .اعتمدت الد ا رسة على المنهج الكمي ، وتم جمع البيانات باعتماد أداة تقييم ذاتية التصميم، تم تحليل النتائج المحصل عليها وفق تحليل كلي. أظهرت النتائج أن هناك اختلافا بين استخدام الأفعال المساعدة بالتركيز على المبنى على حساب المعنى. على ضوء النتائج المحصل عليها، تم تقديم توصيات بيداغوجية لمؤلفي الكتاب المدرسي و المعلمين من أجل سد الفجوة الموجودة.

الكلمات المفتاحية
الأفعال المساعدة
المبنى
المعنى
التكرار

Analyse macro de la repartition des auxiliare de langue anglaise dans le manuel algeriene de langue etrangere anglaise de deuxieme annee du secondqire "Getting Through"

Résumé

La présente étude vise à analyser la distribution des verbes auxiliaires dans le manuel scolaire Anglais pour le niveau deuxième année secondaire, et la comparant à leur utilisation dans la langue réelle. La présente étude se base sur une analyse de manière quantitative. Une liste de contrôle auto-conçue est utilisée comme un outil de recherche pour la collecte de données et pour effectuer l'analyse du contenu. Les résultats montrent qu'il existe un décalage dans l'utilisation des modaux entre le manuel scolaire et le vrai anglais, car les verbes auxiliaires sont soit sur-utilisés soit sous-utilisés dans le manuel scolaire, et accordent plus d'importance à certaines formes et significations au détriment d'autres. L'utilisation des verbes auxiliaires dans le manuel scolaire ne permet pas à l'apprenant de communiquer avec succès. À la lumière des résultats, des implications pédagogiques, des recommandations et des recherches supplémentaires sont suggérées aux chercheurs, concepteurs de programmes, enseignants et apprenants pour combler le fossé entre la vie réelle et le manuel scolaire.

Mots clés
verbes auxiliaires
manuel scolaire
formes
significations

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف واذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

Journal of letters and Social Sciences (JLSS) مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

Last Man in Tower by Aravind Adiga: A Paratextual Interpretation

آخر رجل في البرج بقلم أرافيند أديجا: دراسة تفسيرية لعتبات النص

Dr. Naciera Boubaaya
د. نصيرة بوبعاية
Mohamed Lamine Debaghine Sétif 2 University, Sétif, Algeria
n.boubaaya@univ-setif2.dz

Kaouther Ramdane [1]
كوثر رمضان
DÉCLIC Laboratory Larbi Ben Mhidi University, Oum El Bouaghi, Algeria
ramdane.kaouther@univ-oeb.dz

Informations about Article
Date de réception: 04/05/2023
Date d'acceptation:28/02/2024

Key Words
Paratexts
Text
Space
Readers
Map

Abstract

The Indian author Aravind Adiga›s novel Last Man in Tower (2011) describes a dispute between Masterji, a retired teacher, and Dharmen Shah, a real estate developer, for an apartment in Mumbai›s Vakola city. This narrative is approached from a paratextual perspective, an attempt no one has done before. This article highlights the interactions of the paratextuality of the novel and its text in order to explore the relationship between the paratexts and the spaces depicted in the novel. This study applies Gérard Genette›s paratext theory to demonstrate that Adiga›s Last Man in Tower›s paratextual components influence the readers' perception and understanding of the literary work.

Introduction

Aravind Adiga, a postmodern Indian author, entered the literary world with his first book, *The White Tiger*, which was published in 2008. He immediately rose to international fame by winning the "Man Booker Prize" that same year. Aravind Adiga worked as a writer, a journalist and a correspondent for *The Times*. He was raised in India and Australia, and he attended Columbia College and Oxford University to study English literature. He is presently a resident of Mumbai, India. Adiga writes for everyman in the same way that Charles Dickens did. The major concerns of postcolonial identity, the simplicity of urban life, and the conflict of underprivileged people are all reflected in Adiga's works. His recognition was to be followed by more novels such as the one which is the focus of interest in this article.

Mumbai is the setting for the 2011 novel *Last Man in Tower*. Adiga portrays the city as a thriving commercial and financial hub with a wide range of options. Dharmen Shah who owns The Confidence Group (Adiga, p. 39), a major Mumbai real estate development company, serves as the man who is against the main character, Yogesh A. Murthy, a retired teacher known as Masterji. Shah plans to buy out the entire Vishram society (Adiga, p. 3) in the slummy neighbourhood of Vakola. A dispute between the neighbours, who represent the majority of property owners who agree to sell their apartments to Shah, and Masterji, the only owner who refuses to do so is presented to the reader. As described by the narrator, Shah is a generous person offering Masterji's neighbours sweets. The reader discovers that at the heart of his generosity toward his staff and Masterji's neighbours lies the fact that such generosity is merely a means by which he can reach his goals and not an innate quality. Would the narrative have a power scenario remindful of colonial powers?

Dipanjoy Mukherjee in his paper "Aravind Adiga's *Last Man in Tower*: a Postcolonial Reading of New India", published in 2015, approaches the novel from a postcolonial perspective. The author shows that the social as well as the cultural values depicted in the novel are affected by globalization. Mukherjee declares that there are: "two antithetical forces: Masetrji who signifies a postcolonial opposition and the greedy developer who stands for neo-colonial paradigm" (p. 56). Two towers are inhabited in the novel and the occupants of Tower A portray the middle-class citizens of Mumbai who try to convince Masterji that Shah's offer will bring them unexpected wealth. Mukherjee declares that, in *Last Man in Tower,*

1 corresponding author

Mumbai is depicted as a commercial and financial hub or a site of several opportunities. According to the literary critic, Adiga implies that to have a pucca[1] house in Mumbai is a dream for middle class people because of the intimate relations of the real estate developers and their corrupt politicians (p. 56-57). Would the narrative have a scenario that would be remindful of class struggle?

Badiuzzaman Shaikh (2021) in his article entitled "Masterji's Resistance in Aravind Adiga's *Last Man in Tower*: An Embodiment of the Struggle of the Marginalized Class" analyses the novel from a Marxist perspective. The author of this piece of criticism studies the effects of capitalism, urbanization, privatization, and globalization in postcolonial India. Shaikh sees that the writer finds that all these changes in the Indian contemporary society have effectively forked India into two groups: the privileged upper class and the underprivileged lower class, representative of the rich and the poor, but also of the centre and the margin. While Dharmen Shah represents the group of people who are economically and socio-politically highly influential, Masterji is the embodiment of the marginalized class that is constantly dominated and exploited (p. 84). To the literary critic, Shah becomes an embodiment of the wealthy people in contemporary society who is in a rivalry with the marginalized Masterji.

In the short literary review of the analysis of *Last Man in Tower,* it clearly appears that no study has been attempted from a paratextual standpoint. The present one tries to shed lights on the interactions between the novel's paratextuality and its text. The paratexts of the novel exist in the use of map, title, front cover image, and tower layout. This article discusses the status, importance, and interpretive potential of the paratexts as well as their purpose and function as accompanying parts to the main text. In order to study the paratexts of the novel and to show its participation in the readers' perception and interpretation of the narrative, the article's major material utilizes Gérard Genette's idea of paratexts. The use of paratexts and how they relate to the context become the foci of this research. This study underlines the importance of deep investigation into the role played by the paratextual components in Adiga's *Last Man in the Tower*. What do the paratextual components indicate? What connection can be made between a literature that describes a fictional universe and a map that accompanies the text?

In his study entitled *Paratexts: Thresholds of Interpretation* (1997), the French Literary theorist Gérard Genette states that a paratext is:

a zone between text and off-text, a zone not only of transition but also of transaction: a privileged place of pragmatics and a strategy, of an influence on the public, an influence that ... is at the service of a better reception for the text and a more pertinent reading of it. (p. 2)

Still according to Genette, Paratexts are "the means by which a text makes a book of itself and proposes itself as such to its readers, and more generally to the public" (p. 261) as suggested in *Introduction to the Paratext* (1991). In other words, the way literary texts read and are interpreted is affected by the paratextual elements. Because it provides invaluable insights into how texts are presented and received by the intended audience, the study of paratexts is of utmost importance. Adiga's work is an example of how important paratexts are and how the above statements are expressive and related.

The elements of notes, maps, titles, dedications, and pictures that accompany a text are referred to as paratext. In other words, readers are exposed to the paratextual aspects before they are exposed to the text itself. These paratextual elements may therefore have a significant impact on how the reader interprets the text, leading to varied interpretations. For Tally Jr (2013) "to the writer's literary cartography, we might add the reader's literary geography. The critical reader becomes a kind of geographer who actively interprets the literary map in such a way as to present new, sometimes hitherto unforeseen mappings" (p. 79). Trying to position oneself while interacting with a novel can be quite significant because once the readers come across a setting, they might go back to the map, for instance, to locate themselves. Instead of just passively taking the information, the reader actively participates.

According to Genette (1997), paratextual materials accompany productions to the text in order to present, extend, and surround it (p. 1). The scholar categorizes paratexts in terms of spatial positioning into: peritext (paratexts inside of the book) and epitext (paratexts outside of it) (p. 2). The former is the subject of the study because the paratexts we deal with in this analysis are located between the pages of the book. Genette (1997) argues that the paratext "...is neither on the interior nor on the exterior: it is both; it is on the threshold" (p. XV11). That is to say, the paratextual devices whether inside or outside the book, support the content of the book and serve a single and obvious goal for both the writer and the readers since the majority of the paratexts are approved by the author and noticed by

1 The Hindustani word *Pucca,* Adiga uses, means in English permanent and solid. It is ironically used; none of the residents believes that his/her building is old and threatens to fall although they face various problems.

the reader.

Genette (1997) believes that the major goal of the paratext is to guarantee that the text is consistent with the author's objective rather than to make the text "look nice" *(p.* 407). The paratext's subliminal influence and manipulation are frequently sensed unconsciously. This mode of operation is unquestionably in the author's best interest, even when it isn't necessarily in the reader's (p. 409). This idea is particularly crucial when the fictitious map is viewed as a particular kind of paratext that can help the reader understand and organize the information from the story.

The study of Genette (1997) purposefully chooses to concentrate on textual paratexts. This critic focuses on the paratext that "shares the linguistic status of the text" (*p.* 7). This prompts the inquiry of a visual paratext, as the map, and whether it has got the same impact as the linguistic paratext. Though there exist cases where the definition of a map as a paratext permits it to be considered as a minor element, it is not the case as in Adiga's novel. In fact, this explains why maps are frequently discounted or ignored in literary works. Thus, one may think about the literary meaning or worth of the map as defined by its paratextual function and features.

Genette (1997) identifies some key features that determine and relate to paratextual elements in the sense that: defining a paratextual element consists of determining its location (the question *where?);* the date of its appearance and, if need be, its disappearance *(when?);* its mode of existence, verbal or other *(how?);* the characteristics of its situation of communication - its sender and addressee *(from whom? to whom?);* and the functions that its message aims to fulfil *(to do what?)*. (p. 4)

This identification outlines the five fundamental elements of the material relationship between the text and paratexts found in *Last Man in Tower* which are: temporal relationship, location within the literary work, linguistic and visual communication, from author to reader, and the role of the paratexts in accordance with the text.

Providing a description of the location of the story's space, the story opens with a welcome map that reflects the Vishram Society centering in Mumbai. Adiga uses the Vakola setting where Masterji lives as the space that the protagonist is striving to secure from Shah's egoist intention in the destruction of Tower A. The reader sees the map as a clarifying piece to go along with the text's information about particular areas in the entire space referred to in the novel. First place positioned maps are more likely to be noticed by readers than end position maps. Obviously, the map is used and interpreted in relation to the text which influences the readers' comprehension and interaction with the work as a whole. Instead of engaging closely with the map's details, the first contact focuses on the aesthetic appeal. This can be verified with the following map (*p.* 9), which Adiga uses in his novel.

The fictitious map depicts spatial relationships that, if one develops a habitual attitude for them, will have a substantial impact on events in a sequential narrative that the reader has not yet encountered. Sometimes the map is used as a mere illustration. Instead of being actively used to deepen the reader's comprehension of the literary area, it stays in a useless state. The map can have an integral meaning only after the narrative world become meaningful. This occurs when a reader who is interested in spatiality carefully examines the map before drawing links to the text. In this instance, the map's effectiveness as a paratextual component is revealed in its capacity to act as a powerful tool for communication that, once read, can engage in dialogue with the text.

Similar to Adiga's previous use of maps*, LMIT* opens with a map rather than an epigraph to signal the beginning of the story. The map's paratextual presence foreshadows the book's discussion of spatial issues. Adiga includes a map in *Last Man in Tower*, entitled "*Mumbai*" much like some authors do with epigraphs frequent in literary works. One should note that the map can be viewed as a segment in itself, which further implies that the context works in concert with it. This paratextual presence of the map creates a space for transaction between the reader and the text that contributes positive guidance to the text. The narrative spaces portrayed in the story's world are strongly tied to the novel's materiality. The author's intention in providing a map is to a guide his readers following the narrative process; the novel is full of details and depicts various spatial areas where the events in Mumbai take place. As a result, the map prompts the reader to consider its contribution to the narrative in general and enable him/her to locate himself/herself within the space of the novel in particular. The map in the novel helps the reader get ready for analysis by reducing the text to a few key components, abstracting the spaces from the story's setting, and creating an accompanying element of the map. Adiga provides situational explanations with a visual representation of the actual elements of the narrative linguistic aspect. In combination with the text, the map encourages the readers to enter the author's fictional world and explore the concept of city space. Readers can position themselves and move across different spatial locations. As so many sites are covered in the book, one can trace and follow Adiga's map of *Mumbai* to identify the paths that work as a massive web of the city. As a result, the map is helpful and complementary to the reading process. The reader becomes active in reading and checking places and locations from the text onto the map.

Furthermore, other paratextual components mirror the novel's overall aspects, which in various ways deal with space dimensions. The novel's title sounds like last man in power, which reflects the story. The reader's attention is drawn to the title's symbolic meaning in this section. Masterji, as the title implies, is the last man in the tower and the last person standing up for his moral principles and legal rights in the face of constant social pressure. In the end, Masterji will have to defend himself alone, not just from Shah, but from the entire neighbourhood and his friends.

The main character experiences remorselessness in the unjust and dominant spaces of the city which are reflected through the title. The protagonist's experience is symbolic of the displacement of Tower A inhabitants for spatial and financial purposes. The word "Tower" in the title relates to an architectural feature of the castle, but is now imagined as a tall modern structure. Hence, the tower is or rather was symbolic for the strongest part of a castle that was inhabited by the monarch who was the property owner and man in charge. In this novel, the man in authority is Shah, who is opposed by the man in the tower, Masterji; there is a power imbalance as the man in the tower challenges the man in power. Masterji maintains his stance of refusing to leave the Tower. His position is also illustrated on the novel's cover image, which is actually a paratext.

The image on the front cover of the paperback edition, which Atlantic Books published in 2011, is another paratextual element or presentational aspect. It depicts a shadow of a person, clearly representing Masterji the "Last Man" standing by himself on the balcony of the first floor of the tower. The figure stands for Masterji, in the novel, he stands alone against the rapacious capitalists of globalised India; in the courage and bravery that is bestowed to him by the author. The cover also features a flamingo bird, an aquatic bird which symbolises purity, wisdom, loyalty, divinity, and enlightenment in Indian tradition. Symbolically, the flamingo is Masterji, who is the lone inhabitant loyal to the old building that he calls home rather than a house.

Flamingos also symbolize the necessity for social life, especially as they migrate in groups which indicates the power of unity, unlike masterji who is the only resistant in the face of Shah. Flamingo symbolism reminds one that the individual may be different from others, distinct and firm in his/her decision. Just like Masterji who finds himself surrounded by greedy owners who do not give value to people's feelings and emotions. He is the only inhabitant sticking to his house that carries his memories. In addition, it is common that Flamingos stick together to maintain protection as well as longstanding and enduring friendships rather than random, loose connections unlike Masterji's relationship with his neighbours and friends that is built on shaky basis gnawed by the love of money. His tenacity becomes a symbol of the perseverance of underprivileged persons in Indian modern society despite the fact that he stands alone. These most important elements that distinguish the bird are similar to masterji's traits that make him differ from his neighbours.

Moreover, on the cover photo, there is a plane that symbolizes Santa Cruz Airport, a fusion of natural and artificial components. In the centre of the map, Santa Cruz Airport, which is located in Vakola in the spatially bustling city of *Mumbai*, is drawn to show the story's setting. The author displays the geographic significance of the location as a strategic one, given that it is both in the city and close to Santa Cruz Airport, indicating that Shah the investor, like other investors in India, is attempting to select the greatest spots in the country, even at the expense of its citizens. According to the text, Masterji's neighbours' sole objective is to maximise their profit from Shah's project. This explains Adiga's choice of symbolizing the airport in the middle of the map and a plane on the cover photo. The airport offers

easy access to travelling abroad; attractive to businessmen and retired people, a place of tourism and flights.

The layout of Vishram Society, found on pages 11 and 12, is a paratext that supplements the text in laying out the Vishram society. *Last Man in Tower* has got the layout of the Vishram society, which is located in Vakola Santa Cruz, Mumbai, and whose occupants form an integral element of Adiga's novel.

PLAN OF VISHRAM SOCIETY (TOWER A)
VAKOLA, SANTA CRUZ (EAST), MUMBAI – 400055

Ground floor:

0A	the security guard's personal room
0B	allotted to the Secretary of the Society for official work, with an alcove for the cleaning lady to store her broom, disinfectant, and mopping cloth
0C	Felicia Saldanha, 49, and her daughter Radhika, 20; Mr Saldanha, an engineer, is said to work in Vizag

1st floor:

1A	Suresh Nagpal, 54, timber merchant, and wife Mohini, 53
1B	Georgina Rego, 48, social worker, and son Sunil, 14, and daughter Sarah, 11
1C	C. L. Abichandani, hardware specialist, 56, his wife Kamini, 52, and daughters Kavita, 18, and Roopa, 21

2nd floor:

2A	Albert Pinto, 67, retired accountant for the Britannia Biscuit Company, and wife Shelley, 64
2B	Deepak Vij, 57, businessman, his wife Shruti, 43, and daughter Shobha, 21
2C	Ramesh Ajwani, real-estate broker, 50, his wife Rukmini, 47, and sons Rajeev, 13, and Raghav, 10

3rd floor:

3A	Yogesh A. Murthy (known as 'Masterji'), retired schoolteacher, 61, now living alone after the recent death of his wife Purnima
3B	Given on rent to Ms. Meenakshi, possibly a journalist, single woman of

about 25. Owner Shiv Hiranandani (known as 'Import-Export') lives in Khar West

3C Sanjiv Puri, 54, accountant, his wife Sangeeta, 52, and son Ramesh, 18, afflicted with Down's syndrome

4th floor:

4A Ashvin Kothari, 55, the Secretary of the Society, occupation unknown, his wife Renuka, 49, and son Siddharth (known as 'Tinku'), 10

4B George Lobo, 45, respectable chemist, his wife Carmina, 40, and daughter Selma, 19

4C Ibrahim Kudwa, 49, internet-store owner, his wife Mumtaz, 33, and children Mohammad, 10, and Mariam, 2

5th floor:

5A Given on rent to Mr Narayanswami, 35, working in an insurance company in the Bandra-Kurla Financial Centre. Wife said to be in Hyderabad. (Owner Mr Pais lives in Abu Dhabi)

5B Sudeep Ganguly, 43, proprietor of a stationery shop in Bandra (East), his wife Sharmila, 41, and son Anand, 11

5C left empty, on request of owner Mr Sean Costello, after the suicide of his son Ferdinand, who jumped from the terrace of the building; owner currently in Qatar, working as chef for American fast-food company

Other regulars:

Mary, 34, the *khachada-wali*, or cleaning lady; and Ram Khare, 56, the security guard; maids and cooks are employed in most of the households

From the first to the fifth floor, the plan depicts the various inhabitants' spatial locations. The spatial arrangement of Masterji's and his neighbours' floors mirror the actual space they occupy. Adiga's choice is ironic. While the tower's plan depicts the neighbours as a single connected unit, the story's world describes their distant and disconnected relationship. As the Vishram society's deadline for demolition draws near and Shah's offer might decline, Masterji's neighbours' desires grow; they turn against him, and Masterji is thrown from the top of Tower A. The narrator relates the incident which the neighbours desire to be perceived as mere suicide while they actually push the old man from the top of the tower:

And then he (Masterji) realized that the thing that was blocking his passage was cleared, and he was falling; his body had begun its short earthly flight – which it completed almost instantaneously – before Yogesh Murthy's soul was released for its much longer flight over the oceans of the other world. Down on the ground it lay, sprawled, in perfect imitation of a suicide's corpse. (*p.* 324)

The previous quote depicts the contrast between the content of the text, which proves the disagreement and dispersion of the neighbours into pieces, and the outline of the building, which represents them as one united block. Such unity is relevant again in their desire to sell their flats as opposed to Masterji. Similar to the paratexts, the content reflects the differentiation of the residents. In the novel's last paragraph, the narrator relates:

... all of which were hemmed in by the fencing; except for one greying ancient, whose aerial roots, squirming through barbed wire and broken glass, dripped down the wall like primordial ooze until their bright growing tips, nearly touching the pavement ... (*p.* 346)

This description of the trees that are grouped symbolises Shah and Masterji's neighbours, while the grey and the lone tree represents Masterji. The book's final italicised sentence conveys a moral lesson when Adiga writes: "*Nothing can stop a living thing that wants to be free*" (*p.* 346). This line of the narrative takes an unexpected and unanticipated turn. Friends become enemies willing to abandon their values in order to make a profit. This novel shows the new India that Aravind Adiga explores and exposes, where ordinary people are tempted by money and material well-being in a corrupt society.

Conclusion

The paratextual devices analysed in this article reflect what happens inside the boundaries of the literary work. The novel is analysed as a material object to focus upon the material and aesthetic tensions and transactions that occur between the text and the paratexts. It also examines how the paratexts influence the reception and the interpretation of the text. The paratextual elements in Adiga's *Lat Man in Tower* influence how readers interact with the work's overall meaning; they are not mere accessories of the text. The novel's paratexts reflect the story world and their material presence is closely related to the content. The paratexts function as a guide for readers to locate the elements of the story and follow the narrative process. In addition, the visual paratexts, as the map, are as equally important as the linguistic paratexts such as the title. This paper analysed the link the paratexts that are surrounding the text and the reader's interpretation of these paratextual aspects represented in Aravind Adiga's *Last Man in Tower*.

References

Adiga, A (2011). *Last Man in Tower.* London, Atlantic Books.

Genette, G (1991). *Introduction to the Paratext*. In Genette, G., & Maclean, M. *New Literary History* (pp. 261-272). USA, The Johns Hopkins University Press.

Genette, (1997). *Paratexts: Thresholds of Interpretation*. J. Lewin E., Trans.). Cambridge, Cambridge University Press.

Mukherjee, D (2015). Aravind Adiga's Last Man in Tower: a Postcolonial Reading of New India. *IOSR Journal of Humanities and Social Science (IOSR-JHSS)*. 20 (12), 56-60.

Shaikh, B (2021). Masterji's Resistance in Aravind Adiga's Last Man in Tower: An Embodiment of the Struggle of the Marginalized Class. *The Creative Launcher*. 6 (1), 84-93.

Tally Jr, R (2013). *Spatiality*, London and New York, Routledge.

آخر رجل في البرج بقلم أرافيند أديجا: دراسة تفسيرية لعتبات النص

ملخص

تصف رواية المؤلف الهندي أرافيند أديغا، تحت عنوان آخر رجل في البرج (2011)، نزاعًا بين المدرس المتقاعد ماسترجي، والمطور العقاري دارمن شاه، حول شقة في مدينة فاكولا في مومباي. يدرس المقال العتبات النصية لهذه الرواية، المنظور الذي لم يتطرق له أحد من قبل، حيث يسلط الضوء على التفاعلات بين عتبات الرواية ونصها لاكتشاف العلاقة بينها وبين الفضاءات المصورة في الرواية. تطبق هذه الدراسة نظرية عتبات النص لجيرارد جينيت لإثبات أن العناصر الشبه النصية لرواية أديغا آخر رجل في البرج تؤثر على إدراك القراء وفهمهم لهذا العمل الأدبي.

الكلمات المفتاحية
عتبات النص
النص
الفضاء
القراء
الخريطة

Dernier Homme de la Tour d'Aravind Adiga : une Interprétation Paratextuelle

Résumé

Le roman de l'auteur Indien Aravind Adiga Dernier Homme de la Tour décrit une lutte entre Masterji, un instituteur retraité, et Dharmen Shah, un promoteur immobilier, à propos d'un appartement dans la ville de Vakola à Mumbai. Aucune étude d'un point de vue paratextuel n'a été menée parmi les approches critiques de ce roman. Cet article tente de mettre en évidence les interactions entre la paratextualité du roman et son texte afin d'explorer la relation entre les paratextes et les espaces représentés dans le roman. Cette analyse applique la théorie du paratexte de Gérard Genette pour démontrer que les éléments paratextuels du Dernier Homme de la Tour d'Adiga influencent également la façon dont les lecteurs perçoivent et comprennent l'œuvre littéraire.

Mots clés
Paratextes
Texte
Espace
Les lecteurs
Carte

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023

Journal of letters and social sciences

- About us
- Author declaration
- Journal templates

URL: https://www.asjp.cerist.dz/downloads/revues?fileKey=15280
URL: https://www.asjp.cerist.dz/downloads/revues?fileKey=15802

Correspondence

Adress: Journal of letters and social sciences, Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Al-Hidab district, Setif 19000, Algeria

Phone / fax: 036.66.11.81

websites:

-https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4
-http://revues.univ-setif2.dz/

Email : revue@univ-setif2.dz - revue.setif2@gmail.com

Legal deposit: 2004-650

ISSN : 1112-4777

eISSN: 2588-1906

© All rights reserved to Mohamed Lamine Debaghine University Setif 2, Algeria

Journal of letters and social sciences

Peer reviewed scientific journal published by Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria

Journal manager

Pr. khier Guechi University director

Chief editor

Pr. Kheireddine Daiche

Editorial committee

Pr. Mahmoud Boussenna
Pr. Abdelmelek Boumendjel
Pr. Tahar Saoud
Pr. Anouar Mokrani
Pr. Chamseddine Zouaghi
Pr. Abd Elaziz Ayadi
Pr. Amara Allaoua
Pr. Mustapha Sadaoui
Dr. Hocine Bellahreche
Dr. Naouel Kherra
Dr. Ikhlas Gherzouli
Dr. Cherif Zeroukhi
Dr. Amina Fatima Zohra Talbi
Dr. Boubaker Karce
Dr. Nadjwa Firane
Dr. Fouzia Rouaghe
Dr. Samra Choubane
Dr. Fayza Djenidi
Pr. Farida Guemaz
Pr. Mansour Benzahi
Pr. Blekacem Yakhlef
Pr. Fatima Chebab
Pr. Djamel kouihal
Pr. Saad Khemici
Pr. Hocine Ameziane
Pr. Rahmouni Boumengache
Pr. Ahmed Imad Eddine Khouani
Dr. Noreddine Hamici
Dr. Wahib Boussadia
Dr. Fares Chacha
Dr. Loubna Achheb
Dr. Hassina Ahmid
Dr. Farouk Tebaa
Dr. Bachir Elchrif Chemseddine
Dr. arezki bouhechiche

Secretariat

Lamia Boudiaf
Mofida Cherifi
Mabrouk Sebaihi

Scientific Committee

Pr. Bendjedou Boutalbi	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria
Pr. Nacereddine Gheraf	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria
Pr. Mohamed Bouadi	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria
Pr. Sofiane Zedadka	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria
Dr. Mohamed Ben arabe	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria
Pr. Salah Eddine Zeral	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria
Pr. Youcef Aibeche	ATRSSH Constantine
Pr. Said Kesskes	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria
Pr. Belkacem Nouicer	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria
Pr. Noureddine Bouali	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria
Pr. Foudil Deliou	Constantine 2 University
Pr. Ahmed Sarri	University of Emir Abdelkader Constantine
Pr. Awad Kadem Lefta El Ghazi	Dhi Qar University, Iraq
Pr. Abderrahman Mohamed Elhacene	Bakht Al-Ruda University - Sudan
Pr. Daniel Istria	France CNRS
Pr. Mohamed Sahnouni	Spain CENIEH
Pr. Dicko Bréma Ely	University of Paris 7 France
Dr. Amar Koussa	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria
Dr. Noureddine Mebni	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria
Dr. Mohamed Boudjadja	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria
Dr. Hamid Oumlili	Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria

Content

Dr. Noreddine Hamici	Nation Competitive Image: How And Why Nations Become Commercial Brands {Ar}	07
Dr. Warda Boukebbal	The new policy for agricultural and rural development in Algeria - the case of municipalities from the western and southwestern regions ... {Ar}	17
Pr. Mahmoud Boussena	How to formulate an approprate title for a scientific manuscript, especially in the humanities and social sciences? {Ar}	33
Dr. Brahmi Nassira	The Algerian political and cultural movement at the beginning of the twentieth century {Ar}	41
Dr. Chafika Achour Pr. Kheireddine Daiche	The Imaginary Approach in Building the Historical Character «Hamido Ben Ali» in the novel «arais» by Hajar Koueidry {Ar}	53
Dr. Nassera Boutaghan	Reading in the mystical experience in the philosophy of Erich Fromm {Ar}	65
Dr. Hayette Ahmed Sid	The medical term from the dictionary of the keys of science of Al-Khawarizmi: The characteristics and the functions {Ar}	72
Dr. Hadjsmail Benloulou Pr. kacem Hadjmahammed	A Chronological review of “Sharh kitab Al-Nil” {Ar}	91
Youssouf Latreche Pr. Mokhtar Mellas	The rooting of modern critical theories in the ancient Arab criticism of Abdulmalik Murtadh {Ar}	104
Dr. Hassaine Rabah mohammed Pr. Bensenouci Souad	The poetry of the deviation in contemporary Algerian poetry, Dewan is a man of dust for Ashur Fenni-model {Ar}	113
Dr. Nedjma kerouaz	A Chronological review of “Sharh kitab Al-Nil” {Ar}	125
Dr. Messaouda Sabba	L’art de la Métonymie dans la poésie Abbasside {Ar}	137
Messaoud Bedda Dr. Ismail Bekai Dr. Mourad Aidi	An analytical study of scientific research that dealt with the impact of brainstorming on learning some motor skills ... {Ar}	149
Dr. Badia Hanoune Dr. Loubna Ahmane	Integration of creativity levels in reality advertising -Study of the construction of the customer relationship ... {Ar}	161

Content

Pr. Semcheddine Zouaghi Dr. Naima Bouzeghrane	Medical care in the primary treatment and prevention of obesity through sports and physical activity {Ar}	174
Imene Khalfa Dr. Lamia Saber	Communication strategies to improve the image of university institutions {Ar}	188
Dr. Meriem Dabaa Pr. Oun El Khir Ben Chena	Attitudes of teachers of primary education towards the development of skills of readiness to learn to read {Ar}	207
Dr. Aitsouki Mohand Akli	Constantine society and its environs through the Orthelian journey {Ar}	224
Pr. Mouloud Ait Aissa Dr. Salah Atouta Karima Annani	Macro Analysis of the Distribution of English Language Modals in the Algerian ...	236
Kaouther Ramdane Dr. Naciera Boubaaya	Last Man in Tower by Aravind Adiga: A Paratextual Interpretation	247